الذخائر

١٢١

الوشي المرقوم

في حل المنظوم

ضياء الدين بن الأثير

أبو الفتح نصر الله بن محمد الشيباني الجزري

تحقيق

يحيى عبد العظيم

تقديم

دكتور عبد الحكيم راضي

الهيئة العامة لقصور الثقافة

الذخائر ١٢١

الوشي المرقوم

في حل المنظوم

ضياء الدين بن الأثير
أبو الفتح نصر الله بن محمد الشيباني الجزري

تحقيق
يحيى عبد العظيم

تقديم
دكتور عبد الحكيم راضي

الهيئة العامة لقصور الثقافة

الذخائر (١٢١)
نصف شهرية

إصدار
أول يوليو ٢٠٠٤

الوشى المرقوم فى حل المنظوم
تأليف
ضياء الدين بن الأثير

تحقيق
يحيى عبد العظيم

تقديم
أ.د عبد الحكيم راضى

تصميم الغلاف
محمد بغدادى

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/١٥٥٠٩

التنفيذ والطباعة :
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت : ٣٩٠٤٠٩٦

تطلب (الذخائر) ومطبوعات الهيئة من :
- منافذ توزيع الأخبار
- منافذ توزيع الهيئة المصرية العامة للكتاب
- منفذ البيع الرئيسى بالهيئة العامة لقصور الثقافة
- مركز النشر الجامعى بجامعة القاهرة

المراسلات باسم مدير التحرير على العنوان التالي : ١٦ أ ش أمين سامى قصر العينى - القاهرة
رقم بريدي ١١٥٦١

الذخائر

تقديـــم

أ. د. عبد الحكيم راضي

- ١ -

عـزيزى القـارئ.. يمـثل الكتـاب الذى بيـن يديك، أقـصـد: إصـدارَه عن سلسلة (الذخـائر)، تجربـة جديدة بالنسبـة للسلسلة التى دأبت على إعـادة الإصـدار لكتب سبقت طباعتها بعد التأكد من قيمتها ودقّة تحقيقها وجودة طباعتها.

فى هذه المرة نقدم لك - عـزيزى القارئ - كـتـابا بكراً لم يسبق صدورُه فى مصر فى طبعةٍ محققة كاملة. هذا الكتاب - كما ترى - هو كتاب (**الوَشْى المرقوم فى حَلّ المنظوم**) لَضيـاء الدين بن الأثير، أحد كتّاب القرنيـن السـادس والسـابع الهـجريين ونقّادهما.

قام بتـحقيق الكتاب تحقيقاً علميًا أحد المحققين الشبان من خريجى دار العلوم بجامعـة القاهرة، الذى تعـاون مع هيئة تحرير السلسلة فى سبيل خروج الكتـاب على الصورة التى تراها بين يديك.

- ٢ -

لهذا الكتاب أهمية مزدوجة تُستمدُّ من طبيعة موضوعه من ناحية، ومن شخصية مؤلفه من ناحية أخرى.

ضيـاء الدين بن الأثير كاتب وناقد ذو شخصـية قوية متـميزة، وحضور واضح فى كل ما يكتب، إنه يذكرك بأولئك النقاد والعلمـاء من أصحاب المواقف الثابتة والآراء المعروفة، كأبى بـكر الصولى ت ٣٣٥ هـ صاحب (أخبار أبى تمام) و(أخبـار البحترى)

و(الأوراق) وغيرها، وبأبى سعيد السيرافى ت ٣٦٨ هـ بطل المناظرة الشهيرة بينه وبين متّى بن يونس القُنائى ت ٣٢٨ هـ، كما يذكرك بأبى على الحاتمى ت ٣٨٨ هـ صاحب المناظرة الشهيرة مع أبى الطيب المتنبى ت ٣٥٤ هـ، وصاحب (حلية المحاضرة فى صناعة الشعر) وغيرها.

ابن الأثير يشبه الصُّولى فى حماسه المفرط للمحدثين، ويشبه السّيرافى فى رفضه الادعاء بحاجة الفكر العربى إلى الفلسفة اليونانية والمنطق اليونانى، ويلتقى مع الحاتمى فى مجال التأليف فى البلاغة والنقد، ويشارك الثلاثة فى حدّة المزاج والميل إلى المجادلة والإسراع إلى منازلة المخالفين فى الرأى.

- ٣ -

وككاتب وناقد واسع الأفق يؤمن ابن الأثير بحتميّة الجدل وضرورته بين اللاحق والسابق، هذا الجدل يقوم على ركيزتين، **أولاهما**: معرفة اللاحق بآثار السابق، **والثانية**: معرفة كيفية التعامل مع هذه الآثار بما يضمن حُسن الإفادة منها، دون أن يُغمَط السابقُ حق ريادته ولا اللاحقُ حقّ اجتهاده وإضافته.

الركيزة الأولى دفعتْ إلى الحديث فى **ثقافة الأديب**، والركيزة الثانية دفعت إلى الحديث **فى كيفيّة تعامل اللاحق مع آثار السابق**، هذه الآثار التى تشكل الجزء الأهم من ثقافة اللاحق.

ثقافة الأديب بعضها **معرفىّ عام**، مثل معرفة الأحكام السلطانية والإمامة والإمارة والقضاء والحِسبة والفقه والتاريخ وغير ذلك، وقد يكون من هذا القبيل معرفة اللغة ومعرفة العربية من النحو والتصريف.. إلخ. والبعض الآخر من ثقافة الأديب يمكن وصفه بأنه **فنّى تخصّصىّ**، ويشمل الاطلاع على تأليفات المتقدمين من أرباب النظم والنثر وحفظ الكثير منها، وكذلك حفظ القرآن الكريم والتدرّب باستعماله وكذلك الأخبار النبوية، والسلوك بها نفس المسلك فى الإفادة من القرآن الكريم . [المثل السائر ١/٩، ١٠]

أمّا كيفية تعامل اللاحق مع آثار السابق فقد قادت، منذ ما قبل عصر ابن الأثير، إلى مبحث عام جليل تفرّع إلى مباحث فرعية تقوم على ضبط حركة اللاحق فى تناول آثار السابق، بهدف ضمان حق الأول فيما أبدع، وضمان حق الأخير فى إثبات ذاته بأن يتصرَّف وأن يخترع، مع تعريفه - فى الوقت نفسه - بما يمكن أن يأخذ وما ينبغى أن يَدَع. وقد أطلقوا على هذا المبحث فى عمومه أسماء مثل : **السرقات، الأخذ، الاتّباع**. ثم خصُّوا ما كان مستوفيا للشروط المطلوبة باسم **حسن الاتباع**، أو **الأخذ الحسن**، أو **السرقة الممدوحة**.

- ٤ -

هذا المبحث انتهى إلى نتيجتين محدَّدتَيْن هما :

الأولى : إقرار حقّ اللاحق من الأدباء فى أخذ (معانى) سابقيه.

الثانية : ضرورة إخراج المعنى المأخوذ فى كُسْوَة لفظية جديدة.

هاتان النتيجتان - فى الواقع - مترتبتان على أصلين أساسيين فى النظرية الأدبية العربية، هذان الأصلان هما :

* إن المعانى متاحة، وهى مباحة للجميع، يستوون فى معرفتها والعلم بها، واستخدامها.

* إن مدار عمل الأديب - إبداعه وبراعته - هو فى الكُسوة اللفظية، أو الصياغة.

ويبدو الترابط بين النتيجتين الأولَيَيْن والأصلين اللاحقين منطقيا، فالمعنى - وهو الصفة (الجمال - الدمامة) أو القيمة إيجابًا (الكرم - الشجاعة) أو سلبا (البخل والجبن) - معطًى اجتماعى لا دخل للأديب فيه، بمعنى أنه ليس إبداعًا من الأديب، الذى نشأ فى كنَف مجتمع يمدح الكرمَ ويذمّ البخل، يحبّ الجمال على نحو معين وصفات معينة ويكره الدمامة فى صور معينة.. وقُلْ مثل هذا فى صفات - أو قيم - الشجاعة والوفاء والعفّة وحماية الجار والإيثار.. وأضدادها من الجبن والغدر

والفجور وإسلام الجار... إلخ، وهذه مجرّد أمثلة ..

وإذا كان المعنى كما سبق القول - معطًى اجتماعيًا لا دخل للأديب فى إبداعه، فإنه يخرج - بالتالى - من نطاق عبقرية الأديب ، ومما به يُمدح الأدب أو يُذم، ليتوجه بعد ذلك السؤال: **فيم - إذاً - يكون عمل الأديب وفيم تتجلى عبقريتُه وإبداعه؟**

والجواب - انطلاقا من الأصل الثانى - : **فى طريقة التعبير عن المعنى الذى يقصد الأديبُ إلى التعبير عنه**.. ففى طريقة التعبير هذه، أو فى طريقة الصياغة، أو الكسوة اللفظية يكون عمل الأديب، ومحور إبداعه وتفرّده .

هذا الأصلان قرّرهما الجاحظ فى تصريحه الشهير حين قال عن المعانى: **إنها «مطروحة فى الطريق، يعرفها العجمىّ والعربى والبدوىّ والقروىّ»** ثم حين قال عن الصياغة: «**إنما الشأن فى إقامة الوزن وتخيُّر اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء... وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة** [فى إحدى الروايات: صياغة] **وضرب من النسْج وجنس من التصوير**» [الحيوان : ١٣١/٣، ١٣٢]

ودون أدنى قدر من المجازفة فى الحكم.. لم يختلف أحدٌ من النقاد العرب مع الجاحظ فى هذين الأصلين، أعنى : عموم المعانى وسهولة إيجادها وشيوع ملكيتها ، (والمقصود بالطبع ماسميناه بالمعانى الاجتماعية) واعتبار الصياغة اللفظية الفنيّة هى محور المزيّة ومناط أدبية الأدب وشعرية الشعر. وإذا كانت المعانى **(الاجتماعية)** عند الجاحظ معروفة للعجمى والعربى والبدوى والقروىّ، فقد زاد أبو هلال ت ٣٩٥ هـ إلى هؤلاء: السوقى والنبطىّ والزنجىّ [الصناعتين ٢٠٢] ومن قبل قرر السيرافى أن المعانى «**لا تكون يونانية ولاهندية كما لا تكون فارسية ولا عربية ولا تركية**» [الإرشاد لياقوت ٢٠٥/٨].

وهذا يعنى - بعبارة الآمدى ت ٣٧١ هـ - أنها موجودة «فى كلّ أمة وفى كلّ لغة» [الموازنة ٤٢٣/١] أو هى - بعبارة ابن رشيق ت ٤٥٦ هـ - «موجودة فى طباع الناس... جارية فى عاداتهم ومستعملة فى أمثالهم ومحاوراتهم» [العمدة ١٢٧/١، ٢٨١/٢] أو هى «موجودة عند كل واحد، وفى طوع كلّ فكر منها ما يشاء ويرضى»

كما ذهب ابن خلدون ت ٨٠٨ هـ [المقدمة ص ٥٧٧].

أما اعتبار الصياغة اللفظية الخاصة هى محور المزية ومناط الأدبية والشعرية فحسبنا تأكيداً لما أعلنه الجاحظ كلماتُ الآمدى وأبى هلال وابن رشيق:

أما الآمدى فيطالعنا بأن الشعر عند أهل العلم به ليس «**إلا حُسن التأتّى وقرب المأخذ واختيار الكلام ووضع الألفاظ فى مواضعها**» [الموازنة ٤٢٣/١] وأن البلاغة «**إنما هى إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة**» [الموازنة ٤٢٤/١] وأن «**حُسْنَ التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاءً وحسناً ورونقًا حتى كأنه أحدث فيه غرابةً لم تكنْ وزيادةً لم تعهد**» [الموازنة ٤٢٥/١].

وأما العسكرى فقد صرّح بـ «**أن أعظم مدار البلاغة على تحسين اللفظ**» [الصناعتين ٢٠١].

ويقول: «**ومن الدليل على أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ أن الخطب الرائعة والأشعار الرائقة ما عُملت لإفهام المعانى فقط لأن الردىء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها فى الإفهام، وإنما يدل حسنُ الكلام وإحكام صنعته ورونق ألفاظه وجودة مطالعه وحسن مقاطعه وبديع مباديه وغريب مبانيه على فضل قائله وفهم منشئه، وأكثر هذه الأوصاف ترجع إلى اللفظ دون المعانى**» [الصناعتين ص ٦٤].

وجاء فى العمدة أن «**أكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى**» وينقل ابن رشيق عن بعض العلماء قوله: «**اللفظ أغلى من المعنى ثمناً وأعظم قيمة وأعز مطلبا**» كما ينقل عن عبد الكريم النهشلى قوله: «**الكلام الجزل أغنى عن المعانى اللطيفة من المعانى اللطيفة عن الكلام الجزل**» [العمدة ١٢٧/١].

هكذا ينحصر محور المزية فى الصياغة اللفظية الخاصة، بها يتميز الأدب عن غير الأدب، وبها يتميز أدب عن أدب وأديب عن أديب، وهى نتيجةٌ ترتب عليها خروجُ عنصر المعنى من ساحة القيمة ومن النقاش حوله، لا باعتباره مكوِّنا أدبيًا وإنما باعتباره معطى اجتماعيًا لا دور للأديب فى إيجاده، ولا فضل للنصّ من حيث هو أدب فى الاشتمال عليه، أو على قبيلٍ منه دون آخر.

هذه النظرة إلى المعنى أعفته من الخضوع لسلطة الناقد، أو – على الأقل –

أعفته من الخضوع لسلطته الفنية، انطلاقا من النظر إليه - بمعايير الصناعة - على أنه المادة التى يُجرى فيها الأديب عمله، ويحدث فيها صورة المصنوع، ولما كان الحكم على عمل الصانع فى مادته وما أحدث فيها من شكل وصورة خارجًا عن الحكم على المادة ذاتها، كانت المعانى كذلك خارجةً عن نطاق النظر الفنى للناقد، فهو إما أن يتجاوز عن الوقوف عليها، أو يقف عليها من منظور اجتماعى خارج عن مجال الفن. [انظر: نقد الشعر لقدامة ١٩ - ٢٢].

وانطلاقا من هذا المبدأ أُعفِي المعنى من أن يُسأل عن جوهره أو مادته - كمحتوى - أى أعفى من النظر الأخلاقى، وصرح قدامة ت ٣٣٧ هـ فيما يشبه القانون بأن **«فحاشة المعنى فى نفسه [ليست] مما يزيل جودة الشعر فيه»** وأن **« على الشاعر إذا شرع فى أى معنى كان من الرفعة والضّعة، والرَّفَث والنزاهة، والبذخ والقناعة، والمدح، وغير ذلك من المعانى الحميدة أو الذميمة .. أن يتوخى البلوغ من التجويد فى ذلك إلى الغاية المطلوبة»** [نقد الشعر ٤، ٥].

كذلك أُعْفِيَ المعنى من الحكم عليه بالنظر إلى تاريخه: أى من حيث هو جديد مبتكر أو قديم مبتذل، **وتم الفصل بين الجِدَّة والجودة**، فلا ينبغى وصف معنى بالجودة لمجرد أنه جديد، ولا بالرّداءة لمجرّد أنه مُعاد، ذلك ما يوضّحه قدامة: «لأن المعنى المستجاد إنما يكون مستجادا إذا كان فى ذاته جيداً، فأما أن يقال له جيد إذا كان قاله شاعر من غير أن يكون تقدمه من قال مثله فهذا غير مستقيم... والذى عندى فى هذا الباب أن الوصف فيه لاحق بالشاعر المبتدئ بالمعنى الذى لم يُسبق إليه لا إلى الشعر، إذ كانت المعانى مما لا يجعل القبيح منها حسنًا سبقُ السابق إلى استخراجها، كما لا يجعل الحسن قبيحا الغفلةُ عن الابتداء بها، وأحسب أنه اختلط على كثير من الناس وصف الشعر بوصفُ الشاعر، فلم يكادوا يفرقون بينهما» [نقد الشعر ١٤٩] وصرح أبو هلال بأن: **«ابتكار المعنى والسبق إليه ليس هو فضيلة ترجع إلى المعنى، وإنما هو فضيلة ترجع إلى الذى ابتكره وسبق إليه، فالمعنى الجيد جيد وإن كان مسبوقا إليه، والوسط وسط والردىء ردىء وإن لم يكونا مسبوقا إليهما»** [الصناعتين ٢٠٣].

- ٥ -

بهذه النتيجة - أعنى الفصل بين جدّة المعنى وجودته، أو - فى المقابل - بين تكراره ورداءته، ثم جعْل المدار على جودة الصياغة وإبراز المعنى المأخوذ فى كسوة أفضل.. تجيء فرصة الأديب لينتفع بمعانى سابقيه طالما كان ملتزمًا بإخراج هذه المعانى فى كسوة جديدة، **وتجيء - فى نفس الوقت - فرصة الناقد لكى يصنّف حالات الانتفاع بمعانى السابقين وطرائق التفنن فى إخراجها فى صور جديدة تستهدف المباعدة بينها وبين الصور التى كانت عليها.**

لقد تحدث النقاد عن صور عديدة من إعادة إخراج المعانى القديمة تهدف جميعها إلى ما أطلقوا عليه (**إخفاء الأخذ**) وهو مرتبة تتحقق كلما أحسن الشاعر - أو الأديب عمومًا - التأتّى للمعنى المأخوذ، متوسلا إلى ذلك بإحدى الطرائق التى تُباعده من صورته القديمة، وتثبت فى الوقت نفسه أحقيةَ الآخذ به لقاء ما تعب فى إعادة صوْغه وتحسين معرضه.

فى هذا السياق تحدث النقاد عن العديد من صور التصرف فى المعنى المأخوذ، منها إبرازه فى كسوة أحسن من كسوته الأولى، ومنها قلب المعنى أو عكسه، ومنها إيراده فى لفظ أوْجزَ مما كان، أو أطول وأكثر تفصيلاً مما كان، ومنها تبيين المعنى وكشفه إن كان غامضًا، وتوليد معنى من معنى، ونقل المعنى من غرض إلى غرض آخر، ومنها ما أطلقوا عليه اسم (الالتقاط والتلفيق)، وهو عبارة عن تركيب البيت الواحد من أجزاء متعددة مأخوذة من عدة أبيات سابقة.. وهكذا[*].

(*) من الصعب إيراد مواضع الحديث فى هذه الصور، ولكنها واردة فى إطار حديثهم عن السرقات فى الكتب التى عنيت بها مثل: (عيار الشعر) لابن طباطبا و (حلية المحاضرة) للحاتمى و (الوساطة) للقاضى الجرجانى و (الصناعتين) للعسكرى و (المنصف) لابن وكيع و (العمدة) لابن رشيق وغيرها.

- ٦ -

غير أن اللافت فى حديثهم عن الوسائل المختلفة التى يتم بها أخذ معانى السابقين، **هو علوّ تقديرهم لها كلما ازداد تباعد الصورة الجديدة عن الصورة القديمة التى كان عليها المعنى من قبل.** من هنا كان احتفاؤهم على نحو واضح بهذه الوسيلة التى يضطلع كتابُ (**الوشى المرقوم**) ببحث أحد شطريها ، وأعنى عملية الانتقال بالمعنى بين قالب فنى وآخر، أو - بعبارة أوضح - بين الشعر وخلاف الشعر من فنون النثر، وهو ما أطلقوا عليه العديد من الأسماء مثل: نثر النظم، حل العقد، حلّ المنظوم، نقض الشعر، حل الشعر.. إلخ، وقد فعلوا الشىء نفسه مع الصورة المقابلة، فقالوا: نظم النثر، نظم المحلول وعقد المحلول.. إلخ.

وقد اتخذ البحث فى هذه الوسيلة مسارين مختلفين، وإن بقيت الرؤية الكامنة خلفهما واحدة.

المسار الأول جاء فى ثنايا المؤلفات العامة فى النقد والبلاغة من خلال الحديث فى ظاهرة السرقات.

المسار الثانى جاء عبر الكتب المتخصصة التى تمحّضت بكاملها للحديث فى هذه الوسيلة.

- ٧ -

أما عن المسار الأول، وهو تناول الظاهرة من خلال كتب البلاغة والنقد، ويبدو أنه المسار الأقدم، فيصادفنا ما يروى عن العتّابى، الشاعر العباسى واسمه كلثوم بن عمرو ت ٢٢٢ هـ من أنه سُئل: «بمَ قدرتَ على البلاغة ؟ فقال: بحلّ معقود الكلام» [عيار الشعر ٧٨].

ويظهر أن هذه الصورة كانت محل قبول منذ وقت مبكر بدليل تصريح العتّابى، وبدليل ما ذكره ابن الجرّاح عن الشاعر أبى عبد الرحمن المعروف بالفقيه من أنه «كان يأخذ شعره من الأخبار التى يرويها» [الورقة ١٤، ١٥] وما نقله بعضهم عن «رُزين العروضى من أنه أخذ معنى له فى بعض شعره من كلام منثور» [الورقة ٣٩].

ولا يلبث ابن طباطبا أن يعقد الصلة بين أخذ المعنى من النثر والسرقة الحسنة، فالآخذ لمعانى سابقيه «إن وجد المعنى اللطيف فى المنثور من الكلام أو فى الخطب والرسائل فتناوله وجعله شعراً كان أخفى وأحسن» وقد شبّه هذا العمل بعمل الصائغ الذى يذيب الذهب والفضة المصوغين فيعيد صياغتهما بأحسن مما كانا عليه، ثم قال : إن «الشعر رسائل معقودة، والرسائل شعر محلول» [عيار الشعر ٧٨].

ويفتح الحاتمى - ضمن فصله فى السرقات - بابا فى (نظم المنثور) ويقول إن : «**من الشعراء المطبوعين طائفة تخفى السَّرق وتلبسه اعتماداً على منثور الكلام دون منظومه، واستراقا للألفاظ الموجزة والفِقَر الشريفة والمواعظ الواقعة، والخطب البارعة**» [حلية المحاضرة ٢/٩٢].

وصرح العسكرى بأن «أحد أسباب إخفاء السّرق أن يأخذ الأديب معنى من نظم فيورده فى نثر، أو من نثر فيورده فى نظم» [الصناعتين ٢٠٤] ورأى أن هذه العملية - أى الانتقال بين النثر والنظم - أصعب من الانتقال بين فن نثرى وآخر، كالانتقال بين الرسائل والخطب، «فالرسالة تُجعل خطبة، والخطبة تُجعل رسالة فى أيسر كلفة، ولا يتهيأ مثلُ ذلك فى الشعر من سرعة قلبه وإحالته إلى الرسائل إلا بكلفة، وكذلك الرسالة والخطبة لا يُجعلان شعراً إلا بمشقة» [الصناعتين ١٤٢].

ذلك نفسه ما ذهب إليه القاضى الجرجانى ت ٣٩٢ هـ ، وعنده أن « الشاعر الحاذق إذا علق المعنى المختلس عدل به عن نوعه وصنفه ، وعن وزنه ونظمه وعن رويّه وقافيته» [الوساطة ٢٠٤].

ويبدو أن حديثه هنا منصب على الانتقال فى إطار الشعر بين الأوزان والقوافى المختلفة ، ولكنه يلتفت فى بعض المواضع إلى عملية أخذ المعانى من النثر وصوغها شعراً ، وإن كان أوضحُ الأمثلة عنده هى الأخذ من القرآن والحديث والحكم المأثورة [الوساطة ٣٤٧، ٣٦٤، ٣١٠، ٣٧٨].

أما ابن وكيع التّنيسى ت ٣٩٣ هـ فيكاد - فى بعض تصريحاته - يحصر فضيلة المتأخرين وميدان تفوقهم فى نظم المنثور، هذا على الرغم من قبوله لعشرة

أوجه أخرى من الأخذ المحمود «فأحذق شعرائنا من تخطى المنظوم إلى المنثور... وقد أبقى قبائل الحكم المنثورة لسارقها من فضيلة النظم ما يزيد في رونق مائها وبهجة روائها» [المصنف ص ٧].

وأكد ابن رشيق في (**العمدة**) أن «أجل السرقات نظم النثر وحل الشعر»، وقال إن ما جرى هذا المجرى لم يكن على سارقه جناح عند الحذاق [العمدة ٢/٢٩٣، ٢٩٤] من هنا كان تصريحه في (القراضة) بأن «السرقة المغتفرة نظم المنثور» [قراضة الذهب ٤٧].

ويفتح أسامة بن منقذ ت ٥٨٤ هـ بابا خاصاً للحلّ والعقد، ويقول: «إن الحلّ والعقد... مما يتفاضل فيه الشعراء والكتّاب، وهو أن يأخذ لفظا منثوراً فينظمه، أو شعرا فينثره» [البديع في نقد الشعر ٢٥٩].

ويشارك ابن الأثير في هذا المسار - مسار تناول الظاهرة من خلال كتب البلاغة والنقد - بحديثه عنها في أشهر كتبه وهو (**المثل السائر**) وحديثه فيه يتنادى مع حديثه في (**الوشي المرقوم**)، يقول: «**لقد مارست الكتابة فما وجدت أعون الأشياء عليها إلا حلّ آيات القرآن الكريم والأخبار النبوية وحلّ الأبيات الشعرية**» [المثل السائر ١/٧٧].

أما القاضي التنوخي (ق ٧) فقد أدخل حلّ المنظوم ونظم المنثور ضمن (السّلخ) أحد أقسام السرقات عنده، وقد وصف بعض صوره بأنها «من باب البيان والقدرة على التأليف» [الأقصى القريب ١٠٨].

ولا شك أن فتح أسامة - ضمن (بديعه) - بابًا للحلّ والعقد كان إيذانا بانتقال هذا المبحث إلى علم البديع عند المؤلفين اللاحقين، وهذا ما حدث فعلاً، مع استقلال كلّ منهما بباب خاص عند البعض كابن أبي الإصبع [تحرير التحبير ٤٣٩، ٤٤١]، والخطيب القزويني [الإيضاح ٤٢٣، ٤٢٥] وبقائهما ضمن باب واحد عند البعض كما هو الحال عند الطيبي في (التبيان) الذي يسلك باب (العقد والحلّ) ضمن المحسنات البديعية الراجعة إلى اللفظ والمعنى.

وقد وصل الاعتزاز بالتحوّل بين شكلي النظم والنثر إلى حدّ حديث بعض

البديعيين المتأخرين عما يسمى (**العقد بعد الحلّ**) [طراز الحلة ١٥٦] وهو عقد المحلول من المنظوم، وهى صورة من التكلف موازية لما كان يجرى فى بقية فنون التأليف، خاصة فن البديع.

وكما نرى يتفاوت اهتمام أولئك البلاغيين بين الحديث عن التحويل من غير الشعر إلى الشعر، والعكس.

- ٨ -

أما المسار الآخر الذى اتخذه النظر فى الظاهرة، فهو الذى نجده فى الكتب المتخصصة التى تمحَّضت بكاملها للحديث عنها.

وتحدثنا كتب التراجم عن كتاب (**النثر الموصول بالنظم**) وقد نسبه صاحب (الفهرست) إلى كل من أبى الحسن على بن وصيف ، وإلى ابنه أحمد بن على بن وصيف [الفهرست ١٥٤، ١٥٥] بينما نسبه ياقوت إلى الابن ، أبى الحسين أحمد بن على بن وصيف ت ٣٧٠ هـ [معجم الأدباء].

وبالمثل ذكر كل من النديم وياقوت كتاب (نثر المنظوم) ونسبه كلاهما للآمدى ت ٣٧١ هـ. [الفهرست ١٧٢، ومعجم الأدباء ٨٥١/٢] كما ذكر النديم (**كتاب الحلّ والعقد**) ونسبه إلى الإخميمى عثمان بن سويد، من إخميم، قرية من قرى مصر [الفهرست ٤٢٤].

لكن أيا من هذه الكتب ليس بين أيدينا، وبالتالى لا نستطيع القطع بمحتوياتها، اللهم إلا اعتماداً على عناوينها، وبينما يلف الغموضُ عنوان الكتاب الأول (النثر الموصول بالنظم) يدل عنوان كتاب الآمدى على اتجاهه، وهو وجود عملية من تحويل المنظوم إلى منثور، وإن بقيت طبيعة المنظوم غامضة. أما كتاب (الحلّ والعقد) المنسوب إلى الإخميمى فربما اشتمل على عمليات من التحويل فى الاتجاهين من النثر إلى النظم، والعكس من النظم إلى النثر . ومع ذلك يظل ما قلناه ضرباً من المغامرة التى لا سند لها سوى عناوين هذه الكتب.

من الناحية العملية ليس لدينا سوى كتابين ، أولهما (**نثر النظم وحَلّ العقد**)

للثعالبي ت ٤٢٩ هـ ، والآخر هو (**الوشي المرقوم في حلّ المنظوم**) لضياء الدين بن الأثير ت ٦٣٧ هـ. كلا الكتابين يدلّ - بعنوانه ومادته - على الجهة التي يجرى التحويل إليها، وهي جهة النثر - أو ما ليس بشعر - يدل على هذا، في كتاب الثعالبي، كلمتا (نثر) و(حلّ)، وكذلك كلمة (حلّ) في عنوان كتاب ابن الأثير، لن نتوسع في الحديث عن كتاب الثعالبي، حسبنا القول : إن (النظم) أو (العقد) عنده - وهما بمعنى (المنظوم) و(المعقود) - يتجهان من واقع مادة الكتاب - إلى الشعر، وأن عملية النثر أو الحلّ عنده تجرى على النصوص الشعرية لا غير.

- ٩ -

أما كتاب ابن الأثير فإن المتصفح لمادته يجدها موزعة على ثلاثة أقسام هي: حلّ الشعر، وحلّ آيات القرآن الكريم، وحل الحديث النبوي الشريف.

وهنا ينطلق السؤال عن معنى (المنظوم)، أو - إذا شئنا الدقة - عن معنى (النظم) وما إذا كان يمكن أن يكون مشتملا على كلٍّ من القرآن والحديث، على الأقل في مفهوم ابن الأثير، خاصة أنه تحدث في (المثل السائر) - بعقب أنواع الثقافة التي أوجب على الكاتب أن يحصّلها مطلقا عليها اسم (أدوات الاجتهاد) - ذاكراً أن رأس هذه الأدوات «**وعمودها وذروة سنامها ثلاثة أشياء هي: حفظ القرآن الكريم، والإكثار من حفظ الأخبار النبوية، والأشعار**» [المثل السائر ١/ ٧٨ - وقارن ما جاء في مقدمة (الوشي)]. لقد أعقب ذلك حديثه عن (حل الأبيات الشعرية) [المثل ١/ ٧٨] أو (نثر الشعر وكيفية نثره) [المثل ١/ ٨٤] ثم (حلّ آيات القرآن العزيز) [المثل ١/ ١١٥] و(الأخبار النبوية) التي هي «كالقرآن العزيز في حلّ معانيها» [المثل ١/ ١٢٧].

المادة التي تقبل (الحلّ) - إذاً - عند ابن الأثير ثلاثة أنواع: الشعر، القرآن، الحديث. وهذا - كما سبق القول - من شأنه إيراد السؤال عن معنى (المنظوم)، أو (النظم) عنده، وهو سؤال تكشف إجابتُـه - في رأينا - لا عن معنى مصطلح (النظم) عنده فحسب ، بل أيضا عن سبب اختياره له، ثم عن سبب تجاوزه كلمة (النثر) وإيثاره عليها كلمة (الحلّ).

يتكوّن عنوان كتاب ابن الأثير من فاصلتين سجعيّتين، أولاهما **(الوشى المرقوم)** وهى فاصلة لا دور لها على الحقيقة سوى تحقيق السجع مع الفاصلة الأخرى التى هى محور العنوان **(فى حلّ المنظوم)**، هذه الفاصلة الأخيرة التى تحتوى على مركب إضافى، المضاف فيه هو كلمة (حلّ)، أما الكلمة الأخرى (المنظوم) فهى المضاف إليه المحوّل عن المفعول.. إذ المعنى: **الحلّ الذى يجرى على المنظوم، أو يحدث للمنظوم فيحوّله عن حالة (النظم)** إلى حالة أخرى يطلَق عليها أكثرُ من اسم، ففى البداية أطلقوا عليها اسم (الكلام) وجعلوا منه مقابلا للشعر، ثم جاء وقت أطلقوا عليه اسم نوعه: الخطبة، الرسالة، أو الخطب والرسائل... وعندما عادوا إلى مصطلح موّحد، ولتحوّلات معينة، أطلقوا عليه غالباً اسم (النثر) ليصبح المقابل الغالب له هو (النظم).

تحولات كثيرة عبْر طرق متشعبة ومعقدة، ولكن دعنا الآن ننظر فى مصطلح ابن الأثير (**حلّ المنظوم**)، وهو كما قلنا يتكون من كلمتين، أولاهما اسم للعملية التى يجريها الأديب ، وبفعلِها يتم (تخليق) نوع أدبى. من النوع المقابل الذى تعبر عنه الكلمة الأخرى (المنظوم). فالحلّ، ومعناه فى اللغة : النقض، والإذابة، [وحلّ العقدة نقضها فانحلّت، وكل جامدٍ أذيب فقد حُلّ (القاموس)] أما فى الاصطلاح فالحلّ هو: نثر المنظوم، والعقد هو نظم المنثور [الكليات لأبى البقاء ٦٤١].

هذا هو التعريف المتوارد على الذهن والمتواتر فى استعمال البلاغيين والنقاد، ولكنا نؤثر الابتعاد - ولو مؤقتا - عن كلمة النثر، لنقول: إن (الحلّ) هو العملية التى تجرى فى (المنظوم) ليصير محلولاً، أو - بعبارة متحفظة - يصير غير منظوم.

إذا تتبعنا المصطلح المستعمل قبل ابن الأثير - وحتى عصره - تتبعا على وجه التقريب وجدنا الصورة على النحو الآتى (مع أدنى تصرف فى صوغ المصطلح):

اسم الأديب أو الناقد			المصطلح المستخدم
العتابى (الشاعر كلثوم بن عمرو العتابى) ت ٢٢٢ هـ		حَـلُّ	(العقد)*
إبراهيم بن العباس الصولى ت ٢٤٣ هـ		حَـلُّ	(الشعر)
ابن طباطبا ت ٣٢٢ هـ		(حَلُّ)	الشعر
أبو هلال العسكرى ت ٣٩٥ هـ		حَـلُّ	المنظوم
	ورَوَى :	نقْض	الشّعر
الثعالبى ت ٤٢٩ هـ		نثر	النظم
		حَلّ	العقد
ابن رشيق ت ٤٥٦ هـ		حَلُّ	الشعر
أسامة بن منقذ ت ٥٨٤ هـ		حَلّ	العقد
		نثر	الشعر
ابن أبى الإصبع ٦٥٤ هـ		حَلُّ	الشعر

وكما نرى فإنه من بين أحد عشر زوجًا من المصطلحات الدالة على التحويل من الشعر إلى غيره لم يرد المصطلح الذى استخدمه ابن الأثير فى هيئته التركيبيّة (حلّ المنظوم) سوى مرة واحدة عند العسكرى، أما عن اللفظين اللذين يتكوّن منهما المصطلح المركب، أقصد الكلمة المعبّرة عن عملية التحويل (حلّ) والكلمة المعبّرة عن المادة التى يجرى فيها التحويل (المنظوم)، فإن نسبة تواترهما كالآتى :

الكلمة المعبّرة عن عملية التحويل	عدد مرات ورودها
الحلّ	وردت ثمانى مرات
النثر	وردت مرتين
النقض	وردت مرة واحدة

(*) الكلمات التى بين قوسين هى التى تصرّف فى صيغتها وليس فى مادتها.

الكلمة المعبّرة عن النوع الذى يجرى فيه التحويل	**عدد مرات ورودها**
الشعر	وردت ست مرات
العَقْد	وردت ثلاث مرات
النظم	وردت مرة واحدة
المنظوم	وردت مرة واحدة *

حاصل هذه العملية أنه بالنسبة للكلمة الأولى الدالة على عملية التحويل.. استعمل ابن الأثير أكثر الكلمات وروداً وهى كلمة (الحلّ)، أما بالنسبة للكلمة الثانية الدالة على النوع الذى يجرى فيه التحويل فقد استعمل أقل الكلمات وروداً وهى (المنظوم) التى جاءت بهذه الصيغة مرة واحدة، وجاءت بصيغة المصدر (النظم) مرة واحدة أيضا. وحتى فى حالة اعتبارهما مادة واحدة وردت مرتين فسوف تظل نسبة ورودهما هى الأقلّ بالنسبة لبقية الكلمات.

من السهل أن نفهم عزوف ابن الأثير فى الكلمة الدالة على عملية التحويل عن مصطلح (النقض)، فالنقض من معانيه الإفساد بعد الإحكام، ونقَض البناء هدَمه، ونقَضَ الحبلَ أو الغَزْلَ: حلَّ طاقاته، ونقض ما أبرمه فلان أبطله؛ الإفساد والإبطال هما المعنيان المسيطران فى مادة (نقض) ولا دلالة على الإبقاء عند النقض على صور مقبولة من أى نوع.

لكن المحيِّر إلى حد كبير هو تجاوزه عن مصطلح (النَّثر) وهو المصطلح الذى يتوارد دائما مع مصطلح النظم أو المنظوم عندما تذكر عملية التحويل من أحدهما إلى الآخر.

هذا عن الكلمة المعبِّرة عن عملية التحويل، حيث تجاوز ابن الأثير كلاً من كلمة (النقض) وكلمة (النثر)، أما بالنسبة للكلمة الدالة على النوع الذى يجرى عليه التحويل، فإن استخدامه لكلمة **المنظوم** لا يثير - فى ذاته - أى قدر من التساؤل،

(*) يمكن عدّ (النظم) و(المنظوم) مادة واحدة وردت مرتين.

طالما أن الحديث عن عملية من (الحلّ)، و(الحلّ) لا يجرى إلا فى عقد أو معقود، أو شعر أو نظم أو منظوم.

لكن الموقف يختلف بمجرد النظر فى الكتاب الذى يحمل عنوانُه على الاعتقاد بأن عملية الحلّ فيه متجهة إلى الشعر ومقصورة عليه، خاصة بالنظر إلى مفهوم المصطلح عند العسكرى (حلّ المنظوم) والذى نرجح تأثرَ ابن الأثير به، وكذلك عند الثعالبى فى كتابه الذى يحمل عنواناً مزدوجا (نثر النظم وحلّ العقد) والذى يُعدّ السّلف المهمَّ لكتاب ابن الأثير، والذى ينصب على حلّ الشعر دون غيره. إذ لا نلبث أن ندرك أن المادة التى يجرى فيها (الحلّ) فى كتاب ابن الأثير متعددة ومتنوعة، إذْ تشمل - كما سبق القول - كلا من القرآن والحديث النبوى والشعر .

- ١١ -

هنا نعود إلى السؤال عن اختيار ابن الأثير لمصطلح (المنظوم) من بين مصطلحات ثلاثة هى - بترتيب تواترها - **الشعر، العقد، النظم**، ومع ذلك فقد اختار (النظم) الذى هو أقلها استعمالا فى مجال التحويل بين نوعى الأدب الكبيرين: الشعر وما ليس بشعر.

وفى تصورى أن اختياره لهذا المصطلح واستبعاد كلّ من مصطلحى الشعر والعقد يكشف فى ضوء مادة كتابه عن خبرة عميقة وثقافة واسعة، وفكر منطقى سديد.. ذلك أن مفهوم (الشعر) فى اصطلاح النقاد العرب هو الكلام الموزون المقفى، والوزن والقافية فاصلتان أساسيتان تباعدان منه ما ليس موزونا ولا مقفى، وبالتالى فإن استخدام مصطلح الشعر - لو حدث - كان من شأنه إخراج كلّ من القرآن والحديث النبوى من المادة التى يجرى عليها الحلّ.

أما مصطلح (العقد) فقد ارتبط هو الآخر بهاتين الفاصلتين - الوزن والقافية، ففضلاً على استعماله كمرادف للشعر فى مجموعة المصطلحات المشار إليها ، نجد ارتباطه - أعنى (العقد) - منذ وقت مبكر بخاصتى الوزن والقافية، فنجد ارتباطه بالقافية عند ابن سلام ت ٢٣١ هـ فى حديثه عن الشعر الموضوع الغث الذى رواه محمد بن إسحاق فى السيرة النبوية، يقول ابن سلام: «وليس بشعر، إنما هو كلام

مؤلف **معقود بقوافٍ**» [الطبقات ٨/١] كما نجد ارتباطه بكل من الوزن والقافية معًا على لسان يحيى بن عليّ المنجم ت ٣٠٠ هـ الذى قال «**ليس كلّ من عقد وزنا بقافية فقد قال شعرا**» [الموشح ٥٤٧] وحوالى عصر ابن الأثير عرفه ابن أبى الإصبع ت ٦٥٤ هـ بأنه «ضد الحلّ، لأنه عقد النثر شعراً» [تحرير التحبير ٤٤١]، **العقد هو الآخر مثل الشعر لابد فيه من الوزن والقافية،** (بصرف النظر عن مستوى الشعرية فى الكلام المعقود) وبالتالى لم يكن لينطبق على المادة التى جعلها ابن الأثير موضوعًا للحلّ.

- ١٢ -

هكذا يُستبعد (الشعر) و(العقد) فلم يكن بمقدور صاحب (الوشى المرقوم) أن يجعله فى (حل الشعر) أو (فى حل العقد) أو المعقود، ولو فعل لزال الاتساق بين العنوان ومادة الكتاب التى تشتمل على القرآن والحديث، وهما ما لا يستطيع أحد تصنيفهما تحت الشعر أو تحت المعقود من الكلام..

لم يبق إذاً إلا النظم، وإلا اسم المفعول من فعله (المنظوم). وإذا كنا قد فهمنا السبب وراء استبعاده كلاً من مصطلحى (الشعر) و(العقد) فإن علينا أن نتبيّنَ السبب فى اختيار مصطلح (المنظوم).

وقبل الدخول إلى استعراض مفهوم (النظم) - أو مفاهيمه - علينا أن نتذكر أن هذا المصطلح، مع عدد من مصطلحات الشعر الأخرى - كالقافية والوزن - تعاورها فى البدايات أكثرُ من معنى، لقد أطلقت (القافية) على فواصل السجع، كما أطلق (الوزن) على تساوى الجمل فى غير الشعر، هذا ما يصادفنا فى حديث أورده الجاحظ لعبد الصمد بن الفضل الرقاشي، وقد وصفه الجاحظ بأنه «الخطيب القاصّ السّجّاع» [البيان ١١٩/١].

لقد سئل : «لِمَ تؤثر السّجعَ على المنثور؟ وتُلزم نفسك **القوافى** وإقامة **الوزن** ؟ قال: إن كلامى لو كنت لا آملِ فيه إلا سماعَ الشاهد.. لقلّ خلافى عليك، ولكنى

أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع، والآذان لسماعه أنشط؛ وهو أحق بالتقييد وبقلة التفلُّت، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يُحفظ من المنثور عُشرُه ولا ضاع من الموزون عُشرُه» وتكشف بقية حديث الرّقاشي عن أن مراده بالوزن إنما هو تساوى فقرات السجع، وبالقوافي : المحافظة على تماثل فواصله [البيان ١/٢٨٧].

وجاء في (الإمتاع والمؤانسة) على لسان أبي سليمان المنطقي ت ٣٧٢ هـ أن «العبارة تتركب بين **وزن هو النظم** للشعر، وبين **وزن هو سياقة الحديث**» [الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي ٢/١٣٨].

هذا التعدد في مدلولات المصطلح الواحد مما لاحظنا وقوعه بالنسبة لـ (القافية) وبالنسبة لـ (الوزن) نجده على نحو أوسع في مصطلح (النظم) ولا شك في أن **أشهر معانيه هو استعماله مرادفا للشعر**، والسياقات التي ورد فيها بهذا المعنى أكثر من أن تحصى وأشهر من أن يمثل لها، خاصة ما يجيء فيها مقابلا لمصطلح النثر الذي يدل حينئذ على كل ما ليس بشعر من أنواع الأدب.

وهناك معنى ثان للنظم تطلق فيه الكلمة ويراد بها الكلام المشتمل على الوزن والقافية مع خلو العبارة من خصائص اللغة الشعرية من التصوير والتخييل وغير ذلك. نجد هذا عند الأصمعي ت ٢١٣ هـ في تصريحه بأن «الشعر ما قلّ لفظه وسهل ذَوْقُ معناه ولطُف، والذي إذا سمعته ظننت أنك تناله، فإذا حاولت وجدته بعيداً، **وماعدا ذلك فهو كلام منظوم**» [نضرة الإغريض ص ١٠].

وحكى أبو زكريا التبريزي ت ٥٠٢ هـ قال : «كنت أسأل المعري [ت ٤٤٩ هـ] عن شعر أقرؤه عليه فيقول لي : **هذا نظم**، فإذا مرّ به بيت جيد قال: **يا أبا زكريا هذا هو الشعر**» [نضرة الإغريض ص ١١، ١٢].

أما ابن خلدون ت ٨٠٨ هـ فيشترط في تعريفه للشعر جريانه على الأساليب المخصوصة به، ويقول إن هذا «فصل له عما لم يجر منه على أساليب العرب المعروفة، **فإنه حينئذ لا يكون شعراً، وإنما هو كلام منظوم**» [مقدمة ابن خلدون ٥٠٧].

النظم بهذا المعنى يأخذ من الشعر إطاره الشكليّ من الوزن والقافية، ولكنه يفقد حلاوة العبارة وروعتها وجمال التصوير وجاذبية التخييل.

أما المعنى الثالث للنظم ، أو للكلام المنظوم فهو ما يمكن استخراجه من كلام الراغب الأصفهانى ت ٥٠٢ هـ فى حديثه عن مراتب تأليف الكلام، وهى عنده خمس مراتب :

«**الأولى** : ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض لتحصل الكلمات الثلاث: الاسم والفعل والحرف.

والثانية : تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض لتحصل الجمل المفيدة، وهو النوع الذى يتداوله الناس جميعًا فى مخاطباتهم وقضاء حوائجهم، ويقال له: المنثور من الكلام..

والثالثة : ضم بعض ذلك إلى بعض ضمًا له مَبَادٍ ومقاطع ومداخل ومخارج، ويقال له: المنظوم.

والرابعة : أن يُجعل له فى أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ويقال له : المسَجّع.

والخامسة : أن يُجعل له مع ذلك وزن مخصوص، ويقال له: الشعر.

والمنظوم إما محاورة ويقال له: خطابة، وإما مكاتبة ويقال له : الرسالة، فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام، ولكلّ من ذلك نظم مخصوص» [نقلا عن الإتقان للسيوطى ٤/١١].

- ١٣ -

فلنسجل الآن أن الراغب يجعل كل مستوى من هذه المستويات الأربعة الأخيرة – على الأقل – قسمًا: المنثور والمنظوم والمسجّع والشعر، ويقول: **إن لكل منها نظمًا مخصوصًا.** لكن أحد هذه الأقسام يحمل اسم (المنظوم)، وهو قابل لأن يدخله السجعُ فيقال له (المسجَّع)، وقابل لأن يضاف إليه قيدُ الوزن فيستحق اسم الشعر.

النظم – إذاً – قد يكون فى غير الشعر كما قد يكون فى الشعر. ومن قبل جَمَعَ الجاحظ فى الحديث عن الشعر بين (النظم) و(الوزن) فقال فى معرض الحديث عن

صعوبة ترجمة الشعر: إن الشعر - متى ترجم «**تقطّع نظمه وبطل وزنه**» [الحيوان ١/٧٥] ومر بنا قول القاضى الجرجانى «إن الشاعر الحاذق إذا علق المعنى المختلس عدلَ به عن نوعه وصنفه **وعن وزنه ونظمه**» [الوساطة ٢٠٤] أما أبو هلال فقد تحدث عن (**أصناف المنظومات**) وقال فى معرض تفضيل الشعر: «وليس شيء من أصناف المنظومات يبلغ فى قوة اللفظ منزلة الشعر» [الصناعتين ١٤٣] ثم صرح بعد ذلك بـ(**أجناس المنظوم**) فقال إنها «ثلاثة: الرسائل والخطب والشعر» [الصناعتين ١٦٧].

صفة النظم - مرة أخرى - موجودة فى الكلام مع وزن الشعر وبدون وزن الشعر، بدليل أحاديثهم عن أصناف المنظومات وأجناس المنظوم، وبالتالى **فالمنظوم شعرٌ وغير شعر،** ومعروف أن الجاحظ قد تحدث عن نظم القرآن وجعل هذا النظم المخصوص إحدى جهات إعجازه [مقالة العثمانية - ضمن رسائل الجاحظ ٤/٣١] وقد تابعه على ذلك كثيرون منهم الباقلانى وعبد القاهر، وقد توسع الأخير فى توضيح معالم النظم وتعريفه وبيان كونه الجهة التى كان منها القرآن معجزا..

مرة أخرى النظم يطلق على الشعر وعلى غير الشعر من الكلام البليغ، وبالتالى فالمنظوم قد يكون شعراً وقد يكون كلاما بليغا غير الشعر.. **وهذا - فى تقديرنا - هو المعنى الذى تحمله كلمة (المنظوم) فى عنوان كتاب ابن الأثير**.. نعم لقد استبعد - كما قلنا - استعمال مصطلح (الشعر) واستعمال مصطلح (العقد) أو (المعقود) لانحصار المصطلحين فى الشعر بفاصلتيه الشهيرتين: الوزن والقافية، وفضل مصطلح (المنظوم) بدلالته التى تشمل كلا من الشعر وغير الشعر من الكلام البليغ، **ليتاح له إدخال نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف** ضمن ما تجرى عليه عملية الحلّ. وبذلك يختلف معنى (المنظوم) عند ابن الأثير عنه عند العسكرى وعند الثعالبى اللذين اتجها بالمصطلح إلى معنى الشعر لا غير.

وهنا - بالتوازى - يتأكد توفيق ابن الأثير فى اختيار مصطلح (الحلّ) دون (النثر) اسمًا للعملية التى تجرى فى النص المنظوم، إذ لم يكن من الصواب أن يسمى كتابه (الوشى المرقوم فى [نثر] المنظوم) وذلك فى ضوء ما عرفناه من أن من

المنظوم عنده ما ليس شعراً مما قد يطلق عليه البعض اسم (النثر)، وبالتالى فإن جعل الكتاب فى (نثر المنظوم) يعنى فى جزء معناه: نثر المنثور، وهو يدخل فى عداد الإحالة.

بذلك تتأكد لنا دقة ابن الأثير وثقوب فكره حين اختار لشطرى العنوان فى كتابه كلمة (الحل) اسما للعملية التى يُجريها الآخِذُ، وكلمة (المنظوم) اسما للمادة التى يجرى فيها الأخذ والحلّ.

- ١٤ -

ذلك هو كتاب (**الوشى المرقوم فى حلّ المنظوم**) الذى خطّه قلمٌ جمع صاحبه بين موهبة الإنشاء وعقلية المنظّر، فاستطاع أن يؤيد الفكرة النظرية بالمثال التطبيقى، فجاء الكتاب من هذه الجهة كتابًا تعليميًا ذا طابع عملىّ، أما على المستوى النظرى فإن الكتاب قد خوّض فى عُباب مبحث السرقات، وبالذات ما عرف بالسرقات الحسنة أو الأخذ المحمود، متقاطعاً مع نظرية الأدب، لقد سمح المتحدثون فى السرقات بأنْ يأخذ اللاحق معانى السابق، وقرر أصحاب النظرية الأدبية أنّ الخاصة النوعية الفارقة للأدب عما سواه هى خاصة الصياغة الفنية، والتقت الفكرتان على تمكين اللاحق من إثبات موهبته واختبار قدرته على الإبداع والإضافة من خلال الصياغة الجديدة المفارقة للصياغة التى كان عليها المعنى من قبل، **وجاء حلّ المنظوم ونظم المحلول أكثرَ طرق المباعدة بين الصورة القديمة والصورة الجديدة للمعنى المأخوذ، فكان اهتمام أصحاب البحث فى السرقات بهذه الطريقة، وكان تخصيص كتب كاملة للحديث عنها.**

وعند هذه النقطة يقع كتاب ابن الأثير، الذى تصدى - كما يقول عنوانه - لـ (حلّ المنظوم) لكنه - كما سبق أن ذكرنا - وسع فى معنى المنظوم ليشمل - إلى جانب الشعر كلا من نصوص القرآن ونصوص الحديث النبوى، ولم يصدر ذلك منه على نحو عشوائى، وإنما جاء ذلك بالتوازى مع عناصر الثقافة الأدبية التى أشار

على الأديب بتحصيلها، وهى حفظ الشعر والقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، فكان عليه - تتمّةً للفائدة، ووفاء بدوره - أن يرسم كيفية التعامل معها والإفادة منها، مفيداً فى الوقت ذاته من بعض سابقيه الذين نعتقد أن من بينهم الثعالبى، كما نقطع بأن منهم أبا هلال العسكرى الذى يلوح أثرُه عند ابن الأثير فى التصاعد بقيمة المحلول من الشعر بمقدار الابتعاد عن الأصل الذى جرت فيه عملية التحويل .

وليس من خطة هذا التقديم عرض فصول الكتاب ولا استعراض أمثلة لمسلك مؤلفه فيه، فإن الكتاب كفيل - من هذه الناحية - بتقديم نفسه، حسبى أن أقول للقارئ: إنه أمام كتاب لمؤلِّف جدير بالثقة، فى طبعة محققة قريبة من الكمال، تصدر لأول مرة فى مصر من خلال سلسلة (الذخائر).

عبد الحكيم راضى

محقق الكتاب

* **يحيى عبد العظيم حسانين .**
* ولد فى ١٩٦٦/٧/٢٧ بمحافظة القليوبية.
* تخرّج فى كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ١٩٨٩.
* اجتاز السنة التمهيدية للماجستير ١٩٩٩.
* حصل على درجة الماجستير فى الآداب من نفس الكلية ٢٠٠٣ .
* عضو جمعيّة العقّاد الأدبية.
* عضو رابطة الأدب الحديث.
* عضو نقابة الصحفيين.
* عمل فى عدد من الصحف المصرية، وأشرف فى بعضها علي الصفحة الثقافية.
* حاليا يعمل بمؤسسة أخبار اليوم.
* نُشرِ له بالصحف المصرية والعربية عدد من القصائد والدراسات.

* **له تحت الطبع :**
  - ديوان زفرات.
  - ديوان قبلة.
  - كتاب : الشعر العربى .. الفنّ والقضيّة.

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل شكرى وعميق تقديرى إلى أستاذى الأجل الشاعر الكبير الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم « أبو همام » ، على عظيم رعايته وإشرافه علىَّ فى هذه الرسالة ، ولعلنى أكون عند حسن ظنه بى ، وثقته فىَّ .

كذلك أتوجه بخالص مودتى إلى أستاذى الأجل العالم البحر الفهامة الدكتور محمد أبو الأنوار على تشجيعه المستمر ، وحسن استقباله تلاميذه ، ونصحه الدائم لنا جميعا وتوعيتنا بأهمية البحث العلمى .

وأقدم خالص شكرى وعظيم امتنانى إلى الأستاذ الدكتور جودة أمين الأستاذ بدار العلوم والأستاذ الدكتور عبد الرحمن الوصيفى اللذين تحملا مشقة قراءة هذا الكتاب وهو فى طور رسالة الماجستير ، وإلى العالم العلامة الأستاذ الدكتور حسين نصار ، والأستاذ الدكتور إبراهيم الدسوقى جاد الرب لما وجدته لديهما من حرص على خروج هذا الكتاب على الوجه الأكمل خلوا من العيوب والنقص .

كما أشكر جميع أساتذتَى فى دار العلوم ؛ فمن علمنى حرفًا صرت له عبدًا .

يحيى عبد العظيم

إهداء

إلى زمن الشعر الجميل
إلى أبوىَّ الكريمين متَّعهما الله بالصحة والعافية
والمتفانية فى حبها ؛ شمعتى المضيئة زوجتى الغالية
وقرة عينىَّ ، أبنائى الحالمين بمستقبل مشرق :
ابنتىَّ : جهاد وريم ، وولدىَّ : بدر الدين وشمس الدين

يحيى عبد العظيم
« أبو جهاد »

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [الروم/ ٤]

صدق الله العظيم

هذا الكتاب الذى بين أيديكم لم يكن فى حسبانى أنه سيكون موضوعا أنال به درجة الماجستير ؛ فقد سبقه عناء البحث عن موضوعات أخر ، وذلك بعناية ورعاية شيخى وأستاذى الشاعر الدكتور العالم الأجلّ عبد اللطيف عبد الحليم « أبو همام » .

لقد بدأت طريقى فى البحث عن مخطوط يكون موضوعا لرسالتى ، أمدنى صديقى العزيز محمد عبد السميع الصحفى بالأخبار بنسخة من فهرس المخطوطات المصورة الموجودة بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية ، والعديد من الكتب من مكتبته الزاخرة . وبعد الاطلاع على ما فيه ، وانتقاء بعض الموضوعات التى صادفت هوى لدىَّ ؛ وجدت بين يدىَّ موضوعات كثيرة ، قام أستاذى الأجل بحر المعرفة الدكتور الطاهر أحمد مكى بتقسيمها إلى موضوعات تم بالفعل تحقيقها ، وأخرى لم تحقق بعد فله منى جزيل الشكر .

رجوت الدكتور مكى أن يرتبها لى حسب أهميتها ، الأهم فالمهم . وقد كان ترتيب « الوشى المرقوم » متأخرا . وقمت بالبحث عن أحد هذه الموضوعات كما رتبها لى الدكتور مكى ، ولكن - لأمر أراده الله ، ولا رادَّ لقضائه - لم يحالفنى التوفيق فى العثور على أىٍّ من المخطوطات الأوَل التى بحثت عنها سواء فى دار الكتب والوثائق المصرية ، أو فى معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية .

وبعد عناء البحث تذكرت أنه لم يتبق بين يدىّ سوى مخطوطة لكتاب « الوشى

المرقوم فى حل المنظوم » لضياء الدين بن الأثير ، وتذكرت أن الدكتور الطاهر قال عبارة مفادها : إن أبناء الأثير كلهم يستحقون ، معقبا بكلمته التى لاتخرج إلا من القلب : « يا ولدى » .

عدت أدراجى ثانية إلى دار الكتب والوثائق المصرية باحثا عن هذه المخطوطة ، وقد وجدت منها عدة نسخ . يأتى فى مقدمتها النسخة المخطوطة الموجودة بالمكتبة التيمورية رحم الله صاحبها على ما قدمه خدمة للعلم والعلماء . كذلك فقد وجدت نسخة أخرى فى مكتبة مصطفى فاضل ، وأخرى مطبوعة على الحجر سنة ١٨٨٠م . وقد أشارت فهارس معهد المخطوطات إلى وجود نسختين أخريين به ، وهما نسخة مصورة من مكتبة نور عثمانية بتركيا ، والأخرى مصورة من مكتبة كتبخانه ملى طهران الإيرانية .

لقد قيض الله هذا الكتاب لى ؛ كى أقوم بتحقيقه . وكان هذا من فضل الله عليَّ ؛ إذ وجدت بالنشرة الأولى ١٨٨٠ م – رغم ما بذله ناشرها من عناء ، ويكفيه أن له قصب السبق فى نشرها – ألوانا من التصحيف والتحريف بالإضافة إلى الكثير من الخروم التى كشفها تعدد النسخ المخطوطة عندى . وزاد الأمر سوءا ما وجدته من أخطاء فى نشرة المرحوم الدكتور جميل سعيد – على قرب عهدها وعهد صاحبها بنا – رغم وجود المخطوطات الكفيلة بإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح بين يديه .

وللحقيقة آدنى هذا الأمر أيما أودٍ ، فقد قمت بعقد المقابلات بين النسخ المخطوطة الموجودة عندى ، ثم عقدت مقابلات أخر بين هذه النسخ ، ونشرة الدكتور جميل سعيد . وتلا ذلك أمر فى غاية الصعوبة ، وهو البحث عن أخطاء هذه النشرة وحصرها دون أن أتجنى على صاحبها ، أو أبخسه حقه . وقبل ذلك عانيت أشد المعاناة فى الوصول لنسخة مطبوعة من هذه النشرة ؛ حسبما أشار بذلك الدكتور عبد اللطيف حتى أقرر إن كنت سأستمر فى تحقيق هذا الكتاب أولا

ولاقيت صعوبات أُخَرَ فى الترجمة لابن الأثير ، وذلك حينما وجدت الكثير من الأخطاء فيها بدءا بما وجدته فى ترجمة ابن خلكان له فى وفياته ، وانتهاء بترجمة الدكتور عرفة حلمى عباس فى أطروحته للدكتوراة التى تقدم بها إلى كلية الآداب جامعة القاهرة والموجودة بمكتبتها المركزية . وقد استدعى هذا الأمر ، توثيق أخبار

ابن الأثير وتصحيحها ؛ وأن أعيد قراءة كتب التاريخ بوعى ، وقد ألجأنى هذا إلى استبطان واستقراء النصوص التاريخية خاصة الفترة الزمنية الممتدة بين عام ٥٧٩ هـ وعام ٥٨٧ هـ وهى الفترة التى حدث فيها الخطأ الفادح ، لمعرفة متى اتصل ضياء الدين بن الأثير بالسلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب .

وقد كان لنشرة الدكتور سعيد الفضل فى تعريفى أن نسخة مخطوطة أخرى تقبع فى مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام ، وقد وافانى بمصورة منها الأستاذ الفاضل مرزوق على إبراهيم ، فله منى جزيل الشكر .

وفى مرحلة أخرى أجهدتنى مناقشة الخلط الذى وقع فى أمر هروبه من دمشق سنة ٥٩٢ هـ وسرقة أموالها ، وخروجه من مصر مع الأفضل أو خلفه - ومن خلال كتب التاريخ أيضا - ؛ والوصول إلى نتيجة أخرى ، وهى أن الملك العادل اتخذه كاتبا من كتابه ، ولخوفه من بطشه آثر أن يلحق بالأفضل على أن يظل بمصر هانئا بنعيمها .

وقد بنيت هذا العمل - بعد المقدمة والتمهيد - على قسمين : دراسة وتحقيق كالتالى :

القسم الأول : الدراسة

- **الفصل الأول : حياة ابن الأثير :**
  - فى جزيرة ابن عمر من سنة ٥٥٨ إلى ٥٧٩ هـ .
  - فى الموصل من ٥٧٩ إلى ٥٨٢ هـ .
  - فى دمشق من ٥٨٢ إلى ٥٩٢ هـ .
  - فى الموصل من ٥٩٢ إلى ٥٩٥ هـ .
  - بين دمشق ومصر من ٥٩٥ إلى ٥٩٧ هـ .
  - فى البلاد الشرقية (الرقة وحران وسميساط) من ٥٩٧ إلى ٦٠٨ هـ .
  - العودة إلى الموصل من ٦٠٨ هـ .
  - تلاميذه .
  - وفاته .

- **الفصل الثانى : ابن الأثير والوشى المرقوم :**
- مقاييس ابن الأثير النقدية من الوشى المرقوم .
- النثر والنظم .
- موروث ابن الأثير الثقافى من خلال الوشى المرقوم .
- الاعتداد بالذات .
- أهمية الكتاب .
- **الفصل الثالث : نُسخ الكتاب**
الوشى المرقوم مخطوطا
- وصف النسخ المخطوطة .
- نشرة المرحوم الدكتور جميل سعيد .
- توثيق الكتاب.
- منهج التحقيق .

القسم الثانى : كتاب الوشى المرقوم

* * *

وقد حملت أمانة هذا العمل ابتغاء مرضاة الله ، فإن كان قد حالفنى التوفيق فبفضل من الله ومنّه ، وإن جانبنى الصواب فمن نفسى .

﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى / ٥٣]

صدق الله العظيم

تمهيد

أدب الكاتب

الأدب لغة « الذى يَتَأَدَّبُ به الأَديبُ من الناس؛ سُمِّيَ أَدباً لأنه يَأْدِبُ الناسَ إلى المَحامِد، ويَنْهاهم عن المقَابح. وأَصل الأَدْبِ الدُّعاءُ » ، ولم يتوقف ابن منظور عند حدود هذا التعريف ؛ إنما تعداه إلى القول : إن كلمة الأدب يأتى من بين معانيها : « أَدَبُ النَّفْسِ والدَّرْسِ . والأَدَبُ: الظَّرْفُ وحُسْنُ التَّناوُلِ. و أَدُبَ، بالضم، فهو أَدِيبٌ، من قوم أُدَباءَ . و أَدَّبه فَتأدب : عَلَّمه » [١]

وقد اتخذت هذه الكلمة معنى « الخلق المهذب ، والطبع القويم ، والمعاملة الكريمة للناس » [٢] . لكنها اتخذت معنى آخر على عهد رسول الله ﷺ ، وهو معنى التثقيف [٣] ، واستمر هذا المعنى سائدا ؛ إضافة إلى تطور آخر ، وهو التأديب ، حتى اشتقت من هذه اللفظة كلمة « المؤدب » ، وهى تعنى أولئك القائمين « بأمور التعليم على النحو المعروف أيام بنى أمية ، وهو التعليم بطريق الرواية للشعر والأخبار وما يتصل بالعصر الجاهلى ، وصارت كلمة « الأدب تدل منذ العصر الأموى على هذا النوع من الثقافة » [٤]

ومع اتساع معنى كلمة الأدب ليشمل الشعر والأنساب والأخبار وأيام الناس وعلوم اللغة ؛ أخذ كل واحد من هذه العلوم طريقه للاستقلال ، ليصبح علما قائما بذاته ؛ إلى أن « شهد القرن الثالث الهجرى تحديداً لمعنى الأدب » [٥] ، حتى صار

---

(١) لسان العرب فى (أ د ب) .

(٢) أسس النقد الأدبى عند العرب / ١٣ ، د. أحمد أحمد بدوى ، ط ١ ، سنة ١٩٥٨ ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة .

(٣) السابق الصفحة نفسها . (٤) السابق الصفحة نفسها .

(٥) السابق / ١٤

من البداهة معرفة أن الأدب هو كلام العرب من « منظوم ومنثور » (١) . وأضحى علم الأدب « عند أهل اللسان ثمرته وهى الإجادة فى فنى المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم » (٢) . مع الأخذ فى الاعتبار ؛ الخلط بين الأدب والتأدب الذى وقع فيه ابن خلدون ؛ حيث إن الإجادة فى فنى المنظوم والمنثور ليست ثمرة الأدب ، ولكنها ثمرة التأدب ودراسة الأدب (٣)

ولأن النثر العربى ، وما يمكن أن نسميه أدب الكاتب هو من مهم موضوعنا فى هذه الدراسة الخاصة بكتاب « الوشى المرقوم فى حل المنظوم » ، وعليه يدور موضوعه ؛ لذلك يعدُّ كتاب « الوشى المرقوم » إحدى حلقات الأدب العربى التى خصصها أدباؤها الأجلاء فى موضوع عظيم الأهمية ؛ هو أدب الكاتب الذى « يقيم المعيار لفكرة الأدب فى أحسن صوره » (٤) . يستوى فى ذلك ما كان مرتبطا بالكاتب نفسه ، أو ما يحتاج إليه الكاتب من أدوات وآلات يمارس بها هذه العملية . ويمكن القول : إن أول من تناول هذه القضية ؛ هو ابن قتيبة الدينورى فى كتابه « أدب الكاتب » ، وحتى بعد ابن الأثير لم تتوقف الكتابة فى هذا الموضوع ؛ فنجد بعده شهاب الدين محمود الحلبى صاحب كتاب « حسن التوسل إلى صناعة الترسل » ، والقلقشندى الذى فصل القول فى هذه الصناعة فى «صبح الأعشى فى صناعة الإنشا » .

لقد عرفت العربية الكتَّاب على عهد رسول الله ﷺ ، فإن « على بن أبى طالب وعثمان بن عفان كانا يكتبان الوحى ، فإن غابا كتبه أُبَىّ بن كعب وزيد بن ثابت ... (٥) . كذلك فقد اتخذ خلفاء رسول الله ، ومن بعدهم بنو أمية ، وبنو العباس كتَّابا لهم ، يدبرون أمور دولتهم ، ويكتبون عنهم إلى الولاة .

---

(١) العمدة لابن رشيق ١ / ١٩ ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط ٥/ ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م ، دار الجيل بيروت - لبنان . والأدب وفنونه / ٢٤ ، د. محمد مندور .

(٢) مقدمة ابن خلدون / ٥٥٣ ، ط ٥ ، دار القلم - بيروت ، ١٩٨٤ م .

(٣) أسس النقد الأدبى عند العرب / ١٥

(٤) حضارة الإسلام ، جوستاف .إ . فون جرونيباوم ص ٣٢١ .

(٥) كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى / ١٢ ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى ، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م ، مصطفى البابى الحلبى وأولاده .

ولأهمية الكتابة والكتاب فى دواوين الملوك ؛ فقد اعتبر كتَّاب العربية العظماء هذه المهنة صناعة لابد لمن يمتهنها أن يتقنها ، وأن يكون حاذقا بها . فهذا عبد الحميد الكاتب - كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية - يخاطب الكتاب قائلا : « حفظكم الله يا أهل هذه الصناعة ، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم ، فإن الله جل وعز جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، ومن بعد الملوك المكرمين سوقا - أى أصنافا - ، وصرَّفهم فى صنوف الصناعات التى سبَّب منها معاشهم ، فجعلكم معشر الكتَّاب فى أشرفها صناعة »(١)

إذن فكلمة « الكتابة » إذا ذكرها الذاكرون ؛ لم تكن لتعنى شيئا آخر سوى هذه المهنة التى يشغلها الكاتب فى ديوان الرسائل ، أو على الأصوب ديوان الإنشاء « فالكتابة وإن كثرت أقسامها وتعددت أنواعها لا تخرج عن أصلين هما كتابة الإنشاء وكتابة الأموال وما فى معناهما . . . إلا أن العرف فيما تقدم من الزمان قد خص لفظ الكتابة بصناعة الإنشاء حتى كانت الكتابة إذا أطلقت لا يراد بها غير كتابة الإنشاء والكاتب إذا أطلق لا يراد به غير كاتبها »(٢)

إن كتاب العربية العظماء اتخذوا من تجربتهم فى هذه الصناعة نبراسا يضيئون من خلاله الطريق لمن يريد أن يمتهنها ، ويفصلون القول فى كيفية تعلم هذه الصناعة(٣) . ومرجع ذلك هو أهميتها ، ولأن « كاتب الإنشاء هو الذى يمثل لكل عامل فى تقليده ما يعتمد عليه ، ويتصفح ما يرد منه ويصرفه بالأمر والنهى على ما يؤدى إلى استقامة ما علق به وهو حلية المملكة وزينتها لما يصدر عنه من البيان الذى يرفع قدرها ويعلى ذكرها ويعظم خطرها ويدل على فضل ملكها وهو المتصرف عن السلطان فى الوعيد والترغيب والإحماد والإذمام واقتضاب المعانى التى تقر الوالى على ولايته وطاعته وتعطف العدو العاصى عن عداوته ومعصيته »(٤)

---

(١) السابق / ٧٤ . (٢) صبح الأعشى ١ / ٨٢ .

(٣) من الكتب التى تناولت تعليم الكتابة كصناعة : البيان والتبيين للجاحظ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة الدينورى ، والصناعتين لأبى هلال العسكرى ، ونثر النظم وحل العقد للثعالبى .

(٤) صبح الأعشى ١ / ٨٦ .

وقد أدرك ابن الأثير هذه الأهمية ، بما له من يد طولى فى الترسل والكتابة ؛ ومَن هنا فقد اختص المكتبة العربية بكتابين من مؤلفاته القيمة التى تتناول هذه القضية ، يأتى فى مقدمتها كتابه الذى سبَّب نوعا من أنواع المعارك الأدبية وهو « المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر » (١) ، و « الوشى المرقوم فى حل المنظوم » الذى يؤكد ابن خلكان أنه كتاب « على وجازته عظيم الإفادة » فى تعلم الكتابة من خلال نماذج من بغض الرسائل ، وقطع أدبية أخرى ؛ اختارها ضياء الدين من مكاتباته عن الملوك ، أو إلى الملوك .

وفى غير موضع من كتابه « الوشى المرقوم » يؤكد ابن الأثير أنه « كتاب تعليم وتمثيل ، لا كتاب تكثير وتطويل وقد سبقه السابقون إلى تعليم من خلفهم الكتابة ، والتنبيه إلى أدواتها ، مبينين مدى الخزى الذى يقع فيه الكاتب ؛ إذا هو قصَّر فى معرفة أمر من الأمور متعلق بمهنة الكتابة ، ومنكرا كونهم كُتَّابا من الأصل . فما بالنا وقد استشرى هذا الأمر فى الكتابة عموما والكتابة الصحفية على وجه الخصوص « فإنى رأيت كثيرا من كتاب أهل زماننا كسائر أهله قد استطابوا الدعة ، واستوطأوا مركب العجز ، وأعفوا أنفسهم من كدِّ النظر ، وقلوبهم من تعب التفكر حين نالوا الدرك بغير سبب ، وبلغوا البغية بغير آلة ولعُمرى إن كان ذاك فأين همة النفس ! وأين الأنفة من مجانسة البهائم ! وأى موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه ، وارتضاه فقرأ عليه يوما كتابا وفى الكتاب : ومُطِرْنا مطرًا كَثُرَ عنه الكلأُ ؛ فقال له الخليفة ممتحنا له : وما الكلأ ؟ فتردد فى الجواب وتعثر لسانه ثم قال لا أدرى فقال سل عنه » (٢)

المحزن فى الأمر أن نجد « أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين ومن اسمه متطيرين ؛ ولأهله كارهين أما الناشىء منهم فراغب عن التعليم ، والشادى تارك للازدياد والمتأدب فى عنفوان الشباب ناسٍ أو مُتَنَاسٍ ليدخل فى جملة

(١) المثل السائر ١ / ٩١ وما بعدها .

(٢) أدب الكاتب / ٦ و ٧ .

المجدودين ، ويخرج عن جملة المحدودين فالعلماء مغمورون وبِكَرَّةِ الجهل مقموعون ، حين خوى نجم الخير ، وكسدت سوق البر ببضائع أهله ، وصار العلم عارا على صاحبه ، والفضل نقصا ، وأموال الملوك وقفا على شهوات النفوس ، والجاه الذى هو زكاة الشرف يباع بيع الخَلَقِ ، وآضَت المروءاتُ فى زخارف النَّجْدِ وتشييد البنيان ولذات النفوس فى اصطفاق المزاهر ومعاطاة الندمان »[(١)] .

ولأن هذه الحال الفاسدة لم تكن مقصورة على الأزمان الغابرة التى - رغم هذه الأقوال - كانت فيها الكتابة زاهرة ، بل إن الكتابة أصبحت أسوأ حالا من ذى قبل ؛ فإن الكتَّاب أخذوا على عواتقهم تبيين الأمور التى يجب عليهم معرفتها حتى يسلس لهم قياد الكتابة .

نجد ذلك واضحا فى رسالة عبد الحميد الكاتب إلى كُتَّاب عصره ، مؤكدا أن « الكاتب يحتاج من نفسه ، ويحتاج منه صاحبه الذى يثق به فى مهمات أموره ، إلى أن يكون حليما فى موضع الحلم ، فقيها فى موضع الحكم ، مقداما فى موضع الإقدام ، ومحجما فى موضع الإحجام ، لينا فى موضع اللين ، شديدا فى موضع الشدة ... ويهيىء لكل امر اهبته ، فَنَافِسُوا مَعْشَرَ الكُتَّابِ فى صنوف العلم والأدب ، وتفقهوا فى الدين وابدأوا بعلم كتاب الله عز وجل ، والفرائض ، ثم العربية ...[(٢)]

ولأن ضياء الدين بن الأثير يجعل مهمة تعليم مَن بعده هذه الصناعة مقترنة بصحيح الدين ؛ فهو يدل هؤلاء المتعلمين على أفضل الطرق التى تجعلهم يجيدونها واصفا لهم إياها ، ومختصرا لهم مسافات فى سبيلها ، وهى حفظ القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة ، ليس الصحيح منها فحسب ، « **بل يحفظ الصحيح وغير الصحيح طلبا للاستكثار من المعانى التى تقتضيها الحوادث الطارئة ، والوقائع المتجددة** » ، ثم يحفظ أشعار فحول الشعراء ، والأمثال السائرة .

---

(١) السابق / ١ و ٢ .

(٢) الوزراء والكتاب / ٧٤ و ٧٥ . وراجع أدب الكاتب لابن قتيبة / ٩ وما بعدها . والصناعتين لأبى هلال العسكرى / ١٤٦ وما بعدها .

ويمكن القول إن علم الكاتب « لابد أن يكون ذا صبغة موسوعية » [١] فيما يحتاج إليه من الأدوات التى يمكن أن يتخذها أساسا لصناعته ؛ ويختم ابن الأثير بقوله : « **وقد دللتك أيها المُتَرَشِّحُ لهذه الصناعة على ما دللتُ عليه نفسى ، وهذا دأب ذوى الأديان** » .

(١) حضارة الإسلام / ٣٢١ .

الفصل الأول

ابن الأثير من المَهْد إلى اللَّحْد

فى جزيرة ابن عمر ٥٥٨ - ٥٧٩ هـ

« بلدة فوق الموصل ، بينهما ثلاثة أيام ، ولها رستاق مخصب واسع الخيرات ، وأحسب أن أول من عمرها الحسن بن عمر بن خطاب التغلبى ، وكان له إمرة بالجزيرة وذكر قرابة سنة ٥٢٠ هـ . وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال ثم عُمِلَ هناك خندقٌ أجرى فيه الماء ونصبت عليه رحى فأحاط بها الماء من جميع جوانبها بهذا الخندق »(١) . وتوصف بأنها « مدينة كبيرة حسنة محيط بها الوادى ؛ ولذلك سميت جزيرة . وأكثرها خراب ، ولها سوق حسنة ومسجد عتيق مبنى بالحجارة محكم العمل ، وسورها مبنيٌّ بالحجارة أيضا ، وأهلها فضلاء لهم محبة فى الغرباء »(٢)

أكثر الناس يقولون إنها جزيرة ابن عمر لكن ابن خلكان « يعود فيؤكد أنه لا يدرى » من ابن عمر ؟ وقيل إنها منسوبة إلى يوسف بن عمر الثقفى أمير العراقين ثم إنى ظفرت بالصواب فى ذلك ؛ وهو أن رجلا من أهل بَرْقَعِيدَ من أعمال الموصل بناها وهو عبد العزيز بن عمر ؛ فأضيفت إليه . ورأيت فى بعض التواريخ أنها جزيرة ابنى عمر أوس وكامل ، ولا أدرى أيضا من هما . ثم رأيت فى تاريخ ابن المستوفى فى ترجمة أبى السعادات المبارك بن محمد أخى أبى الحسن المذكور أنه من جزيرة أوس وكامل ابنى عمر بن أوس التغلبى »(٣)

يطل على هذه الجزيرة جبل الجوديّ وهو فى الجانب الشرقى من دجلة من أعمال الموصل . ولهذه الطبيعة التى تمتعت بها الجزيرة سواء الخصب أو محبة الناس ؛ إضافة إلى كونها تطل على جبل ارتبط ذكره بنبى الله نوح عليه السلام فقد

---

(١) معجم البلدان ٢/١٣٨

(٢) رحلة ابن بطوطة ١ / ٢٥٦ .

(٣) وفيات الأعيان ٣ / ٣٤٩ و ٣٥٠ .

أثر هذا فى شخصية أبنائها ، فكان للعلم والتفقه فى أمور الدين والدنيا عندهم النصيب الأكبر حتى انتسب إليها جماعة كثيرة من أولى الفضل من العلماء [(١)] .

من بين هؤلاء أبناءُ الأثير الثلاثةُ ؛ الذين يأتى فى مقدمتهم « القاضى الرئيس العلامة البارع الأوحد البليغ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الجزرى ثم الموصلى الكاتب بن الأثير صاحب جامع الأصول وغريب الحديث . مولده بجزيرة ابن عمر سنة ٥٤٤ هـ . . . عاش ثلاثا وستين سنة توفى فى سنة ست وستمائة بالموصل » [(٢)]

وثانى الثلاثة أبناء الأثير المؤرخ الشيخ الإمام العلامة المحدث الأديب النسابة عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزرى الشيبانى ابن الشيخ الأثير أبى الكرم مصنف التاريخ الكبير الملقب بالكامل ومصنف كتاب معرفة الصحابة ، مولده بجزيرة ابن عمر فى سنة خمس وخمسين . . . قال القاضى سعد الدين الحارثى : توفى عز الدين فى الخامس والعشرين من شعبان سنة ثلاثين وستمائة » [(٣)] .

وثالث الثلاثة هو صاحبنا الذى ملأ الدنيا ، وشغل الناس - على حد قول ابن رشيق فى وصفه لأبى الطيِّب المتنبِّى - « أبو الفتح نصر الله بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى ، المعروف بابن الأثير الجزرى ،

---

(١) راجع معجم البلدان ٢ / ١٧٩

(٢) راجع السابق ٢ / ١٣٨

(٣) راجع سير أعلام النبلاء٢١ / ٤٨٨ و ما بعدها ، وراجع شذرات الذهب ٣ / ٢٢ و٢٣، وطبقات المحدثين ١ / ١٨٧ ، وأبجد العلوم ٣/ ١٢ ، والبداية والنهاية ١٣/ ٥٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٣٦٦ ، ووفيات الأعيان ٤/ ١٤١ ، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٩٨ ، وطبقات المفسرين ١/ ٢١٢ ، والكامل ١٠/ ٣٥٠ ، وتكملة إكمال الإكمال ١/ ٥ و ٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٥٤ وما بعدها ، العبر فى خبر من غبر ٥/ ١٢٠ ، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٤٨ ، وأبجد العلوم ٣/ ٩١ ، وشذرات الذهب ٣/ ١٣٧ ، والبداية والنهاية ١٣/ ١٣٩ ، وطبقات الشافعية ٢/ ٨٠ ، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٨١ ، وطبقات الحفاظ ١/ ٤٩٥ وتكملة إكمال الإكمال ١/ ٥ و ٦ .

الملقب بضياء الدين ، وكانت ولادته بجزيرة ابنى عمر فى يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة » (١)

لقد صادفت جميعَ من عمد إلى ترجمته أزمةٌ تتمثل فى قلة المصادر التى تناولت حياة ضياء الدين بن الأثير . كذلك فإن المصادر التى تحت أيدينا قد أغفلت ذكر أثير الدين أبى الكرم محمد بن عبد الكريم الأب ، حتى أبناؤه لم يذكروا تاريخ مولده ؛ ولا تاريخ وفاته ؛ فلا خبر عنه إلا بعض الحكايات التى يحكيها عز الدين على صاحب « الكامل » عن العلاقة الحميمة التى كانت تربط بين والده أبى الكرم وبين جمال الدين الوزير (٢)

ومن خلال حكايات عز الدين بن الأثير عن والده « يظهر لنا أنه كان أثيرا عند جمال الدين أبى جعفر محمد بن على بن أبى منصور الأصفهانى الملقب بالجواد ؛ وزيرِ عماد الدين زنكى بن آقسنقر ملك الموصل فى آخر عهده . . . وقد توفى الجواد سنة ٥٥٩ هـ » (٣)

وقد كان « من جملة أعمال جزيرة ابن عمر قرية تسمى العقيمة مقابل الجزيرة من الجانب الشرقى يفصل بينهما دجلة لها بساتين كثيرة . . . وكان لنا بها عدة بساتين » (٤)

نستنتج من حكايات عز الدين على عن والده أن درجة الوثوق به قد وصلت إلى أن جمال الدين وزير قطب الدين مودود أتابكة الموصل يكلفه بأن يقوم مقامه فى إطعام الفقراء ، وإخراج صدقاته نظرا لأنه فى مكان لا يعرف مَن يستحق فيه هذه الصدقة ؛ وبالتالى فإن هذه الثقة ستنتقل إلى الأتابكة قطب الدين إضافة إلى أمور أخرى يلمسها الأتابكة بنفسه ؛ تجعله يزداد ثقة فى هذا الرجل ، فبعد أن كان يتولى أثير الدين أعمال جزيرة ابن عمر يوليه الأتابكة الخزانة العامة للموصل

(١) وفيات الأعيان ٥/ ٣٩٨ ، وشذرات الذهب ٣/ ١٨٧

(٢) راجع الكامل ٩/ ٤٧٢ و ٤٧٣ .

(٣) راجع الكامل فى حوادث سنة ٥٥٩ هـ ، والجامع الكبير فى صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ص ٧ .

(٤) الروضتين فى أخبار الدولتين ٢ / ١٦٢ و ١٦٣

وندرك أن أثير الدين كان رجلا ثريا يحسن وزن الأمور وتقييمها فقد كان « رجلا عاقلا وقورا ، ذا مكانة فى الدولة من آل زنكى أتابكة الموصل »[(١)] . بل لقد بلغت « حكمة الرجل وسياسته ودهاؤه ، وحبه لأهله وعشيرته أنه استطاع التوفيق بين خدمة الأتابكة ومصلحة أهل بلدته ، وكان يجمع إلى هذا الحب لمواطنيه الإخلاص لرؤسائه وحسن الرأى والنصيحة والعفة وعدم التكالب على المال »[(٢)]

لقد انتقل أثير الدين « بهذا المنصب الجديد إلى الموصل ، وظلت مكانته فى قربى ووثوق بالأتابكة ، وكذلك أولاده من بعده حتى وثقوا بهذا البيت ، وصار أبناؤه يخدمون بيت قطب الدين فى ولاء ، وتولوا لهم الوزارة والكتابة . . . وبلغ من الجاه والمنصب ما تتوق إليه النفوس ، كما بلغ من الثروة القدر الوفير الذى مكن له ولأولاده أن يعيشوا فى بحبوحة وخير وفير ، فكانت له ضياع وبساتين ببلده وبالعقيمة مقابلها ، وكانت له تجارة تغدو وتروح بين الموصل والشام ومصر وتمخر البحر إلى أوربا ، ويذكر عز الدين أن الفرنج نهبوها مرة سنة سبع وستين وخمسمائة باللاذقية ، وأخذوا مركبين مملوءين بالأمتعة »[(٣)] .

لم تذكر المصادر تاريخ وفاة الأثير أبى الكرم ، وكما لم يورد ابنه عز الدين علىّ ترجمةً وافيةً له ؛ فإنه أيضا لم يذكر تاريخ وفاته ؛ ما جعل الدكتورين مصطفى جواد وجميل سعيد محققى كتاب الجامع الكبير يقولان : « ويفهم من خبر أورده ياقوت الحموى أن الأثير كان حيا فى بعض عهد نور الدين أرسلان شاه الأول بن مسعود بن مودود بن زنكى بن آقسنقر ٥٨٩ - ٦٠٧ هـ »[(٤)] . لكن هناك رسالة فى رسائل ضياء الدين تؤكد أن أباه كان حيا طوال عهد نور الدين الأول بن مسعود ؛ فقد كتب رسالة إلى أبيه يعزيه فيها بوفاة أخيه الأكبر أبى السعادات المبارك بن الأثير . وتؤكد المصادر أن وفاة مجد الدين المبارك كانت فى سنة ٦٠٦ هـ ، وعلى هذا تكون وفاة الأثير بعد وفاة ابنه الأكبر .

---

(١) ضياء الدين بن الأثير ، للدكتور زغلول سلام ص ٣٢ .

(٢) السابق ص ٣٣ .

(٣) السابق ص ٣٤ .

(٤) الجامع الكبير ص ٩ .

يصدر ضياء الدين رسالته بقوله : « كتاب كتبه عن نفسه إلى والده جوابا عن كتابه المخبر بوفاة أخيه رحمه الله ، وأرسله إليه من دمشق إلى الموصل . وصل كتاب مجلس المولى حرس الله من الحوادث جنابه ، وحفظ عليه أعزته وأحبابه وأجزل على هذه المصيبة ثوابه ، ولا لقى بعدها ما يسيء به ظنا ، ولا يقرع سنا ، ولايحمل به على الدهر ضغنا ، وجعل بقاءه عوضا يأسو كُلَّ كَلْمٍ ، ويرأب كُلَّ ثَلْم ، ويحل عقدة كُلَّ هَمٍّ ؛ فوقفت عليه ، وألفيته مخبرا بوفاة الأخ فلان . . . وما أصنع بالحياة وقد فقدتُ من كان قسيمها ، وعدمتُ من كان جنتها ونعيمها ، وأصبحتُ بعده كمقلةٍ فارقها إنسانُها ، أو يَدٍ بانَ عنها بنانُها . . . » [1] :

* * *

(١) رسآئل ابن الأثير نشرة القيسى - هلال ١/ ٨٥ و ٨٦ .

شيوخه

عاش ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن الأثير وسط أسرة طيبة الأعراق ، تضرب جذورها فى صميم العروبة ، وتمتد إلى قبيلة بنى شيبان التى تعرف بتاريخها العظيم فى الفتوح الإسلامية فخالطت العروبة دمه وكيانه ، وعايش حب أبيه وكرمه وجوده على أهل بلده خاصة عندما عمَّ الناسَ الغلاء والوباء فى سنة ٥٧٤ هـ حتى إن هذا الكرم يبدو واضحا فى أفعال أبنائه (١)

بيت اعتاد الجود والكرم وعايشهما ؛ أب فاضل يربى أبناءه على حب الخير والخصال الطيبة إسلاما وعروبة ، ويعمد إلى تنشئة أبنائه تنشئة صحيحة ، فيعمل على تعليمهم العلوم السائدة فى هذا العصر بدءًا بحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية والتفقه فى علوم الدين ؛ ومرورا بحفظ الأشعار والأمثال ؛ وانتهاء بالتبحُّر فى التاريخ والأنساب

بيت كهذا ليس مستغربا أن يخرج كل واحد من أبنائه إماما فى علم من العلوم ؛ فأبناء الأثير اختلف معهم المختلفون ، لكنهم اتفقوا على أنهم فضلاء نجباء كل منهم نهاية فى بابه ؛ فأبو السعادات نهاية فى علوم الحديث ، وعز الدين عليٌّ لايختلف عليه أحد فى أستاذيته فى التأريخ ، أما صاحبنا فقد بلغ مبلغا من التبحُّر فى علوم البلاغة والأدب ، « ولم يترك شيئا يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره » (٢)

غير أن كل من ترجم لضياء الدين لم يذكر أحدا من شيوخه إلا عن طريق الاستنتاج أوالتخمين . يقول محققا كتاب الجامع الكبير فى ترجمتهما له : « والظاهر لنا أن نصر الله بن الأثير درس علوم الأدب على أساتذةِ أخويه ثم عليهما ولاسيما المبارك الكاتب المحدث الأصولى » (٣)

وفى ترجمة مختصرة جدا يقول أنيس المقدسى فى مقدمة نشرته لرسائل ابن

---

(١) راجع الكامل ١٠/ ٩٢ .

(٢) شذرات الذهب ٣ / ١٨٩

(٣) الجامع الكبير ص ١٠

الأثير : « ولد ضياء الدين بن الأثير سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٥ م) فى جزيرة ابن عمر ... فى هذه البلدة نشأ وترعرع ثم انتقل إلى الموصل »[١]

أما الدكتور محمد زغلول سلام فيقول أولا فى كتابه ضياء الدين بن الأثير : « ولانعرف كثيرا عن طفولته - أى ضياء الدين - ولا ما تلقى من العلوم ، وكل ما نعلمه أنه ولد بجزيرة ابن عمر سنة ٥٥٨ هـ . وأغلب الظن أيام أن كان أبوه متوليا أعمال الجزيرة ؛ فتلقى دروسه الأولى كغيره من أطفال المسلمين والغرب فى عصره ؛ فحفظ القرآن والحديث ، وتعلم شيئا من اللغة والأدب والحساب ، وحفظ بعض الأحاديث والشعر القديم ، وقد ذكر أخوه عز الدين أنه كان يتردد على المدرسة بجزيرة ابن عمر يسمع شيئا من الحديث سنة ٥٧٤ هـ »[٢]

ثم يعود فيذكر فى كتابه الأدب فى العصر الأيوبى أن ضياء الدين عاصر « أثناء تلقيه العلم بالموصل جماعة من الأدباء الكبار وعلماء اللغة مثل ابن الدهان يحيى بن سعيد (المتوفى سنة ٦١٦ هـ) ، وعلى بن خليفة النحوى (المتوفى سنة ٥٦٣ هـ) - **نلاحظ أن ضياء الدين لم ينتقل إلى الموصل إلا مع والده عام ٥٧٩ هـ** - والشاعر محمد بن دانيال (المتوفى سنة ٦٠٨ هـ) ، وشميم الحلى (المتوفى سنة ٦٠١هـ) »[٣]

والدكتور جميل سعيد فى ترجمته لابن الأثير فى مقدمة نشرته لكتاب الوشى المرقوم يقول : « وتثقف ابن الأثير نصر الله فى بيته بيت الفضل والجاه والعلم ، ثم انتقل إلى الموصل ، واكتملت معارفه الثقافية »[٤]

وفى أسف وحزن يقول الدكتور نورى القيسى وهلال ناجى فى ترجمته بمقدمة نشرتهما لرسائل ابن الأثير : « من المحزن أن عددا من تراجم القدماء لصاحبنا - أى

---

(١) نشرة أنيس المقدسى ص ٩ ، بيروت ١٩٥٩

(٢) ضياء الدين بن الأثير ص ٣٥ .

(٣) الأدب فى العصر الأيوبى ص ٢٢٢

(٤) الوشى المرقوم فى حل المنظوم ، نشرة د . جميل سعيد ، ص ٥ ، مطبعة المجمع العلمى العراقى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

ضياء الدين - قد ضاعت . ضاعت ترجمة ابن المستوفى له فى تاريخ إربل والتى أشار إليها ابن خلكان فى الوفيات ٥ / ٣٩٦ ، وضاعت ترجمة ياقوت الحموى له فى معجم الأدباء فى الضائع من الجزء السابع . وأجود ما وصلنا ترجمة ابن خلكان له فى وفيات الأعيان ٥ / ٣٨٩ - ٣٩٧ ، وهى ترجمة تأثر بها كل من كتب بعده من القدماء والمحدثين .

لكن هذه الترجمة وسواها لم تحفظ لنا أسماء شيوخه وأساتذته ، ويغلب على ظننا - بسبب تقارب سنه مع سن أخيه عز الدين على ، وعيشهما معا فى الموصل فى كنف والدهما - أنه درس على أساتذة أخيه المذكور ، ومنهم : خطيب الموصل أبو الفضل الطوسى ، ويحيى الثقفى . وقد يكون درس على أخيه الأكبر المحدث الأصولى مجد الدين » (١)

ويترجم الدكتور عرفة حلمى عباس لابن الأثير نصر الله قائلا : « إذًا فقد اجتمع لأسرة ضياء الدين الأصل العربى الكريم والثراء والجاه ، وهى عوامل تدفع إلى التميز ، وتحض على النبوغ . وقد أوقف الوالد أبناءه على طريق العلم منذ نعومة أظافرهم فى جزيرة ابن عمر ، حيث تلقوا العلم فى مدرستها » (٢) . ويتابع الدكتور عرفة قائلا : « ولم تصرح لنا المصادر عن الكثير من أخبار طفولته إلا ما يعدُّ قاسما مشتركا بينه وبين ناشئة زمانه ، فقد حفظ القرآن الكريم ، وكثيرا من الأحاديث النبوية ، وطرفا صالحا من النحو واللغة وعلم البيان ، وشيئا كثيرا من الشعر ؛ إلى غير ذلك من العلوم » (٣)

ويضيف : « ولم تحفظ لنا المصادر أسماء شيوخه وأساتذته غير أن مشاركته لأخيه عز الدين فى الرحلة ، وتقاربهما فى السن ؛ يكشف عن مشاركة فى الشيوخ والأساتذة ، وكان فى مقدمة هؤلاء أخوه الأكبر المحدث المشهور [مجد الدين] ،

---

(١) نشرة القيسى - هلال ص ٥ .

(٢) ضياء الدين بن الأثير : دراسة فى تراثه النثرى . د. عرفة حلمى عباس ص ٣ ، رسالة دكتوراة مخطوطة ، المكتبة المركزية تحت رقم ٧٤٥٤ .

(٣) السابق ص ٣

وعماد الدين محمد بن يونس منبه (ت ٦٠٨ هـ) الذى تخرج على يديه الكثير من العلماء ، وكان مقصد الفقهاء من كل البلاد ، وله مؤلفات عديدة فى الفقه والأدب ، ومنهم كمال الدين بن يونس من منبه (ت ٦٣٩ هـ) ، وكان عالما فى النحو والأدب والفلسفة والرياضيات والطب [١] . وغيرهم الكثير ممن زخرت بهم الموصل من آل الشهرزورى ، وآل بلدجى ، وآل مهاجر » [٢]

كذلك فقد أسقط غير أولئك كثير ممن ترجموا لابن الأثير هذه الفترة الباكرة من حياته إما دون ذكر لها ، وإما دون ذكر أساتذة . من هؤلاء ابن اليونينى فى ذيل مرآة الزمان ، والسيوطى فى بغية الوعاة ، وبطرس البستانى فى دائرة المعارف ، وأحمد عطية الله فى القاموس الإسلامى ، والدكتور عمر فروخ ، والدكتور شوقى ضيف ، ولم يذكر له ترجمة الدكتور أحمد أحمد بدوى رغم أنه اقتبس من كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم على لسان القاضى الفاضل ، أضف إلى هؤلاء كارل بروكلمان [٣]

---

(١) أصاب الاسمين التحريف ، والصواب أن الأول هو : عماد الدين محمد بن يونس بن محمد بن منعة . راجع ترجمته فى وفيات الأعيان ٤/ ٢٥٣ ، والعبر فى خبر من غبر ٥/ ٢٩٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٩٨ ، وشذرات الذهب ٣/ ٣٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٨/ ١٠٩ . الثانى هو : كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونس بن محمد بن يونس بن منعة . راجع ترجمته فى وفيات الأعيان ٥/ ٣١١ ، والعبر ٥/ ١٦٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٨٥ ، وشذرات الذهب ٣/ ٢٠٦ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٣٧٨ ، والبداية والنهاية ١٣/ ١١١ ، وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء ١/ ٤١٠ ، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٤٢ .

(٢) ضياء الدين بن الأثير : دراسة فى تراثه النثرى ص ٤ .

(٣) ذيل مرآة الزمان من وقائع سنة ٦٥٤ هـ إلى سنة ٦٦٢ هـ ١/ ٦٤ و ٦٥ . بغية الوعاة للسيوطى ٢/ ٣١٥ الترجمة رقم ٢٠٦٤ . دائرة المعارف : قاموس عام لكل فن ومطلب ، ص ٣٧١ تأليف المعلم بطرس البستانى ، دار المعرفة - بيروت - لبنان . القاموس الإسلامى ، وضع أحمد عطية الله ١/ ٢٤ . تاريخ الأدب العربى من مطلع القرن الخامس الهجرى إلى الفتح العثمانى ، د. عمر فروخ ٣/ ٥٣٥ - ٥٤١ ، دار العلم للملايين ط- ٥ أكتوبر ١٩٨٩ . عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران) ص ٤٥٠ ، ط٣ دار المعارف - القاهرة ١٩٩٠ . الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام د. أحمد أحمد بدوى ط- ٢ ، =

ورغم أن السابقين يؤكدون عدم الاستدلال على أساتذة لابن الأثير ؛ فإننا نجد أن ابن الشعار [١] يؤكد أنه « أخذ معرفة الحساب على الإمام أبى العباس أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان الأنصارى الجزرى [٢] . وجالس الشيخ أبا الحرم المكى بن ريان النحوى المقرئ الماكسى بالموصل » [٣]

= دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة ١٩٧٩ . تاريخ الأدب العربى كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية د. رمضان عبد التواب وراجع الترجمة د. السيد يعقوب بكر ٥ / ٢٧١ - ٢٧٤ ، ط- ٣ دار المعارف - القاهرة ١٩٨٣

(١) ملحقات وفيات الأعيان ٧/ ٣٣٥ الترجمة رقم ٧٦٣ .

(٢) يقول عز الدين بن الأثير : « وفيها فى صفر ٥٨٥هـ توفى شيخنا أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان المعروف بابن أفضل الزمان بمكة وكان رحمه الله عالما متبحرا فى علوم كثيرة خلاف فقه مذهبه والأصولين والحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق وغير ذلك وختم أعماله بالزهد ولبس الخشن وأقام بمكة حرسها الله تعالى مجاورا فتوفى بها وكان من أحسن الناس صحبة وخلقا » . الكامل ١٠/ ١٩٠ ، راجع البداية والنهاية ١٢/ ٣٣٤ ، وكشف الظنون ٢/ ١٣٢٣

(٣) الماكسى أو الماكسينى العلامة إمام العربية صائن الدين أبو الحرم مكى بن ريان بن شبة بن صالح الماكسينى ثم الموصلى المقرئ الضرير عمى وله ثمانى سنين ··· وتقدم فى الآداب تخرج به علماء الموصل ··· وكان مع براعته فى القراءات واللغة يدرى الفقه والحساب وأشياء .كان أحد الأذكياء روى عنه القوصى وضياء الدين وابن أخيه الفخر على ··· وتوفى بالموصل سنة ثلاث وست مئة وقد ناهز السبعين . سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، راجع البداية والنهاية ٤٦/١٣ ، وشذرات الذهب ٣/ ١١ ، ووفيات الأعيان ٢٧٨/٥ وما بعدها ، والعبر فى خبر من غبر ٨/٥ ، الكامل ١٠/ ٣٣١ .

فى الموصل ٥٧٩ - ٥٨٢ هـ

وثق الأتابكة بأثير الدين أبى الكرم محمد بن عبد الكريم الشيبانى متولى أعمال جزيرة ابن عمر ؛ فأسندوا إليه مهمة جديدة تتلاءم وهذه الثقة التى منحوه إياها ، نظرا لما يتمتع به من حكمة وكياسة ودهاء وحسن تدبير . تمثلت المهمة الجديدة فى تولية أثير الدين شئون الخزانة العامة للأتابكية بالموصل .

كان يسيِّر الحكم بأنحاء الأتابكية مجاهد الدين قايماز الزينى (١)، الذى انتقل إلى الموصل متخذًا إياها دار إقامة ، ساكنا قلعتها سنة ٥٧١ هـ . ومع المنصب الجديد الذى خوَّل أثير الدين شئون الخزانة العامة للأتابكية كان لابدَّ أن تنتقل الأسرة إلى مدينة الموصل . « وانتقل - ضياء الدين - مع والده إلى الموصل فى رجب سنة تسع وسبعين وخمسمائة » (٢)

وكان انتقال الصاحب ضياء الدين إلى الموصل وقد بلغ من العمر واحدا وعشرين عاما ، فى مرحلة تتميز بفورة الشباب والرجولة . يقول ابن خلكان « وبها اشتغل وحصل العلوم وحفظ كتاب الله الكريم وكثيرا من الأحاديث النبوية وطرفا صالحا من النحو واللغة وعلم البيان وشيئا كثيرا من الأشعار » (٣)

وهذا الكلام فيه من مجافاة الحقيقة والواقع الكثير ، لأن المدة التى مكث فيها ابن الأثير فى الموصل لاتصل إلى ثلاث سنوات تقريبا ؛ فكيف يحصل فى هذه المدة البسيطة كل تلك العلوم ؟! .

---

(١) مجاهد الدين قايماز الزينى أبو منصور قايماز بن عبد الله الزينى الملقب مجاهد الدين الخادم كان عتيق زين الدين على بن بكتكين مظفر الدين صاحب إربل ... كان يحب الأدب والشعر وكان أبو السعادات بن الأثير الجزرى كاتبا ومنشئا عنه إلى الملوك وكان قد مات الأتابك سيف الدين وتولى أخوه عز الدين مسعود فسعى أهل الفساد إليه فى حقة وكثر ذلك منهم فقبض عليه فى سنة ٥٧٨ ثم ظهر له فساد رأيه فى ذلك فأطلقه واعاده إلى ما كان علية واستمر على ذلك إلى أن توفى فى منتصف ربيع الأول وقيل فى سادسه وقال ابن المستوفى فى تاريخ إربل فى صفر سنة ٥٩٥ بقلعة الموصل . راجع ترجمته فى وفيات الأعيان ٤ / ٨٢ وما بعدها .

(٢) وفيات الأعيان ٥/ ٣٨٩ .

(٣) السابق ٥/ ٣٨٩ .

أكاد أؤكد أن الحقيقة هى أنه أتم الكثير من محصوله العلمى فى مسقط رأسه فى جزيرة ابن عمر ، خاصة أنه قضى بها واحدا وعشرين عاما من عمره ، وإن كان قد اختلف إلى بعض أساتذة وشيوخ الموصل ليفيد من خبراتهم وعلومهم .

نعود إلى الموصل التى انتقل إليها فى ظل والدٍ يتولى إدارة الخزانة العامة وزعيم على قدر عظيم من النباهة والذكاء يتولى تدبير أمور الأتابكية هو مجاهد الدين قايماز الزينى ، فيعمل الابن الأكبر « أبو السعادات بن الأثير الجزرى كاتبا ومنشئا عنه إلى الملوك »[١] .

ولم يكن غريبا أن ينضم أبو الفتح ضياء الدين بن الأثير إلى قافلة المتدربين بين يدى أخيه . يقول ضياء الدين على لسان القاضى الفاضل « وكان من العادة أن كلا من أرباب الدواوين إذا نشأ له ولد وشدا شيئا من علم الأدب ، أحضره إلى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ، ويتدرب ، ويرى ، ويسمع »[٢] .

وهذا الكلام يؤكد أن هذه العادة متأصلة فيمن يعمل بالدواوين عموما ، إذ تدرب ابن الأثير فى بادئ الأمر بين يدى أخيه ؛ ثم التحق بخدمة مجاهد الدين قايماز كاتبا نجد مصداق ذلك فى رسالة صدرها ابن الأثير بقوله : « كتاب كتبه عن نفسه إلى الأمير مجاهد الدين قايماز زعيم الموصل ، وكان فى خدمته ، فنزغ الشيطان بينه وبينه ففارقه ، وسار إلى الشام ، واتصل بخدمة الملك الأفضل على بن يوسف ، فنال منه حظا ، وأصدر هذا الكتاب ، يتضمن ملامة وعتابا . . . فإنى أسلفت حقوق صحبة ألحقتنى بذوى الأرحام ، ووشائج مودة تبقى بقاء الأرواح إذا بقى غيرها بقاء الأجسام ، ووسائل خدمة لو وفدت على ربها فى القيامة لأشركها فى الصلاة والصيام . وما كنت أظن أن صبغة هذه الذرائع تنصل ، ولا أن حقوقها تبطل ، كيف ولها الأسباب الوكيدة فى المنزلين السهل والخشن ، والحالين السرور والحزن ، ولو كانت المودات تنال بالاكتساب لظفر المجتهد فيها بنجح الطلاب ، ولكنها كالأرزاق يعطاها المقيم القاعد ، ويحرمها الظاعن الجاهد ، ولكن علمت أن

---

(١) السابق ٤/ ٨٣ .

(٢) انظر ص ١٨٠ من نص التحقيق .

كل قطر لايفعم ، وأن كل شجرة لاتطعم ، ففى القلب غلة تخبو فيهيجها أنى سبقت وحاز غيرى خصل السباق ، وجمعت كنزا وفاز غيرى بحظوة الإنفاق » [١]

ظلت صلة ضياء الدين بالناصر صلاح الدين غير واضحة عند كثير من الباحثين ، وذلك من حيث متى وكيف تم اللقاء الأول بينهما ؟ . فإن ابن خلكان يقول : « ولما كملت لضياء الدين المذكور الأدوات قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين [٢] – تغمده الله برحمته – فى شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، فوصله القاضى الفاضل لخدمة صلاح الدين فى جمادى الآخرة من السنة ، وأقام عنده إلى شوال من السنة . ثم طلبه ولده الملك الأفضل نور الدين من والده فخيره صلاح الدين بين الإقامة فى خدمته والانتقال إلى ولده ويبقى المعلوم الذى قرره له باقيا عليه ، فاختار ولده ، فمضى إليه وكان يومئذ شابا فاستوزره ولده الملك الأفضل نور الدين على » [٣]

ويقول د. عرفة حلمى عباس فى أطروحته للدكتوراة : « ويمكن تحديد المدة التى عمل فيها ضياء الدين فى خدمة أتابك الموصل مجاهد الدين بالفترة مابين عام ٥٧٩ هـ حيث انتقل مع أسرته إلى الموصل ، وعام ٥٨٣هـ حين انتقل إلى الشام فى خدمة صلاح الدين ومن بعده ابنه الملك الأفضل » [٤]

ويقرر د. زغلول سلام أن هناك من نصح ضياء الدين فرحل « إلى الشام حيث كان البطل صلاح الدين يكافح الصليبين ، ويجمع حوله جيوش المسلمين من الجزيرة بالعراق ومن الشام ومن مصر ، وحيث كانت دولة القلم والعلم مزدهرة فى ظله إلى جانب دولة السيف والجهاد . وبهرت أعمال صلاح الدين فى الحرب والسلم هذا الشاب الطموح ، فجاء إليه ، وكان ذلك سنة ٥٨٧ هـ ، وعمره إذ ذاك

---

(١) نشرة القيسى – هلال ١/ ٦٣

(٢) وفيات الأعيان ٧/ ١٣٩ وما بعدها ، الكامل ١٠/ ٢٢٤ ، طبقات الشافعية ٧/ ٣٣٩ وما بعدها ، الروضتين فى أخبار الدولتين ١/ ١٢٦ ، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٧٩ – ٢٨٧ ، البداية والنهاية ١٣/ ٢ وما بعدها ، النجوم الزاهرة ٦/ ١ – ٥٣ .

(٣) وفيات الأعيان ٥/ ٣٩٠ ، وشذرات الذهب ٣/ ١٨٨ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٧٣

(٤) ضياء الدين بن الأثير : دراسة فى تراثه النثرى / ٥

ينقص عن الثلاثين ربيعا بعام واحد . ولقى القاضى الفاضل فرحب به ، وألحقه بخدمة السلطان كعهده بالأدباء النابهين وظل الكاتب الشاب فى خدمة صلاح الدين فترة وجيزة ، التحق بعدها بخدمة الملك الأفضل » (١)

فى هذه المرحلة من حياة ضياء الدين بن الأثير نقطتان كانتا سببا فى وقوع كثير من الباحثين فى الوهم . فهنا خطأ وقع فيه الباحثون يثير سؤالا مهما وهو : متى وأين اتصل الضياء بالناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ؟

فقد انساق الباحثون وراء قول ابن خلكان أن هذا الاتصال كان سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، وقد ظلوا يسلكون هذه الطريق - وليس معهم كل العذر - نظرا لأنهم لم يبحثوا فى كتابات ابن الأثير . واستمر الوضع على هذه الحال ، للحقيقة ، إلى أن قام الدكتور نورى حمودى القيسى وهلال ناجى بتحقيق ديوان رسائل نصر الله بن الأثير ؛ فاتضح بعض الحقيقة - وهما السابقان إليه - إذ اكتشفا رسالة بين رسائله ، كان الضياء قد كتبها عن مخدومه الملك الأفضل ، وهى الرسالة الثانية فى ديوان رسائله ، وقد صدرها بقوله : « كتاب كتبه عن مخدومه الملك الأفضل على بن يوسف إلى والده الملك الناصر صلاح الدين عند نصرته على الفرنج بأرض طبرية فى ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وذلك أول موطن حرب شهده الملك الأفضل ، وكان والده إذ ذاك نازلا على حصار حصن الكرك » (٢)

هنا انجلى جزء الحقيقة ، فحدد محققا ديوان رسائله مدة خدمته لدى مجاهد الدين قايماز الزينى بقولهما : « وعلى وجه التقريب يمكن تحديد الفترة التى عمل فيها فى خدمة الأمير مجاهد الدين قايماز أنها بعد عام ٥٧٩ وقبل عام ٥٨٣ هـ » .

---

(١) الأدب فى العصر الأيوبى / ٢٢٢ و ٢٢٣

(٢) نشرة القيسى - هلال ١ / ٦٤ . وراجع البداية والنهاية ١٢ / ٣٢٠ ، و الروضتين فى أخبار الدولتين ٣ / ٢٧٥ وما بعدها . سيرة صلاح الدين ، أو النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لبهاء الدين بن شداد ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ص ٧٥ . الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ٢٠٠٢ م . والحركة الصليبية ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ٢ / ٦٢٩ , ط ٦ , مكتبة الأنجلو المصرية . والحرب الصليبية الثالثة ، ترجمة وتعليق د . حسن حبشى ١ / ٣٢ وما بعدها ، الهيئة العامة للكتاب سنة ٢٠٠٠ .

ويتابعان « وليس صحيحا أيضا ماذكره مترجموه من أن أول اشتغاله لدى الملك الأفضل على بن يوسف كان فى شوال سنة ٥٨٧ هـ » (١)

ومما سبق نستنتج أن الباحثين قد أرخوا لبداية اتصال ابن الأثير بالناصر صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ ؛ لكننا نعود إلى كتب التاريخ لاستقراء أخبار الفترة بين عام ٥٧٨ و ٥٨٣ هـ علها تكون سبيلا لمعرفة أين ومتى تم اللقاء الأول بينهما ؟.

فنجد صاحب كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ينقل عن القاضى بن شداد قوله : « كان نزول السلطان على الموصل فى هذه الدفعة يوم الخميس حادى عشر رجب سنة ثمان وسبعين وكنت إذ ذاك بالموصل فسيرت رسولا إلى بغداد قبيل نزوله بأيام قلائل . . . ثم أقام السلطان على الموصل أياما وعلم أنه بلد عظيم لا يتحصل منه شيء بالمحاصرة » (٢)

وقد شهد عام ٥٨٠ هـ إطلاق سراح مجاهد الدين قايماز الزينى من الحبس ، ثم أرسله أتابك عز الدين صاحب الموصل رسولا إلى البهلوان وأخيه قزل صاحب أذربيجان مستنجدا بهؤلاء العجم على صلاح الدين ، ولكنهم هزموا شر هزيمة على أيدى الإربليين الذى كان يحكى قائلا : « إننى ما زلت انتظر العقوبة من الله تعالى على سوء أفعال العجم فإننى رأيت منهم ما لا كنت أظنه يفعله مسلم بمسلم وكنت أنهاهم فلا يسمعون حتى كان من الهزيمة ما كان » (٣)

لقد كان استنجاد زين الدين يوسف صاحب إربل بالسلطان صلاح الدين مدعاة لأن يعيد السلطان التفكير فى محاصرة الموصل مرة ثانية خاصة بعد أن أعلمه الإربليون بما ارتكبه المواصلة والمتحالفون معهم من عسكر قزل العجم ، فقرر السلطان أن يكسرهم ؛ حتى يأمن شرهم أثناء قتاله الفرنج المتربصين بالمسلمين الدوائر فى بلاد الشام ، فتحرك من دمشق فى ذى القعدة من سنة ٥٨٠ هـ عابرا الجزيرة حتى وصل إلى الموصل سنة ٥٨١ هـ . ثم أرسل صلاح الدين ضياء الدين

---

(١) نشرة القيسى – هلال ١ / ٦

(٢) الروضتين فى أخبار الدولتين ٣/ ١٢٤ و١٢٥ ، والكامل ١٠/ ١١٤ ومابعدها ، والبداية والنهاية ١٢/ ٣٠٩

(٣) الكامل ١٠/ ١٢٦ ، والروضتين ٣ / ٢٢٣ ، والبداية والنهاية ١٢/ ٣١٥

الشهرزورى إلى الخليفة يعلمه بما عزم عليه من حصار الموصل وأنَّ مقصوده ردهم إلى طاعة الخليفة ونصرة الإسلام فحاصرها [١]

ولما طال أمد حصار الموصل ، وكثر الساعون لدى السلطان لإقرار الصلح بينه وبين المواصلة ، وافق صلاح الدين على الصلح « على أن يكونوا من جنده إذا ندبهم لقتال الفرنج ، وعلى أن يُخْطَبَ له ، وتضرب له السكة ، ففعلوا ذلك فى تلك البلاد كلها ، وانقطعت خطبة السلاجقة والازبقية بتلك البلاد كلها » [٢]

وقد كان لقايماز الزينى دور كبير فى إقرار الصلح بينهما وقد عرف عنه رجاحة عقله وسداد رأيه ، وتقرُّبًا من صلاح الدين : « حلف عز الدين له - أى لصلاح الدين - وتسلم البلاد التى استقرت القاعدة على تسليمها ، ووصل صلاح الدين إلى حران فأقام بها مريضا ، وكان ذلك بتوصل مجاهد الدين قايماز رحمه الله وأما صلاح الدين فإنه طال مرضه بحران » [٣]

أما عن القاضى الفاضل ؛ فتؤكد المصادر التاريخية أنه كان يرافق السلطان فى المحاصرة الأولى للموصل سنة ٥٧٩ هـ ، وأنه كان بدمشق سنة ٥٨١ ، كما تؤكد أنه استقبل بدمشق ايضا سنة ٥٨٢ هـ السلطان بعد شفائه من مرضه [٤]

ولما استقر الأمر للسلطان صلاح الدين بالإقامة فى دمشق ، أراد أن يعيد تنظيم دولته فقرر « أن ينقل ولده الملك العزيز عثمان إلى مصر ليكون عزيزها ، وليحرز مملكتها ، ويحوزها وهو مفكرٌ فى طريق تدبيره ووجه تقريره حتى بدا له نقل الأفضل إلى الشام فكتب إليه يتشوقه ويستدعيه بجميع أهله وجماعته ووالدته وحشمه وأصحابه فخرج ووصل دمشق يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الأولى وخرج السلطان لاستقباله وأنزله بالقلعة فى دار رضوان » [٥]

---

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٣١٥ و ٣١٦ .
(٢) السابق ١٢ / ٣١٦ .
(٣) الكامل ١٠ / ١٣٢ و ١٣٥
(٤) راجع البداية والنهاية ١٢ / ٣١٣ وما بعدها ، والروضتين ٣/ ٢٥٣ ، والكامل ١٠/ ١٣٥ .
(٥) الروضتين فى أخبار الدولتين ٣ / ٢٥٥

ثم ينقل صاحب الروضتين عن العماد قوله : « واشتغل السلطان فى بقية سنة اثنتين وثمانين بدمشق بالصيد والقنص والانتهاز فيه لبوادر الفرص وكان يركب إلى تل راهط للصيد بالبزاة والشواهين مع مماليكه الخواص الميامين » (١) .

كما يقرر عز الدين بن الأثير أنه ثمَّة علاقة صداقة قوية كانت تربط بين جمال الدين الوزير ، وأسد الدين شيركوه عم صلاح الدين . وتبعا لذلك يمكن القول إن ثمة علاقة نشأت بين شيركوه وبين أثير الدين أبى صاحبنا (٢)

ومما سبق نلاحظ ما يلى :

- **أولاً** : أن ابن الأثير كتب الرسالة عن الأفضل فى ربيع الأول عام ٥٨٣ هـ .

- **ثانيًا** : أن صلاح الدين قام بمحاصرة الموصل مرتين الأولى ٥٧٨ ، والثانية ٥٨١ هـ ، وفيها تم الصلح بينه وبين المواصلة .

- **ثالثًا** : أن الذى لعب دورا كبيرا ومهما فى إجراء الصلح هو قايماز الزينى نائبا عن صاحب الموصل ، حيث يعمل الأب أثير الدين متوليا أمور الخزانة العامة للموصل ، وابنه الأكبر أبو السعادات هو كاتب الإنشاء لمجاهد الدين ، وابنه الأصغر ضياء الدين يخطو خطواته الأولى فى ميدان كتابة الإنشاء عنده .

- **رابعًا** : أن القاضى الفاضل كان ملازما للسلطان أثناء حصاره الموصل فى المرة الأولى سنة ٥٧٨ هـ ، وكان موجودا فى دمشق ، وفى سنة ٥٧٩ كان معه فى آمد ، وفى سنة ٥٨١ يكتب القاضى الفاضل بشفاء السلطان من دمشق ، وفى ٥٨٢ يستقبل السلطان بدمشق ويتزاوران ويتشاوران فى أمور الدولة .

- **خامسًا** : أن السلطان صلاح الدين قد استدعى ولده الأكبر الأفضل نور الدين على لينوب عنه بدمشق سنة ٥٨٢ هـ ، « ودخل الملك الأفضل على بنت ناصر الدين ابن أسد الدين فى شوال من السنة المباركة المذكورة » (٣) . إذ نجد رسالة من ابن

---

(١) السابق ٣ / ٢٦٨ .

(٢) راجع الكامل ٩ / ٤٧١ .

(٣) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لبهاء الدين بن شداد ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ص ٧٤ . الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ٢٠٠٢ م .

الأثير إليه صدرها بقوله : « كتاب يتضمن التهنئة بأول مولود . كتبه عن نفسه إلى مخدومه الملك الأفضل على بن يوسف بن أيوب »[١] . وهذا على الأرجح خلال عام ٥٨٣ هـ ، أى أنه كان قد دخل فى خدمة الأفضل بالفعل ، تؤكد هذا أيضا رسالته التى كتبها عنه إلى أبيه السلطان فى ربيع الأول من سنة ٥٨٣ هـ .

– **سادسا** : أن السلطان كان متفرغا بقية سنة ٥٨٢ هـ للصيد والقنص ، أى أنه لديه الوقت الذى يمكن أن يلقى فيه شخصا رُشِّحَ لأن يكون أحد منشئى دولته.

– **سابعا** : أن الذى كان يسعى للصلح بين صلاح الدين والمواصلة فى المحاصرة الأولى سنة ٥٧٨ هـ هو صدر الدين شيخ الشيوخ ، صديق مجاهد الدين قايماز .

وبعد مراجعة تلك الفترة من حياة ابن الأثير من خلال ما كتبه الآخرون ؛ فإننا نرصد تأريخ ضياء الدين لنفسه والأماكن التى كان موجودا بها فى الفترة من ٥٨٣ إلى ٥٨٨ هـ .

نجده يصدِّر كتابا بقوله : « كتاب كتبته عن الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب رحمه الله إلى ديوان الخلافة ببغداد يتضمن فتح البيت المقدس واستنقاذه من أيدى الكفار ، وذلك فى معارضة كتاب كتبه عبد الرحيم بن على البيسانى عنه وكان الفتح فى **السابع والعشرين من شهر رجب من سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة** »[٢]

ويُصَدِّرُ كتابا آخر بقوله : « فمن ذلك ما كتبته من جملة كتاب إلى ديوان الخلافة أذكر فيه نزول العدو الكافر على ثغر عكا فى **سنة خمس وثمانين وخمسمائة** »[٣]

ثم يحكى لتلاميذه قائلا : « وكنت سافرت إلى الشام فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة ودخلت مدينة دمشق »[٤].

وفى موضع آخر يقول : « وكنت فى **سنة ثمان وثمانين وخمسمائة** بأرض فلسطين **فى الجيش الذى كان قبالة العدو الكافر من الفرنج** لعنهم الله وتقابل الفريقان

(١) نشرة القيسى - هلال ١ / ٩٦

(٢) المثل السائر ٢ / ١٣٠

(٣) السابق ١ / ٣٨٩ .

(٤) السابق ٢ / ٣٤٦ .

على مدينة يافا وكان إلى جانبي ثلاثة فرسان من المسلمين فتعاقدوا على الحملة إلى نحو العدو فلما حملوا صدق منهم اثنان وتلكأ واحد فقيل له في ذلك فقال الموت طعام لا تجشه المعدة » (١)

إذن فالراجح أن يكون هذا اللقاء قد تم في دمشق بعد عودة الناصر صلاح الدين إليها ، وقد شفاه الله من مرضه ، وقد كان ذلك في بداية عام ٥٨٢ هـ ، حيث إن استدعاء الأفضل كان في جمادى الأولى من هذه السنة ، وليس في عام ٥٨٧ هـ كما ذكر ابن خلكان في وفياته . خاصة إذا علمنا أن السلطان دخل دائرة الحرب ضد الفرنج والصليبيين الموجودين بالشام بداية من سنة ٥٨٣ هـ ، كذلك تؤكد المصادر التاريخية أن « مدة إقامة صلاح الدين على عكا صابرا مصابرا مرابطا سبعة وثلاثين شهرا » (٢) . وأنه لم يكن مقيما بدمشق سنة ٥٨٧ هـ ، فقد استهلت سنة ٥٨٨ هـ والسلطان « مخيم بالقدس وقد قسم السور بين أولاده وأمرائه وهو يعمل فيه بنفسه ويحمل الحجر بين القربوسيين » (٣)

كذلك فإن ضياء الدين يؤكد أنه كان مع المسلمين المحاصرين ثغر عكا سنة ٥٨٥ هـ ، وفي الوقت الذي يقول فيه إنه كان موجودا بدمشق سنة ٥٨٧ هـ ؛ فقد كان السلطان ، ومعه القاضي الفاضل يحاصرون أسوار عكا ، وهذا ينفي أيضا أن يكون اللقاء قد تم في هذا العام .

ومما سبق نكاد نؤكد أن الأرجح أن يكون لقاء ابن الأثير قد تم في النصف الثاني من عام ٥٨٢ هـ ؛ حيث اجتمع في دمشق كل من السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، والقاضي الفاضل ، والملك الأفضل ، وضياء الدين بن الأثير

---

(١) السابق ١ / ٧١ .

(٢) البداية والنهاية ١٢ / ٣٤٥ .

(٣) السابق ١٢ / ٣٤٧ .

ابن الأثير فى دمشق ٥٨٢ - ٥٩٢ هـ

التحق ضياء الدين بخدمة الأفضل نور الدين على فى دولة السيف بقيادة الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وفى دولة القلم بقيادة القاضى الفاضل عبد الرحيم ابن على البيسانى . لكن الرياح دائما تأتى بما لا تشتهى السفن ؛ فقد ظهر الحساد والحاقدون على هذا الشاب فأخذت الملاحقات فى الظهور بين واشٍ وغادرٍ تُنَغِّصُ حياته . فمن قائل : إنه جاء لمزاحمة القاضى الفاضل مكانته لدى السلطان ، ومن قائل : إنه آثر الابتعاد عن الفاضل والتحق بخدمة الأفضل تطلعا لما هو آت ؛ مما ساق بعض الباحثين للانسياق وراء وَهْم صُرَاحٍ ؛ وهو أن القاضى الفاضل رأى فى ضياء الدين مزاحما خطيرا ؛ فخشى منه على مكانه ومكانته ؛ فعمد إلى إزاحته من طريقه لئلا يبعده ابن الأثير بطموحه وبراعته عن موقعه قريبا من السلطان ولا أدرى ما الذى دفعهم إلى هذا الاستنتاج اللهم إلا إذا كانوا قد نظروا إلى رسالة ابن الأثير التى كتبها إلى ابن سكينة شيخ الشيوخ ، وقد صدرها ضياء الدين بقوله : « كتاب كتبه عن نفسه إلى معين الدين بن سكينة شيخ الشيوخ ببغداد جوابا عن كتاب كتبه إليه ، وضمنه ضربا من الوصف والإطراء ، وقال : إنك فى الكتابة كفلان الكاتب ، يعنى به عبد الرحيم بن على البيسانى القاضى الفاضل » [١]

وقد استدل هؤلاء على ذلك من خلال هذه الرسالة فى قول ابن الأثير : « أما تشبيهه إياى بفلان الكاتب ؛ فرب كلمة تقول لصاحبها دعنى ، ولقد وضعنى بقوله هذا وهو يرى أنه رفعنى ولم يضعنى ، لكن يغفر الله له ذلك لسلامة قصده ، ويحمل على أنه اشتبه الذهب والنحاس على نقده ، وما أراد إلا أن يبلغ بفضيلتى فوق طوقها ؛ فلم يبلغ بها طوقها . . . **ولو أنصفنى لقال : إن الحىَّ خير من الميت** . . . وقد علم أن ذلك الرجل رزق دولة سيفها أفصح من كتابه ، وخطبها أعظم أن يفتقر إلى تزوير خطابه ، فكان يقول عنها بعض ما يرى [٢]

---

(١) نشرة المقدسى ص ٣١١

(٢) السابق ص ٣١٣ .

أما الأمر الأكيد ؛ فهو أنه لا ابن خلكان ولا من تابعوه من المؤرخين وكتاب التراجم قالوا هذا الكلام ، إنما توقفوا عند اتصاله بصلاح الدين « فوصله القاضي الفاضل لخدمة صلاح الدين فى جمادى الآخرة من السنة وأقام عنده إلى شوال من السنة ثم طلبه ولده الملك الأفضل نور الدين من والده فخيره صلاح الدين بين الإقامة فى خدمته والانتقال إلى ولده ويبقى المعلوم الذى قرره له باقيا عليه فاختار ولده فمضى إليه وكان يومئذ شابا ، فاستوزره ولده الملك الأفضل » (١)

وقد تابع الأقدمين فى هذا الضرب غير واحد من الباحثين يأتى فى مقدمتهم : أنيس المقدسى ناشر ديوان رسائله الأول (٢) ، والدكتور زغلول سلام الذى قام بمجهود غير منكور فى تأريخ الدراسات الأدبية للعصر الأيوبى (٣)

لكن – ومع كل الأسف – هناك من أثار سؤالا وهو : لماذا ترك ابن الأثير ديوان السلطان وآثر الانتقال إلى ديوان الملك الأفضل ، حين طلبه الأخير من أبيه ، فخيره بين الإقامة فى خدمته ، والانتقال إلى ولده ، ويبقى المعلوم (الراتب) الذى قرره له باقيا عليه . فاختار ولده (٤)

يقول الدكتوران مصطفى جواد وجميل سعيد : « ولم يقابل ضياء الدين بن الأثير إحسان القاضى الفاضل بالإحسان » (٥)

ثم يجيب من طرحوا هذا السؤال إجابة شبه يقينية عنه : « نحن نعتقد أن القاضى الفاضل وجد فى ابن الأثير مزاحما خطرا فآثر إبعاده بوسيلة مهذبة ، ونعتقد أيضا أن

---

(١) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩٠ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣ / ٧٣

(٢) رسائل ابن الأثير لأنيس المقدسى / ٩ .

(٣) الأدب فى العصر الأيوبى / ٢٢٢ ، وضياء الدين بن الأثير : نوابغ الفكر العربى / ٣٥ .

(٤) رسائل ابن الأثير ، دراسة وتحقيق نورى حمودى القيسى وهلال ناجى ١ / ٧ ، وكفاية الطالب فى نقد كلام الكاتب والشاعر ، تحقيق نورى حمودى القيسى وحاتم صالح الضامن وهلال ناجى / ٦

(٥) الجامع الكبير فى صناعة المنظوم من الكلام والمنثور / ١٠

ابن الأثير كان يرى نفسه أحق برئاسة ديوان الإنشاء لدى السلطان من القاضى الفاضل » [(١)]

وتابع هذا الرأى د. عرفة حلمى عباس إذ يقول : « وبعد أن انضم ضياء الدين إلى ديوان الإنشاء فى دولة صلاح الدين ، رأى القاضى الفاضل رئيس الديوان فى ابن الأثير منافسا خطيرا له ، فقد ظهرت مقدرته الفائقة فيما كان يكتب من رسائل للملك الناصر صلاح الدين ، ومنها رسالة كتبها إلى الديوان العزيز ببغداد » [(٢)] .

لكن لنا أكثر من تساؤل :-

الأول : إذا كان القاضى الفاضل يخشى من مزاحمة ناشئة الكتاب الذين يرشحهم هو - ولا أحد سواه - فلماذا يقدمهم للسلطان ؟ .

ولماذا رفض السلطان صلاح الدين أكثر من مرة أن يلحق عماد الدين الأصفهانى منشئا فى ديوان دولته ؟ .

الثانى : أن الرسائل التى وقعت بين أيدينا ، وقد كتبها ابن الأثير عن الملك الناصر كلها معارضات . يقول ابن الأثير : « عدة كتب أنشأها فى معارضة كتب كتبها القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى عن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الديوان العزيز النبوى مجَّده الله تعالى ، يتضمن ذكر وقائع أجراها الله تعالى على يديه » [(٣)]

ولم نجد بين هذه الرسائل ما يمكن أن يكون قد كتبه ابن الأثير عن السلطان الناصر سوى رسالة واحدة ، صدرها بقوله : « كتاب كتبه إلى الديوان العزيز النبوى عن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب » [(٤)]

وإن كان يغلب علىَّ الظن أنها من معارضات ابن الأثير للقاضى الفاضل أيضًا .

---

(١) نشرة القيسى وناجى ١ / ٧ .

(٢) ضياء الدين بن الأثير : دراسة فى تراثه النثرى / ٦

(٣) نشرة القيسى وناجى ١ / ٦٦ وما بعدها . وهى الرسائل أرقام ٣ و ٤ و ٥ و ٦ .

(٤) نشرة المقدسى / ٣١٠ .

لقد كان القاضي الفاضل محبا للأدباء النابهين النابغين ؛ فكان يقربهم ، ولم يكن يخشى قط على مكانه ومكانته عند صلاح الدين ؛ فقد قال العماد : « فدخل الفاضل إلى السلطان ، وعَرَّفَهُ أنَّه فيَّ راغب . . . وقال : أنا لا يمكنني الملازمة الدائمة في كل سفرة ، وقد يكاتبك ملوك الأعاجم ، ولا تستغني في الملك عن عقد الملطفات ، وحل التراجم ، والعماد يفي بذلك ، ولك أختاره ، وقد عرف في الدولة النورية مقداره ، وأخذ لي خط السلطان بما قرره لي من شغلي » (١)

ويورد ابن تغري بردي ما يؤكد أن الفاضل هو الذي تدخل لدى السلطان لاستكتاب العماد يقول « فدخل القاضي الفاضل على السلطان صلاح الدين وقال : غدا تأتيك تراجم الأعاجم وما يحلها مثل العماد الكاتب ، فقال ما لي عنك مندوحة . أنت كاتبي ووزيري ، وقد رأيت على وجهك البركة . فإذا استكبرتُ غيرَك تحدَّث الناسُ ، فقال الفاضل : هذا يحلُّ التراجم وربما أغيب أنا ولا أقدر على ملازمتك فإذا غبت قام العماد الكاتب مقامي وقد عرفت فضل العماد . . . فاستكتبه » (٢) .

إذن فالقاضي الفاضل هو الذي يقرر من يعاونه في ديوان الإنشاء ، ومن لا يريد معاونته ، ونجد أن العماد : « علل إعراض صلاح الدين عنه أول الأمر بقول حساده عند صلاح الدين أن العماد يصبو إلى منصب كتابة الإنشاء . والسلطان يأتمن عليها الفاضل ، وهو بالمنزلة الرفيعة عنده ، فلجأ العماد إلى الفاضل لينصره عند السلطان ، وليبعد الشبهة عنه » (٣)

هذه هي الإجابة عن السؤال الأول فالقاضي الفاضل لا يخشى ناشئة المنشئين ، وبالتالي يقرب منهم من يرى فيه نبوغا

أما الإجابة عن السؤال الثاني ؛ فنجدها في رسائل ضياء الدين بن الأثير نفسه ، نستوضح منها مكانة القاضي الفاضل وقدره عند ابن الأثير

---

(١) الروضتين في أخبار الدولتين ٢ / ٣٨٨ ، وراجع الأدب في العصر الأيوبي / ٢١٣

(٢) النجوم الزاهرة ٦ / ٧٤

(٣) الأدب في العصر الأيوبي / ٢١٢

فهذه رسالة - يبدو أنها رد على رسالة للفاضل يطلب منه بعضا من كتاباته حتى يرى الفاضل فيه رأيه من الانضمام إلى ديوان الإنشاء من عدمه - يصدرها بقوله : « كتاب كتبه عن نفسه إلى القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى جوابا عن كتاب ورد منه يسأله أن يرسل إليه شيئا من مكاتباته » [١]

ثم يقول الضياء مخاطبا القاضى الفاضل فى فقرة من هذا الكتاب : « فليقل سيدنا فى ذلك ببعض قوله ، وإن عدّه طولاً ؛ فليخفف عن عنق الخادم من حمل طَوله ، ولاشك أنه مهد هذا المهاد أولا لما صرح بطلبه أخيرا ، وجعل الإطراء رشوة لتكون بين يديه سفيرا ، والذى طلبه من رسائلى أراه عورة ومن شأن العورة أن تستر بلباس . . . وكل هذه الأوصاف لا تغرينى بأن أحمل التمر إلى هجر ، ولا أن أعارض ضياء الشمس بنور القمر . . . فليعذرنى سيدنا فى كتمان ما كتمانه أولى ، وليعلم أن كلامه كالإسلام يعلو ولا يُعْلَى » [٢]

وهذه رسالة أخرى ، وأغلب الظن أنها مرسلة أيضا إلى القاضى الفاضل ، صدرها بقوله : « رقعة كتبها عن نفسه إلى بعض الفضلاء جوابا عن رقعة وردت منه إليه يلتمس شيئا من رسائله ، وكتب الجواب فى ظهرها » . . . يقول : وأما الرسائل المطلوبة فما أخر الخادم إرسالها إخلافا للوعد ، بل حياء من النقد ، ولا يُوضَعُ البهرجُ فى يد صراف ، ولا يحمل المُدَلِّسُ سلعتَه إلى عراف . والخادم فى هذه الحال بين تقديم وتأخير ، ويرى أن خجالة الاعتذار ليس من خجالة التقصير ، ومع هذا فقد رأى أن مطاوعة المجلس فى اختياره أولى من مطاوعة نفسه فى استتاره ، والرأى فى ما يراه المولى أعلى » [٣]

هذه الكتب إضافة إلى كتب أخرى تؤكد مدى تقدير ابن الأثير للقاضى الفاضل [٤] ومكانته عند السلطان صلاح الدين ، وأنه يعلم تمام العلم أن بين الناصر

---

(١) المقدسى / ٢٢٧ .

(٢) السابق / ٢٢٨ و ٢٢٩ .

(٣) رسائل ابن الأثير نشرة هلال ناجى ٢ / ٨٢ و ٨٣ .

(٤) السابق ٢ / ٨٤ ، والقيسى ، ناجى ١ / ١٠٦ ، والمقدسى / ٣٣٨ وما بعدها .

والقاضى الفاضل العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، والتى لا يعكر صفوها ، ولا يحل عقدها أحد . وكل منهما يعلم قدر الآخر .

نقطة أخرى نؤكدها من خلال رسالة ضياء الدين إلى شيخ الشيوخ ابن سكينة ببغداد فى قوله : « ولو أنصفنى لقال : إن الحى أبقى من الميت » (١)

ونستنتج من هذه العبارة أن الرسالة كتبت بعد وفاة القاضى الفاضل ؛ لذلك يرى ابن الأثير أن شيخ الشيوخ لو أنصف لكان قد وضعه فى مقدمة كتاب عصره ؛ خاصة إذا كان القاضى الفاضل قد مات .

الأهم من ذلك أن المتتبع لمنشئى دولة صلاح الدين يجد أن المؤرخين لا يذكرون ضياء الدين بينهم ، إنما يذكرون القاضى الفاضل أولا ؛ ثم العماد الأصفهاني (٢) ثانيا ؛ ثم القاضى يوسف بن شداد (٣) صاحب النوادر السلطانية . أضف إلى ذلك أن الفاضل كان يقضى جل وقته نائبا عن السلطان فى مصر أو معينا لمن يعينه السلطان فى نيابتها أثناء غيابه لمحاربة الفرنج فى الشام ، وكان يقتصر دور الفاضل أثناء وجوده بمصر على تجييش الجند ، وجمع المال ، وإرسالهما إلى السلطان فى مواقع حربه . وفى معظم الأوقات « وكان القاضى الفاضل ينقطع عن خدمة السلطان فى مصالح الديار المصرية فيقوم العماد مقامه » (٤) ، وينوب عنه القاضى بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد .

إذن لماذا اختار ابن الأثير أن يكون وزيرا للأفضل نور الدين على بن صلاح الدين الأيوبى ؟

---

(١) المقدسى / ٣١٣ .

(٢) ولد فى ٥١٩ هـ ، وتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، ترجمته فى شذرات الذهب ٢/ ٣٢٣ و ٣٣٣ ، وطبقات الشافعية ٢ / ٤١ و٤٢ ، والدارس ١ / ٣١٠ وما بعدها ، والبداية والنهاية ١٣ / ٣٠ وما بعدها ، والنجوم الزاهرة ٦ / ١٧٨ وما بعدها ، والعبر ٤ / ٢٩٩

(٣) ولد سنة ٥٣٩ هـ ، وتوفى سنة ٦٣٢ هـ ، ترجمته فى وفيات الأعيان ٧ / ٨٤ وما بعدها ، وطبقات المحدثين ١ / ١٩٦ ، وشذرات الذهب ٣ / ١٥٨ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢ / ٣٨٤ ، وطبقات الشافعية ٢ / ٩٦ ، ومعرفة القراء ٢ / ٦١٩ ، والبداية والنهاية ١٣ / ١٤٣ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٨ / ٣٦٠

(٤) الدارس ١ / ٣١٠

الراجح أن هذا الاختيار لاقى هوى من كليهما من الملك الأفضل ومن ضياء الدين ؛ لتقارب السن بينهما ، والراجح أيضا أن الذى رشحه هو القاضى الفاضل رئيس ديوان الإنشاء فى دولة صلاح الدين ، وذلك نظرا لخطورة المرحلة المقبلة فى الصراع ضد الفرنج . ولضرورة أن يكون مع نائب السلطان على دمشق كاتب يكتب عنه إلى أبيه ، إذا غاب عنه ، ويعلمه بما يجرى من أمور ، وما يستجد من أحوال المسلمين تحت وطأة الحرب التى تقض مضاجع الجميع .

وقد آتى هذا الاختيار والترشيح أكله وثماره ، حينما كتب ابن الأثير عن الأفضل يبشر السلطان بمقدمات النصر على الفرنج أثناء نزوله عند رأس الماء فى طبرية سنة ٥٨٣ هـ .

نضيف إلى ما سبق أن الذى طلبه من السلطان هو الملك الأفضل ، وأن تخيير السلطان له فى الالتحاق بابنه من عدمه ما هو إلا تحصيل حاصل ، إذن فمن الممكن أن يكون هذا الطلب قد تم بالاتفاق بين الأفضل وبين ابن الأثير ؛ لما رآه فى ضياء الدين من براعة وطموح وتقارب السن الذى خلق نوعا من المودة بينهما

تؤكد ما سبق رسالة فى ديوان رسائل ضياء الدين صدرها بقوله : « كتاب كتبه السلطان الملك الأفضل نور الدين – رحمه الله – جوابا عن هذا الكتاب وسيره إلى ضياء الدين إلى الموصل » (١)

ومن خلال هذه الرسالة يتضح لنا مدى هذه المودة والصداقة التى نشأت بين شابين ، كلاهما فى مقتبل عمره ، وكلاهما يسعى لتسنم ذرى المجد ، فالأول هو ابن السلطان الأكبر ، ومن المنتظر أن تئول إليه أمور السلطنة بعد وفاة أبيه ، وهو نائبه على دمشق ، وحامل لواء الحرب ضد الفرنج القادمين من أوربا ، والصليبيين الموجودين بالشام . والثانى شاب فى سَوْرَةِ شبابِهِ ، ازدادت مغالبةُ الطموح له ، خاصة بعد أن تسلم عمله منشئا فى دولة صلاح الدين ، بعد النزوح من الموصل مغاضبا زعيمها مجاهد الدين قايماز الزينى الذى لم يجد عنده مبتغاه . يقول ابن الأثير : « ففى القلب غُلَّةٌ تخبو ، فيهيجُها أنى سبقت ، وحاز غيرى خصل السباق ،

---

(١) رسائل ابن الأثير نشرة ناجى ٢ / ١٩٦

وجمعت كنزا وفاز غيرى بحظوة الإنفاق » [١] . وتُطرب أذنيه كلمة وزير ابن السلطان ، وهذا يؤكد أن السلطان كان لا يضن على الشباب باعتلاء المناصب العالية فى دولته ؛ لأن الإسلام والعروبة لن يحميهما إلا هؤلاء الشباب .

إذن فليس مستغربا أن يختار كل منهما الآخر ليحقق به طموحه . فرحيل ابن الأثير إلى الشام لم يكن لمزاحمة أناس عَلِمَ هو مسبقا رسوخَ مكانتهم ، وثباتَ أقدامهم فيما هم مكلفون به من قبل السلطان . إنما كان كل مبتغاه أن يجد مكانا فى ديوان الإنشاء إلى جوار القاضى الفاضل وعماد الدين الأصفهانى ؛ لا أن يزاحمهما مكانهما . لكن حينما تتاح الفرصة لأن يكون هذا الشاب كاتبا ووزيرا لابن السلطان فلابد أن ينتهب الفرصة انتهابا لا أن يرفضها

والاعتقاد أن كل هذه الجلبة قد حدثت بفعل الوشاة الحاسدين أو الحاقدين الذين وجدوا ذلك الشاب القادم من الموصل قد فاز بهذا المنصب الكبير فى دولة السلطان صلاح الدين الأيوبى وهذه المنزلة التى نالها لدى الأفضل نور الدين على ابن صلاح الدين .

لازم ضياء الدين بن الأثير مخدومه الملك الأفضل نور الدين على بن صلاح الدين طيلة فترة نيابته على دمشق ، فقد حضر معه أول موطن حرب عند بحيرة طبرية ، وذلك فى ربيع الأول من سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة هجرية ، وخرج معه فى مواجهة الفرنج فى الشام .

لقد دامت هذه الملازمة إلى أن مرض الناصر صلاح الدين « بحمى صفراوية ، واحتد المرض وحدث به فى التاسع رعشة وغيبة ثم حقن مرتين فاستراح وسرب ، ثم عرق حتى نفذ من الفراش وقضى فى الثامن عشر . توفى بقلعة دمشق بعد الصبح من يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمس مئة » [٢]

بعد وفاة صلاح الدين – رحمه الله تعالى رحمة واسعة – تفككت السلطنة إلى

---

(١) نشرة القيسى ، هلال ١ / ٦٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١ / ٢٨٧

عدة ممالك ، وملأت الأطماع نفوس أبناء البيت الأيوبى ، وأصبح ما تحت يدى كل منهم هو مملكته التى ورثها عن الناصر (١)

كان هذا التفكك بداية انشقاق كبير أصاب البيت الأيوبى بعد وفاة صلاح الدين الذى استشرف صورته فى حياته يقول : « القاضى بهاء الدين ابن شداد قال لى السلطان فى بعض محاوراته فى عقد الصلح : أخاف أن أصالح وما أدرى أيش يكون منى فيقوى هذا العدو ، وقد بقيت لهم بلاد فيخرجون لاستعادة ما فى أيدى المسلمين وترى كل واحد من هؤلاء يعنى أخاه وأولاده قد قعد فى رأس تله يعنى قلعته ويقول لا أنزل ويهلك المسلمون ! قال ابن شداد فكان والله كما قال ؛ اختلفوا واشتغل كل واحد بناحيته ، وبعد فكان الصلح مصلحة . قلت : من لطف الله لما تنازع بنو أيوب واختلفوا يسر الله بنقص همة الأعداء وزالت تلك الشهامة منهم » (٢) .

تملَّك الأفضلُ دمشقَ بعد أبيه . ووكَّلَ أمورَ دولته إلى الضياء بن الأثير . وفى هذا يقول الضياء بعد أن ابتسمت له الدنيا ، وأصبح صاحب ديوان الإنشاء فى مملكة الأفضل فى رسالته تلك التى كتبها عن نفسه إلى مجاهد الدين قايماز الزينى زعيم الموصل : « . . . وليس الأسى والحمد لله على دنيا كنت أستفيدها ، بل على أيام ذهبت ولا أجد من يعيدها . والآن فقد أحمدت الرحلة ، وشكرت النقلة ، وحمدت أرضا أضاءت آفاقها ، واتسعت أرزاقها . يتهلل بها وجه الزمن العبوس ، وتُذَكِّرُ بأيام الجنة فى جمع الشهوات للنفوس . فاستعذبتها موردا ومجنى ، واتخذت بها رغد العيش ذخيرة ليس تفنى . ويزين ذلك أنى فى خدمة ملكٍ آخذ من ماله ومن أدبه ، وأُدِلُّ عليه إدلال المرء على ذوى نسبه ، فخلقه يعدى أخلاق صحبه . ويَغْمُرُ أُجَاجَهُنَّ بِعَذْبِهِ . فأنا فى إنعامه فى روضة وغدير ، ومن إكرامه على أريكة وسرير ، ومن لين جنبه فى جنة وحرير ، ولما اتصلت بخدمته صفحت على إساءة الزمان بحُسنى أيامها ، وأنارت لى الليالى وكانت أَغْدَتِ الأيامَ بإظلامِها ، فلا أرضى بها

---

(١) راجع الكامل ١٠ / ٢٢٥ و ٢٢٦ . والروضتين فى أخبار الدولتين ٤ / ٤٠٥ و ٤٠٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١ / ٢٨٩

بدلا ، ولا أبغى عنها حولا . وقد عوَّضنى اللهُ عن المولى إعواضا ، وبدَّلنى من زهرة دنياه رياضا ؛ فأصبحت مخدوما بعد أن كنت خادما ، وغدوت مُشَامَ البرق بعد أن كنت شائما .

وإذ أنا ممنونٌ علىَّ ومنعَمٌ
فأصبحتُ مِنْ خَضْرَاءِ نُعْمَاىُ مُنْعِمَا »[1]

عاش ابن الأثير حياة رغدة فى كنف الأفضل نور الدين ، ويبدو أن لعنة الحاسدين والحاقدين لم تزل تلاحقه منذ مجيئه من الموصل إلى الشام طامحا فى أن يجد له مكانا فى دولة صلاح الدين .

بدأت المنغصات على ضياء الدين بن الأثير ومخدومه الأفضل نور الدين ، فقد تتابع خروج أمراء الصلاحية من دمشق « وكان الأفضل هو أكبر الإخوة ، وهو المشار إليه فى أيام أبيه صلاح الدين ومن بعده ، وهو الذى جلس للعزاء بعد موت صلاح الدين ، وصار هو السلطان الأكبر إلى أن ظهر منه أمور منها أنه كان استوزر ضياء الدين الجزرى ، فأساء ضياء الدين السيرة ، وشغف قلوب الجند إلى مصر . وساروا إليها فالتقاهم الملك العزيز وأكرمهم ، وكانوا معظم الصلاحيَّة واشتغل الأفضل بلهوه ، وكان القدس فى يده فعجز عنه وسلمه إلى نواب الملك العزيز هذا ، فبان للناس عجز الأفضل ؛ ثم وقعت الوحشة بين العزيز وبين أخيه الأفضل[2] .

يقول العماد الكاتب فى رسالته المسماة بالعُتْبَى والعُقْبَى : « لما توفى السلطان - رحمه الله - وملكت أولاده . كان العزيز بمصر يقرب أصحاب أبيه ويكرمهم ، والأفضل بدمشق يفعل ضد ذلك ؛ يقرب الأجانب ويبعد الأقارب ، وأشار عليه بذلك جماعة داروا حوله كالوزير الجزرى الذى استوزره . . . وفيه يقول الشهاب فتيان الشاغورى :

متى أرى وزيرَكَمْ وَمَا لَهُ مِنْ وَزَرِ
يَقْلَعُهُ اللهُ فَذَا أَوَانُ قَلْعَ الجَزَرِ

---

(١) نشرة القيسى - هلال ١ / ٦٣ و ٦٤ .

(٢) النجوم الزاهرة ٦ / ١٢٠ .

فلما طلب من الأمراء أن يحلفوا له أظهروا له أيمانا وهم قد أضمروا الحنث فيها ، ولم يخف ذلك عليه . ولما رأى الفاضل أمور الأفضل مختلة تركه سار إلى مصر **وشرع الوزير الجزرى فى تفريق العصبة الناصرية ، وما منهم إلا من فارق إلى الديار المصرية** . وكان قد أشير على الأفضل باخلاء البيت المقدس لنواب العزيز بأعماله حذرا عليه من تكاليفه وأثقاله ، فأجاب إلى ذلك وقد كانت نابلس وأعمالها قد وقف السلطان ثلثها على مصالح القدس وباقيها على ابن الأمير على بن أحمد المشطوب ، فشاركه أحد الأمراء الأكراد فيه ، فمدوا أيديهم إلى الوقف ، وساءت سيرتهم وتخوفوا من إنكار الملك العزيز عليهم ، فلجأوا إلى الأفضل فأفضل عليهم وسكن إليهم ، فتأثر الملك العزيز لذلك »[1]

ويواصل العماد قوله فى رسالته التى كتبها تأريخا لما حدث بعد وفاة السلطان صلاح الدين حتى سنة ٥٩٢ هـ : « . . . فخرج العزيز بعساكره ، وبلغ الأفضل فضاق صدره ، واجتمع بمن فى خدمته من الأمراء . . . ورأى الأفضل أن يكتب إلى أخيه بكل ما يحب من إعلاء كلمته والاجتماع عليه ، ويكون الأفضل من بعض القائمين بين يديه ، طلبا لتسكين الفتن ، ورغبة فى ذهاب الإحَن . فأشير عليه بغير الصواب ، وقيل : أنت الكبير ، وإليك التدبير ، فجِدَّ واجتِهدْ ، ولا تعلم أصحابك بهذا الخور الذى داخَلك ، والجبن الذى نازلك ، ونحن بين يديك ، وكلنا عاقدون بالخناصر عليك . ووصل رسول الملك الظاهر والكتب من الملوك الأكابر بالانجاد المتظاهر للأفضل ، وسير الأفضل إلى عمه العادل وهو بحران والرها كتبا ورسلا . . . وذلك فى أوائل جمادى الآخرة من شهور سنة تسعين ولم يشعر الأفضل إلا والعزيز بعساكره قد وصل إلى الفوار . . . حتى وصل عمه العادل فكتب إلى العزيز يسأله الاجتماع ، فتواعدا واجتمعا راكبين بصحراء المزة ، فعذله فى أخيه ، واستنزله عما كان فيه . فقال : عليَّ رضاك ، واتباع هواك ؛ فقال : نَفِّسْ عن البلد الخناق . وكان قد بلى البلد منهم بما لا يطاق ، من قطع الأنهار وقطف الثمار . فتأخر العزيز إلى صوب داريا والأعوج . . . فاتفقوا على عقد يؤكد وعهد يمهد

---

(١) الروضتين فى أخبار الدولتين ٤ / ٤١٩ ، ٤٢٠ .

ورحل العزيز إلى مرج الصفر لكون المقام به أرفق فمرض حتى أيس منه ثم أفاق . . . فتقرر بينهم الصلح وتزوج العزيز ابنة عمه العادل وخرج الملوك لتوديع الملك العزيز فى أول شعبان واحدا بعد واحد ولما استقر الأفضل بدمشق قضى حقوق الجماعة وشكرهم (١)

انتهت هذه الجولة من الصراع داخل البيت الأيوبى بالصلح بعد تدخل الملك العادل داهية البيت الأيوبى (٢) . فقد كان وجوده كفيلا بإقرار المصالحة ، فمن يكون العادل حليفه يدرك النصر أو الصلح . وفى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة حدثت نفرة أخرى بين الأخوين ، فقد عاد الأفضل إلى غيه ، ومواصلة لعبه وأساء إلى كبار دولته ، فخرج منهم من خرج لائذا بجناب العزيز عثمان (٣)

أخذ الراحلون عن دمشق إلى القاهرة يوغرون صدر العزيز عثمان من ناحية الأفضل ، وأنه سيسأل يوم القيامة عن الرعية ، لأنه تركهم يرزحون تحت نير الظلم الواقع عليهم من ضياء الدين بن الأثير الجزرى وأبو المحاسن بن العجمى ، وأنه لابد أن ينقذ دمشق والبلاد التى فتحها أبوه الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب خشية وقوعها مرة أخرى فى أيدى الفرنج القادمين من أوربا ، أو الصليبيين المقيمين فى الشام . لم يكن أمام العزيز عثمان بد من الاستيلاء على دمشق ، فأعد العدة لدخولها

«وكان أكبر المحرضين للعزيز على أخيه الأفضل أسامة حتى قال له إن الله يسألك عن الرعية . **هذا الرجل قد غرق فى اللهو وشربه ، واستولى عليه الجزرى وابن العجمى** . ثم قال له القاضى ابن أبى عصرون لا تَسْلَمُ يوم القيامة ، وبلغ الأفضل قول أسامة وابن أبى عصرون فأقلع عما كان عليه وتاب وندم على تفريطه وعاشر العلماء والصلحاء وشرع يكتب مصحفا بخطه وكان خطه فى النهاية ، فلم

---

(١) السابق ٤ / ٤٢٠ وما بعدها . والبداية والنهاية ١٣ / ٨ و ٩ ، والتاريخ المنصورى ١ / ٤ ، والنجوم الزاهرة ٦ / ١٢١ و ١٢٢

(٢) راجع الحرب الصليبية الثالثة ، ترجمة وتعليق د . حسن حبشى ٢ / ١١٥

(٣) راجع الروضتين فى أخبار الدولتين ٤ /٤٢٣ و ٤٢٤ .

يغن عنه ذلك . وتحرك العزيز يقصده فسار الأفضل إلى عمه العادل يستنجد به ، فالتقاه العادل على صفين ، فسار معه بعساكر الشرق إلى دمشق . وكان الأفضل لما اجتاز بحلب اتفق مع أخيه الظاهر غازى وتحالفا ، وجاء إلى حماة ، ففعل كذلك مع ابن عمه المنصور . وصار العادل يشير عليه بعزل الجزرى عن الوزارة ، ويقول له : هذا يخرب بيتك ، فصار لا يلتفت إليه ، فحنق منه . ثم إن العادل سأل الملك الظاهر غازى فى شيء فلم يجبه فغضب لذلك العادل ، وانفرد عنهم ، وكتب إلى العزيز يخبره أنه معه ، ويستحثه على القدوم إلى دمشق . فخرج العزيز من مصر مسرعا ثم علم العادل أنه لا طاقة له بالعزيز ولا بالظاهر فراسل الأسدية الذين كانوا بمصر ووعدهم بالأموال والإقطاعات . وكان الملك العزيز قد قدَّم عليهم الصلاحيَّة مماليك أبيه ، والأسديَّة هم : مماليك عمه أسد الدين شيركوه وحواشيه الأكراد . ثم دس العادل للأسدية الأموال ، وكان مقدم الأكراد الأسدية أبو الهيجاء السمين ، وكان العزيز قد عزله عن ولاية القدس وتقدمت الأسدية بسيف الدين جرديك ، فركب أبو الهيجاء بجموعه ومعه أزكش فى الليل وقصدوا دمشق . فأصبح العزيز فلم ير فى الخيام من الأسدية أحدا فرجع إلى مصر » (١)

لقد احتدم الصراع داخل البيت الأيوبى ، وأصبح كل واحد من ملوك الأيوبيين يعمل على إضعاف الآخر - أيا كانت المسميات التى يستظل بها كل منهم - لكن كان أخطر أبناء البيت الأيوبى ، وأكثرهم تمرسا بأمور الحكم ، الملك العادل الذى رافق شقيقه السلطان صلاح الدين فى تأسيس هذه الدولة . وبالارتكاز على هذه النقطة أخذ الخارجون على العزيز عثمان يحرضون العادل والأفضل على ملاحقة العزيز قبل أن تقوى شوكته بعد الرجوع إلى مصر .

« ... واتفق العادل مع ابن أخيه الأفضل وسارا إلى جهة العزيز نحو مصر ، فلما وصلوا إلى القدس ولوا أبا الهيجاء كما كان ، وعزلوا جرديك عنها ثم ساروا حتى نزلوا بلبيس ... فتوقف العادل عن القتال ولم ير انتزاع مصر من يد العزيز وظهرت منه قرائن تدل على أنه لا يؤثر السلطنة للأفضل ولا يرى تقدمته على

---

(١) النجوم الزاهرة ٦ / ١٢٣ و ١٢٤

العزيز . فأرسل العادل إلى العزيز يطلب منه القاضى الفاضل ، وكان الفاضل قد اعتزلهم ، وانقطع إلى داره . فأرسل إليه العزيز يسأله فامتنع ، فتضرع إليه وأقسم عليه ، فخرج إلى العادل فاحترمه العادل وأكرمه ، وتحدث معه بما قرره وعاد الفاضل إلى العزيز وتحدث معه ، فأرسل العزيز ولديه الصغيرين مع خادم له برسالة ظاهرة مضمونها لا تقاتلوا المسلمين ولا تسفكوا دماءهم وقد أنفذت ولديَّ يكونان تحت كفالة عمي العادل وأنا أنزل لكم عن البلاد وأمضى إلى الغرب . وكان ذلك بمشهد من الأمراء فَرَّقَ العادل وبكى من حضر . فقال العادل معاذ الله ، ما وصل الأمر إلى هذا الحد . . . ثم قال العادل للأفضل : المصلحة أن تمضى إلى أخيك وتصالحه . . . ففهم الأفضل أن العادل رجع عن يمينه ، وأنه اتفق مع العزيز على أخذ البلاد منه ، لكنه لم يمكنه الكلام ومضى إلى أخيه الملك العزيز واصطلحا وعاد إلى دمشق ، وسَلْطَنَ العادلُ العزيزَ ، ومشى بين يديه بالغاشية ، ولو أراد العادل مصر فى هذه المرة لأخذها ، وإنما كان قصده الإصلاح بين الإخوة » (١)

ولابن الأثير رسالة كتبها فى هذا الشأن صدَّرها بقوله : « كتاب كتبه عن نفسه إلى الملك الأفضل على بن يوسف ، وقد سار عن دمشق إلى مصر فى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة وكان أخوه الملك العزيز عثمان صاحب مصر قد قصده وحصره بدمشق ، ثم انهزم ، وعاد إلى مصر ، وخرج الملك الأفضل خلفه حتى وصل بلبيس فتطارح عليه ، وسأله فى الصلح فصالحه ، وعاد إلى دمشق ، وصدَّر هذا الكتاب إليه ، ولقيه فى الطريق ، وهو عائد » (٢)

ويبدو أن الأفضل قد رأى فى هذه الجولة ما لم يكن قد رآه من قبل فى عمه العادل ، أو بالأحرى ما لم يكن يريد تصديقه إذ وضع ثقته كاملة فى عمه لكنه اكتشف أنها ثقة فى غير موضعها .

ويؤكد عماد الدين الأصفهانى الكاتبُ أن : « الأفضل لازم صيامه وقيامه وقلل شرابه وطعامه ، وحَسُنَ شعارُه واستوى ليله ونهاره ، ووزيره الجزرى قد بُلِيَ الناسُ

---

(١) السابق ٦ / ١٢٤

(٢) نشرة المقدسى / ٢٩٧ .

منه ببلايا ، وهو فى غفلة عن تلك القضايا . وكان يدخل إليه ويوهمه من قبل أقوام أنهم عليه وأنهم يميلون إلى أخيه فيصدقه الأفضل فيما يدعيه . فصار يَبْلُغُ العادلَ عنه أحوالٌ ما تعجبه بل تغضبه . . . **وكان العادل بمصر مشتوطنا للقصر فوعد الجماعة بازالة يد الوزير الجزرى ورده إلى بلاده** ، وقرر مع العزيز تسيير عسكره معه إلى الشام ليمهد له قاعدة الملك فى سائر بلاد الإسلام فأخرج العادل العساكر إلى بركة الجب ، وخرج العزيز لتشييعه وذلك مستهل ربيع الأول » (١)

وقد تدخل بعض أبناء البيت الأيوبى لإصلاح ذات البين بين الأخوين : الأفضل نور الدين والعزيز عثمان ، **لكن النية كانت مبيتة بين العادل وابن أخيه العزيز على خلع الأفضل عن دمشق ، وليس ضياء الدين الجزرى وحده** (٢) .

وقد علم الأفضل ما اعتزمه عمه وأخوه : « ولما انصرفت رسل الظاهر من مصر بما طلبوا مرُّوا بدمشق ، فأعلموا الملكَ الأفضلَ بما أُبْرِمَ من الأمر ؛ فضاق صدره ، وطال فكره . واستشار أصحابه فأشار عليه شيوخ الدولة بأن يستقبل أخاه وعمه ، ويُسَلِّمُ لهما حكمه وأشار الجزرى وأصحابه بالتصميم على المخالفة وترك المجاملة والملاطفة . . . **فلما رأى الأكابر وشيوخ الدولة أن الأفضل لا يسمع من رأيهم ، وأنه عازم على المحاربة ، ولا يعدل عن رأى وزيره ، مع ما قد عرفه من شؤم تدبيره ، شرعوا فى إصلاح أمورهم فى الباطن ، فراسلوا العزيز والعادل** (٣)

يقول العماد الأصفهانى الكاتب : « فلما ملك العزيز دمشق أقام أياما بالميدان الأخضر الكبير إلى أن انتقل الأفضل من القلعة بأهله وأصحابه ، **وأخرج وزيره الجزرى مُخفًى فى صناديقه إشفاقا عليه من قتله وتحريقه وتحول الأفضل تلك الأيام إلى مسجد خاتون وما يجاوره ومعه وزيره فهرب ليلا إلى بلاده وقد ادخر فيها أموال دمشق وأعمالها ثلاث سنين** » (٤)

---

(١) الروضتين فى أخبار الدولتين ٤ / ٤٢٧ ، وراجع النجوم الزاهرة ٦ / ١٢٤

(٢) السابق ٤ / ٤٢٨ .

(٣) السابق ٤ / ٤٢٩ و ٤٣٠ .

(٤) السابق ٤ / ٤٣٠ ، والنجوم الزاهرة ٦ / ١٢٤

وقد تابع العماد - فى هذا القول - غير واحد من الباحثين ، فلم يقتصر ذيوع هذه التهمة على بعض المصادر القديمة التى أمسكت فيها كما تمسك النار بالهشيم ، بل امتد أثرها إلى غير واحد من الباحثين فى عصرنا الحالى .

يقول د. زغلول سلام : « وحرص ضياء الدين أثناء توليه زمام الأمور فى دمشق مع الأفضل على اقتناء الأموال . قال ابن الجوزى : إنه أخذ أموالا كثيرة مما ادخره من أموال دمشق وأعمالها ثلاث سنين ، وهرب بها إلى بلاده » (١)

ويقول د. مصطفى جواد ، ود. جميل سعيد فى مقدمتهما لتحقيق كتاب ابن الأثير « الجامع الكبير » : « أجل هرب نصر الله بن الأثير بالأموال التى اخْتَجَنَهَا من مملكة الأفضل إلى الموصل » (٢)

بل إننا نجد كثيرا من الاستخفاف ، وإهمال التاريخ عند كارل بروكلمان حينما يقول فى ترجمته لابن الأثير : « وأوغروا صدر أخيه الملك العزيز عليه ، فحمل عليه فى دمشق ٥٩٠ هـ ، وطرده منها سنة ٥٩٢ هـ ، وحصره فى ولاية صرخد . وقد هرب وزيره من وجه أهالى دمشق بعد أن هددوه بالقتل ، وتوجه إلى مصر . وعندما استولى الملك العادل أخو صلاح الدين بعد وفاة العزيز ٥٩٢ هـ - ١١٩٥ م على مصر التى كان قد احتلها الأفضل لوقت قصير اضطر ابن الأثير إلى الاختفاء بعض الوقت » (٣)

وفى هذا الكلام من الأخطاء الكثير بدءا بقوله : إنه توجه بعد هروبه من دمشق إلى مصر ، ومرورا بأن وفاة العزيز كانت سنة ٥٩٢ هـ ، وانتهاء بقوله : إن الأفضل احتل مصر لوقت قصير ، وأن ابن الأثير اضطر إلى الاختفاء بعض الوقت بعد استيلاء العادل عليها .

وقد أهمل هذه الفترة باحثون آخرون ممن أرخوا أو ترجموا للضياء بن الأثير .

---

(١) ضياء الدين بن الأثير . د. محمد زغلول سلام ، ص ٣٩ و ٤٠ . دار المعارف - القاهرة ، ط ٢ .

(٢) مقدمة الجامع الكبير ص ٢٥ . واحتجن : اقتطع . اللسان فى (ح ج ن) .

(٣) تاريخ الأدب العربى ، كارل بروكلمان ، ص ٢٧١ - ٢٧٤

من بين هؤلاء د. عمر فروخ فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » ، ود. شوقى ضيف فى كتابه « عصر الدول والإمارات : الجزيرة العربية - العراق - إيران » ، وأنيس المقدسى فى مقدمة نشرة « رسائل ابن الأثير » التى ترجم فيها لابن الأثير فيما لا يزيد على نصف الصفحة [(١)]

يبدو أن أغلب هذه الأمور قد اعتراه التلفيق والهوى ، فليس ابن الأثير ضياء الدين هو الذى ضلَّ ، وأضلَّ مخدومه الأفضل نور الدين عليًا ، إنما الواضح من استبطان نصوص التاريخ أن الأمر كانت وراءه الأطماع التى تسببت فى دوام الصراع داخل البيت الأيوبى . حتى إنه لم يَبْقَ ملكا محافظا على ملكه إلا الظاهرُ غازى صاحب حلب . بل إننا نكاد نزعم أن الصراع الحقيقى كان بين أبناءِ صلاح الدين من جهة ، وعمهم العادل من جهة أخرى .

فالواضح أن كل هذا الرهج ، وهذه التهمة الملصقة بصاحبنا أساسها واحد هو العماد الكاتب ، وإلا فمن « أين جاءت هذه التهمة ، وما الدليل الذى يوثقها ؟ . ابن واصل فى مفرج الكروب ٣ / ٦٥ يوردها منقولة عن العماد الكاتب دون تعليق . ، وأبو شامة المقدسى فى الروضتين . . . يوردها منقولة عن رسالة العماد الكاتب المفقودة والمعروفة بالعتبى والعقبى . وابن الفرات سقطت أوراق من تاريخه فى هذا الموضع من أحداث سنة ٥٩٢ فلم يوردها . وابن تغرى بردى الأتابكى ذكرها باختصار فى النجوم الزاهرة . . . منقولة عن العماد الكاتب الأصفهانى . كذلك أوردها سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان . . . باختصار ناقلا القصة عن العماد الكاتب .

مصدر هذه التهمة الشائنةِ واحدٌ فى كل المراجع التاريخية وهو العماد الكاتب . وحين نعرف ما بين العماد وابن الأثير من خصومة فإن هذا الاتهام يصبح موضعَ شكٍّ وشبهةٍ » [(٢)]

---

(١) تاريخ الأدب العربى من القرن الخامس الهجرى إلى الفتح العثمانى ، د. عمر فروخ ، ٣ / ٥٣٥ - ٥٤١ ، ط ٥ . دار العلم للملايين - أكتوبر ١٩٨٩ م ، و سلسلة تاريخ الأدب العربى [٥] ، عصر الدول والإمارات : الجزيرة العربية - العراق - إيران ، د. شوقى ضيف ص ٤٥٠ و ٤٥١ ، ط ٣ ، دار المعارف - القاهرة ١٩٩٠ م ، ونشرة أنيس المقدسى ص ٩ .

(٢) نشرة القيسى - ناجى ١ / ١٦ .

والراجح أن أساس المشكلة يكمن فى أن الأفضل لما استقر له الملك « بعث بهدايا سنية إلى باب الخليفة الناصر ، من ذلك سلاح ابيه وحصانه الذى كان يحضر عليه الغزوات ، ومنها صليب الصلبوت الذى استلبه أبوه من الفرنج يوم حطين ، وفيه من الذهب ما ينيف على عشرين رطلا مرصعا بالجواهر النفيسة ، وأربع جوارٍ من بنات ملوك الفرنج . وأنشأ له العماد الكاتب كتابا جافلا يذكر فيه التعزية بأبيه ، والسؤال من الخليفة أن يكون فى الملك من بعده ، فأجيب إلى ذلك »[١]

لقد كانت هذه الاستجابة مدعاة أساسية لحدوث الصراع داخل البيت الأيوبى حتى تتحدد شخصية مَن سيخلف السلطان صلاح الدين فى مملكته ، أما وقد حسمها الأفضل سياسيا مع الخليفة العباسى فى بغداد ، فإن المواجهة العسكرية والدهاء هما العاملان الأساسيان فى توضيح الموقف

من هنا لابد أن يظهر كل واحد منهم مدى قوته وقدرته على الاحتفاظ بما تحت يده . وانحصر الصراع المعلن بين الأفضل والعزيز ، لكن كانت هناك صورة أخرى لهذا الصراع ، تمثلت فى دهاء العادل صاحب الدور الأكبر مع أخيه السلطان فى تثبيت أركان البيت الأيوبى .

يرى الأفضل أنه أكبر أبناء السلطان ، وهو الأولى بمكان أبيه ليحكم أرجاء السلطنة من خلال كرسى حكمه فى دمشق التى حكم أبوه دولته منها سنوات عديدة . والواضح أن العزيز كان مقتنعا بأن من يحكم مصر يكون أولى بسدة الحكم من غيره لذا اتخذ ابن الأثير وما يفعله ذريعة لإقصاء الأفضل عن دمشق ، ولا نستبعد أن يكون تشويه صورة الأفضل - ووصفه بأمور لا تليق بابن السلطان صلاح الدين - متعمدا ؛ حتى لا يلام العزيز فيما سيفعله مع أخيه . سواء جاء هذا اللوم من داخل البيت الأيوبى ، أو من خارجه .

لذلك جهز العزيز جيوشه ، وحاصر دمشق ، فتخوف المجتمعون بها أن يملك دولة أبيه فاتفقوا « على حفظها علما منهم أن العزيز إن ملكها أخذ بلادهم فلما رأى العزيز اجتماعهم علم أنه لا قدرة له على البلد فترددت الرسل حينئذ فى الصلح . . »[٢] .

---

(١) البداية والنهاية ١٣ / ٨ .

(٢) الكامل ١٠ / ٢٣٤

كان ذلك فى سنة ٥٩٠ هـ ، ويبدو أن هذا الصلح كان إعادة لتقسيم مناطق النفوذ تحت أيديهم ، ولم يكن ابن الأثير إلا قطرة فى بحر ، ولا قبل له بهذا الصراع بينهم . وإن كنا نلحظ أن شخصيته وسلوكه يميل إلى الوفاء لمخدومه (١) ، مع قناعة أنه هو الأولى بخلافة والده فى ملكه لذلك كان حاد القلم مع الملك العادل ؛ لأنه يكاد يعلم ، ومن خلال تلك الفترة التى عاش فيها بين بنى أيوب فى حياة صلاح الدين ، ما تضمره نفسه .

وقد وجدت بين رسائل ابن الأثير **نصين يؤكدان شدة قلمه فى حق الملك العادل** . صدر **أولها** بقوله : « كتاب كتبه عن الملك الأفضل على بن يوسف إلى الديوان العزيز النبوى عند الخروج من حلب ، وقصد دمشق والنزول على حصارها فى شوال سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وكانت مصر أجدبت ، وهلك أهلها مذ دخلها الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، واختلف الناس عليه بسبب سوء صنيعه إليهم ، ومالوا عنه إلى الملك الأفضل ، وهذا الكتاب لم يسيَّر إلى الديوان العزيز لأن الفتح لم يتسهَّل » (٢)

تتضح من خلال هذا الكتاب لغة ابن الأثير ، وما كان يضمره مخدومه تجاه عمه ، فهو لم يكن إلا ترجمانا لما يجيش به صدر الأفضل .

وأما **الكتاب الآخر** فقد صدره بقوله : « كتاب آخر ثالث كتبه عن الملك الأفضل إلى عمه الملك العادل ، وضمنه شرح حاله مع عمه . وذاك أنه لما توفى والده المولى السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى . ألقى بيده إلى عمه المشارِ إليه الملكِ العادلِ دون جميع إخوته ، وبذل جهده فى الإحسان إليه بنفسه وماله وعساكره ، فكان ثمرة ذلك أنه خدعه ، وانتزع دمشق منه ، ثم قدر الله تعالى بعد ذلك موتَ السلطان العزيز عثمان ابن الملك الناصر صلاح الدين صاحب مصر ، وملكها الأفضل أخوه من بعده ، فجمع العساكر ، وخرج إلى الشام ؛ فحصر عمه الملك العادل بمدينة دمشق مدة طويلة ، ثم انقلب الأمر عليه ،

---

(١) راجع رسالته إلى مجاهد الدين وفاء له . نشرة القيسى - ناجى ١ / ٦٣ وما بعدها .
(٢) نشرة القيسى - ناجى الرسالة رقم ٤٦ ، ١ / ١٢٥ و ١٢٦

واستولى الملك العادل على مصر ، وخلف لابن أخيه الملك الأفضل على بلادٍ بأرض الجزيرة ، ثم نكث به . وهذا أول الكتاب بعد البسملة :

نَدِمْتُ عَلَى أَمْرٍ مَضَى لَمْ يُشِرْ بِهِ
نَصِيحٌ ، وَلَمْ يَجْمَعْ قُوَاهُ نِظَامُ

ربَّ وثوقٍ يقود إلى الندم ، وتودد يدعو إلى التهم ، وقد يدل الحلم على صاحبه ، ويُطمِعُ فى جانبه . ولولا ذلك لما استلين عودى فَعُجِمَ ، واستضعف ركنى فَهُدِمَ . ولا أشكوه إلا إلى عمى وصنوِ أبى الذى نَفَرُهُ نفرى ، وهو الذى قَلَبَ فُوَاقِى على وترى ، وعلَّمنى التظلُّم من الأيام ، وأرانى ضوء النهار بعين الإظلام . ولقد أضاع فى أحسابه ، وخالف فى قطع رحمى سنة الله وكتابه ، وجعل أيامى منه كيوم البعث الذى يتناكر الناس فى أنسابه وأسبابه . . . » [(١)] .

فهذه الرسالة ترصد بكل دقة وصدق ؛ الحال التى وصل إليها الأفضل نور الدين بعد أن انتزع عمه منه ملك دمشق أولا ، ثم ملك مصر ، وها هو ذا ينتزع منه ملك البلاد الفراتية ، وهذا النص هو أصدق تعبير عما يجيش بصدر الأفضل ووزيره الضياء بن الأثير ، فكلاهما رُزِئَ بمستقبله ؛ الأفضل رُزِئَ بضياع ملكه ، وابن الأثير رُزِئَ بضياع طموحه ، وما كان يأمل فى أن يصل إليه فى دولة الابن الأكبر للسلطان صلاح الدين الأيوبى . لهذا كانت حِدَّةُ القلمِ واضحةً ، ومن هنا أيضا كان ينبع بغض العادل لابن الأثير .

الأمر أكبر من ابن الأثير إذا نظرنا إلى التناول التاريخى بعين أخرى محايدة غير تلك التى كتبت تاريخ هذه الفترة . لأن – ويا للأسف – بعض المؤرخين ، حتى فى عصرنا الحالى ، يكتبون تاريخنا تحت تأثير الهوى الشخصى . وقِلَّةٌ أولئك الذين يرصدون تاريخ الشعوب والدول بدقة .

المهم أن ابن الأثير اتهم بخيانة الأمانة وهروبه ، ومعه أموال دمشق وأعمالها التى اختزنها لمدة ثلاث سنوات . والمعلوم أن الذى تولى أمر تهريبه داخل صندوق هو الأفضل ، وأقر أنه أخذ جميع مال دمشق مبرئا ساحة ابن الأثير .

---

(١) نشرة هلال ناجى الرسالة رقم ١٢ ، ٢ / ٩٩ وما بعدها .

السؤال الآن : كيف يهرب ابن الأثير داخل صندوق بأموال دمشق وأعمالها ثلاث سنين ؟.

ألا تحتاج هذه الأموال إلى إبل تحملها ، وإلى حراس يحرسونها ؛ حتى تصل إلى المكان الذى يقرر السارق أن تصل إليه . الأهم من ذلك ؛ أنه توجد رسالة فى ديوان رسائله ، أرسلها إلى شقيقه بالموصل ، وَخَوَّفَه القبضَ عليه ؛ فإنه كان لايقطع طريقا وسط بلد ، إنما يمشى من خارج البلاد يصدر ضياء الدين كتابه بقوله : « كتاب كتبه عن نفسه إلى أخيه بالموصل ، بعد أن خرجت دمشق عن يد مخدومه الملك الأفضل على بن يوسف ، وأخرج إلى حصن صرخد ، وسار هو على أثر ذلك إلى الموصل ، وأرسل هذا الكتاب من أثناء الطريق ، وكان طريقه على البر دون البلاد » (١)

ويواصل ضياء الدين رسالته فيقول : « لكن أذكر من الأحوال التى تخصنى طرفا على سبيل الاختصار . . . وذاك أنه لما فتح البلد ؛ رمانى الأعداء عن يد واحدة ، وأخذونى بأكباد حارة ، وأغراض باردة . وما نقموا علىَّ إلا أنى حفظت وأضاعوا . وعصيت شيطان النفاق وأطاعوا ، وأجمعت المسير فى يوم طوله ترقُّب الوقوع فى حبائل الأرصاد وعزيمَة إذا عنَّ لها بحر الأهوال ؛ كانت له سفينة ، وهمة يقصر عندها المدى المتطاول ، ولا ينظر عاقبةً فيما يحاول . فسرت غير متكثرٍ برفيق ولا صاحب فلا ظل إلا ظل ذابل أو جواد . ولا سمير إلا ظهر ربوة أو بطن واد . ولقد وطئت أرضا لا عهد لها بخفٍّ ولا حافر » (٢)

يتضح من خلال هذا الكلام أن ضياء الدين بن الأثير لم يكن له من رفيق فى هذه الرحلة سوى راحلته التى قاسمته عناء سفره ، وقطع المسافات الطوال مخافة اللحوق به . لكنه يسلى نفسه فى هذه الرحلة العصيبة بشجاعته وشدة عزيمته التى لا تخشى ركوب الأهوال .

ويضيف مؤكدا أنه لم يكن أمامه وقت للراحة يقول « فلم أَحْلُلْ وَضِينًا

(١) نشرة القيسى - ناجى الرسالة رقم ٣٠ ، ١ / ٩٩ .

(٢) السابق الرسالة رقم ٣٠ ، ١/ ٩٩ و ١٠٠

ولا غرضا ، ولا سئمتُ طولا ولا عرضا . ولم أرح ركابى إلا ريثما نأكل عُلالة ، ونتقمم من بقايا الزاد حثالة » (١)

ويمضى قائلا : « لكنْ رقبت أسباب المخافة ، وأشفقت من نفاد الزاد لبعد المسافة ، فأخذتها بالإعمال الدؤوب ، وأفت بين أشباحها وبين السهوب . . . ثم وردت الفرات أجرُّ الركاب وكأنما تمشى على أبصارها ، وفى الأكباد حرارة أوام لا تقى حمته بإطفاء نارها ، فعند ذلك حرمت ظهورها على الرحال » (٢)

ثمَّ ها هو ذا يحكي عن حالة البؤس التى وصل إليها عندما وصل أرض الخابور ، ويلوذ بالبكاء ، ولم يعد بنفسه من الصبر شىء ، ويزيد عذابه – إضافة لما أصابه من الهم والحزن والهرب خشية القتل – فراقه الأفضل على ما بينهما من الود والصحبة ، وما فعله معه من تقديمه على من سواه لهذا كان البكاء ، وإفلاس القدرة على مواصلة المسير فى طريق هربه من دمشق إلى الموصل

يقول ابن الأثير « ثمَّ نزلت أرض الخابور ؛ فعزبت الأرواح ، وشرقت الجسوم ، وحصل الإعدامُ من المَسَارِّ والإثراءُ من الهموم ، وطالبتنى النفس بالعود والقدرة مغلسة وأويت إلى ظل الآمال ، والآمال مشمسة ، وتبلد خاطرى ، وبراعة المشتاق أن يتبلد ، وفزعت إلى الدموع ، وأجدر بلوعة تطفئ الدمع أن تتوقد ، وناديت صبرى ؛ فما أجاب . وفندت جزعى فما تفند ، وما يلام محزون فارق جنة وحريرا ، وترك نعيما وملكا كبيرا . . . وليس الأسى على مال ، وإن فارقت منه مغربه . ولا على جاه ، وإن خلعت رداء معلما ، وأياما مذهبة . بل على صحبة ملكٍ قدمنى على أصحابه وإن كنت متأخر الصحبة ، وغادرنى من برِّه فى وطن ، وإن كنت مقيما فى دار غربة ، وبسط لى قلبا ولسانا ويدا ، وأفسد نظرى علىَّ ؛ فلم أرَ بعده أحدا . ولقد كنت أجفوه فلا يجفو ، وأكدر عليه فيصفو . ومتى طلبت جزيلة أعطاها ، وإن رأى حسنة كشفها ، أو رأى سيئة غطاها » (٣)

---

(١) السابق / ١٠٠

(٢) السابق الصفحة نفسها .

(٣) السابق ص ١٠٠ و ١٠١

بل ويزيد تعذيبه نزوله أرض الخابور التى يكاد يقول فى وصفه لها : إنها قطعة من جهنم ، ويقرر بعد وصوله سنجار أن يبقى فيها غريبا ، ويقول إنه أصدر هذا الكتاب : « فى الخميس الرابع والعشرين من شعبان » (١)

هذه هى حال ضياء الدين بن الأثير بعد تهريبه خارج دمشق فى صندوق ، ومواصلته رحلة الهرب وحيدا شريدا يكابد الأهوال ، ويمر بالجبال والقفار وحده ، بلا رفيق يخفف عنه وطأة الرحلة وعذابها . إذن كيف يهرب ابن الأثير ؟. بل كيف نصدق ماقاله العماد الأصفهانى ، وما نقله عنه النقلة دون تفنيد لادعاء سرقة ابن الأثير حصاد دمشق وأعمالها ثلاث سنين ؟!.

وأَتَفِقُ مع د. نورى حمودى القيسى وهلال ناجى فى مقدمة نشرتهما لرسائل ابن الأثير فى قولهما : « ومثل هذا الاستنتاج المنطقى يرد التهمة عن ابن الأثير . وهو يكشف أن إخراج الأفضل من الشام كان مقررا بين العادل والعزيز . أما أقوال العماد الكاتب فقد ذهب ابن واصل وابن الفرات إلى أنها تَقيَّة من العادل ، ونقول إن اتهامات العماد لابن الأثير موضع شبهة ، ولا يمكن التسليم بها بسبب الخصومة بينهما ، فقد أورد ابن واصل ما مثاله : قال عماد الدين « وجاءنى الخبر أن وزيره قد قرر عنده عند قُرْبِ العساكرِ من البلد نَهْبَ دورى وأملاكى فاستأذنت الملك العزيز فى الدخول إلى البلد ، فأذن لى على كراهية فلما دخلت البلد اجتمعت بالملك الأفضل ، وقلت له القول الأفضل ، فأبى أن يسمع أو أن يقبل ، وحرمت فى حظىَّ الثانى والأول » (٢)

ومن مجانبة الصواب قول د. عرفة حلمى عباس : « وهرب ضياء الدين مختفيا خشية بطش العادل به وتنتهى إلى حد كبير الآمال العريضة التى كان يتمناها ضياء الدين بن الأثير لنفسه كرجل دولة له شأنه ، ولم يمض على مجيئه إلى دمشق من بلده الموصل مهاجرا أكثر من أربع سنوات » (٣)

---

(١) السابق ص ١٠١

(٢) نشرة القيسى - ناجى ١ / ١٤ و ١٥

(٣) ضياء الدين بن الأثير : دراسة فى تراثه النثرى ص ١١

ووجه الخطأ فى قوله إنه لم يمض أكثر من أربع سنوات ؛ إذ إن ابن الأثير قد أقام ملازما للأفضل كما ذكرنا من سنة ٥٨٢ هـ حتى سنة ٥٩٢ هـ ، أى ما يقرب من السنوات العشر ، أو يزيد قليلا ، وليس كما ذكر د. عرفة

ومما ينافى الحقيقة قول د. زغلول سلام : « وصحب ضياء الدين الأفضل إلى « صرخد » ، ويقال : إنه خرج من دمشق إلى الموصل ، ثم عاد فلحق بالأفضل فى « صرخد » ، وتبادل معه قبل اللحاق به بعض الرسائل » (١)

وقد سار د. عرفة حلمى عباس فى هذا الاتجاه فى قوله « وصحب ضياء الدين الأفضل إلى صرخد سنة ٥٩٢ هـ لا إلى مصر كما زعم بروكلمان ، وجورجى زيدان ، والدكتور مصطفى جواد » (٢)

كذلك فقد أهمل ابن خلكان فى وفياته تلك الفترة من حياة ابن الأثير . يقول فى ترجمته التى تعتبر أما لكل من ترجم لضياء الدين : « ولما أُخِذَتْ دمشقُ من الملك الأفضل وانتقل إلى صرخد - حسبما شرحناه فى ترجمته - وكان ضياء الدين قد أساء العشرة مع أهلها وهموا بقتله . فأخرجه الحاجب محاسن بن عجم مستخفيا فى صندوق مقفل عليه ثم صار إليه وصحبه إلى مصر لما اسْتُدْعِيَ لنيابة ابن أخيه الملك المنصور » (٣)

وذلك لأن رسالة ابن الأثير التى كتبها إلى أخيه تحكى غير ذلك كما أسلفنا ، وأنه مضى فى طريق هروبه من دمشق وحيدا ، ولم يكن معه من صاحب سوى راحلته التى أخذ يقسو عليها ليغذ بها المسير خشية بطش المتربصين به ، واصفا خط سيره حتى وصل إلى الخابور ، ومنها إلى سنجار التى قرر أن يقيم فيها غريبا . وهذا يؤكد أنه لم يكن مع الأفضل فى صرخد بل والأكثر من ذلك أنه فى

هذه المرحلة من حياته لم يتصل بالأفضل إلا من خلال مراسلات ومكاتباتٍ كانت بينهما سواء منها ما يحمل ذكر الشوق وتمنى العود للعمل معا والصحبة ،

---

(١) ضياء الدين بن الأثير للدكتور زغلول سلام / ٤٠ .

(٢) ضياء الدين بن الأثير : دراسة فى تراثه النثرى ص ١١

(٣) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩٠

أوما يحمل منها عناية بشخص قصد ابن الأثير حتى يتوسط له عند الملك الأفضل لقضاء أمر من الأمور . ولم يلحق به إلا أثناء محاصرته عمه العادل فى دمشق بعد أن تولى ملك مصر ، وكان ذلك سنة ٥٩٥ هـ .

* * *

ابن الأثير فى الموصل ٥٩٢ - ٥٩٥ هـ

التحق ضياء الدين بخدمة مجاهد الدين قايماز الزينى أتابك الموصل . ولم يطل مقامه بسنجار رغم قراره البقاء فيها . يتضح ذلك من خلال رسالته التى كتبها عن نفسه إلى مخدومه مجاهد الدين صدّرها بقوله : « كتاب كتبه عن نفسه إلى الأمير مجاهد الدين قايماز زعيم الموصل . وكان بخدمته أولا قبل اتصاله بخدمة الملك الأفضل على بن يوسف ؛ فلما خرج من دمشق كتب إليه هذا الكتاب يعتذر فيه عن مفارقته إياه ، ويتلطف فى عَوْدِهِ إليه » (١)

وليس صحيحا أيضا أنه اتصل بخدمة الملك العادل نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل - كما ذهب إلى ذلك د. عرفة عباس - إذ الصحيح أنه التحق بخدمة قايماز الزينى أولا ، وطلبه بعد ذلك نور الدين ، أو رشحه له قايماز (٢)

ونجد فى ديوان ابن الأثير عدة رسائل أرسلها خلال هذه الفترة إلى الأفضل نور الدين يتحدث فيها عن ذكِر الشوق ولوعة الفراق ؛ راجيا أن يكون هناك توفيق لأداء الخدمة (٣)

إذن فالراجح أن ابن الأثير قد استقر فى الموصل - بعد أن ترك سنجار التى لم يطل مقامه بها على أثر هروبه من دمشق - فى الفترة من سنة ٥٩٢ هـ حتى ما قبل شهر ذى الحجة من سنة ٥٩٥ هـ .

---

(١) نشرة القيسى - ناجى ١ / ١٠١

(٢) ضياء الدين بن الأثير ، د. عرفة حلمى عباس / ١٢ ، ونشرة القيسى - ناجى ١ / ١٠٧ و ١٠٩

(٣) السابق ص ١٠٥ و ١٥٦ ، و المثل السائر ١ / ٢٦٢ و ٢٦٣ ، ٢ / ٢٤٠

بين دمشق ومصر ٥٩٥ - ٥٩٧ هـ

تشاء الأقدار أن يخرج العزيز عثمان بن صلاح الدين للصيد في الفيوم فعثرت قدما فرسه ، ويسقط على الأرض ، فتندق رأسه ، ويعود محمولا إلى القاهرة ؛ يصارع الحمى حتى مات سنة ٥٩٥ هـ « في العشرين من المحرم » [(١)]

علم كل من الملك الأفضل نور الدين على ، وعمه الملك العادل بوفاة العزيز . وقد انقسم الأمراء في مصر . فبعضهم يميل إلى العادل ، والبعض الآخر يميل إلى الأفضل . المماليك الأسدية يحبون الأفضل ، ويريدون أن يملكوه مصر خلفا لأخيه ، والمماليك الناصرية الذين هم مِلْكُ أبيه يكرهونه . فاجتمع فخر الدين جهاركس الذى كان يسير أمور الحكم في دولة العزيز وسيف الدين يازكج مقدم الأسدية ، وتم الاتفاق على أن يتولى الأفضل تسيير أمور البلد ، وأن يكون وصيا على الملك المنصور محمد بن أخيه العزيز ، وهو لايزال طفلا [(٢)]

وبعد دخول الأفضل القاهرة في سابع ربيع الأول عرف بهروب جهاركس ، وبتغلُّبِهِ على بيت المقدس وبأنَّ أتباعه من المماليك الناصرية لحقوا به ، وقويت شوكتهم . ومالوا إلى العادل ، « وأقام الأفضل بالقاهرة ، وأصلح الأمور ، وقرر القواعد والمرجع في جميع الأمور إلى سيف الدين يازكج » [(٣)] .

علم ضياء الدين بن الأثير بملك مخدومه الأفضل مصر ، فأرسل إليه يهنئه ، ويحذره من أن عمه العادل أرسل من يمنعه عن بلوغ مراده [(٤)] .

وما إن استقر الأفضل في مصر حتى : « وصل إليه رسول أخيه الملك الظاهر

---

(١) الكامل ١٠ / ٢٥٥ .

(٢) السابق ١٠ / ٢٥٦ ، والتاريخ المنصورى / ٧ وما بعدها .

(٣) السابق الصفحة نفسها .

(٤) نشرة القيسى - ناجى ١ / ٩٠ .

غازى صاحب حلب ورُسُلُ ابن عمه أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص يحثانه على الخروج إلى دمشق واغتنام الفرصة » (١)

فقد كان الهدف من وراء ذلك هو إبعاد العادل عن دمشق ، والاستيلاء عليها . فتجهز الأفضل لذلك ووصل إلى دمشق ، وحاصرها حصارا شديدا (٢) ، وحين ترامت هذه الأخبار السعيدة إلى أذن ابن الأثير جدَّ فى السير ، والتحق بصاحبه الأفضل تؤكد ذلك رسالته التى أرسلها إلى بعض الإخوان بالموصل من ظاهر دمشق فى ذى الحجة سنة خمس وتسعين وخمسمائة (٣)

يتضح من هذه الرسالة أن ابن الأثير رافق مخدومه الأفضل فى الرحيل إلى مصر ، وذلك بعد امتناع مدينة دمشق عليه ، فى الوقت نفسه استحثَ المماليكُ الناصريةُ الملكَ العادلَ على ملاحقة الأفضل ، « وساروا خلفه مرحلة مرحلة فنزل الأفضل بلبيس ، ونزل العادل السائح ، فرجع الأفضل وضرب معهم المصافَّ وتقاتلوا فانكسر الأفضل وتفرق عنه أصحابه ، ورحل إلى القاهرة وأغلق أبوابها » (٤)

ونجد بين رسائل ابن الأثير رسالة يكتبها عن الأفضل نور الدين مستنجدا بأخيه الظاهر غازى على عمه الملك العادل . يقول فى مقدمتها : « من فصل فى كتاب كتبه عن الملك الأفضل على بن يوسف إلى أخيه الملك الظاهر غازى ، صاحب حلب عند دخول عمه الملك العادل أبى بكر بن أيوب إلى الديار المصرية فى ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة » (٥)

وفى هذه الرسالة يستنجد ابن الأثير على لسان مخدومه الأفضل نور الدين على بالملك الظاهر غازى ، مؤكدا أنه إذا لم يسرع فى الإنجاد ضاع كل شىء ، واستولى الملك العادل - ليس على مصر فقط - إنما على ملك صلاح الدين .

كانت نتيجة هذا الصراع غير المتكافئ بين الأفضل غير المستعد للقتال ، وعدم

---

(١) الكامل ١٠ / ٢٥٧ .

(٢) السابق الصفحة نفسها .

(٣) نشرة القيسى - ناجى ١ / ١١١

(٤) النجوم الزاهرة ٦ / ١٥٠

(٥) نشرة القيسى - ناجى ١ / ١١٧ و ١١٨

إنجاد أخيه له ، والعادل الذى اجتمع بين يديه جنوده والمتحالفون معه ، إضافة إلى خيانة كثير ممن مع الأفضل له ، هى الهزيمة المحتومة « وجاء العادل فنزل البركة ودخل سيف الدين أزكش بين العادل والأفضل ، واتفقوا أن يعطيه العادل ميافارقين وجبل جور وديار بكر ويأخذ منه مصر » (١)

واتفق رحيل الأفضل عن مصر فى « ربيع الآخر ودخل العادل الى القاهرة . . . وقال للأفضل جميع من كان معك كاتبنى إلا سيف الدين أزكش » (٢)

وقد جانب الصواب د. عرفة عباس فى قوله : « ولم يطل مقام الأفضل فى مصر إلا شهورا معدودة » (٣) . فالراجح تاريخا أن الأفضل دخل القاهرة - ملكا أو وصيا على الملك - فى سابع ربيع الأول من سنة ٥٩٥ هـ ، وكان خروجه منها فى شهر ربيع الآخر من سنة ٥٩٦ هـ . أى أنه حكم مصر مدة عام وشهر .

وقد جانب الصواب بعض من ترجم للضياء بن الأثير فى هذه المرحلة من حياته ؛ فقد قرروا أن ابن الأثير خرج مع الأفضل من مصر . وفى مقدمتهم ابن خلكان إذ يقول فى وفياته : « ولما قصد الملك العادل الديار المصرية وأخذها من ابن أخيه ، وتعوض الملك الأفضل البلاد الشرقية وخرج من مصر ، لم يخرج ضياء الدين فى خدمته لأنه خاف على نفسه من جماعة كانوا يقصدونه ، فخرج منها مستترا . وله فى كيفية خروجه مستخفيا رسالة طويلة شرح فيها حاله ، وهى موجودة فى ديوان رسائله وغاب عن مخدومه الملك الأفضل مدة ، ولما استقر الأفضل فى سميساط عاد إلى خدمته » (٤)

وقد نقل عن ابن خلكان هذا الكلام محققا الجامع الكبير (٥)

ويترجم د. زغلول سلام لهذه الفترة العصيبة من حياة الضياء بن الأثير قائلا :

---

(١) النجوم الزاهرة ٦ / ١٥٠

(٢) السابق الصفحة نفسها .

(٣) ضياء الدين بن الأثير ، د. عرفة حلمى عباس ص ١٢

(٤) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩٠ و ٣٩١ .

(٥) الجامع الكبير / ٢٧

« فعاد الملك العادل من الشمال بعد وفاة العزيز ، وكان الأمل الذى يراوده بالانفراد بملك أخيه لا يزال يقوى ، ووجد الفرصة مواتية بوفاة صاحب مصر ، فأراد أن يملك مصر ، ويخلع عنها الأفضل ؛ لأنها بَيْضَةُ المُلْكِ وسُرَّتُهُ ، ومن امتلكها سيطر على بقية دولة صلاح الدين ولما علم الأفضل بوصول عمه إلى مصر ، وبنيّته فى خلعه هرب ، وفى أعقابه وزيره ضياء الدين متخفيا مرة أخرى ، ويقال إنه صحب الأفضل متخفيا للمرة الثانية إلى سميساط » [١]

ويقول فى كتاب آخر : « وخرج من مصر مع صاحبه الأفضل متخفيا بعد مجىء العادل » [٢]

ويقول د. عرفة حلمى عباس : « خرج الأفضل من مصر ، وفى أعقابه وزيره ضياء الدين متخفيا مرة أخرى ؛ خوفا من بطش العادل به » [٣]

ويقول د. نورى حمودى القيسى وهلال ناجى : « ورحل الأفضل إلى » صرخد « بعد اجتماعه بالعادل ، وكان ضياء الدين بن الأثير قد اتصل بالأفضل فى ظاهر دمشق أثناء حصارها ، ورافقه فى العودة إلى مصر بعد فك الحصار . فلما ملك العادل مصر ، ركب جملا ، وهرب خوفا على نفسه من العادل الذى دخل القاهرة فى الحادى والعشرين من ربيع الآخر عام ٥٩٦ هـ » [٤]

وقد أسقط بطرس البستانى الفترة مابين عامى ٥٩٢ - و ٥٩٥ هـ ، وهى مابين خروجه من دمشق ، والمدة التى التحق فيها بخدمة مجاهد الدين قايماز الزينى ، وصاحب الموصل ، إلى أن لحق بالأفضل أثناء حصاره دمشق [٥] .

---

(١) ضياء الدين بن الأثير د. زغلول سلام ص ٤٢ .

(٢) الأدب فى العصر الأيوبى ص ٢٢٤ .

(٣) ضياء الدين بن الأثير : دراسة فى تراثه النثرى . د. عرفة حلمى عباس ص ١٣ ، رسالة دكتوراة مخطوطة ، المكتبة المركزية تحت رقم ٧٤٥٤ .

(٤) نشرة القيسى - ناجى ١ / ٣٣

(٥) دائرة المعارف : قاموس عام لكل فن ومطلب ، ص ٣٧١ تأليف المعلم بطرس البستانى ، دار المعرفة - بيروت - لبنان .

ويقع د. شوقى ضيف فى خطأ تأريخى ؛ إذ يقول « وتتطور الظروف ، ويصبح الأفضل سلطانا على مصر ، فيلحق به سرا فى صندوق مقفل عليه خوفا من الدمشقيين أن يقتلوه ، ويظل نور الدين فى مصر عاما ، ويأخذها منه عمه العادل ، ويعوضه منها قلعة على الفرات تسمى سميساط ، ويخرج ضياء الدين وراءه مستترا إلى ولايته الجديدة » (١)

ووجه الخطأ فى قوله : إنه خرج فى صندوق مقفل من دمشق إلى مصر مسقطا بذلك الفترة بين عامى ٥٩٢ - ٥٩٥ هـ .

وقد وقع فى نفس الخطأ كارل بروكلمان فى قوله : « وقد هرب وزيره من وجه أهالى دمشق بعد أن هددوه بالقتل ، وتوجه إلى مصر ، وعندما استولى الملك العادل أخو صلاح الدين بعد وفاة العزيز سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م على مصر التى كان قد احتلها الملك الأفضل لوقت قصير ؛ اضطر ابن الأثير إلى الاختفاء بعض الوقت . وعندما استقر الملك الأفضل بسميساط معتمدا من ركن الدولة سليمان الثانى السلجوقى ؛ ذهب إليه ابن الأثير » (٢) وفى هذه الفقرة من الأخطاء والاضطراب الكثير بدءا من تأريخه له بأنه توجه من دمشق إلى مصر ، ومرورا بأن الأفضل احتلها لوقت قصير ، وانتهاء بقوله : إنه اختفى بعض الوقت .

وقد أهمل التأريخ لهذه المرحلة من حياة ضياء الدين بن الأثير آخرون ممن ترجموا له . نذكر منهم اليونينى فى ذيل مرآة الزمان ، والسيوطى فى بغية الوعاة ، ويوسف أسعد داغر فى مصادر الدراسة الأدبية ، وأحمد عطية الله فى القاموس الإسلامى ، ود. عمر فروخ فى تاريخ الأدب العربى (٣)

---

(١) سلسلة تاريخ الأدب العربى (٥) ، عصر الدول والإمارات : الجزيرة العربية - العراق - إيران ، د. شوقى ضيف ص ٤٥٠ ، ط ٣ ، دار المعارف - القاهرة ١٩٩٠ م .

(٢) تاريخ الأدب العربى كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية د. رمضان عبد التواب وراجع الترجمة د. السيد يعقوب بكر ٥ / ٢٧١ - ٢٧٤ ، ط- ٣ دار المعارف - القاهرة ١٩٨٣

(٣) ذيل مرآة الزمان من وقائع سنة ٦٥٤ هـ إلى سنة ٦٦٢ هـ ١/ ٦٤ و ٦٥ . بغية الوعاة للسيوطى ٢/ ٣١٥ الترجمة رقم ٢٠٦٤ . مصادر الدراسة الأدبية وفقا لمناهج التعليم الرسمية ١ / ٢١٥ من العصر الجاهلى إلى عصر النهضة ليوسف أسعد داغر . القاموس الإسلامى ، وضع=

فإذا كان المؤكد تاريخا أن الأفضل خرج من مصر فى شهر ربيع الآخر من سنة ٥٩٦ هـ ؛ فالراجح على كل ما سبق أن ابن الأثير لم يخرج من مصر إلا بعد خروج الأفضل بما يزيد على ستة شهور يؤكد ذلك ما ذكره ابن تغرى بردى الأتابكى فى قوله : « وقال أبو البركات بن المستوفى فى تاريخ إربل فى ترجمة ضياء الدين أبى الفتح نصر الله المعروف بابن الأثير الوزير الجزرى ما مثاله وجدت بخطه خطبا للملك العادل أبى بكر بن أيوب بالقاهرة ومصر يوم الجمعة الحادى والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة » (١)

ومن هذا نستنتج أن الملك العادل قد استكتب ابنَ الأثير بعد المصالحة التى تمت بينه وبين ابن أخيه الملك الأفضل نور الدين وخروج الأفضل إلى سميساط . وقد ظل الضياء بمصر إلى أن استقر الأفضل فى مكان ملكه الجديد بقلعة سميساط ، مع تخوفه من بطش العادل به ، وأنه لم يكن الكاتب الأول لديه . أضف إلى ذلك أنه لم يجد الراحة النفسية فى وجوده بجوار العادل ؛ مثلما يجدها فى اقترابه من الملك الأفضل الذى رافقه سنينَ طويلة ، يجد نفسه خلالها فى مكان الصدارة التى لا ينافسه ، ولا يضارعه فيها أحد ، و الأفضل نفسه - كما فعل أبوه الناصر صلاح الدين مع القاضى الفاضل - لم يقبل أن يزاحم ابنَ الأثير أحدٌ فيما اختصه به دون غيره .

وقد خرج ابن الأثير من مصر ، وله فى ديوان رسائله أكثر من رسالة تضم عبارة « بعد الخروج من مصر ، وبعد أن فارقت مصر » (٢)

وتعد رسالته التى كتبها إلى بعض الإخوان فى الموصل تأريخا دقيقا للفترة التى لحق بالأفضل فيها - وهو يحاصر دمشق - وما تلا ذلك من أحداث الصراع على مصر ، والمصالحة ، والخروج منها .

= أحمد عطية الله ١/ ٢٤ . تاريخ الأدب العربى من مطلع القرن الخامس الهجرى إلى الفتح العثمانى ، د. عمر فروخ ٣/ ٥٣٥ - ٥٤١ ، دار العلم للملايين ط- ٥ أكتوبر ١٩٨٩

(١) النجوم الزاهرة ٦ / ١٦٢

(٢) الرسائل ٣٨ و ٣٩ و ٤١ .

وقد صدَّر هذه الرسالة بقوله : « كتاب آخر كتبه إليه في جمادى الآخرة من هذه السنة بعد الخروج من مصر ، واستيلاء الملك العادل عليها » [١]

يصف ابن الأثير ما فعله العادل بعد أن تمكن بمساعدة ابنه الكامل من فك الحصار عن دمشق : « وفَوَّقَ سهمَ كيدهِ فسدد . ولقد ركب خطرا لا يسلم راكبه ، وإن سلم لا تسلم له مطالبه ؛ إلا أنه تهيأ له من صنع القدر ، ما لم يكن في وسع البشر ، فواتاه الزمان مبادرا ، وكان محصورا فأصبح حاصرا . وكنتُ قَدَّمْتُ إليه ذنبا لا أرجو معه عاقبة إغضائه ، واستسلفتُ منه دينا لا صبرَ على اقتضائه ، ففاجأني من هذا الأمر ما أَسْقَمَ وأَهْرَمَ ، وجلب إليَّ الهمّ من حيث أعلم ولا أعلم . . . ولما طمَّت هذه الحادثة كبرت عليَّ حتى توهمها عياني ، وصادف تلك الحوادث بالنسبة إليها أماني ، فعلمت حينئذ أن الحزم في التشمير ، ولم آت بالرأى الأول في الزمن الأخير ، فكتمت أمرى ، وخففت ظهرى ، وهونت ألا أكون في هذه السفرة من الغانمين » [٢]

ويمكن أن نستنتج من هذه الفقرة أن الضياء بن الأثير رغم اعترافه بأن إساءته في حق الملك العادل لا تغتفر ؛ فإن الملك العادل فاجأه بأنه أبقاه كاتبا عنده ، يتضح ذلك من قوله « **وكنت قدمت إليه ذنبا لا أرجو معه عاقبة إغضائه ، واستسلفت منه دينا لا صبر على اقتضائه ، ففاجأني من هذا الأمر ما أسقم وأهرم ، وجلب إليَّ الهمّ من حيث أعلم ولا أعلم** » . فابن الأثير قد أهمَّه الأمرُ كلَّ الهمّ ، وانشغل به لدرجة المعاناة ، و لما أحس من الملك العادل بالغدر وجد « أن الحزم في التشمير ، ولم آت بالرأى الأول في الزمن الأخير ، فكتمتُ أمرى ، وخففتُ ظهرى ، وهَوَّنْتُ ألا أكون في هذه السفرة من الغانمين » .

ويتابع ، فيصف هذا الخروج بما يشبه خروجه الأول من دمشق ، وأنه كان وحده بلا رفيق إلا راحلته . يقول : « وخرجت وقلت : ربِّ نجني من القوم الظالمين . ثم سرت وعلى الراحلة من عزمي ما بَزَّهَا ، ولو اهتزت الأرض من ثقلِ

(١) نشرة القيسي - ناجي ١ / ١١٣

(٢) السابق ١ / ١١٤

بَهَزَّهَا ، غير أنها طموح الزمام ، تذر المطىّ خلفها صفا وهى أمام . لا تخوّر السير بها جسما ، ولا بدل جهلها حلما . كأن لها منه مقاما مريحا ، أو مَرَادًا فسيحا . وأنا فوقها لا نجىّ إلا عَضْبُ الحدِّ وَلَدْنُ الكُعُوب ، ولا صاحب إلا بلغة العيش والسُّرى والسُّهُوب ، فأصبحت بالأهوال ، وأخا الشدِّ والترحال ، كأننى خلقت من إقدام ، وولدت على صهوةٍ أو سنام » (١)

ونجده فى هذه الرسالة يصف مصر وصفا رائقا ، قل أن نراه عند غيره من الناثرين ، فيؤكد أن المدة التى قضاها بمصر لم تكن لائقة بمقامها ، فهو لم يكد يراها حتى خرج منها . يقول ابن الأثير : « هذا والنفس معلقة بمصر ، فإنى لم أقم بها شيئا يمتع نظرى ، ولا يذهب وعثاء سفرى ، كأنها شوقتنى وما ذوقتنى ، وطالعتنى ثم قاطعتنى ولقد شاهدت منها بلدا يُشْهَدُ بفضله على كل البلاد ووجدته على الحقيقة هو المصر وما عداه فهو السواد . فما رآه راءٍ إلا ملأ عينه وصدره ، ولا وصفه واصف إلا علم أنه لم يقدره حق قدره . وبه من عجائب الآثار ما يضبط بالعيان ، فضلا عن الأخبار » (٢)

وإذا كانت – مصر جنة الله فى أرضه – قد أغرت ابن الأثير بأن ينضم إلى تلك الطائفة التى عشقتها ، فإنه يقرر الفرار خوفا من أن يبطش به العادل ، لأن إقامته بمصر – بين يدى العادل كاتبا – تستدعى منه الالتزام بما لم يتعوده فى حياته . فهو يتدلل على صاحبه ومخدومه الأفضل ، ولا يستطيع أن يفعل مع الملك العادل مثلما كان يفعل مع الأفضل فشبَّه مقامه فى مصر على هذه الحال بمن يمشى على الصراط . فكان قراره بالرحيل متخفيا ، فإن الإقامة على هذه الحال المظنون أنها جنة عند العادل جنون . ومن استبطان كلامه فى هذه الرسالة نجده يؤكد عظيم خطئه لأنه وافق على أن يكون كاتبا لدى العادل ، ولم يخرج مع صاحبه الأفضل

وأكد أنه رغم عشق مصر الذى تغلغل فى وجدانه فإنه رأى « مفارقتها عين الاحتياط ، فما يفى طيب الجنة بروعة المشى على الصراط ولئن ضلّ بها

---

(١) السابق الصفحة نفسها .

(٢) السابق ١ / ١١٤ و ١١٥

مقصدى ، وخبا سنا الكواكب الذى كنت به أهتدى ، فلا علىَّ إن أرسلت سهما فعصفت به ريحٌ عن غرضه ، فما أنا بأول من مُنى من الحظ بأسوده ، وقد أتى من القصد بأبيضه ، وإن سُرَّ بإيابى قوم ذوو ودادٍ ، وسىء به قوم ذوو أحقاد ، فما آب من خاب ، ولا غاب من بلغ الطلاب . وعلى كل حال ففى الأرض مضطرب ، وللرزق مطلب غير هذا المطلب ،

وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِى لا يُعَنِّينِى [(١)]

لكن كبر النفوس مغلبة بالرؤوس ، وما حمل على الشمل المبدد ، والنوم المشرد ، كقول القائل : اغترب تتجدد » [(٢)]

ويواصل الضياء تأريخه لهذه الفترة من حياته ، فى رسالة أخرى من رسائله إلى أخيه مجد الدين المبارك أبى السعادات بن الأثير . يقول فيها : « . . . وبعد : فلا شكَّ أن المولى يستطلع خبر هذه الحادثة على أصله ، وقد تضمنت هذه الأحرف ما يستدل ببعضه على كله ، وذاك أنه لما فارقنا ، وترك الأمور على ما بها من اختلاف الأمر ، فى حل زيد وعقد عمرو ، ولم يَخْفَ على ذى بصيرة أن بناءها يهدم وشيكا ، وأن أمر الملك لا يحتمل شريكا . . . فلما عدنا إلى الديار المصرية تفرقت العساكر فى مرتبعها ، وتناقلت عن مجتمعها ، فعلم العدو (يقصد الملك العادل) من أخبارها ، ما بعثه على غزوها فى عقر دارها . وكان الملك الأفضل قد أمسك نفسه بطرف البلاد ، فى طائفة من الأجناد » [(٣)]

وفى هذه الرسالة أيضا نجد ابن الأثير يشرح فى وصف مؤثر ما حدث لمخدومه الأفضل . مؤكدا أن الخيانة كانت سببا رئيسيا فى هزيمة الأفضل ، وانتصار العادل ، وأنه لولا هذه الخيانة والتخاذل ما انكسر ، وأنه لما لم يجد مفرا من التسليم ، سلم لعمه مصر ، ووافق على إتمام الصلح بينهما .

---

(١) عجز بيت لعروة بن أذينة ، وصدره : **أسعى له فيعنينى تطلبه** ، تجريد الأغانى ٥ / ١٩٧٥ ، والمستطرف فى كل فن مستظرف ١ / ١٥٧ .

(٢) نشرة القيسى - ناجى لديوان رسائل ابن الأثير ١ / ١١٦

(٣) السابق الصفحة نفسها .

يقول ابن الأثير في رسالته : « وهو يظهر قوة من ضعف ، ولا يجد بُدًّا من اللقاء ، ولو أنه في مائة عددا وعدوه في ألف ، وكان معه عصبية لئيمة مَرَّدَها إكرامُه ، وبطَّرها إنعامُه . فنزعتْ يوم الروع أسنتَها ، وأمسكت أعنتَها ، ففشا في القوم الفشل ، وتقطعت بهم الحِيَل ، ثم تخاذلوا عن حفظ السور ، وقعدوا عن الإتيان بالميسور » (١)

وبعد شرح هذا الموقف ؛ الذى تعرض له الأفضل نور الدين على بن صلاح الدين الأيوبى ، وما لاقى فيه من التخاذل والخيانة حتى إن عمه الملك العادل قال له بعد إتمام الصلح : « جميع من كان معك كاتبنى إلا سيف الدين أزكش » (٢) ؛ يؤكد الضياء بن الأثير أنه لم يكن من أولئك المتخاذلين حاكيا قصة خروجه من مصر ، فيقول : « وأما المملوك فلما فَجَأَهُ هذا الأمر تلكَّأ قليلا ثم أقدم ، واستسلم لقضاء الله وسلم ، وخرج خروج موسى صلوات الله عليه من المدينة ، ولم ينقله ذلك الانزعاج عن خلق السكينة ، ثم سار يلقى الليل من همِّه بمثل سواده ، والسير بصبره بمثل امتداده واستداده ، عالما أن الزِّمَاعَ قرن النُّوَب ، وأن البلادَ ليست بذى نسب ؛ فخيرها ما وافقك مكثه ، وأمسك حرثه . ولئن ترحَّلتُ عن مصر غريبا ؛ فقد أضحتْ من بعدى غريبة ، وغدتْ من محاسنها سليبة ، فلو استطاعت النطق لقالت وتأملت ، أو أمكنها الانتقال لسارت معى وما تلومت » (٣)

وفى هذا الموضع **نستجلى نقطة مهمة** لم نجد لها مصدرا غير كتابىْ « سير أعلام النبلاء » ، و « العبر فى خبر من غبر » للذهبى ، يقول فى عبارة واحدة فيهما دون أدنى تعقيب : « **وقيل : كان بينه وبين أخيه عز الدين مقاطعة ومجانبة شديدة** » (٤) .

ويبدو لنا من عدم تعليق الذهبي على هذا الخبر ، وتصديره هذه العبارة بكلمة : قيل أنه لم يكن موقنًا ، أو كان متشككا فيه .

---

(١) السابق ١ / ١١٧ .

(٢) النجوم الزاهرة ٦ / ١٥٠

(٣) نشرة القيسى - ناجى ١ / ١١٧

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٣ / ٧٣ ، و العبرفى خبر من غبر ٥ / ١٥٦

وأعتقد أن مرجع هذا الاستنتاج ومرده إلى أن عز الدين على بن الأثير لم يترجم لأخيه ضياء الدين ، ولم يذكره فى تأريخه لسنوات الصراع بين أبناء البيت الأيوبى : العادل ، والعزيز ، والأفضل . وبالبحث ثبت أن عز الدين عليًا لم يؤرخ لأبيه أثير الدين ، ولم نجده عنده إلا فى مواضع ذكره فيها على سبيل الاستشهاد والنقل عنه ، كذلك لم يترجم - لا ميلادا ولا وفاة - لأخيه الأكبر مجد الدين المبارك بن الأثير .

ومما سبق نستنتج أن عز الدين عليًا لم يترجم لأبيه أو لأخويه المبارك أبى السعادات و الضياء بن الأثير ، ليس إهمالا منه ؛ أو لقطيعة كما قيل ؛ إنما هى حيدة المؤرخ التى قلما نجدها فى مؤرخين كثيرين .

مع الأفضل فى البلاد الشرقية
(الرقة وحران وحصن سميساط)
٥٩٧ - ٦٠٨ هـ

يؤرخ الذين ترجموا للضياء بن الأثير بأنه لحق بالأفضل فى حصن سميساط بعد أن استقر له الملك ، وذلك على أثر الصلح الذى تم بينه وبين عمه الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى سنة ٥٩٦ هـ (١)

وقد تابع ابنَ خلكان فى هذا الأمر كلٌ من ترجم للضياء بن الأثير بعده . وقد ظل الضياء بجوار مخدومه فى تلك السنين العجاف التى استمر فيها الصراع قائما بين الأفضل وإخوته من ناحية ، وبين عمهم الملك العادل من ناحية أخرى .

تشجع الأفضل بعد أن علم نيَّة الأمراء المصريين ، وعدم رضائهم عما فعله العادل بخلع الملك المنصور بن العزيز عثمان ، وما أصاب مصر من القحط والغلاء . وقد ازداد الأمر سوءا بغضبة الأمراء المصريين ، وإضمار النية على عدم الطاعة للملك العادل . ولم يقتصر التفكير على ذلك ؛ إنما تعداه إلى مراسلة الظاهر غازى صاحب حلب ، والأفضل نور الدين بحصن سميساط أخوىْ العزيز عثمان ؛ قاطعين العهد على أنفسهم بالوقوف معهما ضد العادل (٢)

لقد علم العادل بما بيَّته له ابنا أخيه الظاهر غازى زوج ابنته ، والأفضل نور الدين فلم يكن أمامه بدٌّ من المواجهةَ وذلك بعد أن استقبل الأفضلُ أحدَ رجال الملك العادل ، وبعد إحسانه وفادتَهُ طلب منه أن يكون معه على عمه ؛ فحلف له تَقِيَّةً ، واستجلاء للأمر (٣)

---

(١) راجع وفيات الأعيان ٥ / ٣٩١ .

(٢) راجع النجوم الزاهرة ٦ / ١٥٢ ، العبر فى خبر من غبر ٤ / ٢٩٥ و ٢٩٦ ، والبداية والنهاية ١٣ / ٢٧ وما بعدها .

(٣) راجع الكامل ١٠ / ٢٦٩

وللضياء بن الأثير رسالة فى ديوانه كتبها ، وهو بالقرب من حلب ، وذلك لأن الأفضل علم باتجاه ابن عمه الملك المعظم عيسى نحو صرخد ، فرحل هو باتجاه حلب عند أخيه الظاهر غازى ، وقد صدَّرها بقوله : « كتاب مختصر كتبه عن نفسه إلى الملك الظاهر غازى بن يوسف بن أيوب صاحب حلب عند المسير من حصن صرخد إليه فى خدمة مخدومه الملك الأفضل على بن يوسف ، وذلك فى جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وكان المسير على طريق البرِّ من جانب رحبة بنى عنزة ؛ فأرسله الملك الأفضل من أثناء الطريق ليسبقه إلى حلب ، ويعلم بوصوله ، فسير هذا الكتاب إلى الملك الظاهر ، وهو بالقرب من حلب يوم وصوله إليها » (١)

وقد تزامن ذلك مع صد الملك العادل رسولاً من خواص الظاهر غازى الذى لم يجد أمامه بدًّا من الاستعداد لحصار دمشق (٢)

ومع اتجاه الخارجين على المعظم عيسى بن العادل إلى أخى الأفضل بحصن صرخد (٣) ، اتفق الأخوان على الكتابة إلى الملك العادل نور الدين أرسلان شاه ؛ وقاضى القضاة ضياء الدين الشهرزورى . وبين رسائل ابن الأثير رسالتان تتضمن أولاهما استنجادا بالملك العادل نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل . أما الثانية فهى موجهة إلى « القاضى ضياء الدين الشهرزورى ، وهو إذ ذاك قاضى القضاة ببغداد ، وكلفه أن يعرض هذا الأمر على الديوان العزيز النبوىّ وكان هذا القاضى ضياء الدين قبل أن يلى القضاء ببغداد فى خدمة الملك الأفضل بدمشق ، وقبله فى خدمة والده الملك الناصر » (٤)

وقد وجدنا رسالة بين رسائل ابن الأثير ، تحمل بشائر النصر على الملك

---

(١) نشرة القيسى - ناجى ١ / ١١٩

(٢) راجع الكامل ١٠ / ٢٦٩ .

(٣) راجع السابق ١٠ / ٢٧٠ ، والتاريخ المنصورى ١ / ١٤ وما بعدها ، والعبر ٤ / ٢٩٥

(٤) نشرة القيسى - ناجى ١ / ١٢٠ وما بعدها

العادل ، وقد صدَّرها بقوله : « كتاب كتبه عن الملك الأفضل عليّ بن يوسف إلى الديوان العزيز النبويّ عند الخروج من حلب ، وقَصْدِ دمشقَ والنزولِ على حصارها في شوال سنة سبع وتسعين وخمسمائة وكانت مصر أجدبت ، وهلك أهلها مذ دخلها العادل أبو بكر بن أيوب ، واختلف الناس عليه بسبب سوء صنيعه إليهم . ومالوا عنه إلى الملك الأفضل . وهذا الكتاب لم يسيَّر إلى الديوان العزيز لأن الفتح لم يتسهَّل » (١)

وهو فى هذه الرسالة يعدد ما حدث منذ بدء الحصار ، والاستفتاح بالنصر ، ثم يفرغ بعد ذلك ليشرح ما فعله مخدومه من نشر العدل بين الناس ، منتهيا إلى تعديد المثالب والمساوىء التى أحدثها الملك العادل فى هذه البلاد ، ويبدو أن ذلك كان سببا رئيسيا فى خوف ابن الأثير من البقاء بجوار العادل ، وإيثاره الهرب من مصر على البقاء فيها ؛ خوفا من أن يبطش به العادل فى أى وقت (٢)

لكن الأهم من كل ذلك أن الفرقة دبت بين الأخوين ؛ فقد اختلفا لسبب أو لآخر ؛ إذ نجد أن الذهبى يحكى عن هذا الخلاف الذى نشب بينهما ، وأنه كان من صنع العادل الداهية ، وكانت هذه الوقيعة سببا فى استقرار الأمور على الصلح (٣)

وقد رحل الأفضل بعد أن اجتمع بعمه الملك العادل عن دمشق عائدا إلى البلاد التى اتفق مع عمه على تسلمها ، ومعه فى رحلته هذه ، كاتبه وصاحبه ضياء الدين ابن الأثير ، ونجد أن الضياء يؤرخ لهذه الفترة من حياته وحياة مخدومه الأفضل فى عدة رسائل ، وذلك بدءا من المصالحة التى تمت بين الملك العادل وبين ابن أخيه الأفضل ؛ حتى وصوله فى نهاية المطاف إلى مستقره النهائى فى هذه المرحلة من حياته مع مخدومه الملك الأفضل نور الدين على ، وهى حصن سميساط (٤)

كاتب له هذا الخيال الخصب ، والتوق إلى الحياة الرغدة التى عاشها الضياء ابن

---

(١) السابق ١ / ١٢٤

(٢) راجع السابق ١ / ١٢٥

(٣) راجع العبر ٤ / ٢٩٦ ، و الكامل ١٠ / ٢٧١

(٤) راجع نشرة القيسى - ناجى ١ / ١٣٠ وما بعدها ، وهى الرسائل رقم ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ .

الأثير ، سواء فى كنف والده منذ سنى طفولته الأولى ، أو فى مرحلة الشباب التى قضاها فى الموصل ، ثم فى دمشق أيام الناصر صلاح الدين ، متمتعا بما يراه من انتصارات المسلمين على الفرنج والصليبيين فى الشام ، كذلك ما انقضى من عهد الشباب فى خدمة الأفضل وزيرا له بدمشق ، آملا فى أن يكون وزيره ، وصاحب ديوان إنشائه فى سلطنة عظيمة الأرجاء .

كل هذه الحياة التى عاشها ؛ مع كثير من الطموح ، ثم يجد ضياء الدين نفسه تارة فى حصن صرخد ، وتارة أخرى ينتهى به المطاف إلى حصن سميساط وكلاهما حصنان جبليان أثارا الحزن فى نفس صاحبنا ، فعبر عن هذا الحزن فى رسالتين يؤكد من خلالهما مدى بغضه للإقامة بهما .

يقول فى الرسالة الأولى : « . . . وأنا أشرح له أحوالى ، فإنها مما تزيد القلوب صدأً . وليس بمنكر أن تغدو خبرا إن كانت الحوادث له مبتدأ . وقد عدلْتُ الآن عن شكوى الزمن المليم ؛ إلى شكوى المكان الذى أنا به مقيم . وكيف لا أشكو أرضا منيت بقلة خيرها ، وشؤم طيرها . فلا يوجد بها جار إلا البوم ، ولا زاد إلا الهموم ،

أَرْضٌ خَلَعْتُ اللَّهْوَ خَلْعِى خَاتَمِى
فِيهَا ، وَطَلَّقْتُ السُّرُورَ ثَلاثَا

وقد كان القلب يسكن ، والمقام يمكن . قبل أن يلقى الشتاء رحله بساحتها ، وتأخذَ أَكُفُّ الغيثِ فى سماحتها . . . وجملة الأمر أنه لا يزال جفن السحاب بها ساكبا ، وإن بدا خدُّ الشمس فلا يبدو إلا شاحبا »[(١)]

ولم تكن الإقامة بحصن سميساط أفضل حالا عن الإقامة بحصن صرخد ؛ إذ إن إقامة الضياء فى سميساط كانت من الأمور التى تثير شجنه وهمه ، خاصة أن حزن قلبه ، قد امتد إلى رأسه ، فأشعله شيبا . وقد صدّر هذه الرسالة بقوله : « كتاب كتبه عن نفسه إلى بعض الإخوان بالموصل جوابا عن كتابه ، وسُيِّر إليه من حصن سميساط . . . »[(٢)]

---

(١) نشرة القيسى - ناجى ١ / ١١٨ ، الرسالة رقم ٤١

(٢) السابق ١ / ١٣٧ ، الرسالة رقم ٥٦ .

ثم يواصل ابن الأثير ذمه للدنيا فيقول : « وأعجب ما فيها أن صاحبها يُحسد على ما يُرحم من أجله . . . ومن ذميم فعلها المعدود فى باب ثنائها ما تجنيه من المشيب على من تغمره من أبنائها ، وقد فجأتنى بذلك والعهد قريب ، والغصن رطيب ، ورواء الشباب عجيب فذوى نبت الرأس والماء جارٍ فى عوده . وأخلق لباس الصبا ، ولم تخرج يد صانعه مِن حَوْكِ بُرُودِه ؛ ولئن قدمت طليعته قبل أوان قدومها . فغيرُ بدعٍ للمرتقى فى سماء المعالى أن تعممه بنجومها . وإذا نظر فى ذلك إلى صحة القياس ، وجد شيب الفؤاد سرى إلى شيب الراس ، ولقد أذكى همومى وأخمد هممى ، وأحدث التغير فى كل شىء إلا شِيَمِى » [١] .

لقد كانت بداية الضجر من حياة الحصون نذيرًا للضيق والتأفُّفِ من البقاء فى خدمة الأفضل نور الدين . إذ بدأ يضيق صدره من مقامه فى هذا المكان وقد زادت حياة ضياء الدين سوءا واختناقا بعد أن وصله خبر وفاة أخيه الأكبر مجد الدين المبارك أبى السعادات بن الأثير [٢] وازداد الأمر سوءا بوفاة أبيه ، الذى لم نجد أى تأريخ لميلاده أو لوفاته . وإن كانت المصادر تؤكد أن وفاة مجد الدين المبارك كانت فى سنة ٦٠٦ هـ ، فعلى هذا تكون وفاة الأثير بعد وفاة ابنه الأكبر

تسرب اليأس إلى نفس ابن الأثير ، ولم يعد يحتمل الإقامة فى خدمة الأفضل . فقرر مفارقته . وتَرْصُدُ إحدى رسائله هذا الضيق القاتل الذى وصلت إليه حاله ، وما أصابه من اليأس بعد أن ركن الأفضل إلى الدعة ، ولم يعد يشغله فى حياته طموح إلى استعادة ملك أبيه ، واكتفى بالإقامة القاتلة ، والعزلة المميتة فى حصن سميساط غيرَ عابىءٍ بما يجرى حوله ، أو بكونه فى خدمة عمه الملك العادل ، أو فى خدمة غيره . تستوى فى ذلك خدمته لصاحب الموصل أو لصاحب الروم . وهو فى هذه الرسالة يبدى تبرما على ما فات من عمره فى خدمته دون أن يحقق طموحه فى جواره ، مؤكدا أنه وجد هناءه وسعادته بعد فراقه

وبعد مقدمة الرسالة ، وذكر الأشواق ، وبيان مناقب المرسل إليه ؛ يقول

---

(١) السابق ١ / ١٣٨

(٢) راجع نشرة القيسى – ناجى ١ / ٨٥ ، الرسالة رقم ١٦

الضياء : « . . . والصابر على صحبتكم كمن لاك الصبر فى فمه ؛ فإذا نزح عنها وجد حلاوة العيش فى مشربه ومطعمه . . . وربما تصفَّح قولى هذا من تحمله كثرة الحذلقة ، على كثرة المخرقة ؛ فيقول : لقد أخطأ فلان فى اختيار الفراق ، وها نحن قد حظينا دونه بسعة الأرزاق ، وأقمنا تحت ظل هذا السلطان فى صيف الشآم وفى شتاء العراق ، ولا يجاب هذا القائل إلا بالإعراض عن جانبه ، وإن أجيب فَيُحَالُ على ما يكتب على القبر وهو بركة لصاحبه . . . والغبن كل الغبن فى ذكر ما مضى لي من الخسارة ، وإنفاق العمر فى الذى لا عوض عنه غير إنفاق ما عنه عوض من الدرهم والدينار ، وعلى كل حال فأنا الملوم إذ طمعت أن أستثمر حنظلة ، وأستجدى جندله ، وأستولد أملا لم أحصل على المأمول فيه إلا على مبخلة . . . » (١)

وبهذه الرسالة تنتهى العلاقة بين ابن الأثير ومخدومه الأفضل نور الدين ، وبها ما بها من ذم وتعريض بالأفضل والفترة التى انقضت هباء وهو فى خدمته ، رائيا أنه بهذا التصريح لم يُسِئ إليه ؛ إنما ذِكْرُ الحقِّ دائما ثقيل على نفوس الناس .

* * *

(١) نشرة المقدسى / ٢٤٠ و ٢٤١

العودة إلى الموصل من ٦٠٨ هـ

لقد أرخ المترجمون لحياة ضياء الدين بن الأثير فى هذه الفترة من حياته ، بأنه ظل فى خدمة الأفضل بحصن سميساط حتى سنة ٦٠٧ هـ ، ثم ترك خدمته إلى أخيه الملك الظاهر غازى . وفى هذا يقول ابن خلكان : « ولما استقر الأفضل فى سميساط عاد إلى خدمته ، وأقام عنده مدة ثم فارقه فى ذى القعدة من سنة سبع وستمائة ، واتصل بخدمة أخيه الملك الظاهر صاحب حلب ، فلم يطل مقامه عنده ولا انتظم أمره وخرج مغضبا ، وعاد إلى الموصل » (١)

ويبدو أن الداعى لمقولة : إن ابن الأثير قد ترك خدمة الأفضل فى سنة ٦٠٧ هـ هو وجود رسالة بين رسائله كتبها عن نور الدين أرسلان شاه فى نشرة أنيس المقدسى مؤرخة فى نفس السنة ، وقد كتب خطأ أنها كتبت فى محرم سنة ٦٠٨ هـ ، وقد أشار د. نورى حمودى القيسى وهلال ناجى أنهما راجعا هذا التاريخ على الأصل المخطوط ؛ فوجدا أن الصواب هو : ٦٠٧ هـ وليس كما وجد فى نشرة المقدسى (٢)

وإذا كان من المؤكد تاريخا أن وفاة نور الدين أرسلان شاه كانت فى رجب سنة ٦٠٧ هـ (٣) ؛ فالراجح أن تكون هذه الرسالة قد كتبت فى شهر المحرم من السنة نفسها

لكن الأكيد أن ابن الأثير قد غادر سميساط ، تاركا خدمة الأفضل نورالدين على فى سنة ٦٠٨ هـ ، وليس قبل ذلك كما قال ابن خلكان ، ومن تابعه قديما وحديثا . يرجح هذا القول تلك الرسالة التى كتبها ابن الأثير عن مخدومه الأفضل نور الدين فى سنة ٦٠٨ ، وهو رسوله إلى صاحب الروم ، وقد صدَّرها بقوله : « كتاب كتبه عن نفسه إلى مخدومه الملك الأفضل أبى الحسن على بن يوسف ، وقد سيَّره

---

(١) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩١ . وشذرات الذهب ٣/ ١٨٨ . وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٧٣ . والعبر فى خبر من غبر ٥ / ١٥٦

(٢) نشرة القيسى - ناجى ١ / الهامش فى ٣١ . وراجع نشرة المقدسى / ٢٥٧ وما بعدها .

(٣) راجع الكامل ١٠ / ٣٥٣ .

رسولا إلى صاحب الروم من حصن سميساط ، وذلك فى سنة ثمان وستمائة ، فكتبه إليه من بعض الطريق ، وكان الزمان شتاء يصف البرد » (١)

وعلى وجه الاعتقاد ، نكاد نرجح مما تحت أيدينا من مصادر أن هذه هى آخر رسالة كتبها ابن الأثير عن الأفضل نور الدين . وقد وجدنا فى سنة ٦٠٨ هـ أيضا رسالة لابن الأثير كتبها عن الملك الظاهر غازى صاحب حلب ، وقد صدَّرها بقوله : « كتاب كتبه عن المولى السلطان الملك الظاهر غياث الدنيا والدين غازى بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب - رحمهم الله تعالى - إلى الديوان العزيز النبوىِّ ببغدادَ جوابًا عن كتاب ورد منه مبشرًا فى سنة ثمان وستمائة عن الطائفة الإسماعيلية أنها أسلمت بحصون ألموت من بلاد العجم ، وهم الحاكمون على حصون الذين بالشام منهم بجبل السماق » (٢)

مع ما سبق يمكن القول : إن الرسائل التى كتبها الضياء بن الأثير سواء عن الظاهر غازى أو عن الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه قبل سنة ٦٠٨ هـ كانت أثناء زيارات له إلى حلب أو الموصل

ما يعنينا فى الأمر أنه بعد أن ترك خدمة الأفضل لم يقرَّ له قرارٌ ؛ سواء فى حلب أو الموصل ؛ حيث لم يُطِلْ المُقامَ فى حلب لما رأى حيطةَ صاحبها فى تعامله معه ، يستوى فى ذلك خوفه من أن يجر عليه القلق فى ملكه ، أو مخافة أن يثير خواصه وقواده من معاملة مميزة يختصه بها ، « فلم يطل مقامه عنده ولا انتظم أمره وخرج مغضبا وعاد إلى الموصل » (٣)

فمن بين رسائله نجد رسالة كتبها عن الملك القاهر عز الدين مسعود إلى الملك الأشرف موسى بن العادل يعزيه بوفاة أخيه الملك الأوحد (٤) . وقد كانت وفاة الملك الأوحد فى ربيع الأول سنة ٦٠٩ هـ (٥)

---

(١) نشرة ناجى لرسائل ابن الأثير ٢ / ١٠٤

(٢) السابق ٢ / ١٤٣

(٣) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩١ .

(٤) راجع نشرة المقدسى / ١٩٧ ، و ١٩٩

(٥) راجع البداية والنهاية ١٣ / ٦٤

وهذه الرسالة تؤكد أن ابن الأثير قد استقر فى الموصل بعدما ترك حلب منشئا لصاحبها عز الدين مسعود .

ومن بين رسائله رسالة مهمة ، أملاها على ابنه الشرف محمد لتكون مقدمة لكتابه الذى ألفه لصاحب الجزيرة العمرية ، وقد صدَّرها بقوله : « رسالة أملاها على صديق له ، سأله أن يمليها عليه ؛ ليضعها فى مقدمة كتاب جمعه فى أوصاف الصَّبُوح ، وجعله باسم الملك المعظم معز الدين أبى القاسم محمود بن سنجر شاه صاحب الجزيرة العمرية فى سنة عشرة وستمائة » (١) .

ويذكر ابن خلكان نقلا عن ابن المستوفى قوله : « وذَكَرَهُ أبو البركات ابن المستوفى فى تاريخ إربل وبالغ فى الثناء عليه وقال ورد إربل فى شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وستمائة » (٢) .

وفى سنة ٦١٢ هـ يملى على الأمير علاء الدين محمود بن الأمير الكبير المنعم مجاهد الدين يرنقش صاحب سنجار رسالةً إلى الملك الأشرف موسى . وقد صدر ابن الأثير هذا الاستملاء بقوله : « وطلب منه الأمير علاء الدين محمود بن الأمير الكبير المنعم مجاهد الدين يرنقش العمادى أن يملى عليه كتابا يكتبه عن نفسه إلى الصاحب مجد الدين البهنسى وزير السلطان الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى أمر أملاكه المنتزعة منه ببلد نصيبين وبلاد الخابور الجارية فى مملكة السلطان الملك الشرف ، وذكر ذلك فى معرض السؤال فى سنة اثنتى عشرة وستمائة فى شهر رجب » (٣)

ويواصل ابن خلكان ترجمته التى اعتمد عليها كل من أرخ لحياة الضياء بن الأثير فيقول : « وعاد إلى الموصل فلم يستقم حاله ، فورد إربل فلم يستقم حاله فسافر إلى سنجار ثم عاد إلى الموصل واتخذها دار إقامته ، واستقر وكتب الإنشاء لصاحبها ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه

(١) نشرة المقدسى / ٢٤٥ .
(٢) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩٦ .
(٣) نشرة ناجى لرسائل ابن الأثير ٢ / ١٨١

وأتابكه يومئذ الأمير بدر الدين لؤلؤ أبو الفضائل النورى وذلك فى سنة ثمانى عشرة وستمائة » (١)

وإذا كان ابن خلكان ومن تابعه يؤكدون أن ابن الأثير قد عاد إلى الموصل ، واستقر بها ، وكتب الإنشاء لصاحبها ناصر الدين بن القاهر عز الدين مسعود وذلك فى سنة ثمانى عشرة وستمائة ، فإن هذا يعد من سبيل مجانبة الصواب ، إذ إن الثابت تاريخا أن وفاة الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه كانت فى سنة ٥١٥ هـ « ليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الأول ولما حضرته الوفاة اوصى بالملك لولده الأكبر نور الدين ارسلان شاه وعمره نحو عشر سنين . وجعل الوصىَّ عليه والمدبِّرَ لدولته بدر الدين لؤلؤ ، وهو الذى كان يتولى دولةَ القاهر ، ودولةَ أبيه نورِ الدين قبله » (٢)

وبعد صراع على حكم الموصل بين عماد الدين زنكى عم نور الدين أرسلان شاه الثانى ، وبين بدرالدين لؤلؤ أتابك نور الدين ، ينحسم الأمر لصالح بدر الدين لؤلؤ ، وفى ذلك يكتب ابن الأثير رسالة عنه إلى الديوان العزيز تتضمن « هزيمة عماد الدين زنكى شاه بن مسعود تحت حصن العقر » (٣)

وقد أفرزت هذه الهزيمة إقرارا للصلح القديم بين بدر الدين لؤلؤ وبين مظفر الدين كوكبرى صاحب إربل « ولما تقرر الصلح توفى نور الدين أرسلان شاه بن الملك القاهر صاحب الموصل وكان لا يزال مريضا بعدة أمراض ، فرتب بدر الدين فى الملك بعده أخاه ناصر الدين وله من العمر نحو ثلاث سنين ، ولم يكن للقاهر ولد غيره » (٤)

والثابت تاريخا أن هذا الصراع دار فى النصف الثانى من سنة ٦١٥ هـ وانتهى فى شهر المحرم سنة ٦١٦ هـ ، وهذا يؤكد أن الضياء كان فى خدمة صاحب الموصل

(١) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩١

(٢) الكامل ١٠ / ٣٨٢

(٣) نشرة المقدسى / ٦٠

(٤) الكامل ١٠ / ٣٨٦

وأتابكه قبل هذا التاريخ أى أنه عاد من سنجار إلى الموصل ، واستقر بها منشئا للملك القاهر عز الدين مسعود ، وظل فى خدمة ابنه نور الدين أرسلان شاه الثانى ، وأخيه ناصر الدين محمود ، وأتابكه بدر الدين لؤلؤ ، وليس كما ذهب الذاهبون إلى أن ذلك كان فى سنة ٦١٨ - كما قال ابن خلكان - ، أو سنة ٦١٦ - كما ذهب إلى ذلك د. عرفة حلمى عباس - (١)

لقد تجدد طمع مظفر الدين صاحب إربل ، وعماد الدين زنكى « لما توفى نور الدين وملك اخوه ناصر الدين لصغر سنه فجمعا الرجال وتجهزا للحركة فظهر ذلك وقصد بعض اصحابهم طرف ولاية الموصل بالنهب والفساد » (٢)

ونجد بين رسائل ابن الأثير رسالة تتضمن شكوى بدر الدين لؤلؤ إلى الديوان العزيز (٣) والراجح أن تكون هذه الرسالة قد كتبت سنة ٦١٦ هـ ، أو سنة ٦١٧ قبل مجىء الملك الأشرف ، وذلك لان الثابت تاريخا أن الملك الأشرف توجه إلى الموصل بعد أن ملك سنجار ، وأتى رسل الخليفة ورسل مظفر الدين فى طلب الصلح وإعادة القلاع إلى بدر الدين ، وقد تسلم الأشرف عماد الدين زنكى رهنا حتى يتم تسليم القلاع « فإذا سلمت أطلق زنكى وأعيد عليه قلعة العقر شوش وحلفوا على هذا وسلم الأشرف إلى زنكى القلعتين ، وعاد إلى سنجار وكان رحيله عن الموصل ثانى شهر رمضان من سنة سبع عشرة وستمائة » (٤)

وبعد مساندة الملك الأشرف لبدر الدين لؤلؤ ؛ فإن الأخير أراد أن يثبت له مدى ولائه ، وقد ظهر ذلك واضحا بعد هروب ابن المشطوب من مصر وخروجه إلى الشام « وآلت حاله إلى أن حوصر فى شهر ربيع الآخر بتل يعفور القلعة التى بين الموصل وسنجار ، فراسله الأمير بدر الدين لؤلؤ أتابك صاحب الموصل ، ولم يزل يخدعه ، ويطمئنه إلى أن أذعن للانقياد ، وحلف له على ذلك ؛ فانتقل إلى

(١) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩١ ، وضياء الدين بن الأثير : دراسة فى تراثه النثرى ص ١٦

(٢) الكامل ١٠ / ٣٨٦ .

(٣) نشرة المقدسى / ٦٩

(٤) الكامل ١٠ / ٣٩٠ .

الموصل ، وأقام بها قليلا ، ثم قبض عليه ، وذلك فى سنة سبع عشرة وستمائة ، وأرسله إلى الملك الأشرف مظفر الدين بن الملك العادل ، وإنما قبض عليه تقربا إلى قلبه . فإن خروجه فى هذه الدفعة كان عليه فاعتقله الملك الأشرف فى قلعة حران وضيق عليه تضييقا شديدا » (١)

وبين رسائل ابن الأثير رسالة ، وجهها إلى الملك الأشرف موسى بن الملك العادل متضمنة حادثة القبض على ابن المشطوب ، وكانت هذه الحادثة سببا رئيسيا فى توجه الملك الأشرف إلى الموصل ، فقد سجن بدر الدين لؤلؤ عمادَ الدين بنَ المشطوب فى سجن الموصل ، وقد تسلمه منه الملك الأشرف . يقول صاحب « الكامل » : « وأخذ ابن المشطوب معه الى الموصل فسجنه بها ، ثم اخذه منه الأشرف فسجن بحران الى ان توفى فى ربيع الآخر سنة تسع عشرة وستمائة ولقَّاه الله عقوبة ما صنع بالمسلمين بدمياط » (٢)

وقد صدَّر الضياء هذه الرسالة بقوله : « كتاب كتبه عنه أيضا - بدر الدين لؤلؤ - إلى الملك الأشرف موسى بن أبى بكر بن أيوب ، يتضمن حادثة عماد الدين أحمد بن على المعروف بابن المشطوب ، وهو أمير من أكبر أمراء الأكراد الهكارية » (٣) .

ويأتى عام ٦٢٢ هـ الذى يمكن أن نسميه عام الفاجعة ، فَقَدْ فَقَدَ فيه الضياء ولدا ، كان يعدُّه لقابل أيامه ذخيرة ، إذا عدت عليه نوائب الزمن . لكن يد القدر كانت أسبق إليه .

يقول ابن خلكان عن هذا الفقيد فى وفياته ؛ ملحقا ترجمته بترجمة أبيه : **« وكان لضياء الدين ولد نبيه ، له النظم والنثر الحسن ، وصنف عدة تصانيف نافعة من مجاميع وغيرها . ورأيت له مجموعا جمعه للملك الأشرف بن الملك العادل بن أيوب ، وأحسن فيه ، وذكر فيه جملة من نظمه ونثره ورسائل أبيه . ومولده بالموصل فى شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة . وتوفى بكرة نهار الاثنين**

---

(١) وفيات الأعيان ١ / ١٨١ ، والكامل ١٠ / ٣٨٨ .

(٢) الكامل ١٠ / ٣٨٩ .

(٣) نشرة المقدسى / ٦٣

ثانى جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وستمائة واسمه محمد ولقبه الشرف رحمه الله تعالى » (١)

وإذا كان ابن خلكان قد ذكر أنه جمع مجموعا للملك الأشرف ، فإن أباه كتب له مقدمة كتاب آخر سماه « غرة الصباح فى أوصاف الاصطباح » ، صدرها بقوله : « رسالة أملاها على صديق له . سأله أن يمليها عليه ؛ ليضعها فى مقدمة كتاب جمعه فى أوصاف الصبوح ، وجعله باسم الملك المعظم معز الدين أبى القاسم محمود بن سنجر شاه صاحب الجزيرة العمرية فى سنة عشرة وستمائة » (٢)

ومن تصانيفه كتاب « الأنوار فى نعت الفواكه والثمار » ، قال الصفدى فى تاريخه : « هو عندى بخطه » ، وكتاب « روضة النديم» ، وكتاب « غرة الصباح فى أوصاف الاصطباح » (٣)

لاشكَّ أن الوفاة الباكرة لابنه الشرف محمد قد تركت جرحا غائرا فى نفس ابن الأثير ، وساعدت عوامل الشيخوخة على أن تترك أثرا واضحا فى ملامحه وجسمه ، فنجده يتخذ عصا يتوكأ عليها ، ويورد ابن خلكان جزءا من رسالة يصف فيها ابن الأثير العصا ، فيقول : « وله من جملة رسائله فى ذكر العصا التى يتوكأ عليها الشيخ الكبير ، وهو معنى غريب ، وهذا لمبتدأ ضعفى خبر ، ولقوس ظهرى وتر ، وإن كان إلقاؤها دليلا على الإقامة ، فإن حملها دليل على السفر » (٤)

ويأتى أول شعبان من سنة ٦٢٣ هـ ، فيخرج الضياء رسولا إلى بغداد مؤديا واجب العزاء فى وفاة الخليفة الظاهر بأمر الله الذى توفى « فى هذه السنة فى الرابع عشر من رجب . . . فكانت خلافته تسعة أشهر وأربعة عشر يوما » (٥)

ومن الثابت أيضا أنه « لما توفى الظاهر بأمر الله بويع بالخلافة ابنه الأكبر أبو جعفر المنصور ولقب المستنصر بالله » (٦)

---

(١) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩٧ .
(٢) نشرة المقدسى / ٢٤٥
(٣) نشرة القيسى - ناجى ١ / ٤٠ .
(٤) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩٤ .
(٥) الكامل ١٠ / ٤٦٤ . وراجع نشرة المقدسى ١٨٦ .
(٦) الكامل ١٠ / ٤٦٥

لقد خرج الضياء معزيا ، حاملا بيعةَ مخدومه وطاعتَه إلى الخليفة الجديد ، فهى رسالة تحمل فى جزء منها العزاء ، وفى الجزء الآخر التهنئة ، ومن هنا كان الإبداع فيها (١)

ومن المعلوم أن هناك تحالفا مقاما بين الملك الأشرف موسى وبين بدر الدين لؤلؤ . وقد ظهر ذلك جليا فى رسائل ابن الأثير . وتمتد هذه الرسائل فى نشرة المقدسى متناولة الفترة بين عامى ٦٢٢ و ٦٢٨ هـ ، ما بين تحذير من سلطان الخوارزمية جلال الدين منكبرتى إلى نائب الأشرف ، وبين إعلام للديوان العزيز ، وأخرى تهنئة بانكسار الخوارزمى (٢) .

ومن بين رسائله رسالته التى يصف فيها العصا (٣) ، وقد جاوز السبعين من عمره ، يقول فيها ابن الأثير : « لم يتأخر كتابى عنه إلا لأنه يمشى مشى مرسله ، أو مشى قلمه ومِقْوَلِهِ ، وكلاهما قد استبدل من جِماحه بالحَيران (٤) . ولربما تعدى شيب الرأس إلى القلم واللسان . وقد قيل : إن الشيب حلة من غير خلَّة ، ومن يجاوز السبعين اشتكى من غير علَّة . وكفى بالصحة داء لمن طالت مدة عمره ، وبالراحة تعبا لمن لزم وكره فيقلُّ عليه التردد إلى وكره . وقد أصبحت ، وليس لى أربٌ فى إرب ، ولا أُعَدُّ فى نَبْعٍ ولا غَرَب . فكل أحوالى قد آلت من عجب إلى عجب . فلاعصا فى يدى أدعم بها قدمى ، وأهشُّ بها على سنين كثيرة من عمرى لا على غنمى . فهى لقوس ظهرى وتر ، ولمبتدا ضعفى خبر ، وإذا كان فى إلقائها طمأنينة مقام ففى حملها إنذار بسفر . وما أقول إلا أنها رِجْلٌ ثالثة ، لكنها تثبط عن الانبعاث . . . » (٥)

ثم يتذكر ابن الأثير أيام الشباب معددا أحوالها ، ومغانيها ، يقول : « ومما

---

(١) راجع نشرة المقدسى / ١٨٧

(٢) السابق من ص ١٧ حتى ص ٦٠ ، وراجع البداية والنهاية ١٣ / ١٣٢

(٣) السابق / ١٢٢ ، وتاريخ الخلفاء / ٤٦٠

(٤) الحيران : المضطرب المتردد التائه ، اللسان فى ح . أ . ر.

(٥) راجع نشرة المقدسى / ١٢٢ و ١٢٣

زادنى علاوة على حملى أنى لا أخلو من تذكُّر أيام الشباب التى كانت فى فرصها مقانص حبالة ، وفى مواسمها فلتات جهل ولا عيش إلا ما حبتك به الجهالة ، فأوطار أيامه المحمودة لا تزال تجاهى ... ويكفيه فضلا أن الأوطان لم تكن محبوبة إلا لأن أوطاره تقضى فى أكنافها ، ولولا ذلك لكانت كغيرها من بقاع الأرض فى مُرْتَبَعِهَا ومُصْطَافِهَا ، ... ولقد صدق القائل فى قوله :

ما كنتُ أُوفِى شَبَابِى كُنْه غِرَّتِهِ
حَتَّى مَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ (١)

(١) السابق / ١٢٣ ، والبيت من البسيط لمنصور النمرى فى تجريد الأغانى / القسم الثانى / ١ / ١٤٨٣

تلاميذه

كما لم يحدثنا من أرخوا للضياء بن الأثير عن أساتذته ، فكذلك لم يخبرونا عن تلاميذه . وإن كان من الممكن استنتاج من تتلمذ على يديه . يأتى فى مقدمتهم ابنه الشرف محمد.

وإن كان كمال الدين بن الشعار هو الوحيد الذى أخبرنا عن أساتذته فى ترجمته الملحقة بوفيات الأعيان ، فإنه - للأسف كما لم يخبرنا غيره - لم يخبرنا بأسماء تلامذته ، وإن كان يصرح بأن هناك من كان يختلف إليه

يقول ابن الشعار : « ولما اتصل ببدر الدين لؤلؤ كان مدة مقامه بالموصل مشتغلا بالتصنيف ، وجماعة من الناس يختلفون إليه ، ويقتبسون من فوائده » (١)

ويمكن أن يكون مرد ذلك أن ابن الأثير كان معتدا بشخصيته ، واثقا بنفسه ؛ غير عابىء بمثل هذه الأمور .

ويفسر ابن الشعار عزوف الناس عنه بقوله : « إنه كان كثير الحماقة ، متناقض الأحوال ، متهورا فى أموره ، سفيه اللسان ، جَبَّاهًا لمن يخاطبه ، ولو كان ملكا أو سلطانا ، ممقوتا إلى الناس ، شرس الأخلاق ، سريع الغضب ، متكبرا فى نفسه ، ذا عجب عظيم وصلف زائد ، و [ما] (٢) كان بطىء القريحة ، جامد الخاطر ؛ بل إنه كان جيد الروية ، صحيح الفكرة . إذا رام كتابة كتاب أغلق باب داره ، وأدام الفكر ، ويكتب ، ويخرق ما يكتبه ، ويعاود النظر فيه زمانا طويلا » (٣) .

---

(١) وفيات الأعيان ٧ / ٣٣٥ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق « المحقق » .

(٣) وفيات الأعيان ٧ / ٣٣٥ .

وفاته

لقد ألف الضياء بن الأثير مؤلفاته كافة فى الفترة التى أقام فيها بالموصل ، منذ التحاقه بها منشئا . فلم يكن هناك ما يشغله من الأمور ، ولا الطموح القديم الذى ظل يطارده ، وهو فى خدمة الأفضل نور الدين ، ويدخل كتابنا هذا « الوشى المرقوم فى حل المنظوم » بين كتبه التى ألفها فى تلك الفترة . وإن كنا لا نستطيع أن نحدد الزمن الذى ألف فيه هذا الكتاب .

ويظل الضياء منشئا لبدر الدين لؤلؤ زعيم الموصل ، يرسله فى سفرات إلى خارج الموصل رسولا عنه ، حتى يأتى عام ٦٣٧ هـ ؛ فيرسله بدر الدين لؤلؤ فى سفرته الأخيرة إلى بغداد رسولا للديوان العزيز النبوى ، وتوافيه المنية بها .

وينقل ابن خلكان عن ابن الإربلى قوله : « وتوفى فى إحدى الجمادين سنة سبع وثلاثين وستمائة ببغداد ، وقد توجه إليها رسولا من جهة صاحب الموصل ، وصلى عليه من الغد بجامع القصر ، ودفن بمقابر قريش فى الجانب الغربى بمشهد موسى ابن جعفر رضى الله عنهما »[(١)] . ويقول ابن تغرى بردى : « إنه توفى فى شهر ربيع الآخر ، وله نحو من ثمانين سنة »[(٢)] .

لكننا نجد ابن خلكان يعقب بقوله : « قال أبو عبد الله محمد بن النجار البغدادى فى تاريخ بغداد : توفى يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة . وهو أخبر لأنه صاحب هذا الفن وقد مات عندهم »[(٣)] .

وعنه أيضا يقول الذهبى : « وقال ابن النجار : قدم بغداد رسولا غير مرة ، وحدث بها بكتابه ، ومرض فتوفى فى ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وست مئة[(٤)] .

---

(١) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩٦ .

(٢) النجوم الزاهرة ٦ / ٣١٨ .

(٣) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٣ / ٧٣ ، والعبر فى خبر من غبر ٥./ ١٥٦

الفصل الثانى

ابن الأثير والوشى المرقوم

مقاييس ابن الأثير النقدية من الوشى المرقوم

هذا الكتاب الذى بين أيدينا إذا كان يمثل فى صورته الأولى كتابا أدبيا يناقش ويرصد الطرائق المؤدية إلى تعلم الكتابة ، واتخاذها صناعة يتعيش منها صاحبها ، يمكن القول إن ابن الأثير ألفه فى مرحلة متأخرة من حياته ، وهى تلك الفترة الممتدة بين عامى ٦٠٨ و ٦٣٧ هـ عام وفاته ؛ إذ إننا لا نستطيع الجزم بتاريخ تأليفه هذا الكتاب . إذا كان يؤسس لطرائق تعليم الكتابة فإن ابن الأثير لا يعدم تقديم بعض آرائه ومقاييسه النقدية :

أولا : - رأيه فى أبى تمام والبحترى والمتنبى

لقد فصل النقاد السابقون القول فى شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائى ، وأبى عبادة البحترى ، وأبى الطيِّبِ المتنبِّى . أما ابن الأثير فيرصد رؤيته النقدية لشعرهم فى عبارة موجزة مؤكدا أنه « لم يشتمل شعر أحد من الشعراء المفلقين قديما ، وحديثا على المعانى التى اشتمل عليها شعر أبى تمام ، وأبى الطيِّبِ المتنبِّى ؛ فإنهما غواصا المعانى . وأما الألفاظ فى سبكها وديباجتها فلم أجد أحدا يسامى أباعبادة البحترى فيها. ولما كان الأمر كذلك اخترت شعر هؤلاء الثلاثة فحفظته ؛ فاقتبست من أبى تمام وأبى الطيب المعانى والغوص عليها ومن أبى عبادة البحترى سبك الألفاظ »[1] . مؤكدا أن هؤلاء الثلاثة « هم لات الشعر وعزاه ومناته الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء »[2]

---

(١) انظر ص ١٨٠ .

(٢) المثل السائر ٢ / ٣٤٨ ، وراجع دراسات فى الأدب والفن / ١١٩ و١٢٠ ، حنا نمر ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

ثانيا : حدُّ الكاتب

يؤكد ابن الأثير أن من يحفظ القرآن وغيره - بالإضافة إلى الموهبة والطبع - يستطيع أن يعبر عن الموضوع الذى يريد الكتابة فيه ، واضعا حدًّا لذلك .

الرجل الذى يطلق عليه اسم الكاتب ، بل إنه إذا وصل إلى مرحلة معينة من الإجادة فى هذه الصناعة يكون « كتَّابة » مستخدما صيغة المبالغة فى وصف هذه الحالة حينما سأله أحد أصدقائه بالموصل عن الكاتب من هو ؟ . يقول ابن الأثير :

« وقد سألنى عن الكاتب : من هو ، ومن الذى يستحق هذا الاسم ؟. فقلت له : الكاتب عندى من إذا كلفته أن يكتب عنك كتابا فى أمر من الأمور ، وأفضيت إليه بالمعنى فيه جملة أخذه ، وفصله ، وأتى به على وجه إذا تأملته قلت : هكذا كان فى نفسى . ولكنى لم أقدر أن أعبر عنه . فهو ينطق عن خاطرك بما لا تقدر أنت أن تنطق به : فهذا هو الكاتب الذى يطلق عليه اسم الكتَّابة » (١) .

إن هذا الرجل الذى يكون بمقدوره التعبير عما يلقى إليه من معنى فى جملة واحدة فى ثوب آخر أكثر تفصيلا ، ناطقا عما فى خاطر من يكتب عنه ؛ فإنه حينئذٍ - ولا شك - يستحق لقب الكتَّابة .

ثالثا : - السجع

ومن الأمور الأساسية التى تلزم الكاتب فى تأليف الكلام المنثور السجع ، وقد عرفه ابن الأثير بأنه « تواطؤ الفواصل فى الكلام المنثور على حرف واحد » (٢) ، إلا أن النقاد قد تباينت مواقفهم منه « فعابه بعضهم ، واجدا فيه نوعا من التكلف يحول بين الكاتب وبين تدفق الأفكار على قلمه ، من غير تفكير فى فواصل تتساوى أو حروف تتشابه ، أو كلمات تنتهى بحروف متحدة أو متفقة فى الوزن ، بينما ذهب بعض النقاد إلى تمجيد السجع » (٣) .

---

(١) انظر ص ١٨٣ و١٨٤ .

(٢) المثل السائر ١ / ١٩٥ .

(٣) أسس النقد الأدبى عند العرب ، أحمد أحمد بدوى / ٥٥٧ .

ولم يتوقف ابن الأثير عند تعريف السجع هذا على إطلاقه ؛ لكنه اشترط لحسن الكلام المسجوع أن يكون صافيا « من الغثاثة والبرد فإن وراء ذلك مطلوبا آخر وهو أن يكون اللفظ فيه تابعا للمعنى لا أن يكون المعنى فيه تابعا للفظ فإنه يجيء عند ذلك كظاهر مموه على باطن مشوه ويكون مثله كغمد من ذهب على نصل من خشب . . . وسأبين لك فى هذا مثالا تتبعه فأقول إذا صورت فى نفسك معنى من المعانى ثم أردت أن تصوغه بلفظ مسجوع ولم يؤاتك ذلك إلا بزيادة فى ذلك اللفظ أو نقصان منه ولا يكون محتاجا إلى الزيادة ولا إلى النقصان إنما تفعل ذلك لأن المعنى الذى قصدته يحتاج إلى لفظ يدل عليه وإذا دللت عليه بذلك اللفظ لا يكون مسجوعا إلا أن تضيف إليه شيئا آخر أو تنقص منه فإذا فعلت ذلك فإنه هو الذى يذم من السجع ويستقبح لما فيه من التكلف والتعسف وأما إذا كان محمولا على الطبع غير متكلف فإنه يجيء فى غاية الحسن وهو أعلى درجات الكلام ، وإذا تهيأ للكاتب أن يأتى به فى كتابته كلها على هذه الشريطة فإنه يكون قد ملك رقاب الكلم يستعبد كرائمها ويستولد عقائمها . . . » [١] .

إن ابن الأثير يؤكد أن استخدام السجع لابد أن يكون مرتبطا ارتباطا وثيقا بالطبع ؛ بل إنه يذم أولئك المتكلفين فى استخدامه ، واضعا له « قواعد وشروطا ، منها أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذى اشتملت عليه أختها ، فإن كان المعنى سواء فذلك هو التطويل بعينه ، ومنها أن يكون اللفظ فى الكلام المسجوع تابعا للمعنى ، ويحمل على ابن العميد وابن عباد والحريرى وغيرهم ، ثم يعمد إلى بيان فضله ؛ فيورد من كلامه أمثلة يريد أن يُحذى حذوها ، ويأتى بسجعات تمت على رأيه شروط السجع فيها » [٢] موضحا ذلك فى قوله : « وقد أمسك القلم قوم رضوا من الكتابة بتحسين السطور ، وإذا أتى أحدهم بشىء من السجع فذلك هو الكاتب المشهور ، وهؤلاء قصروا هممهم على الزيْف دون اللباب ، ولم يعلموا أن القشر لأهل القشور ، واللب لذوى الألباب [٣] .

---

(١) المثل السائر ١ / ١٩٨ .

(٢) دراسات فى الأدب والفن لحنا نمر / ١١٩ .

(٣) انظر ص ٢٥١ و٢٥٢ .

رابعًا : - السبق الزمنى واللفظ والمعنى

ومن القضايا المهمة التى تطرق إليها أيضًا ؛ قضية السبق الزمنى التى أثارها غير واحد من نقدة العرب ، وقد تعصب بعضهم للقديم ، وتعصب البعض الآخر للحديث . ومع ذلك فإننا نجد كثيرين سوى أولئك وهؤلاء ؛ يتخذون موقفا آخر من تلك القضية يتمثل فى نظرتهم التوفيقية لهذه القضية فقد « التقى حول هذه النظرة أناس ذوو مشارب متباينة ، فيهم اللغوى المشبع بروح القديم كأبى عباس المبرد ، والمتكلم المتأثر بشتى ألوان الثقافات كالجاحظ ، وذوو الثقافة الإسلامية الخالصة كابن قتيبة والشاعر المحدث كابن المعتز »[١] . فالجودة هى القول الفصل فى قضية القديم والحديث ، وهى السبب الرئيسى فى أن نأخذ « الجيد ممن كان ، وفى أى زمان كان »[٢]

أما ابن الأثير فيخلص فى هذه القضية ؛ إلى أنه من الأمور المعلومة « **أن الآخِر لا يستغنى عن الاستفادة من الأول ، وليس هذا لفضيلة اختُصَّ بها الأول دون الآخِر ؛ بل لأنه سبق زمانا** »[٣] ، فلا فضل للأول فيما يقع للآخِر .

لكنّه يربط بين قضية الأول والآخِر أو القديم والحديث ؛ وبين قضية اللفظ والمعنى ربطا وثيقا ، لا تكاد تنفصم عراه من ناحية إلا اتصلت فى ناحية أخرى ، فإذا كان أبو العباس المبرد (٢١٠ - ٢٨٦ هـ) « لم يتناول تلك القضية بشىء من التفسير »[٤] ؛ فإن عمرو بن بحر الجاحظ (- ٢٥٥ هـ) يعوِّل على اللفظ دون المعنى ، « والمعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى والبدوى والقروى والمدنى ؛ وإنما الشأن فى إقامة الوزن ، تخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفى صحة الطبع ، وجودة السبك »[٥]

---

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ، د. إحسان عباس / ٧٧ .

(٢) الحيوان ٣ / ١٣٠ ، وراجع حولية آداب الكويت / الجاحظ والنقد الأدبى / ٤٤ ومابعدها .

(٣) انظر ص ٣١١ .

(٤) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ، د. إحسان عباس / ٨٢ .

(٥) الحيوان ٣ / ١٣١ و ١٣٢ . ، وراجع تاريخ النقد الأدبى عند العرب / ٨٧ .

وإذا كان ابن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) يؤكد أنه لم ينظر « إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره » ، مشتركا مع الجاحظ « في المذهب التوفيقى الذى يريد أن يجعل الجودة مقياسا للشعر دون اعتبار للقدم والحداثة » [١] ، فإنه يأخذ منحى آخر غير الذى سار فيه الجاحظ بالنسبة لقضية اللفظ والمعنى ، مؤثرا مذهبه الاعتدالى فى التسوية بينهما ، فالمسألة إذن مسألة صلة بين المعنى واللفظ ، وعلاقة الجودة فى كليهما معا هى المفضلة » [٢]

ويرى ابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ) أن العلاقة بين اللفظ والمعنى ؛ كالعلاقة بين الروح والجسد وهو « تصور يجعل الصلة بين اللفظ والمعنى أوضح مما رسمه ابن قتيبة » [٣]

وفى ردة واضحة ؛ يعود أبو هلال العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) إلى الانتصار للفظ على المعنى متابعا « مدرسة الجاحظ التى تتشيع للصياغة ، وتتعصب للفظ ، وربما كان أكثر مغالاة فى تقدير قيمة اللفظ ، حيث إنه يجعله فى الأثر الأدبى كل شىء ، ويجحد المعنى فلا يجعله شيئا » [٤]

ولأن للناس فيما يعشقون مذاهب ؛ فإن « أكثر نقاد القرن الخامس يميلون إلى التوفيق بين اللفظ والمعنى فإنك تجدهم فى حيرة شديدة من أمرهم لأنهم لم يهتدوا إلى قاعدة صحيحة تنجيهم من التردد ؛ فالمرتضى يقول : « وحظ اللفظ فى الشعر أقوى من حظ المعنى » ، وأخوه الرضى يقول : « إن الألفاظ خدم للمعانى لأنها تعمل فى تحسين معارضها وتنميق مطالعها « والمرزوقى ينادى بائتلافهما » [٥]

أما ابن رشيق (٣٩٠ - ٤٥٦ هـ) ، فيذهب مذهب ابن طباطبا العلوى رائيا أن « اللفظ جسم ، وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف

---

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ، د. إحسان عباس / ٩٥ .

(٢) السابق / ٩٦ .

(٣) السابق / ١٢٨ .

(٤) النظرية النقدية عند العرب للدكتورة هند حسين طه / ١٧٩

(٥) تاريخ النقد ، د. إحسان عباس / ٣٦٢ . وهما الشريف المرتضى والشريف الرضى .

بضعفه ، ويقوى بقوته » [١] . ومع هذا الوضوح فى الرؤية عند ابن رشيق نجده « إذا أخذ فى النقد كان ميله إلى ناحية الشكل أظهر » [٢] ، لكن الأمر الأكيد هو « تغلب أنصار نظرية الائتلاف بين اللفظ والمعنى » [٣] .

وقد تركز مذهب ابن سنان الخفاجى (ت ٤٦٦ هـ) على التشدد فى استخدام الألفاظ الغريبة والمبتذلة ؛ نافيا « ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين وأرباب المهن من الشعر المنظوم والكلام المنثور » [٤] ، وقد شن عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) حملة شعواء مخطئا من انحاز إلى اللفظ على المعنى ، وكذلك من انحاز إلى المعنى على اللفظ « وفى ظل فكرة الإعجاز دفع عبد القاهر بنظرية الائتلاف إلى نهايتها تحت اسم النظم » [٥] .

ومع هذا الاختلاف ، أو الاتفاق لدى النقاد العرب حول قضيتى السبق الزمنى ، واللفظ والمعنى ؛ فإن ابن الأثير يربط بينهما بوثيق الرباط ، فسبق الأول فى المعانى لا يعطيه أية مزية على المتأخر حتى إذا « جاء الآخِر من بعده ، واستخرج تلك المعانى كما استخرجها ، قيل : هذا أخذ من ذاك ، ومازال أرباب النثر والنظم يتناقلون المعانى مناقلة ، ويتداولونها مداولة » [٦] . مؤكدا أن « **الفضيلة إنما تقع فى سبك الألفاظ ، وإبرازها فى حلية رائقة** » [٧] . لافتا النظر إلى نظرية الجاحظ القائلة : إن المعانى مطروحة فى الطريق [٨] ، يعرفها القاصى والدانى ، والقروى والمدنى ، والبدوى والحضرى ، ذاهبا إلى أن « **خواطر الناس متشاكلة فى الوقوع**

---

(١) العمدة لابن رشيق ١ / ١٢٤ ، النظرية النقدية للدكتورة هند حسين طه / ١٧٩ و ١٨٠ .

(٢) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ، د. إحسان عباس / ٣٦٢ .

(٣) السابق / ٣٦٣ .

(٤) السابق / ٣٩٩ . والنظرية النقدية عند العرب للدكتورة هند حسين طه / ١٨٠ .

(٥) السابق / ٣٦٣ .

(٦) انظر ص ٣١١ .

(٧) السابق الصفحة نفسها .

(٨) راجع الحيوان ٣ / ١٣١ و ١٣٢ ، والبيان والتبيين ١/ ٧٦ ، وحولية آداب الكويت الجاحظ والنقد الأدبى / ٥٧ ومابعدها .

على المعاني ، وكثيرا ما يقع للآخِر كما يقع للأول » [١] ، وذلك دون أن يقرأ الآخِر ماكتبه الأول ، وهو ما يسمى بتوارد الخواطر ، مضيفا أنه جرب **« هذا فى معان كثيرة ؛ فكان يقع لى معنى ، ثم أجده بعد ذلك فى كلام من تقدمنى »** [٢] .

خامسًا : - الترجمة

ومن القضايا المهمة التى أثارها ابن الأثير ؛ قضية الترجمة . وقد سبقه إليها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الذى رأى أن « فضيلة الشعر مقصورة على العرب ، وعلى من تكلم بلسان العرب » [٣] ، رافضا رفضا قاطعا ترجمة الشعر لأنه « لا يجوز عليه النقل ؛ ومتى حوّل تقطّع نظمه وبطل وزنه ، وذهب حسنه ، وسقط موضع التعجب منه » [٤]

لكن يمكن القول إن ابن الأثير يتابع الجاحظ فى رأيه بالنسبة لترجمة الكلام المنثور ، ونقله من لغة إلى لغة أخرى ، فالجاحظ الذى يرفض ترجمة الشعر حتى لا يضيع بهاؤه ؛ يرى أن « الكلام المنثور المبتدأ على ذلك أحسن وأوقع من المنثور الذى تحول من موزون الشعر . . . فقد صح ان الكتب أبلغ فى تقييد المآثر ، من البنيان والشعر » [٥] .

وإذا رأى الراءون صعوبة النقل من لغة إلى لغة أخرى ؛ وهو ما يمكن أن نطلق عليه ترجمة المعنى ، وليس الترجمة الحرفية ؛ فإن ابن الأثير يرى أن **« نقل الكلام من لغة إلى لغة يسهل بسبب أن ألفاظ هذه غير ألفاظ هذه »** [٦] وذلك عكس ما يواجه من يريد أن يحل الشعر عن طريق نقل المعنى من صعوبة ؛ متمثلة فى بحثه الدائب

---

(١) انظر ص ٣١١ .

(٢) السابق الصفحة نفسها .

(٣) الحيوان ١ / ٧٤ و ٧٥ .

(٤) السابق ١ / ٧٥ .

(٥) السابق الصفحة نفسها .

(٦) انظر ص ٣١٢ .

عن الألفاظ المترادفة التى تؤدى إلى نقل المعنى من الشعر إلى النثر ، ولأن الترجمان يجب أن « يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها » [١] ؛ فإنه لا يحتاج « أن يرتاد ألفاظا مترادفة يعبر بها فى نقله » [٢] ، عكس من ينقل معنى يحتاجه فى حل الشعر ؛ فإنه يعمل على « اختيار الأحسن الأليق من الألفاظ المترادفة الذى هو متصف بأوصاف الفصاحة » [٣] .

وخلاصة القول عند ابن الأثير ؛ أن المترجم لا يحتاج الألفاظ المترادفة **« فى النقل من لغة إلى لغة أخرى ، فإن لهذه ألفاظا ، ولهذه ألفاظا ، فإذا اراد نقل المعنى من لغة إلى لغة عبَّر بهذه الألفاظ عن هذه الألفاظ من غير كبير كلفة »** [٤] . كما فعل العنصرى الشاعر حينما أنشد أحد شعراء العرب السلطان محمود بن سبكتكين **« بيتين من الشعر فى وصف الخمر ، وكان العنصرى حاضرا ؛ فسأله الملك عن تفسير البيتين ؛ فأنشده بيتين بالفارسية ارتجالا يتضمنان معنى البيتين »** [٥]

لكن فيما يبدو لنا أن ما قصده ابن الأثير من الترجمة هو ترجمة الحرف ، وليس ترجمة المعنى ، خاصة فيما يتعلق بالمراسلات ، وذلك بحكم موقعه كاتبا فى ديوان ملكى ، إذ عليه « أن يكون موضوعيا ، ولا ينبغى أن تظهر شخصيته فى ترجمته . . . وأن يلتزم الدقة ، وأن ينقل النص الذى يترجمه بأكبر قدر ممكن من الأمانة ، مع مراعاة ترتيب عناصر الجملة بنفس الطريقة التى رتبت بها فى النص الأصلى ، حتى لو تنافى ذلك مع جمال الأسلوب ومنطق اللغة التى يترجم إليها » [٦] .

---

(١) الحيوان ١ / ٧٦ .

(٢) انظر ص ٣١٢ .

(٣) السابق الصفحة نفسها .

(٤) السابق الصفحة نفسها .

(٥) السابق ص ٣١٣

(٦) عالم الفكر ، المجلد ١٩ / العدد ٤ / ١٧ ، ١٩٨٩ « ترجمة النص الأدبى ، د . سامية أسعد ، وراجع عالم الفكر ، المجلد ١٦ / العدد ٤ / ٩٤ ، ١٩٨٦ ، تطور الفكر الترجمى فى أوروبا لفوزى عطية .

سادسًا : بين التضمين والتناص

يمثل ما اقتطعه ابن الأثير من رسائله - مدللا به على حسن استخدامه ، ومدى نجاحه فى تضمين نثره العديد من آيات القرآن أو الخبر النبوى أو الأشعار ، أو غير ذلك - نوعا من أنواع البراعة فى هذا الاتجاه ، وللتضمين معان متعددة ، فإن « كان لفظ التضمين يعنى معانى أخرى فى فروع أخرى بلاغية ونقدية ؛ فهو فى الشعر تعلق قافية بيت بالبيت الذى يليه ، وفى البديع - وهذا ما يعنينا - أن يأخذ الشاعر أو الناثر آية أو حديثا أو بيتا أو شطرا من بيت أو عبارة من كلام غيره دون أن يغير لفظا منه أو معنى »[(١)]

ويمثل التضمين بهذا المعنى الهدف الأسمى لابن الأثير فى إطارٍ من أن هذا الكتاب « كتاب تعليم وتمثيل » ، ويمكن القول : إن استخدام النقاد المعاصرين لمصطلح التناص هو من قبيل الترادف اللفظى ؛ ويعتبر الباحث الروسى « باختين أول من استعمل مفهوم التناص ؛ فأثار اهتمام الباحثين فى الغرب بحيوية الإجراءات التى تقوم عليها الدراسات المقارنة التى تتضمنه ، والتى يمكن أن تمثل تحولا منهجيا فى نظرية التأثيرات ، لكن عدم الدقة فى تحديد المصطلح أدى إلى تعدد المسالك فى فهمه وتطبيقه ، ولعل عبارة مارلو التى يقول فيها : **إن العمل الفنى لايتخلق ابتداء من رؤية الفنان ، وإنما من أعمال أخرى ، تسمح بإدراك أفضل لظاهرة التناص التى تعتمد فى الواقع على وجود نظم إشارية مستقلة ، لكنها تحمل فى طياتها إعادة بناء نماذج متضمنة بشكل أو بآخر مهما كانت التحولات التى تجرى عليها** »[(٢)]

وهذا هو ما عناه ابن الأثير من أنه يجب على من يريد أن يتخذ الكتابة مهنة ، أن يحفظ القرآن والخبر النبوى والأشعار والأمثال السائرة ، وأن يكون ملما بطرف من جميع العلوم حتى يكون كلامه متضمنا كل هذه الأمور ، فكأنه كان يحدس

(١) البيان فى روائع القرآن ١ / ١٢٢ ، د. تمام حسان ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٢

(٢) مجلة فصول / دراسات فى النقد التطبيقى / ٧٦ ، « طراز التوشيح بين الانحراف والتناص » بحث للدكتور صلاح فضل .

بمصطلح « التناص » هذا الذى يدور على ألسن العامة والخاصة . يستوى فيه تضمين بعض العبارات بلفظها فى ثنايا الكلام ، أو استخدام شفرة معينة تشير إلى نسق نصى آخر « لأن أى عمل يكتسب ما يحققه من معنى بقوة كل ما كتب قبله من نصوص ، كما أنه يدعونا إلى اعتبار هذه النصوص الغائبة مكونات خاصة نستطيع بإدراكها فهم النص الذى نتعامل معه وفض مغاليق نظامه الإشارى » (١) .

وفى مقابل هذه الوعورة فى تعريف التناص ، نجد تعريف ابن الأثير أقرب مأخذا ، وأيسر وصولا لإدراك معناه، رغم مرور ما يقرب من ثمانية قرون على وفاته ، وذلك من خلال توضيحه كيف أخذ معنى بيتين وحلهما فى إحدى رسائله « . . . **فلما أردت أن آخذ هذا المعنى وَرَّيت فى أخذه عن الطريق المعهودة ؛ فمثلته بمثال ملائم . . . ثم أتبعت ذلك بما ينسحب على أثره من معان أخر . وخرجت فيها إلى معرض العتاب آخرًا . وهكذا ينبغى أن تؤخذ المعانى على حكم الاختلاس ، لاعلى حكم الافتراس . وعلى سبيل المساترة ، لا على سبيل المجاهرة** » (٢) .

وهذا التعريف يكاد يتطابق مع تعريف آخر للدكتور والتر ج . أونج (١٩١٢ -) الذى يرى أن ثقافة المخطوطات تعتبر « التناص أمرا مسلما به ، وبما أنها لا تزال ملتصقة بالتقليد المألوف للعالم الشفاهى القديم فقد عمدت إلى إبداع نصوص من خلال نصوص أخرى ، فاستعانت وحورت وأخذت بنصيب من الصيغ والموضوعات الشائعة الشفاهية الأصل ، وإن كانت قد أدخلتها فى مزيج من الأشكال الأدبية الجديدة التى يتعذر وجودها دون الكتابة » (٣) .

الفارق بين تعريف ابن الأثير ، وتعريف الأمريكى والتر يكاد يكون ضيقا ، مع سبق صاحبنا ووضوح عبارته ، ونقاء الصورة التى تمثل نوعا من المقاربة التوضيحية لما أراد ابن الأثير تبليغه لمن يريدون أن يتعلموا صناعة الكتابة .

---

(١) السابق / ٧٩ .

(٢) انظر ص ٣٣٠ .

(٣) الشفاهية والكتابة / ٢٤٠ ، عالم المعرفة - الكويت .

النثر والنظم

يتبقى لنا من بين القضايا التى أثارها ضياء الدين بن الأثير ؛ قضية فى غاية الأهمية ؛ هى قضية النثر والنظم ، أو المنثور والمنظوم ، وإذا كان الأدب العربى ينقسم فى مجموعه - حسب أكثر الآراء شيوعا - إلى نثر ونظم ؛ فإن هناك أكثر من إشكال فى هذا الأمر ، نستخرجها من خلال كتابنا هذا ، رغم قدم هذه القضايا ، تتمثل هذه الأمور أو القضايا فى : .

- **المفاضلة بين الشعر والنثر .**
- **لماذا كثرة الشعراء وقلة الناثرين ؟ .**
- **أمور أخرى تتعلق ببعض العناوين التى كتب تحتها ابن الأثير .**

لقد أخذت قضية النثر والنظم أبعادا متباينة فى الرؤى - بين مع ، أو ضد ، أو من خلال نظرة توفيقية - على مرِّ العصور ؛ وإذا كانت الاختيارات الشعرية عند كل من أبى تمام والبحترى قد اعتمدت على الشعر وحسب ، فإن « معاصرهما ابن أبى طاهر طيفور [٢٠٤ - ٢٨٠ هـ] صاحب كتاب المنظوم والمنثور »[(١)] يمكن القول : إنه أول من أرسى فكرة الاختيارات النثرية جنبا إلى جنب مع الاختيارات الشعرية ، وأبو العباس المبرد (٢١٠ - ٢٨٦ هـ) هو أول من « ردَّ معانى الشعر إلى أصول من النثر عند حديثه عن السرقة »[(٢)] ، خالطا بين الشعر والخطابة ؛ إذ إنه « تمثَّل قواعد الخطابة أكثر من تمثله لمبادئ الشعر فمزج بين الفنين »[(٣)] .

ومع هذا الخلط بين الفنين فإن ابن طباطبا (- ٣٢٢ هـ) يقارب المسافة بين الشعر والنثر ، ماحيا « الفروق بين القصيدة والرسالة النثرية فى البناء والتدرج

---

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ، د. إحسان عباس / ٦١ ، ترجمته فى تاريخ بغداد ٤ / ٢١١ ، و الفهرست / ٢٠٩ .

(٢) السابق / ٨٠ .

(٣) السابق الصفحة نفسها .

واتصال الأفكار إن للشعر فصولا كفصول الرسائل فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه على تصرفه فى فنونه صلة لطيفة فيتخلص من الغزل إلى المديح ، ومن المديح إلى الشكوى ، ومن الشكوى إلى الاستماحة . . . بلا انفصال للمعنى الثانى عما قبله ، ومقطع القول الفصل أن الشعر رسائل معقودة ، والرسائل شعر محلول » [(١)] ، وإذا كان ابن الأثير ينصح مبتدئى الكتاب بتضمين معانى الأشعار كتاباتهم ؛ فإن ابن طباطبا يرى أنه على الشاعر « إن وجد المعنى اللطيف فى المنثور من الكلام أو فى الخطب والرسائل فتناوله وجعله شعرا كان أخفى وأحسن » [(٢)] نافيا « الفرق بين القصيدة والرسالة إلا فى النظم » [(٣)]

ويمثل أبو نصر الفارابى (ت ٣٣٩ هـ) حلقة أخرى من حلقات الاهتمام بالخطابة والشعر ؛ إذ إنهما يعدان « جزءا من منهجه الفلسفى العام » [(٤)] ، فالمحاكاة قوام الشعر - فى رأيه - « ولكنها ليست عنصرا فى الخطابة (وهذا فرق أساسى بين الفنين من القول) إلا فى أمر يسير » [(٥)] ، ورغم ذلك فإن أبا إسحاق الصابى ، وهو من أبرز كتاب القرن الرابع يوضح فى عبارة بليغة الفرق بين الترسل وبين الشعر « فأفخر الترسل ما وضح معناه وأعطاك غرضه فى أول وهلة سماعه ، وأفخر الشعر ما غمض فلم يعطك غرضه إلا بعد مماطلة منه لك وغوص منك عليه » [(٦)] . وكما أن « ما قامت صورته بين نظم كأنه نثر ، ونثر كأنه نظم » [(٧)] ؛ هو خير الكلام فى نظر التوحيدى ، فإن « العلاقة بين المعانى التى ترد فى النثر ويستطيع أن يجعلها الشاعر منظومة » [(٨)] خفف بها الحاتمى من وقع اتهام المتنبى بالسرقة . جاعلا فى رسالته باب « نظم المنثور ، وهو نقل المعنى من النثر إلى الشعر » [(٩)]

وإذا كان ابن الأثير قد ألف « الوشى المرقوم فى حل المنظوم » فإن د. إحسان

---

(١) السابق / ١٢٥ ،
(٢) السابق / ١٢٧
(٣) السابق / ١٣٣ .
(٤) السابق / ٢٠٢
(٥) السابق / ٢١٠
(٦) السابق / ٢٣٠ .
(٧) السابق / ٢٣٣
(٨) السابق / ٢٤٠
(٩) السابق / ٢٥٤

عباس يذكر لأبى سعد محمد بن أحمد العميدى (ت ٤٣٣ هـ) متولّى ديوان الإنشاء بمصر أيام المستنصر كتاب « الإرشاد إلى حل المنظوم ، والهداية إلى نظم المنثور »[١] . كذلك فإن ابن عبد ربه « يسمى السرقة باسم الاستعارة ، ويرى أن أخفاها وأدقها ما كان ينقل المنثور إلى المنظوم أو العكس »[٢]

لقد تميزت النصوص التى اختارها ابن الأثير ، وأودعها ثنايا كتابه « الوشى المرقوم » بأنها - يمكن القول - تلك النصوص التى يشعر هو شخصيا بمدى إبداعه فيها . أضف إلى ذلك رؤيته لها بأنها يمكن أن تعد - أو بالأحرى حسب رؤيته - نموذجا يحتذى به كل من يريد أن يمتهن الكتابة ، ويتخذها صنعة .

إن الضياء يثير فى مقدمة هذا الكتاب قضية ؛ سبق أن أثارها غيره كثيرون . ألا وهى قضية « النثر والنظم » . التى شغلت العديد من الأدباء غير مرة ، وفى أزمان مختلفة ، فلم تكن وليدة وقتها . أو من ابتكاره . فقد أخذت أشكالا عدة منها ما بين المفاضلة بين المنظوم والمنثور ، أو المفاضلة بين الكتاب والشعراء ، وكل واحد يقدم أدلته على أحقية صاحبه بالتقدم والفضل على الآخر ، أو ما قام به بعض الكتاب من نثر الشعر وحله فى ثنايا مكاتباتهم ورسائلهم ، وهذا ما يتضح جليا فى كتابات ابن الأثير ومن سبقه من الكتاب . وهناك طائفة أخرى أخذت على عاتقها نظم النثر فى قالب موزون ومقفى .

الضياء بن الأثير يدخل دائرة أولئك الناثرين الذين ينتصرون للنثر على الشعر ، نلاحظ ذلك فى أكثر من موضع ليس فى كتابه « الوشى المرقوم » ؛ بل وفى كتب أخرى له . عاقدا مقارنات بين نثره وبين الشعر الذى حله « فانظر أيها المتأمل إلى هذين البيتين ، وإلى الفصل من الكلام المنثور ، ودقق النظر حتى تعلم أن بينهما بونا ، وترى هذا لونا ، وهذا لونا »[٣] تاركا الحكم للقارئ .

ومن يقارن بين نثره والشعر الذى يأخذ منه سيحكم بالتقدم لابن الأثير الذى

---

(١) السابق / ٢٦٩ .

(٢) السابق / ٤٧٨ .

(٣) انظر ص ٣٢٢ .

يقول : « فانظر إلى كلامى فى هذا الفصل ، وإلى هذين البيتين ، وتأمل إن كنت متأملا . واحكم بينهما إن كنت حاكما . فإذا فعلت ذلك أذعنت لى تسليما وعلمت أن فوق كل ذى علم عليما »[١] . وقوله : « فانظر إلى هذا الفصل من الكلام المنثور ، وإلى هذين البيتين من الشعر ، وأعط ذلك حق النظر حتى تعلم ما فى هذا الكلام المنثور من الزيادة معنى ولفظا »[٢] .

فابن الأثير لايفتأ ينتصر للنثر على الشعر ، كلما سنحت له فرصة فى ثنايا كتابه ، لأن المنثور « أشرف من المنظوم لأسباب من جملتها أن الإعجاز لم يتصل بالمنظوم وإنما اتصل بالمنثور »[٣] ، مؤكدا علو قامته ، خاصة إذا ما وقع له اختيار نموذج عالى البلاغة من أحد كتبه . فهو فى هذه اللحظة كمن عثر على كنز يفاخر به ، وبأنه حاز قصب السبق دون غيره فى اقتناص المعانى المنثورة . والمقارنة بين النثر والنظم ، وقد سبقه كثيرون فى إثارة هذه القضية ؛ فنجد إرهاصات لها فيما كتبه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠ – ٢٥٥ هـ) فى كتابه المسمى بـ« الحيوان » . فالجاحظ يقارن بين النثر والنظم ، يقول : « ولأن الحكمة أنفع لمن ورثها ، من جهة الانتفاع بها ، وأحسن فى الأحدوثة لمن أحب الذكر الجميل »[٤] . منتهيا إلى أن « الكتب أولى من بنيان الحجارة وحيطان المدر ، لأن من شأن الملوك أن يطمسوا على آثار من قبلهم ، وأن يميتوا ذكر أعدائهم »[٥] .

ويزيد الجاحظ هذا الرأى وضوحا حينما يقول : « وأما الشعر فحديث الميلاد ، صغير السن ، أول من نهج سبيله ، وسهّل الطريق إليه ، امرؤ القيس بن حجر ، ومهلهل بن ربيعة ، وكتب أرسطاطاليس ، ومعلمه أفلاطون . . . فإذا استظهرنا

---

(١) انظر ص ٣٣٢ .

(٢) انظر ص ٢٥٨ .

(٣) المثل السائر / ٢ / ٣٩٣ وما بعدها .

(٤) الحيوان ١ / ٧٣ . للجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٢ .

(٥) السابق الصفحة نفسها .

الشعر ، وجدنا له – إلى أن جاء الله بالإسلام – خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتى عام . قال : وفضيلة الشعر مقصورة على العرب ، وعلى من تكلم بلسان العرب ، والشعر لايستطاع أن يترجم ولا يجوز عليه النقل ؛ ومتى حوّل تقطّع نظمه وبطل وزنه ، وذهب حسنه وسقط موضع التعجب منه ، لا كالكلام المنثور ، والكلام المنثور المبتدأ على ذلك أحسن وأوقع من المنثور الذى تحول من موزون الشعر » (١)

وفى الوقت الذى يرى فيه الجاحظ أن أكبر سوءة تذهب طلاوة الشعر هي حله ، ووضعه فى ثياب غير ثياب الشعر ؛ نجد أبا منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابورى (٣٥٠ – ٤٢٩ هـ) فى كتابه « نثر النظم وحل العقد » يأخذ منحى آخر ؛ إذ يعمد إلى حل الشعر ، مؤكدا أن هدف هذا الكتاب الذى ألفه للملك المؤيد أبى العباس الخوارزمى ، والواضح من عنوانه هو « نثر النظم وحل العقد من مختار الشعر الذى يشتمل عليه الكتاب المترجم بمؤنس الأدباء ، اتخذه العبد – أى أبو منصور – قبلة يصلى إليها ، وقاعدة يبنى عليها ، وأقبل على النثر الذى هو أشرف ، وفى طريق الملوك والأكابر أذهب ، وأصحابه أفضل ، ومجالسهم أرفع ، ولم تزل ولا تزال طبقات الكتّاب مرتفعة على طبقات الشعراء » (٢)

وأبو هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ يقارن بين المنثور والمنظوم ، ويقسم النثر قسمين : الخطابة والكتابة . ويرى « أن الكتابة عليها مدار السلطان ، والخطابة لها الحظ الأوفر من أمر الدين » (٣) ، ومع ذلك فإنه يرى أن الشعر يقع فى « مواضع لا ينجع فيها غيره من الخطب والرسائل وغيرها » (٤) . رغم سوءات الشعر من الكذب والتخيل وقذف المحصنات وشهادة الزور ؛ لكنه يعقب بقوله : « وقيل

---

(١) السابق ١ / ٧٤ و ٧٥ .

(٢) نثر النظم وحل العقد ص ٢ ، دار الكتب والوثائق القومية تحت رقم ١٥٨٠ طبع حجر .

(٣) الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ١٣٠ ، علق عليه وفسّر غريب ألفاظه محمد أمين الخانجي ، ط ٢ ، مطبوعات محمد على صبيح بالأزهر الشريف . بدون تاريخ طبع .

(٤) السابق الصفحة نفسها .

لبعض الفلاسفة : فلان يكذب فى شعره . فقال : يراد من الشاعر حسن الكلام ؛ والصدق يراد من الأنبياء » [(١)]

ويمكن القول : إن ما ذهب إليه أبو هلال هو نوع من المقارنة ، والشهادة بفضل كل من النثر والشعر ؛ مع ذكر ما يميز أحدهما على الآخر ، فيضيف قائلا : « ومع ذلك فإن من أكمل الصفات صفات الخطيب والكاتب أن يكونا شاعرين ، كما أن من أتم صفات الشاعر أن يكون خطيبا كاتبا والذى قصر بالشعر كثرته وتعاطى كل أحد له حتى العامة والسفلة ؛ فلحقه من النقص ما لحق العود والشطرنج حين تعاطاهما كل أحد » [(٢)]

وإذا كان « الكلام على الكلام صعب » [(٣)] فإن التوحيدى يبين فى بداية الليلة الخامسة والعشرين رؤيته الخاصة للنثر والنظم ومراتبهما ، وأن من سبقوه قالوا « فى هذين الفنين ضروبا من القول ، لم يبعدوا فيها من الوصف الحسن ، والإنصاف المحمود ، والتنافس المقبول ، إلا ما خالطه من التعصب والمحك ، لأن صاحب هذين الخلقين لا يخلو من بعض المكابرة والمغالطة ... لكنى مع هذه الشوكة الحادة ، والخطة الكادة ؛ أقول ما وعيته عن أرباب هذا الشأن ، والمنتمين لهذا الفن ، وإن عنَّ شىء يكون شكلا لذلك وصلته به تكميلا للشرح واستيعابا للباب » [(٤)]

ورغم ما يسوقه التوحيدى من آراء شتى تتناول هذه القضية ؛ فإن له كثيرا من الآراء المعتدلة ، فنجده يسوق رأيا منسوبا لشخص يدعى أبا سليمان . يقول : « قال أبو سليمان : المعانى المعقولة بسيطة فى بحبوحة النفس ، لا يحوم عليها شىء قبل الفكر ، فإذا لقيها الفكر بالذهن الوثيق والفهم الدقيق ألقى ذلك إلى العبارة ،

---

(١) السابق ص ١٣١

(٢) السابق ص ١٣٣

(٣) الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى ٢ / ١٣١ . صححه وضبطه وحققه وشرح غريبه ورتب فهارسه أحمد أمين وأحمد الزين ، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٢

(٤) السابق الصفحة نفسها .

والعبارة حينئذٍ تتركب بين وزن هو النظم للشعر ، وبين وزن هو سياقة الحديث ؛ وكل هذا راجع إلى نسبة صحيحة أو فاسدة . . . فإذا كان الأمر في هذه الحال على ما وصفنا فللنثر فضيلته التي لا تنكر ، وللنظم شرفه الذي لا يجحد ولا يستر ، لأن مناقب النثر في مقابلة مناقب النظم ، ومثالب النظم في مقابلة مثالب النثر ، والذي لابد منه فيهما السلامة والدقة، وتجنب العويص ، وما يحتاج إلى التأويل والتخليص . وقد قال بعض العرب : خير الكلام ما لم يُحتج معه إلى كلام [(١)] .

وفي عبارة أخرى يقول التوحيدي : « وفي الجملة ، أحسن الكلام ما رقَّ لفظه ، ولطف معناه ، وتلألأ رونقه ، وقامت صورته بين نظم كأنه نثر ، ونثر كأنه نظم ، يطمع مشهوده بالسمع ، ويمتنع مقصوده على الطبع ؛ حتى إذا رامه مُريغٌ حلَّق ، وإذا حلَّق أسفَّ ، أعني يبعد على المحاول بعنف ، ويقرب من المتناول بلطف » [(٢)]

بل إن أبا حيان يؤكد في موضع آخر أن النثر والنظم يمثل كل منهما ظل الآخر « ومع هذا ففي النثر ظل النظم ، ولولا ذلك ما خف ولا حلا ولا طاب ولا تحلى ، وفي النظم ظل النثر ولولا ذلك ما تميزت أشكاله ، ولا عذبت موارده ومصادره ، ولا بحوره وطرائقه ، ولا ائتلفت وصائله وعلائقه » [(٣)]

هذه الآراء السابقة على الضياء بن الأثير ترصد قضية قديمة ، شغلت – وظلت تشغل – الكثيرين من الكتاب والشعراء ؛ فلم يكن الضياء أول من أثارها ؛ إنما كان حلقة ضمن حلقات . بل إننا نجد من بعده من أفرد مساحات واسعة للخوض في هذه القضية ، وسبر أغوارها . يأتي في مقدمة هؤلاء القلقشندي في كتابه « صبح الأعشى في صناعة الإنشا » . ولم يقتصر زمن الصراع بين النثر والنظم على زمن بعينه ؛ إنما تعدى الأزمنة الغابرة إلى زماننا هذا ؛ فنجد صراعا مشتعلا بين ضروب من الشعر من ناحية ، وبين النثر والشعر من ناحية أخرى . . .

---

(١) السابق ١٣٨ و ١٣٩

(٢) السابق ١٤٥ ، وراجع تاريخ النقد الأدبي عند العرب / ٢٢١ و ٢٢٢ .

(٣) نقلا عن بحث الكلام على الكلام : قراءة في فكر أبي حيان الأدبي للدكتور عصام بهي ، مجلة فصول ، المجلد ١٤ / العدد الثالث / خريف ١٩٩٥ / ١٩٧

الأدهى مما سبق أن الصراع كان دائرا بالفعل بينهما عن دراية ومعرفة - لدى المعتدلين - بضوابط ومزايا ومثالب كل منهما ، وتحول الأمر الان إلى جهل مطبق باختراع ما يسميه بعض العجزة بـ« قصيدة النثر » ولست أدرى من أين لهم هذه التسمية ؟! . فالسابقون حددوا لكل فن طرقه التى تميزه على الآخر ، بغض النظر عن تقديم أحدهما على الآخر .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ؛ بل ينكر هؤلاء كل صلة لهم بتراثنا العربى الحى النابض منذ خطته قرائح الشعراء والكتاب ، ويتنقصون كتاباتهم ، ويصفونهم بالجهل والعجز ، ولا نجد أفضل من توصيف « الدكتور أبى همام » للدافع الذى يجعلهم ينساقون وراء أوهامهم بقوله : « وهناك نوع آخر من الانتقاصات مبعثها - فيما نعتقد - خمود الهمم ، وتعود الكسل ، وعدم المعرفة الحقيقية بدقائق العلم ، والرغبة غير المقصودة فى تعويد التلاميذ على الركود » [1] .

ولم يقتصر هذا العجز على النثر فقط ؛ إنما تخطاه إلى الشعر ، فظهر ما يطلق عليه الشعر الحداثى - كما يحلو للبعض أن يردد هذا الاصطلاح على كل شعر يخرج على المألوف فى منظومة الشعر العربى - الذى أدى إلى الحالة المرضية الأسوأ « فى شعر الحداثة العربية المعاصرة ، إذ نواجه فى الغالب بغياب الموضوع عن النص الشعرى ، فلا يعرف المتلقى عمَّ يتحدث الشاعر ، ولا فكرته التى يعالجها ؟ . . . وغياب الموضوع أو الفكرة الرئيسة من النص يعنى حضور أبرز أسباب الغياب الدلالى فيه . كما يعنى فى الوقت نفسه غياب أهم إضاءة يستعين بها مستقبل النص على كشف أبعاده الدلالية . والمتلقى فى هذه الحالة يجهل ما تحيل إليه لغة النص . ولغة النص نفسها تبدو معزولة عن السياق الموضوعى » [2] .

والخطأ الأكبر الذى وقع فيه هؤلاء الحداثيون هو حدوث « الارتماء الكامل فى

---

(١) أدب ونقد ص ١٣٠ ، للدكتور عبد اللطيف عبد الحليم ، ط ٢ سنة ١٩٩٤ ، توزيع النهضة المصرية - القاهرة .

(٢) الإبهام فى شعر الحداثة : العوامل والمظاهر وآليات التأويل ص ١٧٩ ، د. عبد الرحمن محمد القعود ، سلسلة عالم المعرفة - الكويت - مارس ٢٠٠٢ .

أحضان ذلك الآخر (الحضارة الغربية) ، أخطأنا حينما ربطنا بين التحديث وإدارة ظهورنا بالكامل لمنجزات العقل العربى ، وهو ما يسمونه بلغة الحداثيين البراقة : القطيعة المعرفية مع الماضى ، على أساس أن الحداثة لا تتم إلا بتحقيق القطيعة المعرفية مع التراث » [١]

خلاصة هذه القضية بين النثر والنظم ، أو بين المنثور والمنظوم ، يوضحها الدكتور أبو همام مؤكدا أن « مكانة الشعر بين فنون القول المعاصرة والقديمة هى مكانة الرائد المتقدم ، لا تلغيه ولا تسد مسده ، وإن تكاثفت وتزاحمت ، ولا يلغيها وإن انفرد أو استبد ، وهذه بداهة لا يحسن معها اللجج » [٢]

يزيد على ذلك أن « شعرنا العربى خاصة بين فنون القول هو وجه العربية الأول حين تزدحم الوجوه فى الآداب الأخرى ؛ لأنه فن مساوق للغته ونحيزتها وطبيعتها من حيث هى لغة وزن واشتقاق ، عاش طفولة هذه اللغة وطفولة المتحدثين بها ، نما معها ومعهم ، وحمل جيناتها وجيناتهم ، واستوى على عرشه حين اكتملت فتاءته ، وبلغت أوجها الموسوم « المعرب » عربية أهلها - اسما وصفة - وصار دليلا عليها ، وصارت هى دليلا عليه ، مما تحدر إلينا من أصلاب القرون الأولى كلاما موزونا موقعا ، بريئا من وصمة العجمة ، مباينا للكلام المنثور الذى تأخر ظهوره إلي أن اقتضته حاجة العمران والحضارة » [٣]

ويضيف الدكتور أبو همام : « وحين أرادت الفنون القولية الأخرى أن تسامق أفق الشعر اصطنعت طرائقه ، واستعارت منه حرارة الأداء فى الخطابة والرسالة والمقامة ، وغدا ترصيع الكلام النثرى بمعادن الشعر ولآلئه يطفر متوثبا من خلال السجع وحسن التقسيم وحرارة المجاز وتكثيف الصورة ، وتوسل هذه الفنون بمثل هذه الآليات الشعرية ؛ إنما هو شهادة للشعر ، وليس حلولا محله » [٤]

---

(١) المرايا المقعرة / ٣٠ و ٣١ ، د. عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة - الكويت .

(٢) مؤسسة يمانى الثقافية الخيرية - جائزة الشاعر محمد حسن فقى - الدورة الرابعة - ندوة الشعر العربى المعاصر والجمهور ، مقال الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم بعنوان : الشعر بين فنون القول المعاصرة ص ٣٨ .

(٣) السابق الصفحة نفسها .   (٤) السابق ص ٤٤

ويواصل الدكتور أبو همام تفنيده لهذه القضية مؤكدا أن « الشعر البليغ والنثر البليغ قلما يقترنان ، إلا لدى ملكات نادرة جدا ، فى الأدب العربى والأعجمى ؛ لأن الشعر ملك مستبد ، وبطغواه كأنه يحجز على ذويه أن يشغلهم عنه شيء آخر ، والمتفلت من هذه السيطرة ، غالبا ما يرضى الشعر بأن يحمل أسلابه إلى عالم النثر ، وعزيز بلوغ هاتيك جدا » (١)

ويرصد أبو همام مشخصا الواقع الأدبى المعاصر بقوله « وكان من ديدن أدبائنا حتى عهد قريب أنهم كانوا يستهلون حياتهم الأدبية شعراء ، ثم لا يعتمون أن يصدفوا عن الفن الصعب الطويل السلم ، حين تقعى بهم خطاهم فيزهدون عنه عجزا إلى الكلام النثرى ؛ لأن جيد الشعر يأباهم ، وهم يأبون رديئه ، وتلك خلة كريمة فيهم ، ويبدعون فى حقول أخرى هم مؤهلون لها كالنقد والرواية والقصة وما أشبه ذلك وكان هذا السلف الكريم يعى مواهبه وقدراته حق الوعى ، وخلف من بعضهم خلف غفل عن عجزه ، وغافل الناس ؛ فأسرف على نفسه وعليهم حين زعم أنه شاعر ، وأنه مجدد . وما على الناس إلا أن يقروه على فعلته ، فنبتت نابتة فى تلك الأيام القريبة أبت إلا الشعر ، وأباهم الشعر . وكان لنا أخيرا هذا الخلط بين الفنون ، وخرج كثير من النقاد بالصمت عن لا ونعم ، وآخرون عزَّ عليهم وعلى قدراتهم النفسية أن يقرفوا بالتخلف والرجعية فشاءوا أن يباركوا كل ناعق ، وأن يسبقوه إلى الاعتراف بعمله ، يستوى لديهم الشعر الحر ، والزجل ، وقصيدة النثر ، والشعر المنثور ، والقصة القصيدة ، والقصيدة القصة ، والرواية واللارواية ، وما شابه ذلك من الأسماء » (٢)

وفى نهاية هذا المقال يرى الدكتور أبو همام أن « النثر قد يكون شعريا ، ولكنه ليس بشعر حين يخلو من الموسيقى . . . ولعل ذلك وراء إنشاد الشعر بعد إنشائه ، فيتسلل من الآذان إلى الأرواح ، ولا يكون النثر إنشادا على الإطلاق إلا إذا حمل شيئا من الشعر يتمثل فى الأسجاع والموازنات الموسيقية والإيقاعية (٣)

---

(١) السابق ص ٥٦ .

(٢) السابق ص ٥٩ .

(٣) السابق ص ٦٢

وتظل هذه القضية مثارة من قبل ابن الأثير ، حتى وقتنا الحاضر بين المنتصرين للشعر على النثر ، أو بين المنتصرين للنثر على الشعر ، لكن الرؤية الأهم هى أن يكون هذا الصراع مثمرا ، وسببا رئيسيا فى خروج أدبنا العربى المعاصر من أزمته الحالية التى يعانى منها ، وهى أزمة الغموض ، وانغلاق النص الأدبى حتى على كاتبه ، وانعدام الصلة بين المبدع والمتلقى .

وخلاصة القول والمعيار فى هذا الأمر – تقدم النثر على النظم ، أو العكس – هو مدى الجودة فى حسن السبك لفظا ، وما تؤدى إليه مجموعة الألفاظ من معان ، تصور ما يصبو إليه الكاتب أو الشاعر ، وذلك فى إطار من التأكيد أن « لكل جنس أدبى جماليته الخاصة وبلاغته المتميزة ، وهذا ما يجعل اللغة خاضعة فى بنائها ووظيفتها لمكونات الجنس الذى تنتسب إليه »[1] وهذا هو محور الإبداع الذى نرتجيه ونؤمله فى الكلمة المكتوبة يستوى فى ذلك النثر والشعر ،مع التسليم بأن « اللغة أداة أسلوبية فى جميع أجناس التعبير الأدبى غير أن هذه الأداة تظل مشروطة فى تكوينها الجمالى والوظيفى بمكونات السياق الجنسى الذى تستخدم فيه . . . وأن التفاعل بين الأجناس الأدبية لا يتنافى مع تمايز كل جنس بأسلوبه الخاص[2] » ، مع الاحتفاظ بالمعايير والتعاريف التى وضعها نقادنا الأفذاذ السابقون واللاحقون للفصل بينها ، بدلا من الإغراق فى الخلط بين المصطلحات النقدية والأدبية ، وغياب المسافات المعرفية لكل من النثر والشعر .

* * *

نأتى إلى نقطة أخرى ، وهى : لماذا كثرة الشعراء وقلة الناثرين ؟ .

الأمر الأكيد هو أن ابن الأثير لم يكن أول من طرح هذا السؤال ؛ إنما هو مسبوق إليه ، فقد سبقه أبو إسحاق الصابى لإثارة هذه المسألة ، فإذا « كانت القرائح

---

(١) مجلة عالم الفكر / المجلد ٣٠ / العدد ١ / ٨٥ / يوليو – سبتمبر ٢٠٠١م . البلاغة ومقولة الجنس الأدبى ، بحث للدكتور محمد مشبال .

(٢) السابق الصفحة نفسها .

منقسمة بين الطرفين : الشعر والنثر ؛ فلِمَ زادت القرائح التى تحسن الشعر على القرائح التى تحسن النثر ؟ ، وبعبارة أوجز : لِمَ كثر الشعراء وقل الناثرون [١] ؟ . حتى إنك « **إذا عددت منهم مائة شاعر لا يمكنك أن تعد خطيبا واحدا** » [٢]

يوضح الصابى سبب هذا الأمر ، ذاهبا إلى أن « اعتماد الشاعر إخراج بيت فى أثر بيت على نسق يقوم فيه الوزن والقافية مقام السائق والقائد ، يعنى أنه يلجأ إلى الحذو على مثال أو الإفراغ فى قالب ، لكن الكاتب يصوغ رسالته متحدة متجمعة ويضمها من أقطار متراخية متسعة ، وربما أسهب حتى تكون رسالته فى طول عدة قصائد مع تعمد الألفاظ الفخمة ، لأن الرسائل صادرة فى الأغلب عن السلطان ، . فهذا كله يجعل القادرين على إجادة الترسل قلة » [٣] . بل إن الضياء بن الأثير يذهب إلى أن كثرة الشعر تطغى على النثر لدرجة أن النثر يمثل نقطة متلألئة فى محيط الشعر ؛ لأنه « أكثر من الكلام المنثور بأضعاف مضاعفة . وليس نسبة أحدهما إلى الآخر نسبة قليل إلى كثير ، فضلا عن نسبة كثير إلى كثير . بل هو بالنسبة إليه كالرقمة فى ذراع الدابة أو كالشامة فى جنب البعير » [٤] .

ومع هذا الكلام ؛ فإن د. إحسان عباس يذكُر بأن الصابى نسى « ما قاله من قبل وهو أن الشعر قائم على الابتداع ، وهذا يحتم أن يكون الشعر أصعب من حيث التأليف من النثر ، لأن الابتداع يعنى إنشاء مبتكرا ، وأن الجرى على القالب ، إنما هو إيقاع ظاهرى ، لا يقلل من صعوبة الابتداع بل ربما زاد فيها » [٥]

إن ابن الأثير يذهب إلى ما ذهب إليه أبو إسحاق الصابى الذى « قضى بأن الناثرين أهم من الشعراء ، لأنه رأى الكاتب من خلال منصبه ، بينما لا منصب للشاعر - رأى أهمية الكاتب فى بناء الدولة ، ولم ير الشاعر إلا مفردا ، وشعره لا يخدم الدولة ، وإنما يخدم الشاعر » [٦]

---

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب / ٢٣١ .

(٢) انظر ص ١٧٣ ، والمثل السائر / ٢ / ٣٩٣ وما بعدها .

(٣) تاريخ النقد الأدبى عند العرب / ٢٣١ .

(٤) انظر ص ١٧٣

(٥) تاريخ النقد الأدبى عند العرب / ٢٣٢

(٦) السابق الصفحة نفسها .

وخلاصة القول أن حديث الصابى فيه « ما لا يمكن رفضه ، وهو أن جمهور المتلقين لكل من الشعر والنثر مختلفون » [١] . مع ملاحظة أن « الذين ناصروا الشعر وفضلوه لا تعوزهم الأدلة ، فهو ديوان العرب ومستودع حكمتهم وسجل مفاخرهم وأمجادهم ، كما أن الذين رجحوا النثر كانوا ينظرون إلى ما بلغته الكتابة الديوانية من شأو بعيد ، والدرجات التى حظى بها الكتاب فى السلم الاجتماعى فى زمن تراجع فيه موقع الشاعر إلى الخلف ، وحتى عندما كان هؤلاء وأولئك يتحامون بأدلة مستمدة من الطبيعة الخاصة لكل من الجنسين ؛ فإن ذلك ينبغى ألا يسوغ المفاضلة التى تتعارض فى جوهرها مع الاعتراف بضرورة اختلاف أدوات التعبير الأدبى وخصوصية كل جنس فى توصيل رسالته الإنسانية وفى أداء تأثيره الخاص به » [٢]

المهم هو أن يقوم كل فن من فنون الإبداع القولى بتوصيل محتواه الذى يريد مبدعه أن يصل به إلى قارئيه ، دون النظر إلى قلة مبدعى هذا الفن أو ذاك أو كثرتهم ، مع الأخذ فى الاعتبار بمصداقية المبدع فى تبنى رسالته ، ومدى تمكنه من الجنس الأدبى الذى يصوغ فيه هذه الرسالة

بقيت لنا أمور أخرى تتعلق ببعض العناوين التى كتب تحتها ابن الأثير

من هذه الأمور لماذا اختار ابن الأثير الكتابة تحت عنوان « فى حل الأخبار النبوية ، لا الأحاديث النبوية » ؟.

ترجع هذه المشكلة فى الأساس إلى مسألة تحديد الفرق بين معنى كل من الخبر النبوى والحديث النبوى . فقد ذهب علماؤنا الأجلاء إلى أن معنى الحديث لغة « هو الجديد ، وما يقابل القديم ، واصطلاحا فيه ثلاثة مذاهب . . . الثالث : ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول أو فعل ، وعلى هذا فهو خاص بقسم من المرفوع هو الأقوال والأفعال فحسب ، ولا يشمل التقرير ولا الصفات إلخ » [٣]

---

(١) السابق الصفحة نفسها .

(٢) مجلة عالم الفكر / المجلد ٣٠ / العدد ١ / ٦٥ / يوليو - سبتمبر ٢٠٠١ م .

(٣) سلسلة رسالة الطالب ، العدد الأول / ٦٦ ، جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، شذرات من علوم السنة (١) للدكتور محمد الأحمدى أبو النور .

أما تعريف الخبر فهو « لغة : ما ينقل ويتحدث به ، واصطلاحا : فيه أربعة مذاهب ... الثالث : **ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقية أو خُلقية ، حقيقة أو حكما حتى في الحركات والسكنات في اليقظة والمنام أو الصحابي أو التابعي من قول أو فعل أو إلى غيرهم . وهو بهذا يشمل المرفوع والموقوف والمقطوع وغير ذلك . ويكون أعمَّ من الحديث والسنة والأثر . الرابع : ما أضيف إلى غير النبي ﷺ وإلى غير الصحابي والتابعي من هذه الأمة أو غيرها من الأمم السابقة والأنبياء السابقين »** (١) .

وما يعنينا في الأمر هو التعريف الثالث ، إذ « الخطب في حفظ الأخبار غير الخطب في حفظ القرآن ، وذاك أن الأخبار لا حاصر لها ، ولا ضابط . ولا ينبغي لصاحب هذه الصناعة أن يقتصر على حفظ الصحيح منها الذي ثبتت صحته ؛ بل يحفظ الصحيح ، وغير الصحيح طلبا للاستكثار من المعاني التي تقتضيها الحوادث الطارئة ، والوقائع المتجددة » (٢) لأن هذا التعريف يشمل الحديث النبوي وغيره ، وهو ما عناه ابن الأثير ، ناصحا به أولئك السائرين على درب امتهان الكتابة ، حتى تتكون لديهم ثروة هائلة من المعاني ، تسعفهم عند الكتابة في أمر من الأمور ، ولا يقفوا عجزة أمام جملة من الجمل يريدون اكتمال كتابتها .

النقطة الأخرى التي يثيرها البحث هي أن ابن الأثير يحرص في أكثر من موضع على تأكيد أنه يبتعد تماما عن حفظ أي شيء من الكلام المنثور ، ومن ذلك قوله : « ولقد حظرت على نفسي أن أحفظ شيئا من رسائل الناس وخطبهم . حتى أني حظرت على نفسي حفظ شيء من مقامات الحريري ، وخطب ابن نباتة وهما عكازا أهل الزمان من متعاطي هذه الصناعة . وكل هذا فعلته فرارا أن يعلق بخاطري شيء من تلك الألفاظ والمعاني » (٣) .

---

(١) السابق / ٦٦ و ٦٧ ، وراجع التعريف بالقرآن والحديث / ٢٣٣ ، للدكتور محمد الزفزاف ، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ط ١ ، ١٩٥٥ م .

(٢) انظر ص ٣٧١ .

(٣) انظر ص ١٧٢ .

مضيفا أن : « الذى بعثنى على الإكباب على حفظ الشعر ؛ دون الخطب والرسائل ؛ أنى إذا أخذت معنى من معانى الشعر وأودعته رسائلى كنت قد نقلت من ضد إلى ضد ، وهو أخفى وأستر . ولو فعلت ذلك فى الكلام المنثور لكان نقل مثل إلى مثل ، وذلك أشهر وأظهر ، فباعثى إذًا على حفظ الأشعار دون الكلام المنثور كثرة الشعر واستغراقه للمعانى ولأن الأخذ منه أستر وأخفى » (١)

إن ابن الأثير يشدد لما سبق على حفظ الأشعار دون النثر ، والثابت لدينا غير ذلك ، إذ أنه لاشك حفظ ، أو قرأ باهتمام كتابات ناثرين آخرين غير أولئك الذين ذكّر بأنه لم يحفظ كتاباتهم كى لا يعلق بخاطره شىء من ألفاظهم أو معانيهم . يتضح ذلك من قوله : « ولربما كَلِم السوار يدا ؛ فذهب فخر زينتها بألم كلمها » الذى نجد أصلا له عند ابن زيدون (٣٩٤ - ٤٦٣ هـ) ، وذلك فى رسالته الجدية التى خاطب بها ابن جهور من موضع اعتقاله فى قوله : « وإنى لأتجلد ، وأرى الشامتين أنى لريب الدهر لا أتضعضع ، فأقول : هل أنا إلا يد أدماها سوارها » (٢) .

ليس هذا فحسب الذى يؤكد ما ذهبنا إليه من أنه قرأ وبعناية واهتمام شديدين كتابات المتقدمين - وإن كانوا من غير الكتّاب المشارقة - يتضح ذلك جليا فى نظره للمصارعة التى أدارها ابن زيدون بين النثر والنظم فى رسالته التى كتبها لابن الأفطس الحاجب ، التى يقول فيها : « ولما اطَّرد هذا النثر لحسن اتّساقه ، ولذ مساقه ، هزت النظم أريحية جذب لها بعنانه ، وعارضه فى ميدانه ، وأبت أن ينفرد النثر بلقاء الحاجب ومشافهته . . . (٣) » .

وذلك حينما يقول فى رسالته إلى الديوان العزيز النبوى ببغداد : « إذا أنشأ الخادم كتابا إلى الأبواب الشريفة تحاسدت على الاختصاص به ضروب المعانى ،

---

(١) انظر ص ١٧٣ و١٧٤ .

(٢) ديوان ابن زيدون ، معه رسائله وأخباره ، شرح وتحقيق محمد سيد كيلانى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر / ص ٢٢٦ و ٢٢٧ . وفى الأدب الأندلسى ، د. جودت الركابى ، دار المعارف / ٢٦٧ ، ١٩٨٠ .

(٣) السابق / ٢٦٢ .

وتمنى كل منها أن يُودَعَ فى أثنائه ، حتى تنازعت فى الأمانى ، ولو طمعت القوافى أن تتضمنه ؛ لظلت فيه ساهرة ، ولأضحت على الخُطَب وخُطبائها فاخرة ، لكنها علمت لا مطمع لها فيما اختص القرآن بتنزيل مدحه ، . . . » (١) .

كذلك فإن المفاخرة بين السيف والقلم ، أو تفضيل أحدهما على الآخر ، ليست وليدة عهد ابن الأثير ، ولم يكن هو السابق إلى وصف القلم ، وإذا كان أبو تمام والمتنبى - يمكن القول - السابقين إلى الحديث فى هذا الموضوع فى المشرق ، وإذا كنا قد أثبتنا أن ابن الأثير قد اطلع - إلى حد الحفظ - على الأدب الأندلسى السابق عليه متمثلا فى كتابات ابن زيدون ؛ فإننا فى هذه الفقرة نؤكد أيضا أنه قرأ رسالة ابن برد الأصغر (ت ٤٤٥ هـ) فى المفاخرة بين السيف والقلم ، التى يعد صاحبها « أول من أوضح الفرق بين السيف والقلم » (٢) .

وقد تأثر بهذه الرسالة من تلا ابن برد من الكتّاب ، « أول هؤلاء شاعر بلنسى معروف هو محمد بن غالب الرصافى (٥٧٢ هـ - ١١٧٧ م) كتب مقامة نقل إلينا ابن الخطيب فقرة منها فى وصف القلم . . . وثانى هؤلاء هو المصرى ابن نباتة (٦٨٧ - ٧١٦ = ١٢٨٧ - ١٣١٦) (٣)

ولم يقف التأثر برسالة ابن برد على الكتاب العرب فحسب ؛ إنما تأثر بها « أحد أدباء اليهود الإسبان المعروفين أقصد الحريزى (١١٦٥ - ١٢٢٥) المعروف بكتابه سفر تحكيمونى » (٤)

ويبدو لى من خلال ما كتبه ابن الأثير فى وصف القلم ، أن هذه الفكرة كانت نتاج قراءته العميقة لما خطته أقلام الأدباء والشعراء السابقين .

---

(١) انظر ص ٢٦٤ و٢٦٥ .

(٢) مقامات ورسائل أندلسية / ٣٣ ، لفرناندو دى لاجرانخا ، ترجمة د. عبد اللطيف عبد الحليم ، دار الثقافة العربية .

(٣) السابق / ٣٧ .

(٤) السابق / ٣٨ .

موروث ابن الأثير الثقافى من خلال الوشى المرقوم

انعكست الفوضى العامة على كل شىء فى حياتنا ، ونجد هذا الانعكاس واضحا فى ما يمكن أن يسمى الثقافة ، أو المعارف العامة ، وما نراه من « فساد حياتنا الأدبية الحديثة حاضرها وغابرها ، ولأنها تسير بنا اليوم فى طريق الغموض ، لا فى طريق الوضوح . وقد استشرى خطر هذا بما شاع فى هذه الحياة من الثرثرة والادعاء والتحكم والعجرفية وقلة المبالاة والزهو الفارغ ، فأدى بنا ذلك كله إلى أن نألف استعمال ألفاظ موهمة غامضة الدلالة ، فضفاضة المعانى ، بجرأة وبلا أناة وبلا ضبط وبلا تعميق . فالأمر يحتاج . . . إلى وقفة متأنية ، ومراجعة ضابطة للفظ « الثقافة » لأن أمرها أجلُّ وأخطر مما توهمك به النظرة الأولى . . . وأيضا لأن لفظ « الثقافة » لفظ مستحدث فى زماننا هذا ، تفشَّى استعماله على الألسنة بلا ضابط وبلا دقة وبلا مبالاة » (١)

ولأن شيخنا محمود محمد شاكر شخص الداء الذى طال ثقافتنا ، فقد ارتضيت التعريف الذى وضعه لكلمة « الثقافة » لتكون نبراسا وهاديا فى الوصول إلى معرفة الموروث الثقافى لصاحبنا ضياء الدين بن الأثير الجزرى .

يقول شيخ محققى التراث العربى الشيخ شاكر فى تعريفه للثقافة إنها : « فى جوهرها لفظ جامع يُقْصَدُ بها الدلالة على شيئين أحدهما مبنىٌ على الآخر ، أى هما طوران متكاملان : **الطور الأول** : أصول ثابتة مكتسبة تنغرس فى نفس « الإنسان » منذ مولده وهذه الأصول ضرورة لازمة لكل حى ناشىء فى مجتمع ما ، لكى تكون له « لغة » يبين بها عن نفسه و « معرفة » تتيح له قسطا من التفكير يعينه على معاشرة من نشأ بينهم من أهله وعشيرته » (٢)

---

(١) المتنبى – رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا / ٧١ ، للشيخ محمود محمد شاكر ، الناشر مطبعة المدنى بالقاهرة ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

(٢) السابق / ٧٢ .

ويؤكد الشيخ شاكر أن كل ذلك ينبنى على فطرة سليمة تجعل الإنسان منذ مولده « سريع الاستجابة لكل ما يلبى حاجة هذه الفطرة الخفية الكامنة فى أغواره . وكل ما يلبى هذه الحاجة هو الذى هدى الله عباده أن يسمُّوه « الدين » (١)

« والطور الثانى : فروع منبثقة عن هذه الأصول المكتسبة بالنشأة . وهى تنبثق حين يخرج الناشىء من إسار التسخير إلى طلاقة التفكير . وإنما سمَّيت « الطور الأول » : « إسار التسخير » لأنه طورٌ لا انفكاك لأحد من البشر منه منذ نشأته فى مجتمعه . فإذا بلغ مبلغ الرجال استوت مداركه ، وبدأت معارفه يتفصَّى بعضها من بعض ، أو يتداخل بعضها فى بعض ، ويبدأ العقل عمله فى الاستقلال بنفسه ، ويستبد بتقليب النظر والمباحثة وممارسة التفكير والتنقيب والفحص ، ومعالجة التعبير عن الرأى الذى هو نتاج مزاولة العقل لعمله ، فعندئذ تتكون النواة الجديدة لما يمكن أن يسمَّى « ثقافة » . وبيَّنٌ أن سبيله إلى تحقيق ذلك هو « اللغة » و« المعارف » الأوَل التى كانت فى طورها الأول مصبوغة بصبغة « الدين » لا محالة . . . هذه حال النشء الصغار حتى يبلغوا منزلة الإدراك المستقل المفضى إلى حيز « الثقافة » (٢)

لقد كان هذا المدخل ضروريا قبل الحديث عن الموروث الثقافى لدى ابن الأثير من خلال كتابه « الوشى المرقوم فى حل المنظوم » . فإننا نجد من خلال النظر فى هذا التعريف الذى ساقه الشيخ محمود محمد شاكر لكلمة « الثقافة » صدى واسعا مؤسسا فى عقل وقلب الضياء بن الأثير ، ويتضح ذلك جليا من خلال ما عرفناه عن نشأته الأولى سواء تلك التى كانت فى مسقط رأسه بجزيرة ابن عمر ، حيث تلقى علومه الأولى ، أو التى كانت بالموصل بعد انتقال والده بالأسرة إليها ، حين اختلف إلى شيوخها هو ، وأخوه عز الدين بن الأثير صاحب الكامل .

لقد وجد الضياء أبا يضع نصب عينيه تعليم أولاده تعليما لايبلغه أحد غيرهم ، لذلك وجدنا كلا منهم إماما فى بابه . فقد انقسم التعليم إلى مراحل ، يوضحها

---

(١) السابق الصفحة نفسها .

(٢) السابق / ٧٤ .

أستاذنا الدكتور الطاهر أحمد مكى بقوله : « . . . وبذلك أصبحت المدرسة الأولية للتربية ومجانا ، وتدرس القراءة والكتابة والقرآن ومبادىء الحساب وشيئا من الشعر . . . أما التلاميذ فى المدارس الثانوية فكانوا يدرسون النحو واللغة والأدب والمنطق والرياضيات ومواد أخرى »(١) .

وبعد تأسيس المدارس النظامية اتجه أساتذتها إلى تدريس « القرآن والحديث ، والفقه طبقا للمذهب الشافعى ، وعلم اللغة والأدب والجغرافية والتاريخ والمعمار والفلك والرياضيات والكيمياء والموسيقى والجبر »(٢) .

إذن فقد اتخذت طرق التعليم فى عصر ابن الأثير تتجه فى منحاها الأول صوب علوم الدين متمثلة فى حفظ القرآن الكريم ودراسة الفقه على المذهب الشافعى ، ومن هنا يمكن القول : إنه من الراجح أن تكون دراسة ابن الأثير قد اتخذت كل هذه المناهج نبراسا يهتدى إليه فى سنى عمره الأولى ، وهذه هى الأصول الأولى المكتسبة التى قصد إليها الشيخ شاكر فى تعريفه للثقافة ، إلا أنه أخذ طريقا آخر بعد أن انتهى من هذه المرحلة الدراسية فى تعليمه ، وهى الاعتماد على الذات .

اتجه ابن الأثير فى هذه المرحلة من حياته نحو تعليم نفسه أمورا أخرى ، تمثلت - فوق حفظه القرآن الكريم - فى حفظ الأحاديث النبوية التى جرد فيها كتابا يتكون من ثلاثة آلاف حديث ، إذ يقول : « وكنت أتعبت نفسى زمانا فى ذلك حتى جمعت فيه كتابا يشتمل على أكثر من ثلاثة آلاف حديث من الأخبار النبوية . كلها يُحتاج إليه فى أسباب الكتابة . وكنت ألزم مطالعة ذلك الكتاب لزوم المحتفل . ولا أزال فى مطالعته كالحالّ المرتحل ؛ حتى صار لدىَّ منضودا ، وفى لسان قلمى معقودا »(٣) .

---

(١) دراسة فى مصادر الأدب / ٥٦ ، للدكتور الطاهر أحمد مكى ، ط ٧ ، دار المعارف - القاهرة ١٩٩٣ .

(٢) السابق / ٥٧ .

(٣) انظر ص ١٧١ .

ولم يقتصر ابن الأثير على هذا الاتجاه فقط ، بل تعداه إلى : « حفظ الأشعار الكثيرة التى لايحصرها عدد مما يكون كل بيت منه فى الجودة بمنزلة قصيد من غيره » (١) .

ولم يقف ابن الأثير فى حفظه عند هذا الحد بل زاد عليه كثيرا ، يقول : « وكنت حفظت من الأشعار القديمة والمحدثة ما لا أحصيه كثرة ، ثم اقتصرت بعد ذلك كله على شعر الطائيين : حبيب بن أوس ، وأبى عبادة البحترى ، وشعر أبى الطيِّبِ المتنبِّى ؛ فحفظت هذه الدواوين الثلاثة ، وكنت أكرر عليها بالدرس مدة سنين ؛ حتى تمكنت من صوغ المعانى ، وصار الإدمان لى خلقا وطبعا » (٢) .

وللحقيقة فإن ابن الأثير ، ومن خلال هذا الكتاب ، لم يكن هذا كل موروثه الثقافى ، بل إننا نجد كثيرا من الأشعار لشعراء آخرين ، من بينهم أبو نواس الحسن ابن هانىء وابن الرومى وديك الجن ودعبل الخزاعى ومسلم بن الوليد صريع الغوانى وامرؤ القيس ، وأوس بن حجر .

وفوق كل ذلك فهو عليم بالقراءات المتعددة للقرآن الكريم ، وحافظ غير الأحاديث الصحيحة الكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعات .

ومما سبق نلاحظ أن الموروث الثقافى لدى ابن الأثير كثير ومتنوع ، وينبنى بعد اللغة والمعارف الأُخر على صحيح الدين ، وهى المعادلة التى قصد إليها الشيخ شاكر ليكون للإنسان ثقافة - بكل ما تعنيه هذه الكلمة دونما انحراف عن مسارها الصحيح - يعتد بها .

لقد أخذ ضياء الدين بن الأثير على عاتقه مهمة أن يكون مثقفا ، فشرب ونهل ، وعلل نفسه بمشارب شتى ، بل نستطيع أن نؤكد أنه كان ملما بالعديد من الأمور التى يمكن أن يحتاجها من سيدخل مضمار الكتابة . مؤكدا أن من بينها الإلمام بلغات أخرى وذلك فى قوله : « وكنت سافرت إلى بلاد الروم فى سنة ستمائة ؛ فلما دخلت مدينة ملطية ؛ أُخْبِرتُ عن خطيبها أن عنده أدبا وفضلا ، وأنه يقول الشعر ؛

---

(١) انظر ص ١٧١ .

(٢) انظر ص ١٨١ .

فقصدت لقاءه ؛ وألفيته كما أُخْبِرتُ عنه . وعرض عليَّ قصيدا من شعره ، وهو مائة بيت : كل عشرين منها على لغة ؛ فكان مضمَّنًا خمس لغات : العربية ، والفارسية ، والتركية ، والرومية ، والأرمنية . والجميع على وزن واحد ، وقافية واحدة ، إلا أنه كان فى غير اللغة العربية أبرع منه فى اللغة العربية » [1] .

ورغم وجود هذه العبارة التى تشير إلى معرفته بالعديد من اللغات فإننى - وللحقيقة - لم أجد أى نموذج فى أى من كتبه يثبت معرفته بهذه اللغات . كذلك فإننى لم أجد شيئا من هذا عند أى من الذين ترجموا له ، إنما إذا أراد أحدهم أن يعرض لهذه المسألة ؛ فإنه يسوق العبارة السابقة دليلا على معرفته باللغات وحسب ، دون أن يسوق مسوغا واحدا لاقتناعه بها .

---

(١) انظر ص ٣١٣ .

الاعتداد بالذات

المعارف الأصيلة التى اكتسبها فى سنى حياته الباكرة ، والمعارف الأخرى التى اتخذها سبيلا للتفوق والتميز فى مضمار الكتابة ، تدفعنا دفعا إلى نقطة أخرى فى شخصية ابن الأثير ، وهى الاعتداد بالذات .

لقد دفعت ابن الأثير عبقريته دفعا فى هذا الاتجاه « وليس كل صاحب موهبة كبيرة بمستغل مواهبه الفطرية الاستغلال الأمثل . وقد لا تقتصر العبقرية على ما عناه كارلايل « القدرة الفائقة على تجشم العناء » بل إن المسألة ، على وجه اليقين هى أن الإنجازات العظيمة تتطلب تفانيا وتركيزا لفترات طويلة من الزمن ، بل إن كثيرا من الناس ، أيا كانت موهبتهم ، ليسوا على استعداد لتكريس أنفسهم بكل إخلاص لأهداف تعود عليهم بعائدات قليلة مباشرة » (١)

ويمكن القول : إن ابن الأثير يمثل العبقرية الابتكارية ، وهى « ليست أكثر من استمرار فعالية صفات الطفولة فى حياة الراشدين الكبار » (٢) ، فتقدم العمر ؛ لم يزده إلا صلابة ، مع استمرار لمشاعر « التعجب والدهشة وحب الاستطلاع والفضول ، الميل إلى التجربة ، التنقيب والبحث والاستكشاف ، سرعة الخاطر والفطنة » (٣) هذه الصفات العبقرية هى التى جعلته يؤلف كتبه فى الفترة التى استقر خلالها فى الموصل ، ومن بينها كتاب « الوشى المرقوم » .

فمن وجهة أن ضياء الدين تجشم العناء ، فللحقيقة إنه لاقى الكثير من العناء ،

---

(١) العبقرية : تاريخ الفكرة / ٢٩٩ ، تحرير : بنيلوبى مرِّى ، ترجمة : محمد عبد الواحد محمد ، مراجعة : د . عبد الغفار مكاوى . سلسلة عالم المعرفة الكويت العدد ٢٠٨ ذو القعدة ١٤١٦ هـ - أبريل / نيسان ١٩٩٦

(٢) عالم الفكر ، المجلد ١٥ / العدد الرابع / ٨٠ ، يناير - فبراير - مارس ١٩٨٥ / بحث ديناميات العبقرية للدكتور محمد أحمد سلامة .

(٣) السابق الصفحة نفسها .

سواء لترسيخ قدميه فى حقل الإنشاء - وعلى الأخص فى دولة صلاح الدين - أو فى تأليف كتبه ، وفى مقدمتها كتابه « المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر » الذى جعل شهرته تطير فى الآفاق ، حتى إنه لم يعدم من رد على هذا الكتاب فى حياته ، أو بعد وفاته . يستوى فى ذلك من كان معه ، ومن كان ضده .

إذا كانت الإنجازات العظيمة تحتاج تفانيا وتركيزا ، ولفترات طويلة فإن الضياء أعطى جل وقته وعمره الذى قارب على الثمانين عاما لفن الكتابة الذى أحبه ، لهذا فليس بمستغرب أن نجد شخصية ابن الأثير ، واعتداده بنفسه وبقلمه واضحة فى ثنايا كتابه ، بل وكتبه الأخرى فى عبارات واضحة من مثل قوله : « فهو مبتدع لى ؛ لم أسبق إليه ؛ ومعان مبتدعة لم يسبقنى إليها شاعر ولا كاتب » ، وقوله : « ولإن سبقنى إلى حل الشعر سابق ، وورد ورده قبلى طارق ؛ فإنه ركب إليه هجينا لا هجانا . وظن خواطره فيه سميعة بصيرة ، وكانت صما وعميانا . وليس كل بيضاء شحمة ، ولا كل بيان بحكمة [(١)] .

ويعد قول كمال الدين بن الشعار ود . إحسان عباس « ولا ريب فى أن الجرأة والاعتداد بالنفس اللذين يبلغان لديه حد الغرور قد كانا ستارا يحجب بهما ضعف تحصيله الثقافى وعدم تنوعه » [(٢)] ضربا من التناقض والمغالطة ، حينما يؤكد د . إحسان نفسه أن ابن الأثير « قرأ كثيرا من الشعر - مع ملاحظة كلمة قرأ - واطلع على كثير مما ألف فى النقد والبلاغة » [(٣)] .

ولم يكن هذا الاعتداد نتاج حالة مرضية ، لكنه ناشىء عن دربة وخبرة بالفن الذى أحبه ، وأعطاه عمره . يقول فى موضع آخر : « هذا الفصل فصل من القول ، وله على غيره بسطة الطول . وهو شبيه بخمر الجنة التى لا فيها غول . وقد أبرزته فى هذه الصورة التى ألفاظها معان ، وإذا قيس إليها غيرها قيل : والنظم والنثر يسجدان » [(٤)] . ولا ينسى أن يقرن بعض العبارات بضمير المتكلم « أنا » ، فهو

---

(١) انظر ص ١٦٣

(٢) وفيات الأعيان ٧ / ٣٣٥ ، وتاريخ النقد الأدبى عند العرب / ٦٠٠ .

(٣) السابقان الصفحة نفسها . (٤) انظر ص ٣٢١ .

« معجب بنفسه فى حياته ، مستبد برأيه فى سياسته ، ولذلك نراه معجبا بعلمه فى مثله ، ، مستبدا برأيه فى نقده »[(١)] ؛ فنجده يقول : « والذى ذكرته أنا فى هذا الموضع ألطف وأحسن وإن كان أصله منه »[(٢)] .

إن اعتداده بذاته يصل إلى حد أنه تناول « الكتاب والشعراء وعلماء اللغة بالنقد والتجريح ، وهو على الكتَّاب أشد وطأة منه على الشعراء ، أما علماء البلاغة فلم يعجبه أحد منهم ، أما الساجعون فلا يروق له من سجعهم غير القليل »[(٣)] .

والأمر غير الخفى هو أن « إنشاء ابن الأثير يمثل نفسه ، وإذا كان الإنشاء عصارة نفس المنشىء ؛ فابن الأثير فى حياته مستبد مغرور ، وفى إنشائه معجب بنفسه فخور ، وإذا كان أسلوب الكاتب بضعة من فؤاده ؛ فأسلوب ابن الأثير يمثل نفسه المعجبة إلى درجة الغرور ، ولذلك لا يفتأ يتحدث عن نفسه وعلمه ويتغنى بمقدرته وسعة اطلاعه ، ويفتخر بابتداعه واختراعه ، وهو يعلو على من سبقه ويسبق من ألَّف قبله : « وقد هدانى الله لابتداع أشياء لم تكن من قبلى مبتدعة ، ومنحنى درجة الاجتهاد التى لا تكون أقوالها تابعة ؛ وإنما متبعة » ، وقال : « وهذا شىء لم ينتبه عليه أحد غيرى » ، وقال : « لقد مارست الكتابة ممارسة كشفت لى عن أسرارها ، وأظفرتنى بكنوز جواهرها ، إذ لم يظفر غيرى إلا بأحجارها »[(٤)] .

وإن كان ما يقوله حنا نمر يصدق فى كثير منه بالنسبة لكتابات ابن الأثير إلا أن إعجابه - نكاد نؤكد - يمثل اعتدادا بذاته ؛ وليس غرورا ؛ إذ نجده يعترف بأنه أخذ عن فلان أو فلان « وهذه المعانى المذكورة غريبة لم أسمعها ، إلا أن حاشية منها تسارق النظر إلى بيت من الشعر لأبى الطيِّبِ المتنبِّى . . . وهذا نظر من خصاصات الستور ؛ وما أقول إنه مغامزة العيون ؛ بل مناجاة بوحى الصدور »[(٥)] .

أضف إلى ذلك شخصيته المحبة الوفية المخلصة لمن عمل فى خدمتهم كاتبا

---

(١) دراسات فى الأدب والفن لحنا نمر / ١١٨

(٢) انظر ٢٦٧ .

(٣) دراسات فى الأدب والفن لحنا نمر / ١١٩ .

(٤) السابق / ١٢١ .

(٥) انظر ص ٣٢٦ .

أو لأصدقائه فى كل مكان حلَّ به ، أو ارتحل إليه رسولا ، والرسائل المكتوبة منه عناية بهذا أو بذاك من الأشخاص لخير دليل على وفائه ونبله ورحمته بالضعفاء ، ومد يد العون للمظلومين ، أو المقهورين ، أو أصحاب الحاجات .

أهمية الكتاب

تشير المعاجم إلى أن معنى كلمة « الوشى » هو النمنمة والنقش والحسن ، وفى معنى آخر أنه يكون من كل لون ؛ يعنى جميع ألوان الوشى . و« كتاب مرقوم أى مكتوب كالرقم فى الثوب لاينسى ولا يمحى وقال قتادة مرقوم أى مكتوب . . . وقال الضحاك مرقوم مختوم بلغة حمير وأصل الرقم الكتابة » (١)

إذن فكتاب ابن الأثير يدور حول موضوع الكتابة وتزيينها . أى أن من يريد أن يكون كاتبا ، أو أديبا ، أو خطيبا . فلابد له من أدوات تمكنه من صوغ ما يكتب فى شكل بديع وبليغ ، يبرز ثروة اللغة ، والإلمام بكل شىء فيها ؛ سواء من خلال حفظ القرآن الكريم ، أو ماتيسر حفظه من الأحاديث النبوية ، أو شعر فحول الشعراء ، أو الأمثال . إلى غير ذلك مما يمكن من إبراز المعنى المراد الكتابة فيه ببراعة ليس فيها عىٌ ولا قصور .

ومن هنا تبرز أهمية هذا الكتاب الذى خصصه ابن الأثير للحديث عن المنابع التى ينبغى لمن يريد أن يسلك طريق الكتابة أن يتخذها سبيلا وذخيرة تعينه على صوغ المعانى فى سهولة ويسر دون أن يقف عاجزا عن الوصول إلى المعنى الذى يريد الكتابة فيه .

ابن الأثير فى هذا الكتاب يأتى بالطريقة المثلى التى تؤدى بمن يريد أن يتخذ الكتابة مهنة إلى الاتجاه الصحيح . فهو - ومن خلال رسائله - يوضح كيف يضمن الكاتب رسائله ما يجعلها رسالة خليقة بأن تقرأ . مع بيان أن ما هو مسموح به لمبتدئى الكتابة ؛ غير مسموح به لمحترفيها خاصة فى تضمين ألفاظ أبيات الشعر السائرة أو معانيها ، وإلا اتهم من يفعل ذلك بالسرقة

وفى مرحلة تالية يركز على كيفية تضمين معنى الشعر والقرآن الكريم والحديث النبوى والأمثال فى ثنايا الرسائل .

---

(١) تفسير القرطبى ١٩ / ٢٥٨ . واللسان مادة (و ش ى) و (ر ق م) .

وتأتى أهمية الكتاب أيضا فى أنه دليل حىّ على أن حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأشعار هى خير وسيلة للحفاظ على لغة القرآن التى - ويا للأسف - تضيع الان بين أيدينا من خلال ادِّعاء المدَّعين بأن مناهج التعليم مبنية على الحفظ ، وهى قضية خطيرة يجب ألا تترك على عواهنها . فلو لم يحفظ الطفل فى سنه الباكرة ما تيسر من القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأشعار ؛ فمن أين له امتلاك لغة القرآن ؟ .

وتأتى أهمية هذا الكتاب أيضا من أنه ترجمة فعلية لثقافة العصر الذى وجد فيه ابن الأثير ؛ إذ أنه قد « شاعت ظاهرة حل المنظوم فى هذا العصر ، وقد كانت شائعة قبل ذلك أيضا » [١]

وإذا كان أبو هلال العسكرى قد خصص كتابه « لمن استكمل الآلات كلها ، وبقى عليه المعرفة بصنعة الكلام ، وهى أصعبها وأشدها » [٢] ، وأجمل فى سطور قليلة ما يحتاجه الكاتب لكى يكون كاتبا ، وذلك فيما أورده على لسان المبرد فى قوله عن نفسه : « فأنا عالم ومتعلم وحافظ ودارس لا يخفى علىّ مشتبه من الشعر والنحو والكلام المنثور والخطب والرسائل ؛ ولربما احتجت إلى اعتذار من فلتة ، أو التماس حاجة ؛ فأجعل المعنى الذى أقصده نصب عينى ؛ ثم لا أجد سبيلا إلى التعبير عنه بيد ولا لسان » [٣] . فإن أهمية الوشى المرقوم تنبع من أنه يوضح فى سهولة ويسر الأدوات التى ينبغى توافرها لمن يريد أن يتخذ من الكتابة مهنة ، بل وزيادة على ذلك ؛ أن ابن الأثير يأتى بنماذج عالية من نثره الذى كتبه فى مواضع وأزمان عديدة على امتداد عمره الطويل ، لتكون بين يدى من يريد أن يدخل فى هذا

---

(١) بيت المقدس فى أدب الحروب الصليبية (٤٩٢ - ٦٤٨ هـ) ص ٣٧٢ ، د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ، كلية الآداب - الجامعة الأردنية ، دار البشير للنشر والتوزيع ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

(٢) الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ١٤٧ ، علق عليه وفسّر غريب ألفاظه محمد أمين الخانجى ، ط ٢ ، مطبوعات محمد على صبيح بالأزهر الشريف . بدون تاريخ طبع .

(٣) السابق الصفحة نفسها .

المجال ، ويسلكه ، ثم في مرحلة تالية للنموذج المختار يبين ما استخدمه من ثروات ثقافية متنوعة سواء أكانت من القرآن الكريم ، أو الحديث النبوى الشريف ، أو من أشعار فحول الشعراء ، أو الأمثلة السائرة ، أو الحكمة ، أو بعضا مما استخلصه هو من تجاربه الخاصة ، وما قرأه فى كتب السابقين : التوراة والإنجيل ، وما اكتسبه من خلال إجادته اللغات الأخرى : الفارسية ، والتركية ، والرومية ، والأرمنية .

كذلك فإن أهمية هذا الكتاب تأتى من أنه يشرح عمليا كيف يستخدم من يريد أن يمتهن الكتابة كل المعارف السابقة وسواها فى كتاباته ، ضاربا الأمثلة الواضحة فى كيفية تضمينها فى ثنايا الكتب ، وأنه بدون هذه الأدوات لن يكون كاتبا ، وفى حالة من الحالات « ينادى على نفسه بالسرقة » لأنه لم يستخدمها فى أماكنها الصحيحة .

ومن هنا يأتى تأكيد ابن خلكان فى قوله : « وله كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم وهو مع وجازته فى غاية الحسن والإفادة » [(١)]

لذا يؤكد هذا الكتاب أنه لابد من الحفظ حتى تسهل صياغة المعانى . بعد أن وصل الطلاب إلى مرحلة لا يستطيعون فيها كتابة موضوع تعبيرى ، أو مقال يتناول قضية خاصة ، أو عامة . بل إننى ومن خلال عملى الصحفى فى قسم التصحيح والمراجعة اللغوية بمؤسسة أخبار اليوم أكاد أؤكد أن كثيرا ممن يعملون فى الحقل الصحفى عاجزون عن كتابة مقال صحفى فى لغة صحيحة خالية من اللحن الصرفى أو النحوى بل إنهم فى كثير من الأحيان يؤودهم الوصول إلى صياغة المعنى المراد توصيله للقارئ لأنهم لا يمتلكون من اللغة إلا القشور . ولا يعرفون من النحو حتى : قشور اللغة ، ولا متى يرفع المبتدأ وينصب الخبر ؟ .

ومن هذا المنطلق فإن للكتاب أهمية عظمى بالنسبة لأمثال هؤلاء ؛ إذ يسر لهم ضياء الدين بن الأثير من خلاله فرصة رائعة لتعلم فن الكتابة مع اشتراط وجود الموهبة أولا ، لأنه مادة خصبة لصقل مواهب الناشئة مما ييسر لهذه الأمة أناسا من أبنائها قادرين على صوغ لغة القرآن فى قوالب أدبية جميلة ، تحبب غيرهم فيها ؛

---

(١) وفيات الأعيان ٥/ ٣٩٢

لأن المحافظة على لغتنا محافظة على القرآن كتاب الله العظيم ، الذى تكفل الله بحفظه فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [١] ، وإحدى وسائل الحفظ التى هيأها الله لكتابه الكريم ؛ امتهان - من يسر الله لهم - طريق الكتابة . إذ لا مناص لهم من حفظ آيات القرآن الكريم ، والأحاديث الشريفة لرسول الله ﷺ الذى لا ﴿ يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [٢] . ثم حفظ دواوين فحول الشعراء ، مع اكتساب بعض اللغات للاطلاع على ثقافات الأمم الأخرى ..

* * *

---

(١) الحجر / ٩ .

(٢) النجم / ٣ و ٤ .

الفصل الثالث

نسخ الكتاب

الوشى المرقوم مخطوطًا

وصف النسخ المخطوطة :

وقعت يداى على ست نسخ مخطوطة للوشى المرقوم فى حل المنظوم لمؤلفه الوزير الصدر العلامة البحر الفهامة ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الجزرى . وكان علىَّ أمام هذه النسخ أن أختار واحدة لتكون أمًا ، وأن تكون النسخ الأُخر فروعا تتم المقابلة عليها .

فى هذه الفقرة أقوم بوصف للنسخ المخطوطة ، وأعمد إلى توضيح زمن نسخ كلٍ منها ، والتعليل : لماذا اخترت هذه لتكون أمًا أو أصلا ، ولِمَ تركت النسخ الأُخر للمقابلة ، سواء التى استفدت منها ، أو تلك التى تركتها دون الرجوع إليها .

أولا النسخة الأم (الأصل) : نسخة نور عثمانية وهى نسخة مصورة من مكتبة نور عثمانية بتركيا ، وموجودة فى مكتبة معهد مخطوطات جامعة الدول العربية تحت رقم ٤٣٦٤ ، وقد حرر عليها : « اسم الكتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم ، اسم المؤلفَ ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن محمد تاريخ النسخ سنة ٦٣٤ هـ » وقد كتبت بخط نسخ نفيس عن نسخة قوبلت بأصل المصنف أى قبل وفاة المصنف رحمة الله عليه بثلاث سنوات تقريبا . وقد كتب على صفحتها الأولى أنها « وقف نذر النذور العامات فى بديع الخلافة والمقامات السلطان بن السلطان ، السلطان أبو الإرشاد عثمان خان بن السلطان مصطفى خان . جعل الله يده نصرة للأدباء الأنجاب ، وأنا الراعى الحاج إبراهيم ( ) المقتبس بأوقاف الحرس المحترس . غفر له » .

لقد كتبت هذه النسخة بخط نفيس عن نسخة « قوبلت عرضا بالأصل المقروء على المصنف أيده الله بالموصل الموصولة ، منه هذه النسخة حسب الاجتهاد » .

الأهم من أنها قوبلت عَرْضًا بالأصل المقروء على المصنف ، فقد « استشرح

منها ما يحتاج إلى شرح ، وذلك بمدينة الموصل فى عدة مجالس ، آخرها يوم الإثنين ثامن جمادى الأولى سنة ٦٣٢ هـ . . . ، وكتب مصنف الكتاب بيده حامدا الله ، ومصليا على رسوله محمد وآله وسلم » [1] .

وقد كتب فى الصفحة الأخيرة : « تم الكتاب المبارك بحمد الله تعالى ومنته ، وخفى لطفه ، وحسن توفيقه فى العشر الآخر من شهر ربيع الآخر من سنة أربع وثلاثين وستمائة . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبىِّ الأمى ، وعلى آله الطاهرين . وهو حسبى ، ونعم الوكيل » .

لكل ما سبق رأيت أن هذه النسخة عالية ، وتستحق أن تكون أمًّا ، وأن تتم المقابلة على ما يسَّره الله سبحانه وتعالى تحت يدىَّ من نسخٍ أُخر .

* * *

ثانيًا : هذه النسخة موجودة فى الخزانة التيمورية بدار الكتب والوثائق المصرية تحت رقم ٤٦٣ أدب . كتب فى بياناتها أنها موجودة فى « مكتبة دار الكتب . القاهرة ، رقم المخطوط فيها ٤٦٣ أدب تيمور ، اسم الكتاب وموضوعه الوشى المرقوم فى حل المنظوم ، اسم المؤلف ابن الأثير ، تاريخ المخطوط ٦٥١ هـ .

كتب فى وسط صفحتها الأولى داخل برواز : « الوشى المرقوم فى حل المنظوم « تأليف الوزير العالم الكامل ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم رحمة الله عليه » ، وفوقه كتب : « كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم للإمام ضياء الدين ابن الأثير صاحب المثل السائر » ، وعليها أبيات شعرية منها :

يا قاتلى بسهام اللَّحظِ مُنْفَرِدًا
وما تَكَلَّفَ أنصارًا وأعوانا
أنا شهيدُ الهَوَى عُثمَانُ لا عَجَبٌ
ظُلِمْتُ مِثْلَ شَهِيدِ الدَّارِ عُثْمَانَا

---

(١) انظر الصفحة الأخيرة من النص المحقق .

وكذلك عليها تمليكات أوضحها : « من كتب كاتبه محمد بن القاسم بن المنقار الحنفى ، عفا الله عنه ، ثم انتقل بالابتياع إلى ملك (كلام غير واضح) سنة ١٠٥٩ » .

أما الصفحة الأخيرة فقد كتب بها : « نجز كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم ، ووافق فراغه بكرة السبت ثالث ذى الحجة من سنة إحدى وخمسين وستمائة هجرية ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه ، وآله الطاهرين ، وسلم كثيرا ، وحسبنا الله ، ونعم الوكيل .

وبخط مختلف عن خط النسخة كتبَ : بلغ مقابلته بنسخة عليها خط المصنف رحمه الله ؛ وصحح بقدر الإمكان فى أوائل ربيع الأول سنة تسع وخمسين وستمائة ، والحمد لله ، وصلواته على محمد وآله الطاهرين . وبها اضطراب فى ترقيم الأوراق الأخيرة .

ولهذا جعلت هذه النسخة تالية مباشرة للنسخة الأم نظرًا لأهميتها . وقد رمزت لها بالحرف « ت » .

* * *

ثالثا : نسخة كتبخانة ملى طهران ، وهى تحت رقم ٨٩٨ ، مصورة بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية ، وهى « نسخة نفيسة ، كتبت بقلم نسخى نفيس مشكولٍ سنة ٦٩٣ هـ ، ومزخرفة بين السطور والهوامش » (١)

تتميز هذه النسخة - إضافة إلى فخامة خطها - بأنها تنفرد فى بعض المواضع بعبارات تصلح خطأً فى بقية النسخ . كذلك فإنها تنفرد بزيادات ليست موجودة فى النسخ الأخرى ، ومنها بيت شعر يتم به ما حله ابن الأثير فى إحدى رسائله ، وهو قول أبى تمام :

وَيَزِيدُهَا مَرُّ اللَّيَالِى جِدَّةً
وتَقَادُمُ الأيام حُسْنَ شَبَابِ

وهو غير موجود فى النسخ الأخرى ، وقد كتب داخل برواز فى صدر صفحتها

---

(١) فهرس المخطوطات المصورة ٦ / ١٨٢ ، رقم ٢٤٢٥ .

الأولى : « تصنيف الشيخ الإمام العلامة القدوة سيد البلغاء أوحد الفضلاء ؛ ضياء الدين أبى نصر الفتح بن نصر الله بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير تغمده الله برحمته » .

أما الصفحة الأخيرة فقد كتب : « تم الكتاب بحمد الله ومنّه ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد نبيه ، وآله وأصحابه وعترته الطاهرين وسلم تسليما كثيرا . ولم يحدد تاريخ للنسخ ، لكنها حسب المتعارف عليه ومن خلال تلك الدائرة الموجودة فى آخر الفقر ، والنقطة الموضوعة داخلها نسخة جيدة ، نستنتج أنها تمت مقابلة بنسخة أخرى ، أو نسخ أُخَر.

وقد رمزت لها بالحرف « ط » .

* * *

رابعا : نسخة موجودة فى أدب مصطفى كامل تحت رقم ١٣٢ ، بها تصحيف وتحريف وخروم ، ولكنى اعتمدتها أيضا وقابلت عليها ، وفى صدر صفحتها الأولى تمليك : « ملك أفندم حاج إبراهيم محمد عسكر » .

وقد كتب فى صدر صفحتها الأولى بخطٍّ ردىء : « هذه الأوراق تشتمل على كتابين الأدب ، الكتاب الأول الوشى المرقوم فى حل المنظوم سيدى محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزرى المعروف بابن الأسيل . والكتاب الثانى . . . » .

وفى الصفحة الأخيرة كتب :« بلغ مقابلة حسب الطاقة فى خامس عشر محرم الحرام سنة ست وألف ، أحسن الله عاقبتها بخير . . .

وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف « م » .

* * *

خامسا : نسخة مصورة من مكتبة عارف حكمت بالمدينة النورة ، أدام الله نورها بمرقد الرسول الكريم ﷺ ، ورضى عن الصحابة الأولين . أرسلها مشكورا الأخ الفاضل مرزوق على إبراهيم . وقد كتب فى صفحتها الأولى : « الوشى المرقوم فى حل المنظوم . صنعة الوزير الكامل أبى الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزرى رحمه الله تعالَى ، وله كتاب المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر » .

وعلى هذه النسخة تمليكات ، وكتب فى دائرةِ ختم : « مما وقفه العبد الفقير إلى ربه المغنى أحمد عارف حكمة الله بن عصمة الله الحسينى فى مدينة الرسول الكريم عليه وعلى آله الصلاة والتسليم ، بشرط ألا يخرج عن خزائنه والمؤمن محمول على أمانته » .

ومكتوب فى نهاية الصفحة الأخيرة : « تم الكتاب بعون الله تعالى وحسن توفيقه فى الخميس غرة ذى الحجة سنة ثلاث ستمائة ، والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله » ويبدو أن رقما سقط بين ثلاث ستمائة .

وقد رمزت إليها بالحرف « ع » .

* * *

وهناك نسختان أخريان لم أعتمدهما فى المقابلة .

أولاهما : مكتوب فى خاتم بيضاوى بالصفحة الأولى : « وقف هذا الكتاب ورثة المغفور له سليمان باشا أباظة بالجامع الأزهر سنة ١٣١٦ هـ » .

وكتب : « هذا كتاب فى الأدب المسمى بالوشى المرقوم فى حل المنظوم ، تأليف العالم العلامة الحبر البحر الفهامة الأريب الأديب سيدى محمد بن محمد عبد الكريم الجزرى المعروف بابن الأثير رحمه الله تعالى آمين » .

وفى الصفحة الأخيرة : « تم الكتاب ، والحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده ، وكان تمامه فى يوم الخميس غاية محرم سنة ١٢٩٦ هـ » .

ولم أعتمد هذه النسخة لأنها بالمقارنة بنسخة مصطفى فاضل التى سبقت الإشارة إليها ، تنقل عنها مع الأخطاء التى وردت بها ، وزادت على هذه الأخطاء عيوبا أخرى تصحيفا وتحريفا وخرما .

* * *

النسخة الثانية : موجودة فى مكتبة بلدية الإسكندرية يقول عنها د. يوسف زيدان فى كتابه « **نوادر المخطوطات بمكتبة بلدية الإسكندرية** » الصادر عن الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية سنة ١٩٩٥ م نموذج رقم (٣٢) : « نسبها الناسخ على الغلاف لبديع الزمان الهمذانى ، وهى فى الحقيقة من تأليف ابن الأثير الجزرى (ضياء الدين

نصر الله بن محمد المتوفى سنة ٦٣٧ هـ) ، وهى محفوظة تحت رقم (١٩٦٦ د) أدب ، وتقع فى خمس وستين ورقة مقاس ١٤ فى ١١ سم .

وقد كتبت فى القرن الثامن الهجرى تقديرا ، وبأولها مطالعة مؤرخة بسنة ٩٨٦هـ » .

وكان من الواجب الاعتماد عليها فى التحقيق نظرا لقدمها ، وقربها من عصر مؤلفها ، غير أن المخطوطة متحجرة ، وفى حالة لاتسمح بالتصوير ، ومن ثَمَّ فقد تعذر الحصول على مصورة منها .

* * *

سادسًا : نشرة قام على طبعها إبراهيم بن الأحدب الطرابلسى سنة ١٢٩٨ هـ - ١٨٨٠ م . وقد طبعت بمطبعة ثمرات الفنون فى بيروت ، وقد طبعت طبع الحجر فى ١١٢ صفحة .

وقد كتب فى صدر صفحتها الأولى : « هذا كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم ، تصنيف الوزير الأجل العالم الفاضل ضياء الدين أبى الفتح نصر الله بن محمد الشهير بابن الأثير ، تغمده الله برحمته آمين . وبهذه النسخة توضيح لبعض معانى الكلمات .

ورغم ما فى هذه النشرة من عيوب التصحيف والتحريف والخرم فإنها جهد مشكور ومحمود لمن قام على طباعتها متمثلا فى إمكانات هذه الفترة . وأعتقد أنه تيسر له أكثر من نسخة فى مرحلة المقابلة ، إذ من الممكن أن يكون قد تيسر له ما لم يتيسر لنا من النسخ المخطوطة ؛ يتضح ذلك فى انفراد هذه النسخة ببداية النوع العاشر التى أشير إليها فى بقية النسخ بأنه مكانه بياض فى الأصل .

وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف « ن » .

نشرة المرحوم الدكتور جميل سعيد

كتب فى رأس الصفحة الأولى لهذه النشرة مطبوعات المجمع العلمى العراقى . ثم كتب بشكل واضح : الوشى المرقوم فى حل المنظوم ، ضياء الدين بن الأثير . يلى هذا فى منتصف الصفحة : تحقيق الدكتور جميل سعيد الأستاذ بكلية الآداب بجامعة بغداد ، عضو المجمع العلمى العراقى .

ومن خلال هذا التعريف الموجز بشخص د. جميل سعيد رحمة الله عليه تتضح لنا مكانته وقيمته العلمية . ولهذه المكانة والقيمة كان لابد من التوقف عن مواصلة تحقيق هذا الكتاب القيم ، خاصة بعد أن أعلمنى صديقى وزميلى بتمهيدى الماجستير وبأخبار اليوم الأستاذ حمدى حامد بأن د. جميل سعيد قام بتحقيق هذا الكتاب . لذا قرر أستاذى الدكتور أبو همام أن أبحث عن نسخة الكتاب المشكلة أو أن أبحث عن موضوع آخر .

توقفت باحثا عن إحدى نسخه علها تشفى ظمئى بالاستمرار فى طريق تحقيق هذا الكتاب ، اتصلت بصديقى الأستاذ جمال عبد الحى المحرر بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، فأخبرنى أن هذا الكتاب تم طبعه سنة ١٩٨٩ م ، وقد انقطعت مطبوعات المجمع العلمى العراقى عن مجمع القاهرة لخلافات سياسية

وبالمصادفة التقيت بالدكتور فيصل الحفيان الدبلوماسى السورى بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية ؛ فسألته لعله يعلم أين أجد ضالتى ، فأخبرنى أن هذا الكتاب غالبا سوف يكون عند الدكتور عرفة حلمى عباس المدرس وقتها بكلية الآداب جامعة القاهرة .

توجهت إلى د. عرفة الذى لم يتوان فى تقديم هذه النسخة النادرة التى طبعت سنة ١٩٨٩ م من هذا الكتاب لى ، فقمت بتصويرها واطلعت عليها ، ورغم الجهد المشكور لناشرها د. سعيد فالأخطاء كثيرة ، لذا رأيت أن أُفَصِّلَ لماذا كان القرار بالاستمرار فى تحقيق هذا الكتاب ؟.

بداية يبرر د. سعيد إعادة نشره الكتاب الذى أجمع كثيرون على أهميته بأنه « طبع بمطبعة ثمرات الفنون سنة ١٢٩٨ هـ ، ومن بعيد جدا نفدت نسخه ، وأصبح من غير الميسور الحصول على نسخة منها » (١)

وهذا كلام طيب جدا . وإذا كان ينطبق على النشرة الأولى التى طبعت منذ ما يزيد على مائة وعشرين عاما لهذا الكتاب ؛ فإنه من الأحرى أن ينطبق على نشرة د. سعيد التى طبعت سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ، وعثرت عليها بشق الأنفس شاكرا للدكتور عرفة حلمى عباس إعارتها لى حتى يتسنى لى تصويرها .

ويقول د. سعيد : « وطبعته هذه لم يتفضل ناشرها بذكر اسمه ، ولابذكر الأصل الذى اعتمده فى النشر ، كما أنها خالية من الفهارس ، بل هى خالية حتى من فهرس لموضوعات الكتاب ، وناشرها لم يأخذ نفسه بشرح ماعساه بحاجة إلى الشرح منها » (٢)

وكأن د. سعيد لم يكن يعرف أن ذكر اسم المحقق والشرح والفهرسة لم تعرف ولم تتخذ منهجا إلا فى العصر الحديث إذ « كان التحقيق فى هذه الآونة يدور حول مقابلة النسخ المتعددة للمخطوطة الواحدة ، وتصحيح النص على هذا الأساس ؛ أى أساس المقابلة بين النسخ ، وقد يشير المصحح فى بعض الأحيان إلى اختلاف النسخ فيقول : وفى نسخة كذا دون أن يذكر لنا ما هى هذه النسخة ، ولا من أين هى ، ولا يعطى لنا مقدمة دراسة الكتاب ومخطوطاته وتوصيفه » (٣)

ولأن هذه الفترة الباكرة فى تاريخ نشر التراث العربى لم يكن لها منهج واضح ، وإنما غيرة من أولئك الذين شاقهم نشر الغرب تراثنا ؛ فعمدوا إلى نشر هذا التراث بدلا من نشره متفرنجا فى فهمه وطباعته فقد « كانت مهمة المصحح أن يشرح بعض اللغويات ، ويذكر بعض المقابلات ، لكنه غير مضطر إلى تخريج الأحاديث النبوية والآيات القرآنية ، ولا يترجم للأعلام ، ولا يعرف بالبلدان ، ولا يضع الفهارس

(١) نشرة د. جميل سعيد / ٢٨

(٢) السابق / ٢٨

(٣) تحقيق التراث العربى : منهجه وتطوره ، د. عبد المجيد دياب ص ١١١

الفنية ! كل هذا لم يوجد عند الشيخ محمد عبده ، ومن عاصروه من العلماء العرب فيما وقع لنا من كتب » (١)

وهذا ما ينطبق على عصر نشرة سنة ١٢٩٨ هـ . وكأنه - د. سعيد - لم يقرأ مقدمة شيخنا محمود محمد شاكر لكتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى ؛ تعليقا على نسخة الشيخ محمد رشيد رضا رحمة الله عليه المطبوعة سنة ١٣٢١ هـ - والفترة بينها وبين كتاب الوشى المرقوم المطبوع سنة ١٢٩٨ هـ تقريبا ثلاثة وعشرون عاما - حيث يقول الشيخ شاكر يرحمه الله : « فهذه المطبوعة إذن لها ثلاثة أصول مخطوطة لا أعرف عنها شيئا ، ولكن لما لها من منزلة التقدم ؛ ولأن الذين تولوا نشرها ثلاثة من كبار علمائنا فى هذا العصر ، فقد جعلتها أصلا ثالثا ، واتبعت ترتيبها ، حتى لا تختل معرفة الناس بهذا الكتاب الجليل الذى بقى فى أيديهم على صورته هذه أكثر من ثمانين سنة » (٢)

ويضيف د . جميل سعيد : « وأهم من هذا كله أن الذى نُشِرَ ؛ إنما هو بعض الكتاب ، وليت الناشر الكريم فى نشر هذا البعض عمد إلى التلخيص أو الاختصار ، ولكنه تجنب هذا إلى شيء لانرى أمانة العلم ترتضيه ، وهو أن ينظر فى النص تكون فيه لفظة غير واضحة الخط ، أو غير واضحة المعنى فيطرحها ، وقد يطرح الجملة كلها بسببها ، وقد يرى نصا فيه بعض الصعوبة فيطرحه كله أيضا ، وسار هذه السيرة فى نصوص الكتاب » (٣)

ورغم اتهام الدكتور جميل لهذا الناشر بعدم الأمانة والجهل ، فإننى وللأمانة أؤكد أن إحدى النسخ التى تحت يدى ، وهى نسخة مصطفى فاضل ، وقد اعتمدتها فى المقابلات ؛ تتفق إلى درجة كبيرة مع نشرة ثمرات الفنون فى هذه الأجزاء المحذوفة ، ويبدو أن ما وقع لهذا الناشر الكريم الذى يكفيه شرف السبق إلى نشر هذا الكتاب مع قلة الإمكانيات المتاحة ، من نُسَخٍ فيها هذا السقط دون أن يطّرحه ، وليس لجهل أو لعدم أمانة كما يدعى عليه د. سعيد .

---

(١) السابق / ١١٣

(٢) مقدمة دلائل الإعجاز ، تحقيق الشيخ محمود محمد شاكر ص ك .

(٣) نشرة د. سعيد / ٢٨ و ٢٩

أما وصفه له بالجهل ؛ فهذا منافٍ للحقيقة إذ إن هذا الرجل لم يكن جاهلا ، ولو اطلع د. سعيد على الأعلام للزركلى لعلم مكانته . يقول الزركلى عنه : « إنه شاعر واديب ، ولد (١٢٤٠ - ١٣٨٠ هـ / ١٨٢٤ - ١٨٩١ م) فى طرابلس الشام ، ونصِّب مستشارا فى الأمور الشرعية لحاكم مقاطعة الشوفين فى لبنان سنة ١٢٦٧ هـ ، ولما نشبت فتنة النصارى والدروز فى لبنان سنة ١٢٧٦ هـ عاد إلى طرابلس ، وطلب إلى بيروت سنة ١٢٧٧ هـ ، فجعل نائبا فى المحكمة الشرعية ، ثم كاتبا أول فيها . وتولى تحرير جريدة « ثمرات الفنون ، ثم انتخب عضوا فى مجلس المعارف فى بيروت ، وتقلد كثيرا من الرتب السلطانية » (١)

ورغم اتهام د . سعيد لهذا الرجل بعدم الأمانة ؛ فإنه قد وقع تحت يدىَّ نسخة من تلك التى اعتمدتها فى المقابلات ، وهى نسخة مصطفى فاضل الموجودة فى دار الكتب المصرية - وقد سبق الحديث عنها - تتفق فى كثير من مواضع الخرم فيها مع نشرة إبراهيم بن الأحدب الطرابلسى . ويتضح من المقارنة بين النسختين - نشرة ثمرات الفنون ومخطوطة مصطفى فاضل - أن ما وقع لهذا الناشر الكريم الذى يكفيه شرف السبق ، مع قلة الإمكانيات المتاحة بالنظر لتلك الفترة الباكرة فى تاريخ نشر التراث العربى لم يكن لجهل أو لعدم أمانة . فهو لم يطِّرح شيئا موجودا ؛ إنما هو ناقل كريم لما وجده فى تلك النسخ .

إن د. سعيد الذى اتهم هذا الرجل بعدم الأمانة ، أخذ عنه ما يقرب من عشرين سطرا دون أن يعزو ممن أخذ هذه الأسطر التى تؤكد النسخ التى تحت يديه - وكذلك التى تحت يدىَّ - أنها بياض فى الأصل (٢)

السؤال الملحُّ الآن : إن لم يكن د . سعيد قد أخذ هذه السطور من نشرة ثمرات الفنون ؛ فعمَّن نقلها ؟ .

هذا بالإضافة إلى أنه اعتمد نسخة تيمور أصلا . وقد اكتشفت أن بها خرما بمقدار صفحتين من خلال النسخة التى صورتها عن الميكروفيلم الذى صور عنه

---

(١) الأعلام للزركلى ١ / ٥٥ ، ط ١٢ - ١٩٩٧ م .

(٢) راجع نشرة د . سعيد ص ٨٤ و ٨٥ ، ونشرة ثمرات الفنون ص ٣١ و ٣٢ .

معهد مخطوطات جامعة الدول العربية - ومازالت حتى الآن موجودة لدى المعهد ، وبها هذا الخرم - كما أخذت عنه أيضا مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب جامعة بغداد - وهى النسخة التى اعتمدها د سعيد - ، وهما حسب ترقيم المخطوط (١٥٢ و ١٥٣) وتأكدت من ذلك حين تفضل الصديق العزيز مصطفى عبد السميع المحقق بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية بمعاينة أصل المخطوط ؛ فوجد أن الصفحتين تقبعان فيه ؛ وأن نسخة الميكروفيلم التى تم تصويرها سنة ١٩٦٣ م هى المعيبة لعدم تصوير هاتين الصفحتين ، فقام بنسخهما حتى لا يضيع وقتى سدى

ولأننى مقتنع أن تحقيق التراث أمانة فى أعناقنا ، أصررت على أن يعاد تصوير هذا المخطوط مرة أخرى أو أن يتم تصوير الصفحتين [١] وبالفعل تمت إعادة تصويرهما ، وهما لدى الآن . مع بقاء هذا العيب فى مصورة معهد المخطوطات ومصورة د سعيد

وهنا سؤال آخر تثيره هاتان الصفحتان وهو : من أين رتق د . سعيد هذا الخرق الذى لم نجد أى إشارة فى نشرته لهذا الموضوع ؟ .

ورغم الجهد المشكور الذى قام به د . سعيد ، وكلله المجمع العلمى العراقى بتحمل نفقات نشر كتاب الوشى المرقوم ؛ فإننى وجدت به من الأخطاء ما لا أحصيه . لكننى آثرت أن أرصد فى الصفحات التالية بعضا منها وأذكر أن د سعيد اعتمد ثلاث نسخ هى تيمور أصلا ، ونور عثمانية التى رمز لها بالحرف ن ، وعارف حكمت التى رمز لها بالحرف ع للمقابلة . وسأرصد بعض هذه الأخطاء حسب ترقيم نشرته .

* فى ص ٥٧ كتب : وكنت سافرت إلى مصر سنة ست وتسعين وخمسمائة . وكتب فى الهامش فى ن وع ست وتسعين .

- فما وجه الخلاف إذن بين النسخ الذى يدعو إلى كتابة فرق فى الهامش

---

(١) انظر الصفحتين فى هذا الكتاب من قوله : « وغرامه فى ص ٣٤٩ ... حتى قوله : «بإقدام عمرو وسماحة حاتم » فى ص ٣٥١

والفرق هو أن نسخة تيمور التى اعتمدها أصلا تقول : سنة ست وسبعين . وهو خطأ فادح وقع فيه ناسخها ولم يشر إليه د . سعيد . لأن ابن الأثير فى هذا التاريخ لم يكن قد خرج بعد من مسقط رأسه جزيرة ابن عمر ، فى حين أنه سافر فعلا إلى مصر سنة ست وتسعين لما ملك مخدومه الملك الأفضل نور الدين على بن صلاح الدين يوسف بن أيوب مصر .

* وفى حين تُجمع نسخه الثلاث على أن قول المتنبى :

لعل عتبك محمود عواقبه

- فلا أدرى من أين أثبتها فى متن نشرته ص ٥٩ « قولك » .

* فى ص ٦٠ قوله تعالى « ومما يوقدون عليه فى النار » ؛ فقد رقم الآية فى الهامش بـ (١٦) فى حين أن الرقم الصواب هو (١٧) . إضافة إلى ذلك أن لهذه الآية قراءة أخرى أثبتتها نسخة تيمور وهى « توقدون » . فلماذا يوهم د . سعيد القارئ أن نُسخه الثلاث تتفق على هذه القراءة ؟! .

* فى ص ٦٩ ، رغم أن نُسخه الثلاث ورواية ديوان أبى تمام تتفق على :

فإن يك جرم عنَّ

فإننى لا أدرى من أين أثبتها عزَّ ؟! .

* * *

ما سبق كان نزرا يسيرا ، وليس كل ما وقع من أخطاء فى هوامش نشرة د . جميل سعيد . وفيما يلى نرصد أخطاء التخريج :

* فى ص ٦٠ يكتفى د . سعيد بتخريج مثل واحد من بين ستة بها .

* فى ص ٦٢ « وفيه معنى خبرين آخرين من الأخبار النبوية ؛ أحدهما قوله ﷺ : قال الله تعالى : وجبت محبتى للمتحابين فىّ ، والآخر قوله ﷺ : ربَّ وائق خجل » ، فإنه لم يخرج الحديث القدسى الأول . والثانى ليس حديثا للرسول ﷺ ؛ إنما هو مثل خرجناه فى موضعه .

* وفى ص ٦٩ لم يخرِّج قول البحترى :

فتى دفعوا بخلَ الزمان بجوده . . . .

* لم يخرج حديث الرسول فى ص ٧١ : ما خلق الله داء . . .
* ولم يخرج حديث : إن أخى استطلق بطنه . . .
ولا قول الشاعر : « وهل يفرس الليث الطّلا وهو رابض .
* فى ص ٨٢ لم يترجم للشاعر الغزى ، ولم يخرج بيتيه .
* ص ٨٦ لم يخرج بيت الحماسة : يعيش المرء . . . ، ولم يترجم للتهامى .
* ص ٩٠ رواية بيت البحترى أثبتها : فيض المزن ، فى حين أنها فى الديوان : صوب المزن .
* ص ٩٤ لم يخرج قول الشاعر : إذا مرضتم . . .
ولا قول مسلم : ركنت إلى نفس . . .
* ص ٩٥ لم يخرج قول أبى تمام : أرى فضل مال المرء . . . وهو لابن الرومى
* ص ٩٦ لم يخرج قول الشاعر : يا طالب الرزق . . .
* ص ٩٧ لم يخرج قول أوس بن حجر : دانٍ مسف . . . . واكتفى بما أورده الجاحظ فى كتاب الحيوان ٦ / ١٣٢
* ص ١٠١ لم يخرج قول الآخر : أضاءت لنا أحسابنا
* ص ١٠٣ لم يخرج قول البحترى : فى نظام من البلاغة . . .
* ص ١٠٥ لم يخرج : فى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل .
* ص ١٠٦ لم يخرج : وليس يعرف لى فضلى . . .
* ص ١٠٨ كتب بين معقوفين هكذا [بياض فى الأصل] إشارة إلى بيتى القاضى الأرجانى ؛ فمن أين ملأ هذا البياض ؟!.
* ص ١١٤ من أول الصفحة حتى قوله :
. . . . وأن أطأ التراب وأنت فيه .
خرم وقع فى نسخة نور عثمانية لم يشر إليه .
و لم يخرج قول الشاعر : أرادوا ليخفوا قبره . . .
و لم يخرج قول الشاعر : برغمى أن أعنف . . .
* ص ١٢١ خرم وقع فى نسخة نور عثمانية من قوله « وكذلك قلت

أيضا . . . إلى قوله فعال قط أفصح من فعاله » لم يشر إليه . .

* ص ١٢٥ يوجد فى نسخة نور عثمانية بيتان لم يشر إليهما . . . .

* ص ١٢٨ لم يخرج قول أبى تمام : الصبر كاس . . .

* ص ١٣٤ لم يخرج قول الشاعر :

فعلى الصبا منى السلام ولوعة . . .

* ص ١٤٠ لم يخرج قول بشار : سلبته يد المدائح . . .

و لم يخرج بيت الحماسة : ألا إن خير الود . . .

* ص ١٤١ يقول إنه لم يجد بيتى أبى نواس فى ديوانه ، وهما فى ديوان مسلم ابن الوليد .

ولم يخرج قول البحترى : خلّ عنا فإنما أنت . . .

* ص ١٤٧ لم يخرج قول البحترى : فأكون طورا مشرقا . . .

* ص ١٦٢ لم يخرج قول الشاعر : لست أدرى من رقة . . .

* ص ١٦٩ لم يخرج بيتى أبى تمام : أرى فضل مال المرء . . . . وهما لابن الرومى .

* ص ١٧١ لم يخرج قول أبى تمام : الشكر بالمأمول . . .

* ص ١٧٢ لم يخرج قول ديك الجن : ودافعت فى صدر الزمان . . .

* ص ١٧٥ لم يخرج قول الشاعر : أذنى عن الفحشاء صما

* ص ١٧٧ فى جميع النسخ المخطوطة خطأ فى قوله تعالى : وإذ تبرئ الأكمه . ولم يشر د . سعيد إلى هذا الخطأ .

* ص ١٧٩ لم يخرج قول النبى ﷺ : الأيم أحق بنفسها . . .

* ص ١٨٧ لم يخرج قول النبى ﷺ : أول بيت وضع للناس

* ص ١٩٦ لم يخرج قول الشاعر : والسيف ما لم يلف فيه . . .

* ص ١٩٧ لم يخرج قول النبى ﷺ : : إن الله لا يقبض العلم انتزاعا . . .

ولم يخرج قول النبى ﷺ : ما دخلت هذه دار قوم . . .

* ص ١٩٨ لم يخرج قول النبى ﷺ : المسائل كدوح . . .

* ص ١٩٩ لم يخرج قول النبى ﷺ : يد الله مع الجماعة ، ومن شذّ . . .

* ص ٢٠٠ لم يخرج قول النبى ﷺ : ابغونى ضعفاءكم فإنما
* ص ٢٠١ لم يخرج قول النبى ﷺ : حديث قصة هلال بن أمية . . .
* ص ٢٠٢ لم يخرج قول النبى ﷺ : اغتربوا . . .
* ص ٢٠٣ لم يخرج قول النبى ﷺ : داووا . . .
و لم يخرج قول النبى ﷺ : رؤيا المؤمن . . .
و لم يخرج قول النبى ﷺ : إن النبى ابتاع فرسا من أعرابى
* ص ٢٠٥ لم يخرج قول النبي ﷺ فى عمير بن الحمام . . .
و لم يخرج قول النبى ﷺ : ألا إن سلعة الله . . .
و لم يخرج قول النبى ﷺ : ما من كلم يكلم . . .
* ص ٢٠٦ لم يخرج قول النبى ﷺ : ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه . . .
و لم يخرج قول النبى ﷺ : قلب المؤمن بين لمة ملك ولمة شيطان . . .
و لم يخرج قول النبى ﷺ فى ذكر الغلول . . .
* ص ٢٠٧ لم يخرج قول النبى ﷺ فى حديث الدجال وعيسى بن مريم . . .
* ص ٢٠٨ لم يخرج قول النبى ﷺ : قلوب بنى آدم بين إصبعين . . .
و لم يخرج قول النبى ﷺ : عينان لا تمسهما
و لم يخرج قول النبى ﷺ : للمجاهد أجر . . .
* ص ٢٠٩ لم يخرج قول النبى ﷺ : ابن آدم سر مكنون تظهره القدرة . . . .
و لم يخرج قول النبى ﷺ : من اجتهد . . .
و لم يخرج قول النبى ﷺ : وقع رجل بأبى بكر الصديق رضى الله عنه . . . .
* ص ٢١٠ لم يخرج قول النبى ﷺ : إن امرأتى لا ترد يد لامس . . .
و لم يخرج قول النبى ﷺ : من خفر لأخيه قليبا
ولم يخرج قول الشاعر : فالذى تنبت البلاد سرور . . .
* ص ٢١١ لم يخرج قول النبى ﷺ فى فضل مكة . . .
و لم يخرج قول الشاعر : يا من إذا قلت يامن لا شبيه له . . .
و لم يخرج قول النبى ﷺ : اللهم وال من والاه . . .
* ص ٢١٢ لم يخرج قول النبى ﷺ : جبلت القلوب . . .

و لم يخرج قول النبى ﷺ : إن هذا ابنى ....
* ص ٢١٣ لم يخرج قوله ﷺ : لعن الله الواصلة ....
و لم يخرج قول النبى ﷺ : القضاة ثلاثة ....
و لم يخرج قول النبى ﷺ : من كنت مولاه ....
* ص ٢١٤ لم يخرج قول النبى ﷺ : فقال لها : أين الله ....
و لم يخرج قول النبى ﷺ : أحب الأسماء ....
* ص ٢١٥ لم يخرج قول النبى ﷺ : أرحنا بها يا بلال ....

* * *

وأخيرا : فإن ما تم رصده لم يكن كل ما وقع للدكتور جميل سعيد من أخطاء فى التخريج . بل إن هناك الكثير والكثير من الأخطاء التى تتمثل فى الزيادة على ما هو موجود بالنسخ المخطوطة ، والحذف لما هو موجود فى هذه النسخ بالفعل ، دون أن يقدم أى مبرر لهذه الزيادة ، أو لذلك الحذف .

أضف إلى ذلك عدم إشارته لتعليقات الناسخ فى مخطوط تيمور الذى استخدمه أصلا ، كذلك لم يعر اهتماما للأحاديث ؛ فلم يبين لنا أيها صحيح ، وأيها ضعيف ، وأيها موضوع . ولم يشغل باله بتبيان الاختلاف بين القراءات القرآنية ، ولا الأخطاء التى وقعت فى بعض الآيات .

كما تجدر الإشارة إلى العديد من الأخطاء المطبعية التى وقعت فى أبيات الشعر مما أدى إلى ظهور الخلل العروضى فى أوزان هذه الأبيات ، ولم نشر إلى ذلك ، وإلى الكثير من الأخطاء الأخرى ، واكتفينا بما تم رصده ليتبين الدافع الرئيسى وراء تحقيق هذا الكتاب المهم .

نسبة الكتاب إلى مؤلفه

« الوشى المرقوم فى حل المنظوم » هو مجموعة متعددة لمقتطفات اختارها ابن الأثير من رسائله المختلفة ، لتكون نموذجا يُحْتَذَى بِهِ لمن يريد أن يتخذ من الكتابة سبيلا .

ولأهمية هذا الكتاب فإن الكثير من المصادر تؤكد نسبته لضياء الدين بن الأثير ، كما تثبت أن هذا العنوان هو عنوانه الذى اختاره له .

نبدأ هذا التوثيق من خلال كتابات ابن الأثير نفسه إذ يقول : « وقد بسطت القول فى هذا الموضع وكشفت عن دفائنه فى الكتاب الذى وسمته بـ « الوشى المرقوم فى حل المنظوم » وهو كتاب مفرد فى هذا الفن خاصة » (١)

ويقول فى موضع آخر من كتابه « المثل السائر » : « وهذا المعنى المشار إليه فى وصف القلم أوردته بعبارة أخرى على وجه آخر ، ونبهت عليه فى كتاب « الوشى المرقوم فى حل المنظوم « وهذا كتاب ألفته فى صناعة حل الشعر وغيره » (٢)

هذا ما كتبه ابن الأثير ، أما ماكتبه غيره ؛ فنجد منهم من أورد عنوان الكتاب منسوبا له ، أو أورد فقرا منه على سبيل الاستشهاد .

من ذلك قول القزوينى : « وكقول صاحب الوشى المرقوم فى حل المنظوم يصف قلمَ كاتب : فلا تحظى به دولة إلا فخرت على الدول ، وغنيت به عن الخيل والخَوَل » (٣)

وفى قول عن أهم الكتب المؤلفة فى صناعة الإنشاء : « ومنها كتاب « المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر « لابى الفتح ابن الأثير الجزرى وهو فى مجلدين ، وله كتاب « الوشى المرقوم فى حل المنظوم « و « ديوان الترسل » (٤)

---

(١) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ١ / ١١٩ .

(٢) السابق ١ / ٣٢٣ .   (٣) الإيضاح فى علوم البلاغة للقزوينى ١ / ٣٨٧ .

(٤) أبجد العلوم ٢ / ١١٦ ، راجع طبقات الحنفية ١ / ٤٤٢ ، والروضتين فى أخبار الدولتين ٢ / ١٨٣ ، ووفيات الأعيان ٥ / ٣٨٩ و ٣٩٢ ، وفى ترجمة الموفق بن الخلال =

ويقول النواجى فى كتابه « حلبة الكميت » : « ومن رسالة الشيخ الإمام العلامة ضياء الدين محمد بن الأثير ، تغمده الله برحمته »(١) ، ثم يقتطع فقرة موجودة فى كتابنا هذا .

كما أن هناك فى ديوان رسائله كثيرا من هذه الفقر التى اختارها ابن الأثير لتكون شاهدا على كيفية استخدامه للقرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، والأشعار .

ويعد من الخطأ ما وقع فيه صاحب « مفتاح السعادة » ؛ فقد نسب الوشى المرقوم إلى شخص يدعى « موفق الدين » وجدير بالذكر أنه ليس من بين ألقاب ابن الأثير هذا اللقب (٢)

وهذا التوثيق من خلال كُتب التراجم ، والتاريخ ، وغيرها يجعلنا نزداد ثقة فى نسبة هذا الكتاب إلى صاحبه أبى الفتح نصر الله محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الجزرى ضياء الدين . وكذلك فى صحة عنوانه ، وهو « الوشى المرقوم فى حل المنظوم » .

= ٧ / ٢١٩ ، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تأليف الإمام أبو أحمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعى اليمنى المكى المتوفى سنة ٧٦٨ هـ ، فى وفيات سنة ٦٣٧ هـ ، دار الكتاب الإسلامى - القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

(١) حلبة الكُميت فى الأدب والنوادر والفكاهات المتعلقة بالخمريات ، لشمس الدين محمد بن الحسن النواجى / ٢١٠ و ٢١١ . ذخائر الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٨ م .

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم ١ / ٢٠٥ و ٢٠٦ ، وفهارسه ٣ / ٦٥١ . تأليف أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة - دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

منهج التحقيق

يسر الله لى قبل البدء فى تحقيق كتاب « الوشى المرقوم فى حل المنظوم » الاطلاع على عديد من الكتب التى تتناول التحقيق دراسة ومنهجا . ومن الطبيعى أن تكون الاستفادة من هذه القراءات - تستوى فى ذلك قراءة الكتب التى ترصد عملية التحقيق نظريا ، أو الكتب التى قام على تحقيقها شيوخنا الأجلاء فى هذا المجال - استفادة عظيمة ، وإن كانت هناك بعض الأمور التى ارتأيت أنها ستجعل قارئ هذا الكتاب أسرع منالا لطلبته التى يبحث عنها

بداية قمت بمقابلة النسخ التى استطعت بشديد المعاناة أن أحصل عليها ، وبعد الانتهاء من هذه المرحلة الخاصة بالمتن ؛ أخذت أنظر إلى أيسر الطرق التى تمكن قارئ هذا الكتاب من أى شىء ينشده فيه فمثلا

- بالنسبة للآيات فقد وضحت وجوه القراءات المختلفة لما وجدته منها يستدعى توضيحَ قراءةٍ معينة استخدمها ابن الأثير . مع ترتيب السور حسب موقعها بالمصحف ، والآيات حسب أسبقيتها

- وبالنسبة للحديث ؛ لم أكتف بإثبات مكانه فقط ؛ إنما تعدى الأمر ذلك إلى إثبات عنوان كتاب الحديث الذى رجعت إليه ، ثم رقم الجزء ، يليه رقم الصفحة ، ثم رقم الحديث ، وذلك تيسيرا على القارئ

- وفى الشعر ؛ أثبت فى الهامش ما ورد بالديوان مخالفا لمتن الكتاب الذى ذكره ابن الأثير وزيادة فى التيسير ؛ كتبت اسم الديوان ، ثم رقم الجزء ، فرقم الصفحة التى يقع فيها بيت الشعر ، ثم أتبعت ذلك بذكر رقم القصيدة . وقد نسبت كثيرا من الأبيات التى لم تكن منسوبة لقائلها ، أو وقع خطأ فى نسبتها لصاحبها

- أما الأمثال فقد أرجعتها إلى كتب الأمثال التى وردت فيها ، مع توضيح معنى المثل ومغزاه .

- وقد ترجمت للأعلام والشعراء الذين رأيت أنهم فى حاجة إلى ترجمة ، خاصة إذا كانت هذه الترجمة تخدم دراسة الكتاب

– وقد أتبعت نص الكتاب برصد ثبت المصادر والمراجع التى انتفعت بها خلال دراستى ، أو تحقيقى هذا الكتاب

– وختمته بالفهارس العامة التى تشتمل على فهارس لآيات القرآن الكريم ، وأخرى للحديث ، وقد قسمت فهرس الحديث حسب درجته ، بمعنى أننى ذكرت أولا الحديث القدسى الذى رواه الرسول الكريم عن رب العزة جل وعلا ، ثم الحديث النبوى ، ثم الموضوع ، ثم ما لم أجد له أصلا

– وقد قسمت فهرس الشعر إلى الأبيات الكاملة وأنصاف الأبيات ، مع كتابة رقم الجزء – إذا كان الديوان واقعا فى أكثر من جزء – ثم الصفحة التى يقع فيها البيت ، يلى ذلك رقم القصيدة ، واضعًا للفهرس أربع خانات ، تبدأ أولاها بذكر كلمة القافية ، ثم وزن البيت عروضيا ، ثم اسم الشاعر ، ثم رقم الصفحة التى ورد بها . بادئا بالقافية المضمومة ، ثم المفتوحة ، ثم المكسورة . مهتديا بخطى الشيخ محمود شاكر فى تحقيقه كتاب « دلائل الإعجاز » لعبد القاهر الجرجانى .

– يلى فهرس الشعر فهارس الأمثال والقبائل ، ثم عينت للشعراء فهرسا خاصا بهم نظرا لكثرة ذكر أسمائهم فى الكتاب . أتبعته بفهرس للبلدان والأماكن ، وأخيرا للأعلام .

وقد قصدت بهذا العمل وجه الله الكريم اولا ، وثانيا : أن أصحح ما وقع على ضياء الدين بن الأثير من ظلم بيِّن سواء فى الترجمة له ، أو فى الأخطاء التى امتلأت بها النشرتان السابقتان : نشرة ثمرات الفنون ١٨٨٠ م ، ثم نشرة د. جميل سعيد التى قام على طبعها المجمع العلمى العراقى . وحرصا على ألا تكون هناك أخطاء مطبعية ؛ كتبت هذا الكتاب على الكومبيوتر الخاص بى مع ما تحملته فى هذا الأمر من عظيم عناء . فإن تكن هناك أخطاء ، فأرجو المعذرة .

وعلى الله قصد السبيل .

الوشي المرقوم

في حل المنظوم

نماذج من نسخ المخطوطات
التى رجع إليها المحقّق

المكتبة: نور عثمانية   رقم التصوير: ف ٩٥٦ م ٤٤٦

رقم النسخة بالمكتبة: [illegible]

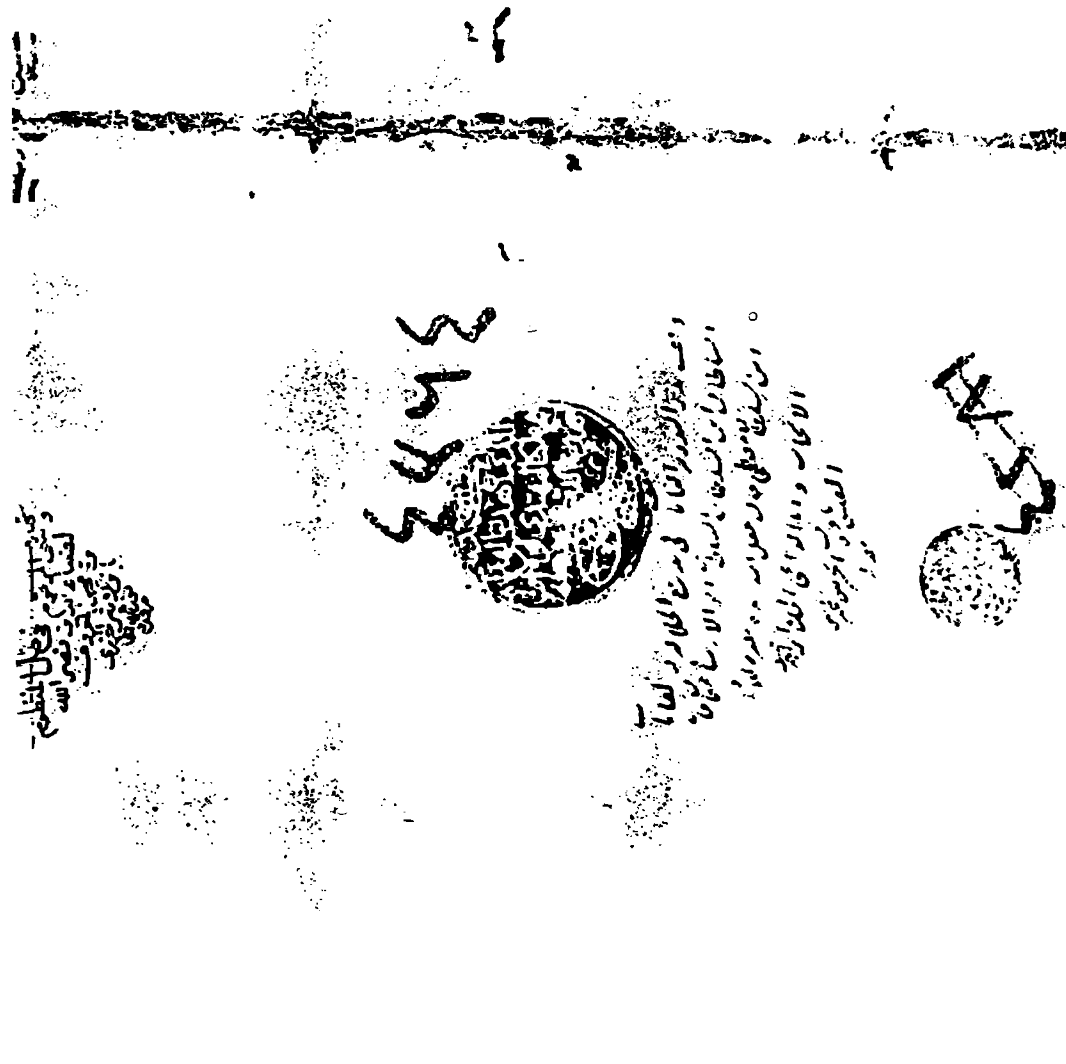
عنوان الكتاب: الوشي المرقوم في حل المنظوم

اسم المؤلف: ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن محمد

تاريخ النسخ: [illegible]

عدد الأوراق: [illegible]

ملاحظات:



صفحة الغلاف لنسخة نور عثمانية واسم الكتاب «وشي المرقوم» خطأ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على فضيلة النطق وبيانه

الفصل الأول

في حل الشعر

الفصل الثاني

في حل آيات القرآن

الفصل الثالث

الصفحة الاولى من نسخة الاصل نور عثمانية

عقود سبحان لا تبلغ عقودا حسنا انتظامها وتصحيح منها [illegible]
وجمال [illegible] ولحامها [illegible] الموازن المحاكم التي [illegible]
ان [illegible] واحجامها [illegible] من اسماء [illegible]
حتى [illegible] وللسان جارتها [illegible]
[illegible] من الاخبار النبوية [illegible] قول النبي صلى الله عليه
وسلم ان احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن واصدقها
[illegible] همام وابغضها الى الله حرب ومرة ٥ [illegible]
[illegible] دعاء اخر [illegible] اللفظ ذكرته في كتاب الادعية الذي انشأتها
وقد تقدم ذكره [illegible] هذا الباب [illegible] ولم اذكر [illegible]
شيئا ٥ ومما [illegible] على هذا الذيل دعاء اخر [illegible] ادام الله سلطان
الديوان العزيز النبوي [illegible] الايام والليالي [illegible]
قبلة السجود الاعظام والاجلال وجعل [illegible]
المترادفة التي [illegible] الاعمال [illegible]
[illegible] عساكره [illegible] حتى [illegible]
ولا [illegible] من مثل [illegible]
[illegible] الى الناس [illegible]
[illegible] يا بلال ٥ في هذا الدعاء [illegible] من الاخبار النبوية

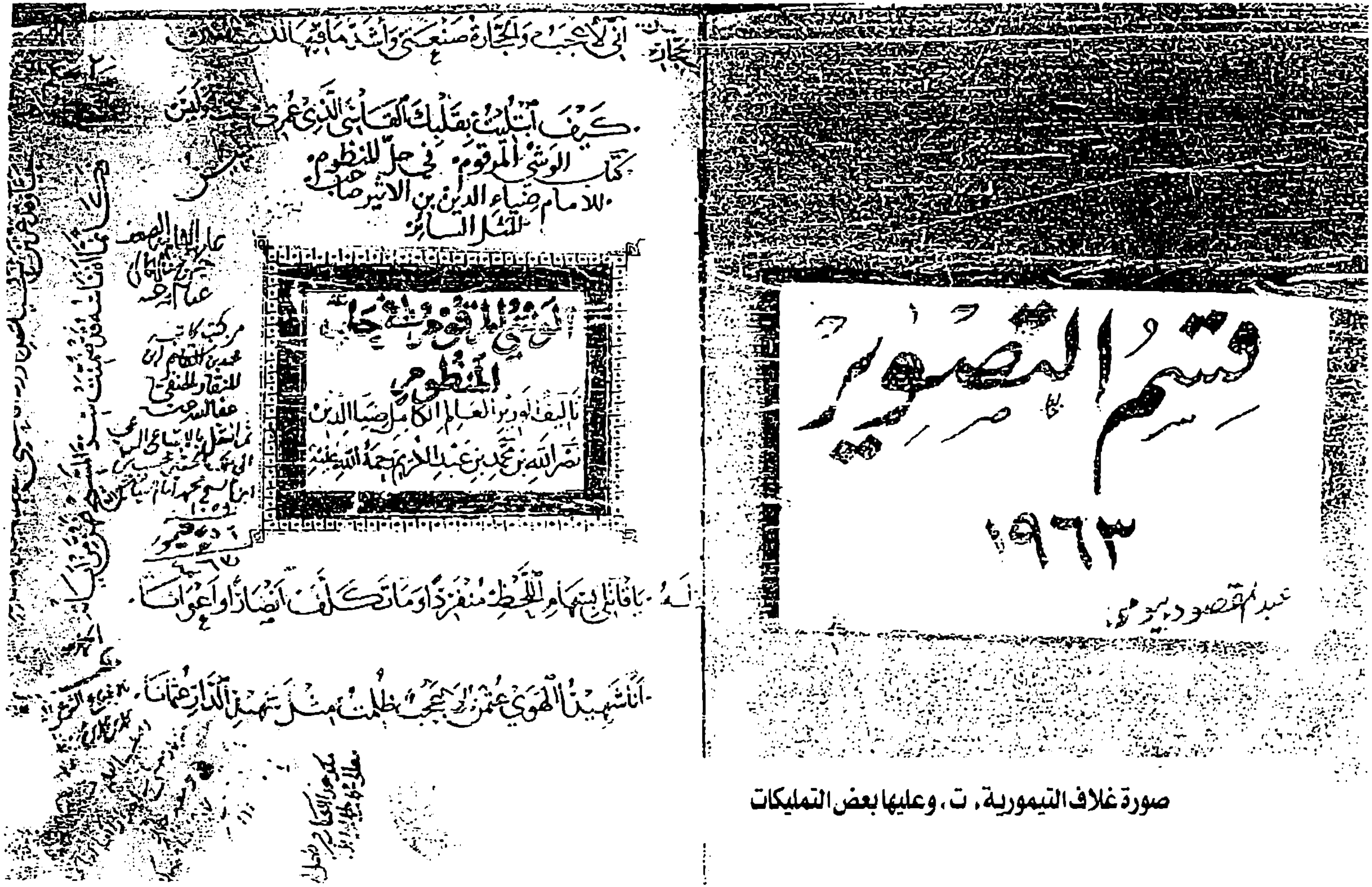
وقوله كان اذا حزبه [illegible] قال النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
رضي الله عنه [illegible] ارحنا بها يا بلال [illegible]

تم الكتاب المبارك بحمد الله — والحمد لله رب العالمين
وعونه ومنته وحسن توفيقه — وصلى الله على سيدنا
[illegible] — محمد النبي الامي وعلى آله
[illegible] — الطاهرين

وهو حسبي ونعم الوكيل ٥

[illegible]

الصفحة الاخيرة من نسخة الاصل ومثبت بها انها قوبلت بالاصل المقروء على المصنف



صورة غلاف التيمورية، ت، وعليها بعض التمليكات

التي لا يحوزون تعيين لفظها

وهو كل بيت تحصر معناه في مفصل من المفاصل كقول أبي الطيب المتنبي

تخبّ الدين عبيد النجوم ومن يدعي أنها تعقل
وقد عرفتك فما بالها تراك تراها ولا تنزل
ولو بتّما عند قدريكما لبتّ وأعلاكما الأسفل

فقوله عبيد النجوم وأنها تعقل وقوله الأعلى والأسفل فإن هذه الألفاظ لابد منها لمن أرادها كما ذكرناه إذ لو غيرنا لفظ النجوم بلفظة الكواكب التي هي في معناها لما حسن ذلك إذ الأشهر إنما هو للنجوم وعلم النجوم ومن يقول إنها تعقل وكذلك الأعلى والأسفل فإنهما بين اللفظين لا يعتاض عنهما بما هو مثلهما وقد حللت هذه الأبيات الثلاثة في فصل من كتاب إلى ديوان الخلافة وهو إذا نظر الخادم إلى حسبه المقتني من خدمة الديوان

العزيز ثم لجأ إلى ولية نعمتهم ولا إلى فضيلة سعي كريم والخطوط المقتسمة في تلك الأبواب بلثم التراب ولو عقلت النجوم كما زعم قوم لنزلت إليها خاضعة الرقاب وقامت لتخطيم خدمتها مقام العبيد لخدمة الأرباب وقالت لها أنت أولى بمكان السماء الذي منه مطلع الأنوار ومنشأ السحاب ولو شئنا أن ننقل هذا المعنى عن هذا الوجه إلى وجه آخر لنقلناه ولكن هذا القدر كاف في هذا الموضع لأنه كان تعليم لا كتاب يكثر بتطويله

النوع العاشر من الأبيات

التي لا يحوز تغييره وهو كل بيت

تغيير لفظها
كذا وجد في هذا الباقر

وحسبنا ما أتينا به ههنا ونبهنا على هذه الأسرار التي تخفى على كثير من أرباب هذه الصناعة فليتبع ذلك تمثيل أمثلة

البياض الذي اتفقت عليه جميع النسخ عدا نشرة ثمرات الفنون

وعوامه في هذا الكتاب محاسن من البلاغة تستزع وقد نقض
معنيين من القرآن الكريم أحدهما في سورة النور في قوله
تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة
والآخر في سورة الأحزاب في قوله تعالى يا أيها النبي إنا
أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه
وسراجا منيرا والمعنى المأخوذ من سورة النور قد سبق إليه
أبو تمام في قصيدته السينية ٥

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس

لكن لا ينبغي للواقف على هذا الشعر وعلى ما أوردته في
الكلام المنثور أن يحكم بحكم حتى ينبغي له أن ينظر بعين الإنصاف
وينتقد نقد الصيرفي ولا يلتفت إلى الوقوف مع الزمن القديم
فإنها شبهة يتمسك بها مقلد الجهول لا اجتهاد العلم فإذا

فعل ذلك فقد شهد لي شهادة خزيمة بن ثابت وإن لم يشهد
شهدت الفضيلة وأنا صامت ٥ ومن هذا الضرب ما ذكرته
في وصف الشكر وهو فصل من كتاب الخادم يشكر إحسان
المولى الذي ظل عنده مقيما وعن المطالبة زعيما وأصبح يتوالى
إليه مغرما كما أصبح له غريما ولما تمثل في الاشتمال عليه
كهفا تمثل شكره فيه رقيما هذا المعنى مأخوذ من القرآن
في سورة الكهف في قوله تعالى أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا
من آياتنا عجبا ٥ وهذا المعنى وإن كان مأخوذا من هذه
السورة فهو مبتدع لم أسبق إليه وذلك أني نقلته عن المعنى
المذكور في السورة إلى معنى الإحسان وشبهته في اشتماله
بالكهف استعارة وإلى معنى الشكر وشبهته بالرقيم وهو الكتاب
وأنا في هذا الموضع مبتدع لهذا المعنى كأبي تمام في ابتداعه
جزءا من المثل في وصف الممدوح بإقدام عمرو وبسماحة حاتم

الورقتان اللتان تم تصويرهما حديثا وهما خرم في ميكروفيلم التيمورية الموجود بمعهد المخطوطات وهو نفسه الذي أخذ عنه د. جميل سعيد

١٩٧

الخدمة بمرضية وسددت اليه سهماً فكانت العافية من
غرضه ومن هذا الكلام معان شريفة وألفاظ لطيفة
وهو حسن في فنه بديع في حسنه وفيه واضح من القرآن
الآي ويشتمل على معنى واحد من الأخبار النبوية وهو قول
النبي صلى الله عليه وسلم في فضل مكة فقال ان هذا البلد
حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة
الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا
تلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه ومن هذا
الأسلوب ما ذكرته في صدر كتاب وهو

يا من إذا قلت يا من لا شبيه له في جوده قيل لي يا أصدق البشر
هذا لما يعذب النطق به على الأفواه وتمتع به قلب السماع
لا قلب الأهواء ولا يختص بمدحه الأمر كان زيدا وعمرا ما
وتعاضد مواهبه في وجوه الحوادث خصوما وبذل الذي اذا

١٩٢

نوى جوده ينفي الشبيه لبث العليا من ناداه وقالت
انا ولي من والاه وعدو من عاداه هذا من مطالع الكتب
العربية فيما قصدته من المعنى وهو شاهد لتفننه وفيه
معنى واحد من الأخبار النبوية وهو قول النبي صلى الله
عليه وسلم في وصف علي بن ابي طالب عليه السلام وهو
حديث مطول لا حاجة الى استقصاء ذكره بل يساق الى
ذكر المعنى المأخوذ منه فهو قوله صلى الله عليه وسلم
اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ومن هذا النوع ما
ذكرته في الأدعية الموضوعة في صدور الكتب من السلطانيات
والاخوانيات وقد تقدم مثله فيما أخذته من معاني
القرآن ومعاني الأشعار وها هنا اذكر ما أخذته من معاني
الأخبار النبوية فمنه ما أوردته في صدر كتاب وهو
جعل الله القلوب على ود الحضرة الفلانية وثنى عنان

ورقتان تبينان اضطراب الترقيم في الصفحات الأخيرة من التيمورية

ومن أدعيتها هنا من تلك الأدعية شيئا وهو ما يتسبب
عن هذا الذي ذكرت دعا أخر وهو أدام الله سلطان الديوان
العزيز النبوي وأعز أنصاره رقاب الأيام والليالي ونصر ألويته
وقابل أمره بالإعظام والإجلال وجعل التقوى وطاعته
من الأسماء المترادفة التي تختلف في التسمية وتتفق في
الأوضاع وناسب في الاشتباه بين رايات عساكره ورايات
ماثره حتى يقال إن هذه علائم معالمه ولا أن الأعطاف
متصفة بوصفين من نفس الأيدي الخفاق والأيادي
التي لا يحصل أحد دعا مودنا في التنزيل يعرض له مسائل
الأول في أرحنا بها يا بلال في هذه الدنيا معنى من الأخبار
النبوية وهو أنه كان إذا حضرت الصلوة قال النبي صلى الله عليه وسلم
لبلال رضي الله عنه أرحنا بها يا بلال أي عجل بها

تم كتاب الوشي المرقوم

في حل المنظوم ووافق
فراغه بكرة السبت ثاني ذي الحجة
من سنة احدى وخمسين وستمائة
هجرية

بلغ مقابلة بنسخة عليها خط المصنف رحمه الله وصح بحسب الإمكان في [illegible] سنة [illegible] وسبعمائة [illegible] وصلواته على محمد وآله الطاهرين

والحمد لله وحده وصلى الله على
سيدنا محمد نبيه وآله
الطاهرين وسلم كثيرا
وحسبنا الله ونعم الوكيل

الورقة الأخيرة من التيمورية ويتضح بها خطأ الترقيم

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي وكفى

أحمد الله على فضله المطلق وسابغ … واعلم أن الإحسان به من أكرم إحسانا
وأصلي على نبيه محمد الذي فضله الله على الأنبياء بمعجز قرآنه وفرقان
النيّر … وعلى آله وصحبه الذين منهم من سبق
بإيمانه ومنهم من فرق بين الحق والباطل بفرقانه ومنهم من رضي عنه
بمغيبه عن … ومنهم من ختم … من الخلافة بآخر زمانه
أما بعد فإن لكلام الإنسان قشرا ولبا وبطنا وظهرا … ووجدت
الناس ينصون على طريق قد … غابرها وطرقه حتى استوى في
المعرفة بها جاهلها وعالمها وكان أولى في ذلك كمن عدل
عن أصول الشيء إلى فروعه وورد شعب الماء دون ينبوعه ولما عنيت
بهذا الفن لامسته فوجدته خشن اللمس إلا أن الله منحني فيه أدبا
لا يحصل بأدب الدرس وجعل غدي فيه أفضل من اليوم ويومي فيه
أفضل من الأمس وأصبحت في معرفته كالذي نال … بعد ما … عن الكوكب إلى القمر إلى الشمس … درجة
الاجتهاد لا درجة التقليد وهي التي لا يتمكن الجديد إلا من الخلاق

برداً بها الجديد وعمدة الأمر فيها أن تعرف الصناعة في حل الشعر
وآيات القرآن والأخبار النبوية فإن ذلك مؤونة … وخلاصة
نجحها ونجوم سمائها وجال أرضها ولين … في حل الشعر
سابق وطرق … في طارق فإنه … إليه … الإعجاز وظني
خواطره فيه شمعة بصيرة وكانت عمياء … وليس كل …
محكمة ولا كل … وما مثل من … في هذا الفن
ومشكل الأكمال … أبو تمام

مثل العجوز التي ولت بشاشتها وبان عنها شباب
كان يحظيها
ترثي بها صفرة زهراء واضحة كالشمس أحسن منها
عند …

على أن كلا من الناس يأتي بما يقوله معزي ولا يزال المزري
أمانا من … حتى يؤلف كتابا أو يقول شعرا وهذا هو معيار الا…
والمضمار الذي لا تسلم فيه الجياد من العثار ولما ألفت كتاب المثل
السائر في أدب الكاتب والشاعر ضمنت فصلا منه في

الورقة الاولى من نسخة كتبخانة ملي طهران، ط.

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله

[illegible] الحمد لله على فضيلة النطق [illegible] علم ان الاحسان

به من اكرم [illegible] على نبيه محمد الذي فضله على

الانبياء بمعجز قرآنه وقرن النصر عز بسيفه وعون لسانه

على آله وصحبه وسلم الذين منهم من سبقنا بايمانه ومن منهم من

[illegible] الحق والباطل بتفرقة [illegible] ومنهم من رضي عنه ومنهم من

[illegible] ملائمة باكثر زمانه [illegible] لطائفه الانشاء

[illegible] نثرا ونظما وظهرا ووجدت الناس فيها على طرق

[illegible] وكا [illegible] ذلك [illegible] اصول النثر

[illegible] لما عنيت بهذا

[illegible] منه [illegible] الله [illegible] به اديبا

[illegible] الدرس [illegible] من اليوم

[illegible] درجة الاجتهاد لا درجة التقليد وهي التي لا [illegible]

[illegible] من اضافات [illegible] الجليل وعمل

[illegible]

٢

وعمدة الامر فيه ان تصرف الهمة الى حل النثر وآيات القرآن
والاخبار النبوية فان ذلك زبدة عمقها وخلاصة محضها ونجوم
سمائها وجبال ارضها ولئن سبقني الى حل الشعر سابق وطرقا
ورده قبلي طارق فانني [illegible] عجبا لا عجبا [illegible] خواطر
[illegible] بصيرة وكانت [illegible] وليس كل [illegible]
[illegible] ولكل ساب [illegible] وما مثل من سبقني الى هذا
الفن [illegible] الا كما قال ابو تمام

مثل العجوز الذي ولت شبيبته [illegible] شباب كان
[illegible] زهراء واضحة كالشمس احسن منها عند رائيها

على ان كلام الناس باستحسان ما يقوله يعزى [illegible]
المرء في امان من عقله حتى يؤلف كتابا او يقول شعرا
وهذا هو معيار الافكار والمضمار الذي لا يسلم فيه
الجواد من العثار ولما الفت كتاب المثل السائر في ادب
الكاتب والشاعر [illegible] على [illegible] هذا الطرف
واتيت فيها بالمعاني الجليلة التي [illegible] الى الفهم
الدقيق [illegible] في مواضع منه على هذا الكتاب
وجعلت ذلك رمز الاختصار [illegible] الاصحاب

الصفحة الاولى من نسخة مصطفى فاضل. م. وبها آثار الرطوبة واضحة

من الاخبار النبويه وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم احب
الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن واصدقها [illegible] ه
الحارث وهمام وابغضها اليه حرب ومرة وقد اوردت هذا
المعنى في دعاء اخر بغير هذا اللفظ وذكرته في كتاب الادعيه
التي انشاتها وقد تقدم ذكره في هذا الكتاب ونبهت عليه
واذكر هاهنا من تلك الادعيه شيا وما يستحب على هذا
الدليل دعا اخر وهو ادام الله سلطان الديوان النبوي
واخذ به رقاب الايام والليالي وضب ابوابه قبلة المجود
الاعظام والاجلال وحبل التقوى وطاعته من الاسما
المترادفة التي تختلف في التسميه وتتفق في الافعال وتنا
في الاشتهار رمي رايات عساكره وروايات ماثره حتى
تقال [illegible] ام [illegible] ولا زالت عطاياه متصفه
بوصفين من نقل الايدي الخفاف والايدي الثقال ولا
زال جودها موجودًا في الناس فلا يعرض لسايل الا قال
ارحنا بها يا بلال ولي هذا الدعا معنى من الاخبار النبوية
وهو انه كان اذا حضرت الصلاة قال النبي صلى الله
عليه وسلم لبلال رضي الله عنه ارحنا بها يا بلال
اي

١١٣

اي عجل بها تم الكتاب
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
بلغ مقابلة حسب الطاقة في خامس عشر
محرم الحرام سنة ست والف
احسن الله عاقبتها بخير
آمين آمين وصلى الله
على محمد وعلى آله وصحبه
وسلم
لمم

الورقة الاخيرة من نسخة مصطفى فاضل، م،

صفحة الغلاف لنشرة ثمرات الفنون «ن»

هــذا

كتاب الوشى المرقوم في حل المنظوم

تصنيف الوزير الاجل العالم

الفاضل ضياء الدين ابي الفتح

نصر الله ابن محمد الشهير

بابن الاثير تغمده

الله برحمته

امين

م م

م

طبع بمطبعة ثمرات الفنون سنة ١٢٩٨

من المعني هو غير ما ذهب اليه البحتري لكن اللفظ من اللفظ

النوع التاسع

من الابيات التي لايجوز تغيير لفظها وهو كل بيت يحصر معناه في مقصد من المقاصد كقول ابي الطيب المتنبي *

فتباً لدين عبيد النجوم * ومن يدعى انها تعقل
وقد عرفتك فما بالهـا * تراك تراهـا ولاتنزل
ولو بتما عنـد قدريكما * لبتّ واعلاكما الاسفل

فقوله عبيد النجوم وانها تعقل وقوله الاعلى والاسفل فان هـذه الالفاظ لابد من ايرادها كما ذكرت اذ لو غيرنا لفظة النجوم بلفظة الكواكب التي هي في معناها لما حسن ذلك اذ الاشتهار انما هو للنجوم وعلم النجوم ومن يقول انها تعقل اولاتعقل وكذلك الاعلى والاسفل فان هذين اللفظين لايعتاض عنهما بما هو مثلهما وقد حللت هذه الابيات الثلاثة في فصل من كتاب الى ديوان الخلافة وهو اذا نظر الخادم الى حسبه لتغني من خدمة الديوان العزيز لم يحتج الى اوبة عهد قديم ولا الى فضيلة سعي كريم فالحظوظ مقتسمة في تلك الابواب مثل التراب ولو عقلت النجوم كما يزعم قوم لنزلت اليها خاضعة الرقاب وقامت تعظم خدمتها قيام العبيد لخدمة الارباب وقالت لها انت اولى بمكان السماء الذي منه مطلع الانوار

واشرالسحاب ولو شئت ان انقل هذا المعنى عن هـذا الوجه الي وجه اخر لنقلته ولكن هذا القدر كاف في هذا الموضع لانه كتاب تعليم وتمثيل لاكتاب تكثير وتطويل

النوع العاشر

من الابيات التي لايجوز تغيير لفظها وهـو كل بيت تضمن الفاظاً فرائد في خلها لايسد غيرها مسدها بحيث اذا بدلت بما يراد فيها تداعي بناء البيت وانهدم معناه فمن ذلك قول امرئ القيس

وقد اغتدي والطير في وكناتها * بمجرد قيد الاوابد هيكل

فان الفاظه من وكنات ومجرد واوابد وهيكل فرائد في مكانها لايسوغ تبديلها بغيرها بل اذا اريد حله وجب ان يحافظ على تلك الفرائد وقد حللته فقلت في وصف فرس ادهم وطالما امتطيت صهوة مطهم نهد فغنيت عن نشوة الكميت من ذات نهد يسابق الريح فيغبر في وجهها دون شق غباره واذا ظهر عليها رجعت حسري في مضماره نسب الى الاعوج وهو مبتنيهم في البكر والفر وقد جنبت عليه عين الشمس اذ لايمكنها ان ترسم ظله علي الارض اذا مر بلي الاهاب لطم جبينه الصباح بهانه فعدا عليه وخاض ينقص منه في احشائه وقد اغتدي عليه والطير في وكناتها فلا يفوتني الاجدل واذا اطلقته لصيد الوحش رأيتني على

الورقة الثلاثون والواحد والثلاثون التى انفردت دون النسخ الاخرى بالزيادة

متجرد قيد الاوابل هيكل · وفيه زيادة على بيت امرئ القيس حل بيت ابن
نباته السعدي في وصف فرس ادهم محجل له غرة يقفاء وذو فيه
وكأنما لطم الصباح جبينه   فاقتص منه فخاض في احشائه
وحيث انتهى بنا القول الي ماهنا ونبهنا على هذه الاسرار التي خفيت على
كثير من ارباب هذه الصناعة فلنتبع ذلك بتمثيل امثلة في حل الشعر
بلفظه * (فمن ذلك) ما ذكرته في وصف الحياء وهو الحياء لباس
يقي وجه الكريم برقائه · وهو له كاللحاء الذي يبقي العود ببقائه * وهذا
ماخوذ من ابيات الحماسه

* يعيش المرء ما استحيا بخير * ويبقى العود ما بقي اللحاء(١) *

ومن ذلك ما ذكرته في انتقال الدهر من حال الى حال وهو
لو اردت دوام الدهر على حالة واحدة لما دام · والبأساء والضراء فيه
خيالات احلام · فما ينبغي لك ان توليه حمدا ولا ذما · فانك تتقلد له يدا
ولا يد وتشكو منه ظلما ولا ظلما · وهذا ماخوذ من شعر التهامي
لا تحمد الدهر في بأساء يكشفها * فلو اردت دوام البؤس لم يدم
ومن ذلك ما ذكرته في فصل كتاب يتضمن تعزية وهو ان صبرت
فلان الجزع لا يفيد رد الفائت · ولقد علمت ان للمصاب اجرا ولكنه

(١) اللحاء بالكسر والمد قشر الشجر اه

لا يفي بشماتة الشامت · وهذا ماخوذ من قول ابي تمام
اجر ولكن قد نظرت فلم اجد   اجرا يفي بشماتة الاعداء
ومن ذلك ما ذكرته في وصف الحرب وهو فصل من كتاب مررنا
عليهم مرر الاحلال · وغنيناهم وهم رجال بالارض وتركناهم وهم ارض
بالارجال · ولقد شربت المنايا في دمائهم(٤) حتى ظلت حيرى وشبع السيف
منهم حتى تمرد بطنه وشرب الرمح حتى تأود سكرا · ولم يبق للاسلام في عدوه داء
الاشفاه · ولا عنده دين الا استوفاه · وبعض هذا ماخوذ من شعر ابي
الطيب المتنبي
وكم رجال بلا ارض لكثرتهم * تركت جمعهم ارضا بلا رجل
وعلى هذا الاسلوب جاء قولي في وصف الحرب ايضا وهو اذا
أيتم السيوف من الاغماد · فقد ايتم الاولاد من الآباء · واثكل الآباء
بالاولاد · فلا يرى ادهم نقع الا وهو ببياضها يقق · ولا احمر دم الاوداج بحدها
عرق · ولا فيلق جمع الا وقد هزم قلب ذلك الفيلق · فهي مصارع النفوس
ومطالع السعود والنحوس · والنار التي قد عبدت من قبل المجوس * وبعض
هذا ماخوذ من شعر ابي الطيب المتنبي

(٤) الدماء بالمد بقية الروح من المذبوح وبقية النفس ولعل المراد بها هنا الروح مطلقا اه

الورقة الثانية والثلاثون والثالثة والثلاثون وبها بقية هذا الانفراد

بسم الله الرحمن الرحيم

احمد الله على فضيلة النطق وبيانه واعلم ان الاحسان به من اكرم احسانه واصلى على نبيه محمد الذى فضله على الانبياء بمعجزة قرآنه وقرن النصر بحد سيفه وغرب لسانه وعلى اله وصحبه الذين منهم من سبق بايمانه ومنهم من فرق بين الحق والباطل بفرقانه ومنهم من رضى عنه نبيه عند رضوانه ومنهم من ختم آخر من الخلافة بآخر زمانه اما بعد فان لكتابة الانشاء لباً وقشراً وبطناً وظهراً ووجدت الناس فيها على طريق قد نهج غاربها وطرقت حتى استوى فى المعرفة بها جاهلها وخابرها وكانوا فى ذلك كمن عدل عن اصول الشجرة الى فروعها وورد شعب الماء دون ينبوعها ولما عنيت بهذا الفن لا امتثله فوجدته خشن الملمس الا انه منحنى فيه ادبا لا يحصل بادمان الدرس وجعل غدى فيه افضل من اليوم ويومى افضل من الامس كالذى قال وجهت وجهى لله بعد انتقاله عن الكوكب الى القمر الى الشمس وهذه هى درجة الاجتهاد لا درجة التقليد وهى التى لا تتمكن الجديدان من اخلاق ردائها الجديد وعمدة الامر فيها ان تعرف لهم الى حل الشعر وايات القران والاخبار النبوية كان ذلك هو زبدة محضها وخالص محضها ونجوم سمائها وجبال ارضها ولئن سبقنى الى حل الشعر سابق وطرق ورده قبلى طارق فانه ركب الى ... لا عجماً او ظن خواطره فيه سمعه بصره وكانت ...

الورقة الاولى من نسخة عارف حكمت «ع»

كتاب [الوشى] (١) المرقوم فى حل المنظوم (٢)

لضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير الجزرى
نوَّر الله مرقده

(١) على غلاف الأصل : « وشى » وما أثبته من متن الأصل ، ومن ت ، وط، وم ، ون ، وع .

(٢) فى ت : « الوشى المرقوم فى حل المنظوم ؛ تأليف الوزير العالم الكامل ضياء الدين نصر لله بن محمد بن عبد الكريم رحمة الله عليه » .

- فى ط : « غير واضحة فى مصورة المخطوط » ؛ تصنيف الشيخ الإمام العلامة القدوة سيد البلغاء أوحد الفضلاء ؛ ضياء الدين أبى نصر الفتح بن نصر الله بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير تغمده الله برحمته » .

- فى م : « بخط ردىء : « هذه الأوراق تشتمل على كتابين الأدب : الكتاب الأول : الوشى المرقوم فى حل المنظوم سيدى محمد بن عبد الكريم الجزرى المعروف بن الأثير » ، وعلى رأس هذه العبارة كتب : « ملك أفندم حاج إبراهيم محمد عكر » .

- فى ن : « كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم ؛ تصنيف الوزير الأجل العالم الفاضل ضياء الدين أبى الفتح نصر الله بن محمد الشهير بابن الأثير تغمده الله برحمته آمين .طبع بمطبعة ثمرات الفنون - بيروت ١٢٩٨ هجرية .

- فى ع : « الوشى المرقوم فى حل المنظوم ؛ صنعة الوزير الكامل أبى الفتح نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الجزرى رحمه الله تعالى .

[مُقَدِّمَةُ المؤلف]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنْ [١]

أَحْمَدُ [٢] اللهَ عَلَى فَضِيلَةِ النُّطْقِ وَبَيَانِهِ ؛ وَأَعْلَمُ أَنَّ الإِحْسَانَ بِهِ مِنْ أَكْرَمِ إِحْسَانِهِ ، وَأُصَلِّى عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّد الَّذِى فَضَّلَهُ [اللهُ] [٣] عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِمُعْجِزَةِ قُرْآنِهِ ، وَقَرَنَ النَّصْرَ بِحَدِّ سَيْفِهِ ، وَغَرْبِ [٤] لِسَانِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ [٥] مِنْهُمْ مَنْ سَبَقَ بِإِيمَانِهِ ، وَمِنْهُمْ [٦] مَنْ فَرَقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِفُرْقَانِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ رُضِىَ [٧] عَنْهُ بِمَغِيبِهِ عَنْ بَيْعَةِ رِضْوَانِهِ ، [٨] وَمِنْهُمْ مَنْ خُتِمَ آخِرُ زَمَنِ الْخِلافَةِ [٩] بِآخِرِ زَمَانِهِ .

أَمَّا بَعْدُ . .

فَإِنَّ لِكِتَابَةِ الإِنْشَاءِ لُبًّا وَقِشْرًا ، وَبَطْنًا وَظَهْرًا ، [وَقَدْ] [١٠] وَجَدْتُ النَّاسَ فِيهَا عَلَى طَرِيقٍ قَدْ سَمُجَ غَابِرُهَا ؛ « وَطُرِقَتْ حَتَّى اسْتَوَى فِى الْمَعْرِفَةِ بِهَا [١١] جَاهِلُهَا وَخَابِرُهَا » [١٢] ، وَكَانُوا فِى ذَلِكَ كَمَنْ عَدَلَ عَنْ أُصُولِ الشَّىْءِ إِلَى فُرُوعِهِ ، وَوَرَدَ

---

(١) فى ت ، وم : « وما توفيقى إلا بالله » ، وفى ط : « وهو حسبى وكفى » ، وفى ن : « وبه ثقتى وعليه توكلى » .

(٢) فى الأصل : « الحمد لله » . وما أثبته من ت وط و م و ن وع .

(٣) الزيادة من ط .

(٤) غرب اللسان : حدّته . « اللسان فى مادة غ ر ب » .

(٥) فى م : « وصحبه وسلم الذى » ، خطأ .

(٦) فى م : « ومَن من فرق بين الحق والباطل » .

(٧) التشكيل من ت .

(٨) « بمغيبه عن بيعة رضوانه » غير موجودة فى م .

(٩) فى م : « خلافته » خطأ .

(١٠) الزيادة من ن . وفى الأصل وت و ط و م و ع : « ووجدت » .

(١١) « بها » غير موجودة فى ت ، وم .

(١٢) « وطرقت حتى استوى فى المعرفة بها جاهلها وخابرها » غير موجودة فى م .

شُعَبَ [١] الماءِ دونَ يُنْبُوعِهِ [٢] . ولمَّا عُنِيتُ [٣] بهذا الفَنِّ لامَسْتُهُ فَوَجَدْتُهُ [٤] خَشِنَ اللَّمْسِ إلاَّ أَنَّ اللهَ مَنَحَنِي [٥] فِيهِ أَدَبًا لايُحَصَّلُ إلاَّ بَأَدَبِ الدَّرْسِ . وَجَعَلَ غَدِى فِيهِ أَفضَلَ مِن اليَوْمِ ، « وَيَوْمِى [فِيهِ] [٦] أَفضَلَ مِن الأَمْسِ . « وَأَصْبَحْتُ فى مَعْرِفَتِهِ » [٧] كَالَّذِى قَالَ : وَجَّهْتُ وَجْهِىَ للهِ بَعْدَ انْتِقَالِهِ عَن الكَوَاكِبِ [٨] إِلَى الْقَمَرِ ، إِلَى الشَّمْسِ » [٩] .

وَهَذِهِ هِىَ دَرَجَةُ [١٠] الاجْتِهَادِ لا دَرَجَةَ التَّقْلِيدِ . وَهِىَ الَّتِى لا يَتَمَكَّنُ الجَدِيدَانِ مِنْ إِخْلاقِ رِدَائِهَا الجَدِيدِ . وَعُمْدَةُ الأَمْرِ فِيهَا أَنْ تُصْرَفَ [١١] الهِمَّةُ إِلَى : حَلِّ الشِّعْرِ ، وَآيَاتِ الْقُرْآنِ ، والأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ [١٢] زُبْدَةُ مَخْضِهَا ، وَخُلاصَةُ مَخْضِهَا ، وَنُجُومُ سَمَائِهَا ، وَجِبَالُ أَرْضِهَا . وَلَئِنْ سَبَقَنِى إِلَى حَلِّ الشِّعْرِ سَابِقٌ ، وَوَرَدَ وِرْدَهُ قَبْلِى طَارِقٌ ؛ فَإِنَّهُ رَكِبَ إِلَيْهِ هَجِينًا لا هِجَانًا [١٣] . وَظَنَّ خَوَاطِرَهُ فِيهِ سَمِيعَةً بَصِيرَةً ، وَكَانَتْ صُمًّا وَعُمْيَانًا [١٤] . وَلَيْسَ كُلُّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً [١٥] ، ولا كُلُّ بَيَانٍ بِحِكْمَةٍ .

---

(١) غير مقروءة فى م ، وفى ن : « ثغب » تحريفا .

(٢) فى م : « نبوعه » تحريفا .

(٣) فى ت : « عَنيت » .

(٤) فى م : « فوجته » تحريفا .

(٥) غير مقروءة فى ت ، و م .

(٦) الزيادة من ط .

(٧) « وأصبحت فى معرفته » غير موجودة فى ع .

(٨) فى ت ، و ط ، و م ، و ن ، و ع : « الكوكب » .

(٩) ما بين التنصيص سقط من م .

(١٠) فى م ، ون : « وهذه درجة » .

(١١) فى ت : « يَصْرِف » .

(١٢) فى م : « فإن ذلك زبدة مخضها » ، وفى ع : « كأن ذلك هو » .

(١٣) الهجين من الخيل : الذى أبوه خير من أمه ، والهجان من الأشياء : أجودها وأكرمها ، ومن الإبل : البيض الكرام .

(١٤) يشير إلى قوله تعالى : « وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُماً وَعُمْيَاناً » الفرقان / ٧٣ .

(١٥) ما كل بيضاء شحمة ، ولا كل سوداء تمرة ، وهو مثل يضرب فى اختلاف أخلاق الناس وطباعهم . المستقصى فى أمثال العرب ٢ / ٣٢٨ ، ومجمع الأمثال ٢ / ٢٨١ ، و جمهرة الأمثال ٢ / ٢٢٦ .

وَمَا مَثَلُ مَنْ سَبَقَنِي فِي هَذَا الْفَنِ (١) وَمَثَلِي إِلاَّ كَمَا قَالَ أَبُو تَمَّامٍ (٢) :

مِثْلَ الْعَجُوزِ الَّتِي وَلَّتْ بَشَاشَتُهَا
وَبَانَ عَنْهَا شَبَابٌ كَانَ يُخْطِيهَا
لُزَّت بِهَا ضَرَّةٌ زَهْرَاءُ وَاضِحَةٌ
كَالشَّمْسِ أَحْسَنُ مِنْهَا عِنْدَ رَائِيهَا(٣)

عَلَى أَنَّ كُلاً مِنَ النَّاسِ بِاسْتِحْسَانِ مَا يَقُولُهُ مُغْرًى ، وَلاَ يَزَالُ الْمَرْءُ فِي أَمَانٍ مِنْ عَقْلِهِ حَتَّى يُؤَلِّفَ كِتَابًا ، أَوْ يَقُولَ شِعْرًا . وَهَذَا هُوَ مِعْيَارُ الأَفْكَارِ ، وَالْمِضْمَارُ الَّذِي لاتَسْلَمُ (٤) فِيهِ الْجِيَادُ مِنَ العِثَارِ . وَلَمَّا أَلَّفْتُ كِتَابَ : الْمَثَلِ السَّائِرِ فِي أَدَبِ الْكَاتِبِ وَالشَّاعِرِ (٥) ؛ قَصَرْتُ فَصْلاً مِنْهُ عَلَى ذِكْرِ هَذِهِ الطَّرِيقِ ، وَأَتَيْتُ فِيهَا بِالْمَعَانِي الْجَلِيلَةِ

---

(١) فى م : « سبقنى إلى هذا الفن » .

(٢) أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائى . أسلم وكان نصرانيا ، وشعره فى الذروة . احتج أهل الصنعة على حسن نظمه ؛ واختياره بكتاب الحماسة . وقد ورد أبو تمام قزوين . ولد ١٩٠ هجرية وقيل غيره واختلف فى تاريخ وفاته ، ومات بالموصل سنة ٢٢٨ ، وقيل ٢٣٢ هـ . راجع سير أعلام النبلاء ١١/٦٣ وما بعدها ، البداية والنهاية ١٠ /٢٩٩ وما بعدها ، وفيات الأعيان ٢ / ١١وما بعدها ، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٦١ وما بعدها ، والتدوين فى أخبار قزوين ٢ /٣٨٥ ، وتاريخ بغداد ٨ /٢٤٨ وما بعدها ، والوفيات للقسنطى ص١٦٨ ، وتاريخ الطبرى ٥ /٢٧٤ ، والفهرست ١ /٢٣٤ .

(٣) فى ع : « منها غدرآبيها » هكذا تحريفا .

و البيتان من البسيط فى الديوان ٤/ ٤٣٨ ، ق ٤٢٤ وروايتهما :

..... ولت شبيبتها ‏ ‏ ‏ ‏ وبان عنها كمال .....

لَزَّتْ .....

ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى ، تحقيق محمد عبده عزام . دار المعارف ، ط ٥ سنة ١٩٨٧ م .

(٤) فى ت ، و م : « لايسلم » .

(٥) اشتهر به ابن الأثير ، وطبع عدة طبعات فى العالم العربى لعل أشهرها التى قام على تحقيقها الدكتوران أحمد الحوفى وبدوى طبانة الصادرة عن نهضة مصر ، بدون تاريخ . وتلك التى قام على تحقيقها الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، الصادرة عن المكتبة العصرية فى بيروت سنة ١٩٩٥ م .

الَّتِى تَفْتَقِرُ (١) إِلَى الْفَهْمِ الدَّقِيقِ . غَيْرَ أَنِّى أَحَلْتُ فِى مَوَاضِعَ مِنْهُ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ ، وَجَعَلْتُ لِذَلِكَ رَمْزَ الاخْتِصَارِ ؛ وَلِهَذَا مُكَاشَفَةَ (٢) الإِسْهَابِ. وَقَدْ وَسَمْتُهُ بِـ « الْوَشْيِ الْمَرْقُومِ فِى حَلِّ الْمَنْظُومِ » . وَبَنَيْتُهُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَثَلاثَةِ فُصُولٍ :

- الفَصْلُ الأَوَّلُ : فِى حَلِّ الشِّعْرِ .
- الفَصْلُ الثَّانِى : فِى حَلِّ آيَاتِ الْقُرْآنِ .
- الفَصْلُ الثَّالِثُ : فِى حَلِّ الأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ .

فَمَنْ مَنَحَهُ اللهُ طَبْعًا سَلِيمًا ، وَرَامَ أَنْ يَأْتِى بِالْحِكْمَةِ فِى بَيَانِهِ حَتَّى يُعَدَّ قَلَمُهُ (٣) حَكِيمًا ؛ فَلْيَقْتَبِسْ مِنْ نُورِهِ ، وَلْيَطْلُبْ الْهِدَايَةَ مِنْ جَانِبِ طُورِهِ ، وَلْيُدْمِنْ النَّظَرَ فِى حَلِّ (٤) رُمُوزِهِ ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْغِنَى (٥) مِنْ هَذَا الْفَنِّ فِى ثَرْوَةِ كُنُوزِهِ . وَأَوَّلُ (٦) مَا أَبْدَأُ بِهِ :

---

(١) فى ت ، و م : « يفتقر » تصحيفا ، وبها لايستقيم المعنى .

(٢) فى ت : « مكاشفةُ » خطأ ، وفى م : « وجعلت ذلك رمزا لاختصار هذا مكاشفة الأسهاب » وهى عبارة مضطربة الشكل والمعنى .

(٣) « قلمه » غير موجودة فى ع .

(٤) فى ت ، و ط ، و م ، و ن ، و ع : « خفايا » .

(٥) فى ع : « الغناء » .

(٦) فى الأصل : « فأول » وما أثبته من ت ، وط ، و م ، و ن ، و ع .

مُقَدِّمَةُ الْكِتَابِ

فَأَقُولُ : اعْلَمْ أَنَّ الْكَاتِبَ يَحْتَاجُ إِلَى التَّشَبُّثِ بِكُلِّ فَنٍّ ، وَالنَّظَرِ فِى كُلِّ عِلْمٍ ، وَإِرْصَادِ السَّمْعِ لِمُحَاوَرَاتِ النَّاسِ ؛ فَإِنَّهُ لا يَعْدِمُ مِنْ ذَلِكَ فَائِدَةً ؛ فَإِنَّ الْكَلِمَةَ[(١)] الحِكْمَةَ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا[(٢)] . وَقَدْ تَتَبَّعْتُ[(٣)] أَقْوَالَ النَّاسِ فِى مُحَاوَرَاتِهِمْ ؛ فَاسْتَفَدْتُ بِذَلِكَ فَوَائِدَ كَثِيرَةً حَتَّى مِنْ أَكَّارٍ[(٤)] وَفَلاَّحٍ وَعَجَمِىٍّ[(٥)] مِنَ الأَعْجَامِ الأَغْتَامِ[(٦)] وَمَنْ يَجْرِى مَجْرَاهُمْ ، وَقَدْ تَصْدُرُ الْكَلِمَةُ الحِكْمَةُ[(٧)] مِنَ الْجَاهِلِ بِمَكَانِهَا . وَرُبَّ رَمْيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ[(٨)]

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّ[(٩)] صَاحِبَ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ يَنْبَغِى لَهُ أَنْ يَعْلَمَ مَا تَقُولُهُ النَّادِبَةُ فِى الْمَأْتَمِ[(١٠)] ، وَمَا تَقُولُهُ المَاشِطَةُ عِنْدَ جَلْوَةِ الْعَرُوسِ ، وَمَا يَقُولُهُ الْمُنَادِى فِى السُّوقِ عَلَى السِّلْعَةِ ، فَدَعْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ . وَلَيْسَ فَنُّ الْكِتَابَةِ كَغَيْرِهِ مِنَ فُنُونِ الْعِلْمِ[(١١)] فَإِنَّ كُلَّ عِلْمٍ لَهُ حَاصِرٌ[(١٢)] وَضَابِطٌ ، وَيَرْجِعُ صَاحِبُهُ فِيهِ إِلَى الْمَسْطُورِ ، فَتَرَى الْفَقِيهَ

---

(١) فى ن : « كلمة الحكمة » .

(٢) الحديث فى سنن الترمذى ٥ / ٥١ ، وسنن ابن ماجه ٢ / ١٣٩٥ .

(٣) فى م : « تبعت » .

(٤) الأكار : الحراث (لسان العرب)

(٥) فى ن : « وأعجمى » ، والأعجمى غير العربى .

(٦) فى م : « والأغتام » ، الأغتم الذى لا يفصح شيئا (اللسان) .

(٧) فى ن : « كلمة الحكمة » .

(٨) يضرب لمن جد فى أمر إما انهزاما وإما غير ذلك ، مجمع الأمثال ١/ ٢٩٩

(٩) « فإن » غير موجودة فى ت .

(١٠) فى ت ، و ط ، و م ، و ن : « الماتم » .

(١١) فى ع : « العلوم »

(١٢) فى ع : « خاصر » تصحيفا .

الْمَذْهَبِيّ [١] أَوْ الْجَدَلِيّ [٢] إِمَّا أَنْ يَنْقُلَ مَسْأَلَةً يُسْتَفْتَى فِيهَا ، وَإِمَّا أَنْ يُجَادِلَ فِي مَسْأَلَةٍ . فَعَلَيْهِ أَنْ يُتْقِنَ [٣] نَقْلَ الْمَسْطُورِ [٤] إِنْ كَانَ مَذْهَبِيًّا ، أَوْ أَنْ يُجِيدَ [٥] فِي الْمُجَادَلَةِ بِتَحْسِينِ الْكَلامِ إِنْ كَانَ جَدَلِيًّا . وَكَذَلِكَ [٦] تَرى النَّحْوِيّ فِيمَا يُدَرِّسُهُ [٧] مِنْ عِلْمِ [٨] الْعَرَبِيَّةِ وَكَذَلِكَ الْحَاسِبُ وَالطَّبِيبُ [٩] وَغَيْرُهُمَا . وَأَمَّا الْكَاتِبُ فَإِنَّهُ لاحَاصِرَ [١٠] لَهُ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي فَنِّ [١١] الْكِتَابَةِ ؛ لأَنَّه مُكَلَّفٌ أَنْ يَأْتِي بِمَا يَقُولُهُ مِنْ ذَاتِ خَاطِرِهِ .

وَالْمَعَانِي الْمُسْتَخْرَجَةُ مِنَ الْخَوَاطِرِ كَعَدَدِ الرَّمْلِ إِكْثَارًا ، وَالْقَطْرِ [١٢] إِدْرَارًا . فَيَنْبَغِي لَهُ عَلَى ذَلِكَ أَنْ يَطَّلِعَ فِي هَذِهِ [١٣] الْعُلُومِ جَمِيعِهَا. وَلا أُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِهَا [١٤] ، فَإِنَّ هَذَا غَيرُ مُمْكِنٍ ؛ وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشُمَّ رَائِحَةَ كُلِّ عِلْمٍ وَ [١٥] يَتَشَبَّثَ مِنْهُ بِشَيْءٍ يَدْخُلُ بِهِ [١٦] فِي صِنَاعَتِهِ ، وَالْخَطْبُ فِي هَذَا كَبِيرٌ . لَكِنْ وَجَدْتُ خُلاصَةَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْكَاتِبُ [١٧] ثَلاثَةَ أَشْيَاءِ :

---

(١) فى ن : « فنرى المذهبى » .
(٢) فى ع : « والجدلى » .
(٣) فى ن : « بتقن » تصحيفا .
(٤) فى م : « يتقن المسطور » .
(٥) فى ن : « ويجيد » .
(٦) فى ن : « فلذلك » .
(٧) فى م : «يدرُسه » .
(٨) فى ن : « فى علم » .
(٩) فى ع : « والطيب » تحريفا .
(١٠) فى ع : « الكاتب فلا حاصر » .
(١١) فى ت : « يحتاج إليه من الكتابة » ، وفى ن ، و ع : « من فن الكتابة » .
(١٢) فى ن : « أو القطر » .
(١٣) فى م : « هذا العلوم » خطأ .
(١٤) فى م ، و ن : « أن يكون عالما فإن هذا غير ممكن » وهى عبارة مضطربة المعنى .
(١٥) فى ن : « أو » .
(١٦) فى ت ، و ط ، وم ، و ن ، و ع : « يدخل فى صناعته » .
(١٧) فى ن : « ما يحتاج الكاتب إليه » .

- **الأَوَّلُ** : حِفْظُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

- **الثَّانِي** : حِفْظُ مَا يَنْبَغِي لَهُ حِفْظُهُ مِنَ الأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ ؛ عَلَى أَنَّ الأَخْبَارَ لا تُمْكِنُ (١) الإِحَاطَةُ بِحِفْظِهَا كَمَا تُمْكِنُ (٢) الإِحَاطَةُ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ ؛ وَإِنَّمَا يُؤْخَذُ (٣) مِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِي هَذِهِ الصِّنَاعَةِ . وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى فَضْلِ مَعْرِفَةٍ ، وَثَاقِبِ نَظَرٍ حَتَّى يُؤْخَذَ مِنْهُ مَا يُؤْخَذُ ، وَيُتْرَكَ مِنْهُ مَا يُتْرَكُ (٤) ، وَكُنْتُ أَتْعَبْتُ (٥) نَفْسِي زَمَانًا فِي ذَلِكَ حَتَّى جَمَعْتُ فِيهِ كِتَابًا (٦) يَشْتَمِلُ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثَةِ آلافِ حَدِيثٍ (٧) مِنَ الأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ ، كُلُّهَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ (٨) فِي أَسْبَابِ الْكِتَابَةِ . وَكُنْتُ أَلْزَمُ مُطَالَعَةَ ذَلِكَ الْكِتَابِ لُزُومَ الْمُحْتَفِلِ ، وَلا أَزَالُ فِي مُطَالَعَتِهِ كَالحَالِّ الْمُرْتَحِلِ ؛ حَتَّى صَارَ لَدَيَّ مَنْضُودًا ، وَفِي لِسَانِ قَلَمِي مَعْقُودًا (٩) وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْمُتَرَشِّحِ لِهَذِهِ الصِّنَاعَةِ .

- **الثَّالِثُ** « مِنَ الثَّلاثَةِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْكَاتِبُ أَشَدَّ الاحْتِيَاجِ » (١٠) : حِفْظُ الأَشْعَارِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي لايَحْصِرُهَا عَدَدٌ مِمَّا (١١) يَكُونُ كُلُّ بَيْتٍ مِنْهُ فِي الْجَوْدَةِ بِمَنْزِلَةِ قَصِيدٍ (١٢) مِنْ غَيْرِهِ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى الإِكْثَارِ مِنْ حِفْظِ الْخُطَبِ وَالرَّسَائِلِ لِمَنْ تَقَدَّمَهُ (١٣) ، وَأَنَا لا أَرَى ذَلِكَ لأَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَلاَّ يَعْلَقَ بِالْخَاطِرِ شَيْءٌ مِمَّا

---

(١) فى ت : « لايمكن » غير منقوطة ، وفى ط ، و م ، و ن ، و ع : « يمكن » .
(٢) فى ت : « يمكن » غير منقوطة ، وفى ط ، وم ، و ن ، و ع : « يمكن » .
(٣) فى ن : « يأخذ » .
(٤) فى ط ، وم ، ون : « ويترك ما يترك » .
(٥) فى م : « أتعب نفسى » وبها لا يستقيم المعنى .
(٦) فى م : « جمعت فيه كل كتاب » وهى عبارة مضطربة المعنى .
(٧) فى ت ، وط ، و م ، و ن ، وع : « خبر » .
(٨) فى ت ، و م : « إليها » .
(٩) فى ن : « وبلسان » .
(١٠) ما بين علامتى التنصيص غير موجود فى ت ، و ط ، و م ، و ن ، و ع .
(١١) فى م : « بما يكون » .
(١٢) فى ن : « قصيدة » .
(١٣) فى ط ، و م : « يقدمه » خطأ .

سَبَقَ إِلَيْهِ غَيْرُهُ (١) مِنْ أَرْبَابِ الْكَلامِ الْمَنْثُورِ (٢) . الآخَرُ : أَنَّ الْمَعْنَى فِى الْكَلامِ الْمَنْثُورِ (٣) إِذَا نُقِلَ إِلَى مَعْنًى فِى كَلامٍ مَنْثُورٍ (٤) فَرُبَّمَا يَبْقَى شَىْءٌ مِنْ أَلْفَاظِ الْمَعْنَى الأَوَّلِ فِيمَا يَصُوغُهُ الآخِرُ مِنْ أَلْفَاظِهِ . وَلَقَدْ حَظَرْتُ عَلَى نَفْسِى « أَنْ أَحْفَظَ شَيْئًا مِنْ رَسَائِلِ النَّاسِ وَخُطَبِهِمْ . حَتَّى أَنِّى حَظَرْتُ عَلَى نَفْسِى حِفْظَ شَىْءٍ » (٥) مِنْ مَقَامَاتِ الْحَرِيرِى (٦) ، وَخُطَبِ ابْنِ نُبَاتَةِ (٧) . وَهُمَا عُكَّازَا (٨) أَهْلِ الزَّمَانِ مِنْ مُتَعَاطِى هَذِهِ الصِّنَاعَةِ . وَكُلُّ هَذَا فَعَلْتُهُ فِرَارًا أَنْ يَعْلَقَ بِخَاطِرِى شَىْءٌ مِنْ تِلْكَ الأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِى . السُّؤَالُ (٩) : فَإِنْ قِيلَ : لِمَ مَنَعْتَ مِنْ حِفْظِ الْكَلامِ الْمَنْثُورِ (١٠) وَحَثَثْتَ عَلَى حِفْظِ الأَشْعَارِ ، وَالَّذِى فَعَلْتَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِهِ فِى أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ يَلْزَمُكَ مِثْلُهُ فِى الطَّرَفِ الآخَرِ ؟. فَالْجَوَابُ (١١) عَنْ ذَلِكَ أَنِّى (١٢) أَقُولُ : أَمَّا الشِّعْرُ فَإِنَّهُ أَكْثَرُ مِنَ الْكَلامِ

---

(١) فى ن : « غيرى » .

(٢) فى ع : « المنشور » تحريفا .

(٣) فى ع : « المنشور » تحريفا .

(٤) فى ع : « منشور » تحريفا .

(٥) ما بين علامتى التنصيص غير موجود فى م .

(٦) أبو القاسم على بن محمد الحريرى بصرى المولد والمنشأ من بنى ربيعة الفرس . إمام فى اللغة والنحو وله عدة مصنفات منها المقامات . ولد فى حدود ٤٤٦ ببلد قريب من البصرة ، ومات بها سنة ٥١٥ وقيل ٥١٦ هـ . أبجد العلوم ٣/ ٦٣ وما بعدها ، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٦٠ - ٤٦٥ ، وفيات الأعيان ٤/٦٣ - ٦٧ ، البداية والنهاية ١٢/ ١٩١ وما بعدها .

(٧) الإمام البليغ الأوحد خطيب زمانه أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الفارقى ؛ صاحب الديوان الفائق فى الحمد والوعظ ، كان خطيبا بحلب للملك سيف الدولة واجتمع بالمتنبى . توفى بميافارقين سنة ٣٧٤ هـ . سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٢١ - ٣٢٣ ، وفيات الأعيان ٣/١٥٦ - ١٥٨ ، البداية والنهاية ١١ /٣٠٣ ، النجوم الزاهرة ٤/١٤٦ .

(٨) فى م ، ون : « عكاز » .

(٩) « السؤال » غير موجودة فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(١٠) فى ع : « المنشور » تحريفا .

(١١) فى ت، وط : « والجواب » ؛ وفى الأصل كتبت كلمة : « الجواب » بخط كبير .

(١٢) فى ت : « أن » .

الْمَنْثُورِ [١] بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ . وَلَيْسَ نِسْبَةُ أَحَدِهِمَا إِلَى الآخَرِ نِسْبَةَ قَلِيلٍ إِلَى كَثِيرٍ ، فَضْلاً عَنْ نِسْبَةِ كَثِيرٍ إِلَى كَثِيرٍ . بَلْ هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ كَالرَّقْمَةِ [٢] فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ [٣] أَوْ كَالشَّامَةِ [٤] فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ .

وَالْكَلامُ الْمَنْظُومُ هُوَ الَّذِي كَانَ دِيوَانَ أَهْلِ [٥] الفَصَاحَةِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ . وَإِذَا[٦] عَدَدْتَ مِنْهُمْ مِائَةَ شَاعِرٍ لا يُمْكِنُكَ أَنْ تَعِدَّ خَطِيبًا وَاحِدًا ، ثُمَّ اسْتَمَرَّ الأَمْرُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا ، فَاسْتَغْرَقَ [٧] الْكَلامُ الْمَنْظُومُ جَمِيعَ المَعَانِي ؛ فَكَانَ الأَخْذُ مِنْهُ أَوْلَى . وَهُوَ الَّذِي وَصَفَ اللهُ أَهْلَهُ بِأَنَّهُمْ يَهِيمُونَ فِي كُلِّ وَادٍ . وَالَّذِي بَعَثَنِي [٨] عَلَى الإِكْبَابِ عَلَى حِفْظِ الشِّعْرِ ؛ دُونَ الخُطَبِ وَالرَّسَائِلِ ؛ أَنِّي إِذَا أَخَذْتُ مَعْنًى مِنَ مَعَانِي الشِّعْرِ وَأَوْدَعْتُهُ رَسَائِلِي كُنْتُ قَدْ نَقَلْتُ مِنْ ضِدٍّ إِلَى ضِدٍّ ، وَهُوَ أَخْفَى وَأَسْتَرُ . وَلَوْ فَعَلْتُ ذَلِكَ فِي الكَلامِ المَنْثُورِ [٩] لَكَانَ [١٠] نَقْلَ مِثْلٍ إِلَى مِثْلٍ ،وَذَلِكَ أَشْهَرُ وَأَظْهَرُ[١١] ،فَبَاعِثِي إِذًا عَلَى حِفْظِ الأَشْعَارِ دُونَ الكَلامِ المَنْثُورِ [١٢]

---

(١) فى ع : « المنشور » تحريفا . (٢) فى ع : « كالرفمة » تصحيفا .

(٣) فى ع : « الداية » تصحيفا .

(٤) فى ن : « أو الشامة » . وفى الحديث : ما أنتم إلا كالرقمة فى ذراع الدابة ، أو كالشامة فى جنب البعير . سنن الترمذى ٥/ ٣٢٢، ٣٢٣ ؛ رقم ٣١٦٨ ، ٣١٦٩ ، والمستدرك على الصحيحين ١/ ٨١ ، رقم٧٨ .

(٥) « أهل » غير موجودة فى ت . وفى ع : « هو الذى ديوان » بسقوط « كان » .

(٦) فى الأصل : « فإذا » وما أثبته من ت ، وط ، وم ، وع ؛ وفى ن : « إذا عددت » .

(٧) يقابل هذه الكلمة فى هامش « ع » كلام مقطوع من التصوير كعنوان : «استغراق الكلام المنظوم جميع المعانى» .

(٨) فى ع : « يغثنى » تصحيفا .

(٩) فى ع : « المنشور » تحريفا .

(١٠) فى م : « كان نقل مثل » .

(١١) فى ت : « وأعظم » ، وفى م : « أظهر وأشهر » .

(١٢) فى ع : « المنشور » تحريفا .

كَثْرَةُ (١) الشِّعْرِ وَاسْتِغْرَاقُهُ للمَعَانِي (٢) وَلأَنَّ الأَخْذَ مِنْهُ أَسْتَرُ وَأَخْفَى . وَقَدْ دَلَلْتُكَ أَيُّهَا المُتَرَشِّحُ (٣) لِهَذِهِ الصِّنَاعَةِ عَلَى مَا دَلَلْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي وَهَذَا دَأْبُ (٤) ذَوِي الأَذْيَانِ . وَبِهِ وَصَفَ رَسُولُ اللهِ « ﷺ » (٥) حَقِيقَةَ الإِيمَانِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ هَهُنَا بَاعِثًا عَلَى مَا نَصَصْتُ عَلَيْهِ هُوَ أَقْوَى مِنَ البَاعِثَيْنِ الأَوَّلَيْنِ . وَذَلِكَ (٦) أَنَّ مُرَادِي مِنْ صِنَاعَةِ الكِتَابَةِ إِنَّمَا هُوَ طَرِيقُ الاجْتِهَادِ لا طَرِيقَ التَّقْلِيدِ ، وَإِذَا قَصَرْتُ نَظَرِي عَلَى النَّظَرِ فِي مُكَاتَبَاتِ (٧) مَنْ تَقَدَّمَ فَكَأَنَّمَا أَكُونُ قَدْ حَذَوْتُ حَذْوَهُمْ ، وَهَذَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِي وَلا أَرَبِي . وَإِنَّمَا الأَرَبُ كُلُّهُ فِي طَرِيقَةٍ عَذْرَاءَ لَمْ تُفْتَرَعْ (٨) ، وَمَذْهَبٍ غَرِيبٍ لَمْ يُبْتَدَعْ .

وَقَدْ قَلَّبْتُ هَذَا الفَنَّ ظَهْرًا لِبَطْنٍ ؛ فَلَمْ أَجِدْ السُّلُوكَ إِلَى هَذِهِ الطَّرِيقِ إِلاَّ بِتَحْصِيلِ هَذِهِ الأَسْبَابِ الثَّلاثَةِ : وَهِيَ : حِفْظُ القُرْآنِ الكَرِيمِ ، وَحِفْظُ مَا يُقَارِبُ حَجْمَهُ مِنَ الأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي تَدْخُلُ فِي بَابِ الاسْتِعْمَالِ - وَأَهْلُ مَكَّةَ أَعْرَفُ بِشِعَابِهَا (٩) - وَحِفْظُ الأَشْعَارِ الكَثِيرَةِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . فَإِذَا حُصِّلَتْ (١٠) هَذِهِ الأَسْبَابُ الثَّلاثَةُ ، وأُتْقِنَ تَحْصِيلُهَا أَخَذَ صَاحِبُهَا فِي فَنِّ الكِتَابَةِ فَصَارَ يَهُبُّ (١١) وَيَرْكُدُ ، وَيَقُومُ وَيَقْعُدُ ،

---

(١) فى م : « وكثرة » خطأ .

(٢) فى م : « واستغراقه المعانى » .

(٣) فى ن : « المرتشح » خطأ ، وفى ع : « المثرشح » تصحيفا .

(٤) فى ت : « أدب » .

(٥) « ﷺ » غير موجودة فى ت ، وفى ط : « وصف الله حقيقة الإيمان » .

(٦) فى ت ، وط ، وع : « وذاك » ، وفى م : « ذلك » .

(٧) فى م : « وإذا قصرت نظرى من مكاتبات » وهى عبارة مضطربة .

(٨) « تفترع » : افترع البكر افتضها (اللسان مادة ف ر ع) .

(٩) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « أخبر بشعابها » . لم أجده فيما تحت يدى من مصادر .

(١٠) فى الأصل ، وت : « حَصَلَت » ، وفى م ، ون بدون تشكيل .

(١١) ف م : « فى فن الكتابة فيذهب ويركد » وهى عبارة مضطربة .

وَيُصْدِرُ وَيُورِدُ ، وَيَخْلِطُ الصَّحِيحَ بِالسَّقِيمِ ، وَيَمْشِى مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [١] . وَفِى أَوَّلِ [٢] الأَمْرِ لا يَرَى إِلاَّ صُعُوبَةً وَوُعُورَةً وَطَرِيقًا مُشْكَلَةَ المَذَاهِبِ ؛ كَثِيرَةَ الشِّعَابِ ؛ فَإِذَا أَكْرَهَ خَاطِرَهُ عَلَى سُلُوكِهَا ، وَشَجَّعَهُ عَلَى تَوَرُّدِهَا [٣] فَمَا تَمْضِى بِهِ إِلاَّ هُنَيْهَةٌ [٤] حَتَّى تَسْتَمِرَّ بِهِ الطَّرِيقُ وَتَتَّضِحُ [٥] لَدَيْهِ . وَأَخْلَقُ بِتِلْكَ الطَّرِيقِ أَنْ تَكُونَ بَدِيعَةً غَرِيبَةً ؛ لا تُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ طُرُقِ [٦] المُتَقَدِّمِينَ . وَهَكَذَا فَعَلْتُ أَنَا فِى فَنِّ [٧] الكِتَابَةِ . وَرُبَّمَا سَلَكَ هَذِهِ الطَّرِيقَ قَوْمٌ بَعْدَ تَحْصِيلِ مَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ حِفْظِ القُرْآنِ [الكَرِيمِ] [٨] ، وَالأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ ، وَالأَشْعَارِ ؛ ثُمَّ تُظْلِمُ [٩] فِى وُجُوهِهِم [١٠] فِى [١١] مَبْدَأِ الأَمْرِ ، فَيَعُودُونَ عَنْهَا . وَلا بُدَّ [لَكَ] [١٢] دُونَ الحَلاوَةِ مِنْ مَرَارَةٍ . وَالتَّعَبُ عَلَى مَنَالِ العَلْيَاءِ أَمَارَةٌ [١٣] .

« وَلَسْتُ أُرِيدُ بِحَلِّ القُرْآنِ [١٤] ، وَالأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ ، وَالأَشْعَارِ أَنْ يَكُونَ الكَاتِبُ

---

(١) اقتباس من قوله تعالى : « أَفَمَن يَمْشِى مُكِباً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِى سَوِياً عَلَى صِرَاطٍ مستَقِيم » ، الملك / ٢٢ .

(٢) فى م : « وفى الأول الأمر » وهى عبارة مضطربة .

(٣) فى ع : « تواردها » تحريفا .

(٤) فى ت : « له إلا هنينة » ، وفى م : « يمضى به هنيهة » خطأ .

(٥) فى ن ، وع : « حتى يستمر به الطريق ويتضح » .

(٦) فى الأصل : « طريق » ، والتصويب من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٧) « فن » غير موجودة فى م .

(٨) الزيادة من م .

(٩) فى م : « ثم نظر » تحريفا .

(١٠) فى ط : « وجوجههم » خطأ .

(١١) « فى » غير موجودة فى ط ، وفى ن : « مبداء » خطأ .

(١٢) الزيادة من م ، وفى ن : « ولا يدرون الحلاوة من مرارة » وهى عبارة مضطربة .

(١٣) فى ع : « والشعب على منازل العليالم أمارة » وهى عبارة أصابها التصحيف والتحريف فاضطربت واختل المعنى .

(١٤) فى ت ، وط : « بحل معانى القرآن » .

مُرْتَبِطًا بِهَا بِحَيْثُ لا يَنْطِقُ إلاَّ عَنْهَا ، وَلا يَأْخُذُ إلاَّ مِنْهَا . لأَنَّهُ لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمَا كَانَ يَفْرُغُ مِنْ كِتَابٍ (١) وَاحِدٍ فِي زَمَانٍ طَوِيلٍ . وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ تَحْصُلَ (٢) لَهُ المَلَكَةُ ، وَتَكْثُرَ لَدَيْهِ المَعَانِي ، وَيَطَّلِعَ عَلَى الدَّقَائِقِ وَالدَّفَائِنِ ، وَيَسْتَنْتِجَ (٣) مِنْ خَاطِرِهِ أَشْيَاءَ يَسْتَعِينُ عَلَيْهَا بِهَذِهِ الأَسْبَابِ الثَّلاثَةِ . [وَمَتَى] (٤) حَصَلَتْ لَهُ المَلَكَةُ ؛ وَتَمَكَّنَ مِنْ خَاطِرِهِ جَاءَتْهُ المَعَانِي مِنْ غَيْرِ أَنْ [يَتْعَبَ] (٥) فِي طَلَبِهَا كُلَّ التَّعَبِ » (٦)

* * *

(١) فى ط ، وع ، : « من كل كتاب واحد » خطأ .

(٢) فى ط : « يحصل » تصحيفا .

(٣) فى ط : « ويستنتجُ » خطأ .

(٤) فى الأصل : « التى » تحريفا ، وفى ت : « ومن » ، والتصويب من ط ، وع .

(٥) فى الأصل : « تتعب » وما أثبته من ت ، وط ، وع .

(٦) من أول : « ولست أريد . . . . التعب » غير موجود فى م ، ون .

الفصل الأول

فِى حَلِّ الشِّعْرِ

الْفَصْلُ الأَوَّلُ : فِى حَلِّ الشِّعْرِ

قَدْ قَدَّمْنَا (١) القَولَ بأنَّ صاحبَ هذهِ الصِّناعةِ يحتاجُ إلى حفظِ دواوينَ كثيرةٍ لفحولِ الشُّعراءِ . فإذا فعلَ ذلكَ فَلْيُدْمِنْ فِى حلِّ الأبياتِ الشعريةِ زمانًا طويلاً حتَّى تحصلَ (٢) لهُ المَلَكَةُ ؛ ليكونَ إذا كَتَبَ كتابًا ، أو خَطَبَ خُطبةً جاءتْهُ (٣) المعانى سانحةً (٤) وبارحةً ، وواتتْهُ (٥) السرعةُ (٦) فيما يُنشئُهُ من (٧) ذلكَ ، ولا يحولُ بينَهُ وبينَهُ الإبطاءُ . وهذا شىءٌ حَصَلَ لى (٨) بالتجربةِ . فَخُذْ فى (٩) ذلكَ ما قتلتْهُ (١٠) التَّجربةُ علمًا لا ما نقلتْهُ (١١) الألسنةُ إخبارًا .

وحدَّثنِى عبدُ الرَّحيم بنُ عَلِيٍّ البيسانيُّ (١٢) رَحِمَهُ اللهُ بمدينة دِمَشْق فى سنةِ ثمانٍ

---

(١) فى ن : « قد قدمت » .
(٢) فى ط : « تحصلُ » خطأ .
(٣) فى ن : « جأته » خطأ .
(٤) فى ط : « سابحة » تصحيفا ، وفى م : « سائحة » تحريفا .
(٥) فى م : « واتته » خطأ .
(٦) فى ن : « السراعة » تحريفا .
(٧) « من » غير موجودة فى ن .
(٨) « لى » غير موجودة فى م ، ون .
(٩) فى ت ، وط : « من ذلك » .
(١٠) فى ن : « ما قبلته » تصحيفا .
(١١) فى ن : « ما قالته » .
(١٢) **القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى ولد فى ٥٢٩ هجرية صاحب ديوان الإنشاء الصلاحى ، أخذ الصنعة عن الموفق بن الخلال ، واستخلصه صلاح الدين الأيوبى لنفسه ، توفى ليلة سابع ربيع الآخر٥٩٦ هـ** . سير أعلام النبلاء ٢١ / ٣٣٨ وما بعدها ، وتكملة الإكمال ١ / ٤٣٨ رقم ٧٣٤ ، وفيات الأعيان ٣/١٥٨ - ١٦٣ ، البداية والنهاية ١٣/ ٢٤ - ٢٦ ، الروضتين فى أخبار الدولتين ٤/ ٤٨١ - ٤٨٢ ، الدارس ١ / ٦٧ : ٦٩ ، طبقات الشافعية ٢/ ٣١، ٣٢ الطبقة ١٧

وثمانينَ وخمسمائةٍ - وكانَ إذ ذاكَ كاتبَ الدولةِ الصلاحيّةِ - فقالَ (١) : كانَ فَنُّ الكتابةِ بمصرَ فى زمنِ الدولةِ العلويّةِ غضًّا طريًّا ، وكانَ لا يخلو ديوانُ المُكاتباتِ من رأسٍ (٢) يرأسُ (٣) مكانًا وبيانًا ؛ ويقيمُ لسلطانهِ بقلمهِ سلطانًا . وكانَ من العادةِ أنَّ كُلاًّ من أربابِ الدواوينِ إذا نشأَ لهُ وَلَدٌ وَشَدَا شيئًا من علمِ (٤) الأدبِ أحضرَهُ إلى ديوانِ المُكاتباتِ ليتعلَّمَ فَنَّ (٥) الكتابةِ ، ويتدرَّبَ ، ويرى ، ويسمعَ (٦) . قالَ : فأرسلَنِى والدِى - وكانَ إذْ ذاكَ قاضيًا بثغرِ (٧) عسقلانَ (٨) - إلى الديارِ المصريّةِ فى أيامِ الحافظِ (٩) وهوَ أحدُ خلفائِهَا وأمرَنِى بالمصيرِ إلى ديوانِ المُكاتباتِ ، وكانَ الذى يرأسُ بهِ فى تلكَ الأيامِ رجلاً (١٠) يقالُ له : ابنُ الخلاَّلِ (١١) . فلمَّا حضرتُ

---

(١) فى ع : « قال » .

(٢) فى ن : « رئيس » .

(٣) فى ن : « ترأس » خطأ .

(٤) فى ن : « إذ إنشاء له ولد رشيد فى علم » وهى عبارة مضطربة .

(٥) فى م : « من الكتابة » .

(٦) فى م : « ويسمع ويرى » .

(٧) فى ع : « ثغر » خطأ .

(٨) عسقلان : من أعمال فلسطين ، عروس الشام بقيت فى أيدى الإفرنج ٣٥ سنة حتى استنقذها منهم صلاح الدين الأيوبى ، وفى عسقلان وفضائلها أحاديث مأثورة . معجم البلدان ٤/ ١٢٢ . ومعجم ما استعجم ٢/ ٥٥٦ ، وتاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ١/ ٩٦ - ٩٧ .

(٩) الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله العبيدى الرافضى صاحب مصر بويع يوم مصرع ابن عمه الآمر فاستولى عليه أحمد بن الأفضل أمير الجيوش وضيق عليه فعمل عليه الحافظ وجهز من قتله واستقل بالأمور وعاش سبعا وسبعين سنة وكانت دولته عشرين سنة إلا خمسة أشهر ؛ ولد سنة ٤٦٧ هـ بعسقلان ، ومات فى خامس جمادى الأولى ٥٤٤هـ . شذرات الذهب ٢ / ١٣٨ ، البداية والنهاية ١٢ / ٢٢٦ ، تاريخ الخلفاء ١ / ٥٢٤ ، سير أعلام النبلاء ١٥ / ١٩٩ .

(١٠) فى م ، ون : « رجل » .

(١١) الأديب البليغ موفق الدين أبو الحجاج يوسف بن محمد بن الخلال المصرى كاتب =

الديوانَ ؛ ومثلْتُ بينَ يديهِ ، وعرَّفتُهُ مَنْ أَنَا ، ومَا طَلْبَتِى ، رحَّبَ بى وسهَّلَ ؛ ثمّ قالَ : مَا الذى أعددتَ لفنِّ الكتابةِ مِن الآلاتِ ؟ . فقلتُ : ليسَ عندى شىءٌ سوى أنّى أحفظُ القرآنَ [الكريمَ] (١) ، وكتابَ الحماسةِ . فقالَ : فى هذا بلاغٌ . ثمّ أمرَنِى بملازمتهِ . فلمَّا تردَّدتُ إليهِ ، وتدرَّبتُ بينَ يديهِ ؛ أمرَنِى « بعدَ ذلكَ أنْ أَحُلَّ شعرَ الحماسةِ ؛ فحللتهُ من أوّلهِ إلى آخرهِ . ثمّ أمرَنِى » (٢) بأنْ (٣) أَحُلَّهُ مرةً ثانيةً فحللتُهُ .

واعْلَمْ أيُّها الطالبُ لهذا الفنِّ أنَّ هذهِ الحكايةَ تحقِّقُ عندَكَ مَا أشرْتُ إليكَ بِهِ . وكنتُ حفظتُ من الأشعارِ القديمةِ والمحدثةِ (٤) ما لا أحصيهِ كثرةً ، ثمّ اقتصرتُ بعدَ ذلكَ كُلِّهِ (٥) على شعرِ الطَّائيينِ : حبيبِ (٦) بنِ أوسٍ ، وأبى عُبادة البُحْتُرِىِّ ، وشعرِ أبى الطيِّبِ المتنبِّى ؛ فحفظتُ هذهِ الدواوينِ الثَّلاثةِ ، وكنتُ أكررُ عليها بالدرسِ مدةَ سنينَ ؛ حتَّى تمكَّنتُ من صوغِ المعانِى ، وصارَ الإدمانُ (٧) لى خلقًا وطبعًا . فلا تقنعْ (٨) أيُّها الخائضُ فى هذا البحرِ الذى لا ساحلَ لهُ إلاَّ بأنْ تفعلَ مَا فعلتُهُ ، وتسلكَ ما سلكتُهُ. إلاَّ أنَّنى (٩) [لا أنصُّ] (١٠) عليكَ بحفظِ هذهِ الأشعارِ

= السر للحافظ العبيدى ، قال القاضى الفاضل : تدربت بين يديه وكنت قد حفظت كتاب الحماسة فأمرنى أن أحل أشعار الكتاب ففعلت ذلك مرتين . مات سنة ٥٦٦ هـ . وفيات الأعيان ٧/ ٢١٩ وما بعدها ، البداية والنهاية ١٢/ ٢٦٤ ، الروضتين فى أخبار الدولتين ٢/ ١٨٣ ، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٣٧ ، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٠٥ .

(١) الزيادة من ت . (٢) ما بين علامتى التنصيص سقط من ع .

(٣) فى ت ، وم ، ون : « أن أحله » ، وفى ط : « بأن بأن » سهوا .

(٤) فى ن : « القديمة المحدثة » .

(٥) « كله » غير موجودة فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٦) فى الأصل : « حب » خطأ . (٧) فى م : « الأمان » تحريفا .

(٨) فى ع : « ولا تقنع » .

(٩) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « إلا أنى » .

(١٠) فى الأصل : « إلا أننى أنص عليك » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

الثلاثةِ بعينِها ؛ فإنَّ فى الأشعارِ [كثرةً] (١) ، ولكلٍّ نظرٌ واجتهادٌ ، وإنَّما ذكرتُ لكَ ذلكَ لتعلمَ وعورةَ (٢) هذهِ (٣) الطريقِ وطولَها ؛ فتأخذَ للأمرِ أهبتَهُ ، وتوفِّيهِ رتبتَهُ . واللهُ الموفِّقُ وبهِ الحولُ والقوةُ . وهذا الموضعُ لا بُدَّ مِن إمحاضِ (٤) النَّصيحةِ فيه للمتعلِّمِ (٥) .

وذاكَ أنِّى قلَّبتُ الأشعارَ تقليبَ السماسرةِ للمتاعِ ، ووزنتُها بالقيراطِ ، وكِلْتُهَا بالمُدِّ والصَّاعِ ، وماعدلْتُ إلى الطائيينِ والمتنبِّى (٦) إلاَّ عن نظرٍ ، ولا آثرتُهم (٧) إلاَّ أخذًا بالعينِ لا بالأثرِ . « ولرُبَّما أحببْتُ (٨) التَّصريحَ لكَ (٩) بهذهِ النَّصيحةِ وقلتُ : فما الباعثُ لكَ (١٠) على اختيارِ (١١) هؤلاءِ الثَّلاثَةِ دونَ غيرِهِمْ من الشُّعراءِ ؟ .

[وسأقولُ لكَ فى هذا ما تعلمُ] (١٢) صحَّتَهُ : وذاكَ أنَّ الغرضَ إنَّما هوَ معرفةُ المعانِى والألفاظِ . ولمْ يشتملْ شعرُ أحدٍ من الشُّعراءِ المفلقينَ : قديمًا ، وحديثًا

---

(١) فى الأصل : « كثيرة » ، وما أثبته من ت، وط ، وم ، ون ، وع .

(٢) فى م : « دائرة » .

(٣) فى الأصل ، وط ، وم ، وع : « هذا » ، وما أثبته من ت ، ون .

(٤) فى ع : « محاض » تحريفا .

(٥) فى الأصل : « المتعلم » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، وع . وفى ن : « وهذا الموضع النصيحة فيه للمتعلم » .

(٦) « والمتنبى » غير موجودة فى ت .

(٧) فى ت : « وما آثرتهم » .

(٨) فى ت ، وط : « أحببتُ » خطأ ؛ لأن المعطوف عليه : « وقلتَ » ، وفى ع : « أحييت تصحيفًا .

(٩) « لك » غير موجودة فى ع .

(١٠) « لك » غير موجودة فى ت ، وفى ع : « فما لك الباعث » وهى عبارة مضطربة .

(١١) فى ط : « على اختيارهم هؤلاء الثلاثة » سهوا .

(١٢) فى الأصل : « وسأقول فى هذا ما تعلم صحته » ، وفى ت : « وسأقول لك ما تعلم صحته » وما أثبته من ط ، وع .

على المعانِى التّى اشتملَ [١] عليها شعرُ أبى تمّامٍ ، وأبى الطيِّبِ المتنبّى ؛ فإنَّهُما غوّاصَا المعانِى . وَأمَّا الألفاظُ فى سبكِهَا وديباجتِهَا فلمْ أجدْ أحدًا يُسامِى [٢] أبا عبادةِ البُحتُرىَّ فيها . ولمّا كانَ الأمرُ كذلكَ اخترْتُ شعرَ هؤلاءِ الثّلاثةِ فحفظتُهُ ؛ فاقتبستُ من أبى تمّامٍ وأبى الطيِّبِ المعانىَ والغوصَ عليها ومن أبى عبادةِ [البحترىِّ] [٣] سبكَ الألفاظِ » [٤] .

وكنتُ سافرتُ إلى مصرَ سنةَ ستٍ وتسعينَ [٥] وخمسمائةٍ ، ورأيتُ الناسَ مكبِّينَ على شعرِ أبى الطيِّبِ المتنبِّى دونَ غيرِهِ ؛ فسألتُ جماعةً من أدبائِها عن سببِ ذلكَ ؟ . وقلتُ : إنْ كانَ لأنَّ [٦] أبا الطيِّبَ [٧] دخلَ مصرَ ؛ فقدْ دخلَها قبلَهُ مَن هوَ مُقَدَّمٌ عليهِ ، وهوَ أبو نواسٍ [٨] الحسنُ بنُ هانىءٍ ، فلم يذكروا لى فى هذا [٩] شيئًا . ثمَّ إنِّى فاوضتُ عبدَ الرَّحيمِ بنَ علىّ البيسانىَّ [١٠] - رَحِمَهُ اللهُ - فى هذا فقالَ : إنَّ أبا الطيِّبِ ينطِقُ عن خواطرِ النَّاسِ ؛ ولقدْ صَدَقَ فيما قالَ . وأذكرَنِى بقولِهِ هذا كلامًا كنتُ جاريتُ فيهِ بعضَ الأدباءِ بالمَوْصِلِ . وقدْ سَألَنِى عن الكاتبِ : مَن هوَ ، ومَن الذى يستحِقُّ [١١] هذا الاســـمَ ؟ . فقلتُ لهُ : الكاتبُ عندى مَن

---

(١) فى ط : « اشتملت » سهوا .

(٢) فى ع : « سامى » .

(٣) الزيادة من ط .

(٤) من قوله فى الصفحة السابقة : « ولربما أحببت . . . سبك الألفاظ » سقط من م ، ون .

(٥) فى ت : « سنة ست وسبعين » خطأ .

(٦) فى ط ، وم : « إن كان أبو الطيب » .

(٧) فى ن : « الطييب » تحريفا .

(٨) فى ن : « أبو النواس » .

(٩) فى ت : « فى ذلك شيئا » .

(١٠) فى ط : « عبد الرحيم البيسانى » .

(١١) فى م : « تستحق » خطأ ، وفى ع كتبت عبارة : ما الكاتب الذى يطلق عليه اسم الكتابة .

إذا[(١)] كلّفتَهُ أنْ يكتبَ عنكَ كتابًا[(٢)] فى أمرٍ من الأمورِ ، وأفضيتَ إليه بالمعنَى فيه[(٣)] جملةً أخذَهُ[(٤)] ، وفصَّلَهُ ، وأتَى بهِ علَى وجهٍ إذا تأمَّلْتَهُ قُلتَ : هكذا[(٥)] كانَ فى نفسِى ، ولكنِّى[(٦)] لمْ أقدرْ أنْ أعبِّرَ عنهُ . فهوَ ينطِقُ عنِ[(٧)] خاطرِكَ بما لا تقدرُ[(٨)] أنتَ أنْ[(٩)] تنطقَ بهِ . فهذا هوَ الكاتبُ الذى يُطْلَقُ عليه اسمُ الكتَّابَةِ[(١٠)] ؛ فاستحسنَ ذلكَ[(١١)] منِّى غايةَ الاستحسانِ .

وحيثُ انتهَى القولُ بنا إلى هَهُناْ[(١٢)] فلْنَأْخُذْ[(١٣)] فى بيانِ حَلِّ الشِّعرِ ، وتفصيلِ أقسامِهِ فنقولُ : حَلُّ الشِّعْرِ يَنْقَسِمُ إلى ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ :

---

(١) فى ع : « إذ » تحريفا .

(٢) فى ط : « أن يكتب كتابا » .

(٣) فى ت ، ون : « بالمعنى جملة » .

(٤) فى م ، ون : « جملة واحدة » .

(٥) فى ت ، وم : « هذا كان فى نفسى » .

(٦) فى م ، ون : « ولكن » .

(٧) فى ن : « على » .

(٨) فى م : « بما لم تقدر » .

(٩) « أن » غير موجودة فى م .

(١٠) فى ن : « اسم الكاتب » .

(١١) « ذلك » غير موجودة فى ن .

(١٢) فى ط ، وع : « وحيث انتهى بنا القول إلى ها هنا » ، وفى م : « وحيث انتهى القول بنا إلى هنا » .

(١٣) فى م : « فليأخذ » خطأ .

الْقِسْمُ الأَوَّلُ

الْقِسْمُ (١) الأَوَّلُ وَهُوَ أَدْنَاهَا مَرْتَبَةً :

أنْ تَحُلَّ (٢) الشِّعْرَ بلفظِهِ ، وهذا لا فضيلةَ فيهِ . وقدْ يجيءُ منهُ ما عليهِ مسحةٌ مِن جمالٍ ، وذلكَ (٣) نزرٌ يسيرٌ إلاَّ أنَّ الغالبَ على ما يُحَلُّ بلفظِهِ أنْ يأتيَ غثًّا باردًا عليهِ قِرَّةُ (٤) البَلَلِ وفترةُ الخَجَلِ (٥) ، ومثالُهُ (٦) كَمَنْ هَدَمَ بناءً ثُمَّ أَخَذَ تلكَ الآلاتِ المهدومةِ فأَنْشَأَ (٧) بها بناءً آخرَ ؛ فإنَّهُ يجيءُ مُخْلَوْلِقَ البناءِ لا محالةَ . وكانَ الأولَى بهِ أنْ تَرَكَ (٨) تلكَ الآلاتِ ، واستجدَّ (٩) آلاتٍ أُخْرَى لتكونَ (١٠) أحسنَ منها وأجملَ . وهذا لا أَعُدُّهُ (١١) مِن صناعةِ حَلِّ الشِّعْرِ فِي شيءٍ

عَلَى أنِّي أجيزُهُ للمبتدىءِ ؛ فإنَّهُ لا يستطيعُ (١٢) إلاَّ ذلكَ ، فأمَّا إذا حَصَلَ لَهُ الإدمانُ ، وساعدَهُ الإمكانُ ؛ فإنِّي أَحْظَرُ عليهِ ما أجزْتُهُ لهُ (١٣) أوّلاً . وأُفتيهِ بأنَّهُ لا ينبغِي (١٤) لهُ حَلُّ المعانِي الشعريَّةِ بلفظِهَا بعينِهِ ، وأَيْسَرُ ما فِي ذلكَ (١٥) مِن العيبِ

---

(١) فى م : « النوع » .

(٢) فى الأصل ، وت الإعجام غير واضح ، وفى م ، وع : « يحل » ؛ وما أثبته من ط ، ون .

(٣) فى م : « الثانى » بدلا من : « وذلك نزر » تحريفا .

(٤) قرة البلل : برودته (اللسان) .

(٥) فى ن : « الخمل » تحريفا .

(٦) فى م : « ومثله » .

(٧) فى ن : « فأنشأها » .

(٨) فى الأصل : « يترك » وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٩) فى ن : « واتخذ » .

(١٠) فى ت ، وم : « ليكون » ، وفى ط بدون إعجام .

(١١) فى م : « لاعده » خطأ .

(١٢) فى م : « لاتستصيع » تحريفا .

(١٣) فى الأصل : « وأجزته » ، وما أثبته من ت ، وط ، ون . وفى م : « ما أجزته أولا » . وفى ع : « ما أجرته » تصحيفا .

(١٤) فى ن : « لايجوز » .

(١٥) فى ط : « ما فى ذلك ما فى ذلك » سهوا .

أنّهُ (١) يُنادِى على نفسهِ بالسرقةِ ، لا سيَّمَا إذا كانَ الشعرُ مِن الأشعارِ السائرةِ ؛ فإنَّهُ بذكرِ لفظِ الأبياتِ المحلولةِ منهُ يُعْلَمُ مكانَهُ .

ولَمَّا طالَتْ مُمَارَسَتِى لهذا الفنِّ عَقْدَتُهُ ، وَحَلْلُتُه (٢) ، وانكشفتْ لى خفايَاهُ (٣) لكثرةِ (٤) ماغربلْتُهُ ، ونخلْتُهُ . وقدْ وجدْتُ مِن الأشعارِ ما لا يجوزُ تغييرُ لفظِهِ .

وهو عشرةُ (٥) أنواعٍ :

[النَّوْعُ] (٦) الأوَّلُ

كُلُّ بيتٍ تضمَّنَ (٧) مَثَلاً مِن الأمثالِ فإذا أُرِيدَ حَلُّه لَزِمَ منهُ ألاَّ يَخْرُجَ عن اللَّفظِ « إلاَّ أنْ يُعْكَسَ المعنَى ؛ [فإنَّ ذلكَ ممَّا يُورَدُ] (٨) على صورتهِ » (٩) ؛ فمِن ذلكَ قولُ أبى تمَّام :

لَقَدْ [آسَفَ] (١٠) الأعْدَاءَ مَجْدُ ابنِ يُوسفٍ
وذُو النَّقْصِ فِى الدُّنْيَا بِذِى الْفَضْلِ مُولَعُ

ومنْهُ (١١) قولُ أبى الطيِّبِ المتنبِّى :

---

(١) فى م : « أن » .

(٢) فى ن : « وصلابته » تحريفا .

(٣) فى م : « إياه » خطأ ، وفى ن : « خباياه » .

(٤) فى ع : « لكثر » خطأ .

(٥) فى ن : « عدة » .

(٦) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق غير موجودة فى جميع النسخ ، عدا ع وفيها : « أنواع أول » خطأ .

(٧) فى ن : « يتضمن » .

(٨) فى الأصل : « فأن قيل كما يورد » ، وفى ت ، وع : « فإن ذلك كما يورد » ، وما أثبته انفردت به ط .

(٩) ما بين علامتى التنصيص سقط من م ، ون .

(١٠) فى الأصل ، وت ، وم ، ون : « أسف » ، وما أثبته من ط ، وع ، وهى رواية الديوان ٢/ ٣٢٥/ ق ٩١ . والبيت من الطويل .

(١١) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « ومنها » خطأ .

لَعَلَّ عَتْبَكَ (١) مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ

وَرُبَّمَا (٢) صَحَّتِ الأَجْسَادُ بِالْعِلَلِ

[وَكُلُّ مَا] (٣) يأتِي على (٤) هذا المنهاجِ فإنَّهُ لا يجوْزُ حَلُّهُ إلاَّ بلفظِهِ ، وهوَ الأحسنُ ، وذلكَ لأمرينِ : أحدُهُمَا : شِيَاعُ المَثَلِ ، وإلفُ النَّاسِ (٥) . والآخَرُ : لأنَّ (٦) الأمثالَ لا تَرِدُ فى الكلامِ إلاَّ قليلةً جدًّا ، وإذا ظَفِرَ الشاعرُ المفلِقُ بشيءٍ منها عَسُرَ على غيرِهِ أنْ يأتِي بمثلِهِ ، وإنْ واخَاهُ (٧) فى المعنى عَسُرَ عليه أنْ يواخِيه فى اللَّفظِ ؛ فلهذا اخترتُ حَلَّ أبياتِ الأمثالِ بلفظِهَا لا سيَّمَا أمثالُ الأخبارِ النبويَّةِ ؛ كقولِهِ صَلَّى اللهُ عليهِ [وآلِهِ] (٨) وسَلَّمَ : إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا (٩) ، وقولِهِ : لا يَحِلُّ

---

(١) فى م : « صبرك » .

(٢) فى ن : « فربما » ، و البيت من البسيط فى ديوانه / ص ٣٣١ ، وروايته :

وربما صحت الأجسام بالعلل .

(٣) فى الأصل ، وت ، وم ، ون ، وع : « وكلما » ، وما بين المعقوفين أثبته من ط .

(٤) فى م : « من هذا » .

(٥) فى ن : « شائع المثل ، وألفة الناس » .

(٦) فى م : « أن الأمثال » .

(٧) واخاه لغة ضعيفة فى آخاه (اللسان) .

(٨) الزيادة من ط .

(٩) صحيح البخارى ٥ / ١٩٧٦ رقم ٤٨٥١ ، و٥ / ٢١٧٦ رقم ٥٤٣٤ . دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، تحقيق د . مصطفى ديب البغا ، ط ٣ ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ .

- وسنن أبى داود ٤ / ٣٠٢ رقم ٥٠٠٧ ، ٥٠٠٩ ، دار الفكر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

و- صحيح ابن حبان ١٣/ ١١٢رقم ٥٧٩٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط٢ ، ١٤١٤ -١٩٩٣ .

- سنن البيهقى الكبرى ٧ / ٤٤٩ رقم ١٥٣٦٦ ، و٩ / ١٢٤ رقم ١٨٠٧٧ ، دار الباز ، مكة المكرمة ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ١٤١٤ - ١٩٩٤ .

لامرئٍ يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ أَنْ يَسْقِى مَاءَهُ زَرْعَ غَيْرِهِ (١) . وهذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ للنِّسَاءِ الحَبَالَى . وقولِهِ : مَثَلُ الجليسِ الصَّالحِ ، وجليسِ السُّوءِ مَثَلُ حَامِلِ المِسْكِ ، ونافخِ الكيرِ ؛ فحَامِلُ المسكِ إمَّا أنْ يبيعَكَ ، أو (٢) يُحْذِيَكَ (٣) ، أو تَجِدَ منهُ ريحًا طيبةً ، ونافخُ الكيرِ إمَّا أنْ يَحْرِقَ ثوبَكَ ، وإمَّا أنْ تَجِدَ منهُ ريحًا خبيثةً (٤)

وأشباهُ هذا (٥) كثيرٌ فى الكَلام النَّبَوِىِّ . وأمثالُ القرآنِ الكريم تجرِى (٦) هذا المجرَى ، كقولِهِ تعالَى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾ (٧) ، الآية .

وكقولِهِ تعالَى : أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ (٨) عَلَيْهِ فِى النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ (٩) ، الآيةُ (١٠) وأمثالُ هذا فى القرآنِ كثيرةٌ (١١)

---

(١) سنن الترمذى ٣ / ٤٣٧ ، رقم ١١٣١ ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين ، وسنن أبى داود ٢ / ٢٤٨ ، رقم ٢١٥٨ .

(٢) فى م ، ون : « وإما أن » .

(٣) - صحيح مسلم ٤/٢٠٢٦ ، رقم ٢٦٢٨ ، دار إحياء التراث العربى - بيروت - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى . وروايته : ... والجليس السوء ... فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تجد منه ريحا طيبة ... - صحيح البخارى ٥/٢١٠٤ ، رقم ٥٢١٤ .

- مسند الشهاب ٢/٢٨٨ ، رقم ١٣٨٠ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٧ - ١٩٨٦ ، تحقيق حمدى بن عبد المجيد السلفى .

(٤) فى ن : « يجديك » تصحيفا .

(٥) فى م : « ذلك » .

(٦) فى م : « يجرى » تصحيفا .

(٧) سورة الكهف / ٤٥ .

(٨) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « توقدون » . الرعد / ١٧ و « يوقدون » قراءة حمزة والكسائى وحفص عن عاصم ، و« توقدون » قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو ... وروى على بن نصر عن أبيه عن أبى عمرو : « يوقدون » ، ويقرأ أيضا بـ« توقدون » والغالب عليه : « توقدون » بالتاء . السبعة فى القراءات لابن مجاهد ، دار المعارف ، ط٣ ، ١٩٨٨ ، تحقيق د . شوقى ضيف . وراجع تفسير القرطبى ٩/٣٠٦ ، وتفسير الجلالين ص٣٢٥ .

(٩) فى الأصل : « أو متاعَ زبدٍ » خطأ .

(١٠) « الآية » غير موجودة فى م ، ون .

(١١) فى الأصل ، وت ، وم ، ون ، وع : « كثير » وما أثبته من ط .

واعلَمْ أنّ أمثالَ العربِ لاتُغَيّرُ [١] ألفاظُهَا أيضًا ؛ كقولِهِمْ إنْ تَسْلَم الجِلَّةُ فَالنِّيبُ هَدَرٌ [٢] . وكقولِهِم [٣] : أَنْ تَرِدَ [٤] الماءَ بماءٍ أكيسَ [٥] ، وهو مَثَلٌ يُضْرَبُ فى الحَزْمِ »

وكقولِهِم : إنْ كُنْتَ رِيحًا فقد لاقيتَ إعصارًا [٦] . وكقولِهم [٧] : بَيْضُ قَطَاةٍ يَحْضُنُهُ أَجْدَلُ [٨] ، وهو مَثَلٌ يُضْرَبُ للرجلِ الشريفِ يَرْضَى بالأمرِ الوضيعِ ، وما جرَى [٩] هذا المجرَى [١٠] »

وكقولِهم : اليومَ خمرٌ ، وغدًا أمرٌ [١١] . وكقولِهم : كُلُّ الصَّيدِ فى جَوْفِ الفَرَا [١٢] وأشباهُ هذا أيضًا كثيرةٌ [١٣]

---

(١) فى ن : « لايتغير ألفاظها » خطأ ، وفى ع : « لايغير » تصحيفا .

(٢) مجمع الأمثال للميدانى ١/ ٢٣ دار المعرفة - بيروت تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، والجلة جمع جليل ؛ يعنى العظام من الإبل ، والنيب جمع ناب ؛ وهى الناقة المسنة ؛ يعنى إذا سلم ما ينتفع به هان مالا ينتفع به .

(٣) فى ن : « وقولهم » . (٤) فى ع : « نزد » تصحيفا .

(٥) وهو مثل يضرب للاحتياط ، والأخذ بالثقة . مجمع الأمثال ١/ ٣٢ ، وجمهرة الأمثال للعسكرى ١/ ٧٩ دار الفكر ، ط٢ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعبد المجيد قطامش .

(٦) مثل يضرب للمدلّ بنفسه إذا صلِىَ بمن هو أدهى منه وأشد . مجمع الأمثال ١/ ٣٠ ، وجمهرة الأمثال ١/ ٣١ ، ٢/ ٣٧ ، والمستقصى فى أمثال العرب للزمخشرى ١/ ٣٧٣ دار الكتب العلمية - بيروت ط٢ ، ١٩٨٧ .

(٧) فى الأصل : « وكقوله » خطأ ، وما أثبته من ت ، وط ، وع .

(٨) مجمع الأمثال ١/ ١٠٩ وروايته : بيض قطا يحضنه أجدل . والأجدل : الصقر ، والحضن : الحضانة ؛ أن يحضن الطائر بيضه تحت جناحه ،وهو يضرب للشريف يؤوى إليه الوضيع ، لم أجد له شرحا آخر يوافق ما قاله ابن الأثير .

(٩) فى ت : « أو ما جرى » . (١٠) ما بين علامتى التنصيص سقط من م ، ون .

(١١) مجمع الأمثال ٢/ ٤١٧ ، والمستقصى فى أمثال العرب ١/ ٣٥٨ وهو لامرئ القيس بن حجر الكندى الشاعر ومعناه اليوم خفض ودعة وغدا جد واجتهاد .

(١٢) فى ع : « الفراء » ، وهو مثل يضرب فى الواحد الذى يقوم مقام الكثير لعظمه . مجمع الأمثال ٢/ ١٣٦ ، وجمهرة الأمثال ٢/ ١٦٢ ، ١٦٣ ، والمستقصى ٢/ ٢٢٤ ، ٢٢٥

(١٣) فى الأصل : « وأشباه هذا كثير » وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع . وفى م : « وأشباه هذا كثيرة » .

وقد نثرتُ هذه الأشياءَ (١) المشارَ إليها جميعَها على التَّوالِى . فمن ذلكَ قولُ النبىِّ ﷺ (٢) : إنَّ من البَيَانِ لَسِحْرًا ؛ فقلتُ فى حَلِّهِ - وهو (٣) فصلٌ يتضمَّنُ وصفَ كلامٍ بالحُسْنِ - : إذا أَبْرَزَ وجوهَ كَلِمِهِ قَطَّعَتْ أيديها بناتُ الأفكارِ ، وقامَ عذرُ المُغْرَمِ بها وفى مثلِها تقومُ (٤) الأعذارُ ؛ فهو يصوِّرُ أشكالَها كمَا يشاءُ فى أحسنِ تقويمٍ ، وكُلٌّ منها يقالُ فيهِ بقولِ النِّسوةِ : مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ (٥) ، وَلَرُبَّمَا جاءَ بها فقالَ الناسُ : لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ (٦) أَجْراً (٧) ، وإذا كانَ من البيانِ ما هوَ سحرٌ ؛ كانَ بيانُه كلُّهُ سحرًا .

فانظرْ كيفَ فعلتُ فى هذا المَثَلِ ؛ فإنِّى لم أقنعْ بذكرِه وحدَه حتَّى أضفتُ إليهِ معانىَ آياتٍ من القرآنِ فى سورةِ (٨) يوسفَ عليه السلامُ ، وسورةِ الكهفِ . ولا بُدَّ من التصرفِ فى [مثلِ] (٩) هذا وأشباهِهِ ، وما يجرِى مجرَاهُ ؛ بأنْ يُجْعَلَ للكلامِ أولٌ وآخرٌ (١٠) ، ويضافُ إليهِ ما ليسَ منهُ حتَّى تنتظمَ (١١) المعانِى ، وتأتِى هكذا (١٢) كمَا أَرَيْنَاكَ فى هذا المَثَلِ .

ومن ذلكَ قولُ النبىِّ ﷺ : لا يَحِلُّ لامْرِئٍ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ أَنْ يَسْقِى

---

(١) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « الأمثال » .

(٢) فى ط : « عليه عليه وسلم » سهوا .

(٣) فى ن : « من فصل » .

(٤) فى ع : « يقوم » تصحيفا .

(٥) يوسف / ٣١ .

(٦) فى ع : « عليها » خطأ .

(٧) الكهف / ٧٧ .

(٨) فى ن : « صورة » تحريفا .

(٩) الزيادة من م .

(١٠) فى م : « أولا وآخرا » ، وفى ع : « الكلام أول وآخر » .

(١١) فى م : « ينتظم » ، وفى ن : « تتنظم » تصحيفا .

(١٢) فى م : « ويأتى هذا » تحريفا ، وفى ن : « ويأتى هكذا » تصحيفا .

مَاءَهُ (١) زَرْعَ غَيْرِهِ . وقد حللتُه [فقلتُ] (٢) - وهو فصلٌ يتضمنُ وصفَ كريمٍ - : يغارُ من جودِ غيرِه إذا جادَ ، ويرَى (٣) ألاَّ فضيلةَ (٤) فى المكارمِ [إلاَّ فى وحدةِ الانفرادِ](٥) ، فإذا سمعَ بمُنْعِمٍ شَرِكَهُ فى نعمائه ، وخالفَ نَصَّ الخبرِ فى سقْيِ زرعِ غيرِه بمائِه .

وفى هذا من الصنعةِ مَا هوَ أحسنُ منَ الأوَّلِ (٦) ، وسببُ ذلكَ أنَّ النبيَّ ﷺ ذكرَ هذا المثلَ ، وضربَهُ للنساءِ الحَبَالَى (٧) . ولو أردتُ أنا (٨) أنْ أوردَهُ على معناهُ لمَا فعلتُ شيئًا ، ولكنِّى نقلتُهُ إلى معنًى آخرَ ينظرُ (٩) إليهِ ، ويلتئمُ بهِ كمَا أَرَيْتُكَ . وهكذا (١٠) ينبغِى أنْ تفعلَ فيما هذا (١١) سبيلُه من المعانِى إلاَّ أنَّهُ عَزَّ (١٢) على المُتَصَدِّى لهُ .

ومنْ ذلكَ قولُ [النبيِّ] (١٣) ﷺ : مَثَلُ الجليسِ الصالحِ ، وجليسِ السوءِ ؛ مثلُ حاملِ المسكِ ، ونافخِ الكيرِ ؛ فحاملُ المسكِ إمَّا أن يبيعكَ ، أو يُحْذِيَكَ (١٤) ، أو تجدَ منه ريحًا طيبةً . ونافخُ الكيرِ إمَّا أن يحرقَ ثوبَك ، وإمَّا أن تجدَ منه ريحًا

---

(١) فى ن : « ماؤه » خطأ .

(٢) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٣) فى ن : « ويروى » تحريفا .

(٤) فى ت : « فضلية » خطأ .

(٥) فى الأصل : « إلا لوحدة الانفراد » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ،وع . وفى ن : « الانفاد » تحريفًا .

(٦) فى ع : « أول » .

(٧) فى ع : « الجبالى » تصحيفا .

(٨) « أنا » سقطت من م .

(٩) فى ط : « تنظر » تصحيفا .

(١٠) فى م : « وهذا » تحريفا .

(١١) فى ت ، ون : « يفعل » ، وفى م : « يفعل فى مثل ما هذا سبيله » .

(١٢) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « عسر » .

(١٣) فى الأصل : « ومن ذلك قوله » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(١٤) فى ن : « يجديك » تصحيفًا .

خبيثةً . وقد حللتُ هذا المثلَ - وهو فصلٌ (١) يتضمنُ وصفَ خُلَّةٍ وصَـــداقَةٍ - « فقلتُ : صديقُكَ مَنْ بَذَلَ لكَ صدقَ الضميرِ ، وحاسَبَ نفسَهُ فيكَ على الفَتِيلِ والنَّقِيرِ ، وكانَ فى صُحبتِهِ إيَّاكَ كحاملِ المسكِ لا كنافخِ الكيرِ ؛ فذلكَ (٢) الذى تجبُ محبَّةُ (٣) اللهِ فى ودِّهِ ، ولا يتعدَّى الخَجَلُ إلى الثقةِ بعهدِهِ .

هذا الفصلُ فيهِ هذا المَثَلُ ، وفيه معنى خبرينِ آخرينِ منَ الأخبارِ النبويَّةِ : أحدُهُما قولُ [النبىِّ] (٤) ﷺ : قالَ اللهُ تعالَى : وَجَبَتْ مَحبَّتِى (٥) للمُتَحَابِّينَ فِىَّ (٦) ، والآخَرُ قولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رُبَّ واثِقٍ خَجِلٍ (٧) .

وإذا نظرتَ إلى ما أوردتُهُ فى حَلِّ هذا المثلِ وجدْتَنى قد أخذْتُهُ (٨) ، وأضفتُ إليه هذينِ الخبرينِ ، وسبكتُ من الجميعِ ما أبرزتُه (٩) فى هذا اللباسِ (١٠) العجيبِ . وهذا لايتهيَّأُ إيرادُه على هذا الوجهِ إلاَّ بكثرةِ المحفوظِ من الأخبارِ

---

(١) فى الأصل : « وصف » ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع ، وفى م : « وهو يتضمن » .

(٢) فى ت : « فذاك » .

(٣) «محبة » سقطت من ط .

(٤) فى الأصل ، وت ، وط ، وم ، وع : « قوله صلى » ، وما أثبته من ن .

(٥) فى ع : « محبة المتحابين » خطأ .

(٦) الأحاديث القدسية ١ / ٢٥٩ / الحديث رقم ٢٦٢ ، مكتبة إحياء الكتب الإسلامية - بيروت . وصحيح ابن حبان ٢/ ٣٣٥ ، رقم ٥٧٥ . وموطأ مالك ٢/ ٩٥٣ ، رقم ١٧١١ ، دار إحياء التراث ، مصر ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى . ومسند أحمد ٥/ ٢٣٣ ، رقم ٢٢٠٨٣ ، مؤسسة قرطبة - مصر . وروايته : وجبت محبتى للمتحابِّين فىَّ ، والمتجالسين فىَّ ، والمتزاورين فىَّ ، والمتباذلين فىَّ .

(٧) «ربَّ واثقٍ خجل » ليس حديثًا نبويًا ؛ إنما هو مثل موجود فى قرى الضيف ١/ ٤٣٢ ، ومجمع الأمثال ١/ ٣١٨ .

(٨) فى ن : « وجدتنى أخذته » .

(٩) فى ت : « ما أوردته » .

(١٠) فى ن : « الإلباس » تحريفا .

النبويَّةِ ؛ فإنَّها ركنٌ مِن أركانِ علمِ البيانِ (١) فى فنِّ الفصاحةِ والبلاغةِ . وأهلُ الخطابةِ عنها فى غفلةٍ .

ومنْ ذلكَ قولُهُ تعالَى : **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ**. وقدْ أوردتُ هذا المَثَلَ فى فصلٍ يتضمنُ ذَمَّ الدُّنيَا فقلتُ : الدنيا أضغاثُ أحلام ، ودارُ رحلةٍ لا دارَ مُقَام ، ولا يزالُ (٢) صفوُهُا مشوبًا بقذاها ، وكلُّنا ينافسُ (٣) فيها . وما منَّا إلاَّ شَاكٍ من أذاها ؛ فلا ترَى دمعًا يسيلُ من وقعِ خطوبِها ؛ إلاَّ وهو على فواتِ مطلوبِها ، فلو أُعطِينا (٤) رُشدًا لمَا كنَّا [نَأْسَى] (٥) على ما يختلفُ على تغييرِه المساءُ والصباحُ ، وكانَ كماءٍ أُنزِلَ (٦) من السماءِ ، فاختلطَ به نباتُ الأرضِ ، فأصبحَ هشيمًا تذروُهُ الرياحُ .

ومن ذلكَ قولُه تعالَى : **أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا** . الآيةُ (٧) ، وقد حللتُ ذلكَ فى فصلٍ يتضمنُ وصفَ بلاغةٍ فقلتُ : إذا أنزلتُ من سماءِ فكرِى ماءً سالتْ أوديةٌ بقدرِها ، واهتزَّتْ رياضٌ بزهرِها ، وليستْ الأوديةُ إلاَّ [خواطرُ](٨) الأفهامِ ، ولا الرياضُ إلاَّ وشائعُ الأقلامِ ، وهذا أقولُه والفضلُ شاهدٌ ، والحسودُ غيرُ جاحد ؛ فمن رامَ لحاقِى فَلْيَقِفْ حيثُ أوقَفَهُ (٩) القَدْرُ ،

---

(١) فى ن : « أركان البيان » .
(٢) فى ت ، وط ، ون ، وع : « فلايزال » .
(٣) فى ت : « تنافس » .
(٤) فى ت ، وط ، وع : « ولو أعطينا » .
(٥) فى الأصل : « نأسو » خطأ ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .
(٦) فى ت : « نزل » ، وفى ط ، ون : « أنزلناه » .
(٧) « الآية » غير موجودة فى ن .
(٨) فى الأصل بخط مغاير : « جوائز » ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .
(٩) فى ط : « وَقَفَهُ » ، وفيع : « أوفقه » تصحيفا .

ولْيُعَرِّسْ (١) حيثُ أدركَهُ الفَجْرُ . ومن ذلكَ قولُ العربِ : إنْ تسلمِ الجِلَّةُ فالنِّيبُ هَدَرٌ . وقد حللتُ ذلكَ - وهو فصلٌ من كتابٍ يتضمنُ تعزيةَ والدٍ بولدِه - : وفى الآباءِ عوضٌ عن الأبناءِ ، وفى الأُسِّ (٢) خَلَفٌ لمَا يُسْتَهْدَمُ من شرفاتِ (٣) البناءِ .

وقد » (٤) قيلَ : إنَّ فى سلامةِ الجِلَّةِ هَدَرًا للنِّيبِ (٥) ، وإذا سلمتْ طلعةُ البدرِ فأهْوِنْ بالأنجمِ إذا انكدرتْ للمغيب . وما دامَ ذاكَ (٦) المعدنُ باقيًا فالقُضُبُ كثيرةٌ وإنْ أَوْدَى [منها] (٧) قضيب .

ولا بأسَ (٨) بتقديمِ اللَّفظِ وتأخيرِه فى المَثَلِ إذا أُورِدَ على فَصِّهِ ونَصِّهِ ؛ كما قد فعلتُ (٩) ههنا فى هذا (١٠) الموضعِ .

ومن ذلكَ قولُ العربِ : أنْ تَرِدَ الماءَ بماءٍ أكيسُ . وقد حللتُه (١١) فقلتُ فى فصلٍ يتضمنُ ذكرَ (١٢) الرجلِ الحازمِ ، وهو : قد خَبِرَ الدهرَ فى حَلْبِ (١٣) أفاويقِه ، ونقْضِ (١٤) مواثيقِه ، فهو لا يَرِدُ الماءَ إلاَّ بماءٍ ، ولا يهتدِى فى مَسْرَى أرضٍ بنجومِ (١٥) سماءٍ . ومن شأنِه أنْ يرودَ الأمورَ برأيِه ولا يبعثُ فيها رائدًا .

---

(١) « يعرِّس » ينزل أول الليل . اللسان مادة (عرس) .

(٢) فى ن : « الابن » تحريفا .

(٣) فى ن : « مشرفات » تحريفا .

(٤) نهاية خرم وقع فى م بدءًا من السطر الثانى فى ص ١٩٤ من قوله : « فقلت صديقك من بذل ... حتى قوله : « من شرفات البناء ، وقد » .

(٥) فى م ، ون ، وع : « هدر للنيب » خطأ .

(٦) فى ن : « ذلك » .

(٧) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٨) فى ن : « ولا بأس من تقديم » .

(٩) فى ط : « كما فعلت » .

(١٠) « هذا » سقطت من م .

(١١) فى ت ، وم ، ون : « وقد حللت ذلك » .

(١٢) فى م : « ذكره » تحريفا .

(١٣) فى ط : « حَلَب » خطأ .

(١٤) فى م : « نقص » تصحيفا ، وفى ع : « وبعض » تحريفا .

(١٥) فى م : « إلا بنجوم » .

وإذا [١] قيلَ : إنَّ فلانًا ذو [٢] كيدٍ . قالَ : من الكيدِ ألاَّ تُدعَى [٣] كائدًا .

ولا بأسَ بحذفِ لفظةٍ من ألفاظِ [٤] المثلِ كما فعلتُ ههنا ؛ لكنْ على شريطةِ ألاَّ يذهبَ من معنَى المثلِ شيءٌ [٥] ، فإنْ ذهبَ [٦] من معناه شيءٌ [٧] فلا يجوزُ الحذفُ .

ومن ذلكَ قولُ العربِ « [٨] : إنْ كنتَ ريحًا فقدْ لاقيتَ إعصارًا ، وقد حللْتُهُ فقلتُ في فصلٍ من كتابٍ يتضمنُ هزيمةً ، وهو : لقونا [٩] وقد أشرعُوا الأسنَّةَ التي شَارَكَتْهُم في الأسماءِ ، وإذا وردتْ أَرْوَتْهُم من غليلِ الحقدِ كما ترتَوِى [١٠] من شُرْبِ الدماءِ . لكنْ ذادَها عن الوِرْدِ [١١] ما هو أصلبُ منها عودًا ، في يدِ مَنْ هو أمضى منهم حَدًّا [١٢] وأسعدُ جدودًا ، وإذا لاقتِ الريحُ إعصارًا زالتْ عن طريقِه ، وضاقَ ذرعُها بمَضِيقِهِ .

في هذا الفصلِ من المعانِي اللطيفةِ [١٣] مالا خفاءَ بهِ .

---

(١) في ط ، وع : « فإذا » .

(٢) في م : « ذا » خطأ ، وفي ع : « فلانا وكيد » وهي عبارة مضطربة .

(٣) في م ، ون : « يدعى » ، وفي ت بدون إعجام .

(٤) في م : « الألفاظ » تحريفا .

(٥) في م : « شيئا » خطأ .

(٦) في م : « أذهب » خطأ .

(٧) في م : « شيئا » ، وسقطت من ن .

(٨) بداية خرم في م ، ون يبدأ من قوله : « إن كنت ريحا . . . وينتهي عند قوله : « عكس معنى المثل ؛ في منتصف الصفحة القادمة حيث انتقلت عين الناسخ .

(٩) في الأصل : « فاتونا » بخط مغاير ، وما أثبته من ت ، وع حتى يستقيم المعنى ، و« وهو لقونا » سقطت من ط .

(١٠) في ط : « تروى » .

(١١) في ت ، وط ، وع : « الورود » .

(١٢) في الأصل ، وت : « جدا » ، وما أثبته من ط .

(١٣) في ط : « اللطيقة » تصحيفا .

ومن ذلكَ قولُ العربِ : بيضُ قطاةٍ يَحْضُنُه أجدلُ ، وقد عكستُ هذا المعنى فيه(١) ، وأوردتُه فى جملةِ (٢) كتابِ أذكرُ فيه مُلْكًا كبيرًا يدبِّرُه (٣) مَن ليسَ أهلاً له ، وهو : رأيتُ أَجَمَةً ؛ ولا ليثَ يحمِى تلكَ الأَجَمَة ؛ بل رأيتُ بيضَ عقابٍ تحضنُه رخمةٌ (٤) ، وليسَ المُشارُ (٥) إليهِ إلاَّ نائمًا فى صورةِ يقظان ، وهو كزيدٍ وعمرٍو إذ تجرِى عليهما الأفعالُ وهما لا يشعُران .

وفى هذا معنًى غَريبٌ مع عكسِ معنَى المثلِ » (٦)

ومن ذلكَ قولُ العربِ : اليومَ خَمْرٌ ، وغدًا أمرٌ . وقد حللتُ ذلكَ ؛ فقلتُ : إذا همَّ جعلَ الرأىَ دُبْرَ أُذنهِ (٧) ، ووضَعَ جَفْنَ السيفِ تِلقاءَ جفنِهِ ، ولم يُعرِّجْ على لهوٍ فيقولُ : اليومَ خَمْرٌ ، وغدًا أمرٌ . ولا يُصغِى إلى مُشيرٍ فيأخذُ بقولِ زيدٍ ولا عمرٍو ؛ فهو مُطِلٌّ على بَغَتَاتِ الأمورِ ؛ غيرُ حافلٍ بتمامِ الأعقابِ إذا تمَّتْ [له الصُّدورُ] (٨)

ومن ذلكَ قولُ العربِ (٩) : كلُّ الصَّيْدِ فى جَوْفِ الفَرَا (١٠) . وقد حللتُه فقلتُ : الغناءُ (١١) يَخِفُّ بكثيرٍ من الأوزانِ ، والنظرُ فى هذا إلى الأثرِ لا إلى

---

(١) فى ت ، وط ، وت : « عكست المعنى فيه » .

(٢) فى ع : « جلة » تحريفا .

(٣) فى ع : « يديره » .

(٤) فى ع : « تحصنه رجمة » تصحيفا .

(٥) فى ت : « وليس هذا المشار إليه » .

(٦) فى ت : « مع عكس المثل » **وهنا ينتهى الخرم الذى بدأ من الصفحة السابقة .**

(٧) فى ت : « دُبُر » خطأ ، وفى ع : « براذنه » تحريفا .

(٨) ما بين المعقوفين ممحو من الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٩) « قول العرب » سقطت من ن .

(١٠) فى م : « الفراء » .

(١١) فى ط : « العناء » ، وفى م : « العنا » تصحيفا .

العيانِ ، ولا عجبَ (١) أنْ يوزَنَ الواحدُ بجميعِ الورَى ، ولهذا قيلَ : كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا .

وإذْ انْتَهَى (٢) بنا القولُ إلى هَهُنا ؛ فلْنُتْبِعْهُ بمَا يؤيِّدُه ، ويقرِّرُ من بنائِه (٣) ؛ فنقولُ (٤) : إذا أردْتَ أنْ تَحُلَّ [مثلاً من] (٥) الأمثالِ الشعريَّةِ بلفظِهِ (٦) ؛ فيجبُ عليكَ أنْ تواخِيَ بينَه وبينَ الألفاظِ الَّتِي تضمُّها (٧) إليه ، وتبنيهَا عليه . وفى ذلكَ صعوبةٌ إلاَّ على (٨) من يَسَّرَهُ عليه الإدمانُ ، وآتاهُ اللهُ طبعًا مجيبًا ، وأقدرَه على اجتلابِ (٩) المعانِى من مواطنِها ، ونَحْتِ الألفاظِ من معادنِها (١٠) . وقد نثرتُ هذين البيتينِ المقدَّمَ (١١) ذكرُهما . أمَّا بيتُ أبى تمَّامٍ فقلتُ فى نثرِه ما أذكرُه وهو : الشرفُ الرفيعُ يغرِى الأعداءَ بإطلاقِ الألسنةِ ، وجعلِ السيئةِ مكانَ الحسنةِ . ولم يزلْ ذوو (١٢) النَّقْصِ مُولَعينَ بذوِى الفضلِ ؛ وَلَرُبَّ نابلٍ (١٣) يظنُّ الإصابةَ وهو المصابُ بما يرسلُه منَ النَّبْلِ . وأمَّا بيتُ أبى الطيِّبِ المتنبِّى ؛ فإنِّى حللتُه فقلتُ :

---

(١) فى ت ، وم ، ون : « فلا عجب » .

(٢) فى ت ، ون ، وع : « وإذا انتهى » ، وفى ط : « فإذا انتهى » ، وفى م : « وإذا انتهى بنا » .

(٣) فى ن : « نبايه » تحريفا .

(٤) فى م : « فيقول » ، وفى ع : « فتقول » خطأ .

(٥) الزيادة انفردت بها ط .

(٦) فى الأصل ، وت ، وم ، وع ترتب على سقوط : « مثلا من » تبديل كلمة : « بلفظه » إلى : « بلفظها » ، وفى ن : « بألفاظها » .

(٧) فى م : « ختمها » تحريفا .

(٨) « على » سقطت من م .

(٩) فى ط : « اجتلا » تحريفا .

(١٠) فى هامش ع كلام مقطوع : « نحت المعانى من معادنها . ما علىّ إذا لم يفهم البقر » .

(١١) فى ن : « المتقدم » .

(١٢) فى ع ، ون : « ذو » خطأ .

(١٣) فى ط ، وع : « نايل » تصحيفا .

العتابُ وإنْ أَلَمَتْ لهُ النفسُ [١] ؛ فإنَّه يشفِي من أَلَمِ الوِدادِ [٢] ، وكثيرًا ما يَصِحُّ بالعِلَلِ مَرَضُ الأجسادِ .

فانظرْ كيفَ فعلتُ في [حَلِّ] [٣] هذينِ البيتينِ . أمَّا بيتُ أبِي تمَّام ؛ فموضعُ المثلِ منهُ : وذو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الفَضْلِ مُولَعُ وأمَّا بيتُ أبِي الطَّيِّبِ [المتنبِّي] [٤] ؛ فموضعُ المثلِ منهُ : وَرُبَّمَا صَحَّتِ الأَجْسَادُ [٥] بِالْعِلَلِ .

وكلا هذينِ البيتينِ قد ذكرتُه بلفظِهِ فإذا [٦] شِئْتَ أنْ تَحُلَّ أبياتَ الأمثالِ [٧] فحافِظْ على ألفاظِها [٨] كما أَرَيْتُكَ في هذا الموضعِ ، وقد يمكنُ تبديلُ ألفاظِها بما هو في معناها كقولِنا في بيتِ أبِي تمَّامٍ : والوضيعُ بالشريفِ مُولَعٌ « أو الجاهلُ [٩] بالعالمِ مُولَعٌ » [١٠] أو غيرُ ذلكَ ، وكقولِنا [١١] في بيتِ أبِي الطيِّبِ [المتنبِّي] [١٢] : وقد تَصِحُّ الأجسامُ [١٣] بالأمراضِ أو : وقد [١٤] تَشْفَى الأجسادُ [١٥] بالأسقامِ ؛ إلاَّ أنَّ ذلكَ لا يَحْسُنُ بل الحسنُ [١٦] في [مثلِ] [١٧] هذا الموضعِ الجمودُ على ألفاظِ

---

(١) في ت ، ون : « العتاب وإن آلم فإنه يشفى » ، وفي م : « العتاب وإن فإنه يشفى » هكذا .

(٢) في ت ، وم ، ون : « من أمراض الوداد » .

(٣) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٤) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٥) في ن : « الأجسام » ، وفي ع : « الأحساد » تصحيفا .

(٦) في ن : « وإذا » .

(٧) في ت : « أن تحل الأمثال » .

(٨) في م ، وع : « أمثالها » .

(٩) في م ، ون : « أو والجاهل » .

(١٠) ما بين علامتي التنصيص سقط من ع .

(١١) في ط : « كقولنا » .

(١٢) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(١٣) في ط ، ون : « الأجساد » .

(١٤) في ت ، وم ، ون : « أو قد » .

(١٥) في م : « الأ جسام » .

(١٦) « بل الحسن » سقطت من م ، ون .

(١٧) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

المثلِ المذكورِ فى الشِّعْرِ (١) لأنَّها قد شاعتْ فى أيدِى الناسِ ودارتْ على ألسنتِهم فإذا غُيِّرَتْ وَجِيءَ بما هو فى معناها لم يكنِ المثلُ ذلكَ المثلَ . والغرضُ إنَّمَا هو المثلُ بعينِه لا غيرَه .

النَّوْعُ الثَّانِى مِنَ الأَبْيَاتِ الَّتِى لايَجُوزُ تَغْيِيرُ (٢) لَفْظِهَا :

وهو كُلُّ بيتٍ تضمَّنَ (٣) ذكرَ قصَّةٍ مشهورةٍ ؛ فينبغِي (٤) أنْ يُحَافَظَ على ألفاظِها [عندَ] (٥) حَلِّهَا ؛ فمن ذلكَ ما وَرَدَ فى شعرِ أَبِى تَمَّامٍ ، وهو قولُه :

لَحِقْنَا بِأُخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الهَوَى
قُلُوبًا عَهِدْنا طَيْرَهَا وَهْيَ وُقَّعُ
فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ واللَّيْلُ رَاغِمٌ (٦)
بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخِدْرِ (٧) تَطْلُعُ
نَضَا ضَوْؤُهَا صِبْغَ الدُّجُنَّةِ وَانْطَوَى (٨)
لِبَهْجَتِهَا ثَوْبُ السَّمَاءِ المُجَزَّعُ

---

(١) فى ن : « هذا الموضع لوجوب المحافظة فى الشعر » وهى عبارة مضطربة أصابها التحريف .

(٢) فى م : « تغير » .

(٣) فى م : « يتضمن » ، وفى ع : « يضمن » خطأ .

(٤) فى الأصل ، وت ، وط ، ون ، وع : « وينبغى » ؛ وما أثبته من م .

(٥) فى الأصل : « وعند » خطأ ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٦) فى م : « قائم » تحريفا ، وفى ن : « زاغم » تصحيفا .

(٧) « الخدر » غير واضحة فى الأصل ، وغير منقوطة فى ت ، وفى ع : « الحذر » تصحيفًا ، وما أثبته من ط ، وم ، ون .

(٨) فى ت : « وانضوى » تحريفا ، وفى ع ، والديوان : « فانطوى » .

فَــوَالــلــهِ مَــا أَدْرِى أَأَحْــلامُ نَــائِــم
أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِى الرَّكْبِ (١) [يُوشَعُ] (٢)

وهذهِ الأبياتُ منْ إحسانِ أبى تمَّام المعروفِ ؛ وقصةُ يوشع عليهِ السلامُ مشهورةٌ (٣) فى أنَّ اللهَ تعالَى ردَّ لهُ الشمسَ ؛ فإذا أُرِيدَ حَلُّ البيتِ المضمَّنِ (٤) ذِكْرَ (٥) هذهِ القصةِ فينبغِى ألاَّ يُحَلَّ (٦) إلاَّ بهذا اللفظِ . وقد حللتُ ذلكَ ، فقلتُ : كمْ فى الأرضِ من شمسٍ تخجلُ لها شمسُ السماءِ ، وتتضاءلُ لديْها تَضَاؤُلَ (٧) الإماءِ ، وتعلمُ أنْ ليسَ لهَا منْ محاسنِها إلاَّ المُشَارَكَةُ فى الأسماءِ ، ولرُبَّمَا طَلَعَتْ فى الليلِ فقالَ الناسُ هل (٨) استوَى بياضُ النهارِ وسوادُ الظلماءِ ، ولا عجبَ للعيونِ وقد رأتْهَا (٩) أنْ تظنَّ ذلكَ فى أحلامِ النومِ ، أو أنْ يُخَيَّلَ إليها أنَّ يوشعَ قد كانَ فى القومِ .

---

(١) فى م ، ون ، وع : « القوم » .

(٢) « يوشع » ممحوة فى الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع . الأبيات من الطويل فى ديوان أبى تمام ٢/ ٣١٩ و ٣٢٠ / ق٩١ .

وهو يوشع بن نون فتى موسى الذى كان معه صاحب أمره ، ونبأه الله فى زمن موسى عليه السلام ؛ فكان بعده نبيا ، وهو الذى فتح أريحا ، وقتل من كان بها من الجبابرة ، واستوقفت له الشمس ، وقال ابن عباس : كان علم النجوم من النبوة ؛ فلما حبس الله تعالى الشمس على يوشع ابن نون أبطل ذلك . وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لم ترد الشمس منذ رُدت على يوشع بن نون ليالى سار إلى بيت المقدس .

القرطبى ٩/ ٢٧٠ ، و١٥/ ٩٢ ، ومعتصر المختصر ١/ ١٠ ، والمعجم الأوسط للطبرانى ٦/ ٣٥٣ رقم ٦٦٠٠ ، وفتح البارى ٦/ ٢٢١ رقم ٢٩٥٦

(٣) فى م : « معروفة » . (٤) فى ن : « المتضمن » .

(٥) « ذكر » سقطت من ت .

(٦) فى ت : « تحل » .

(٧) فى م : « إليها نضال » تحريفا ، وفى ن : « تضاءل » خطأ .

(٨) « هل » سقطت من ت .

(٩) فى ت ، وم ، ون ، وع : « إذا رأتها » ، وفى ط : « إذ رأتها » .

وهذا الموضعُ من غريبِ مَا يأتِى [فى] [١] حَلِّ الشعرِ ، والتصرُّفِ فيه ؛ وفى الذى ذكرتُه زيادةٌ كثيرةٌ على ما ذكرَهُ الشاعرُ .

النَّوْعُ الثَّالِثُ مِنْ [٢] الأَبْيَاتِ الَّتِى لا يَجُوزُ تَغْيِيرُ لَفْظِهَا :

وهو كُلُّ بيتٍ تضمَّنَ [٣] ذكرَ ألفاظٍ يختصُّ [٤] بها علمٌ من العلومِ مِنْ نحوِ أو حسابٍ أو طبٍّ أو غيرِ ذلكَ ؛ فممَّا وردَ منها قولُ أبِى الطيِّبِ المتنبِّى :

وَلَقِيتُ كُلَّ الفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا
رَدَّ [٥] الإِلَهُ نُفُوسَهُمْ وَالأَعْصُرَا [٦]
نُسِقُوا لنا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا
وَأَتَى [٧] « فَذَلِكَ » [٨] إِذْ أَتَيتَ مُؤَخَّرَا [٩]

وكذلكَ قولُهُ :

إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلاً مُضَارِعًا
مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ [١٠]

وكقولِ أبِى تمَّام :

---

(١) فى الأصل ، وت ، ون ، وع : «من» ، وما أثبته من ط ، وم .
(٢) فى م : « فى » تحريفا .
(٣) فى م : « يتضمن » ، وفى ع : « يضمن » .
(٤) فى ن : « يخص » .
(٥) فى ع : « جمع » .
(٦) فى م : « والأعضرا » تصحيفا .
(٧) فى م : « وأنى » تصحيفا .
(٨) فى م : « بذلك » تحريفا .
(٩) البيتان من الكامل فى ديوان المتنبى ص ٥٤١ .
(١٠) البيت من الطويل فى ديوان المتنبى ص ٣٧٦ .

فَإِنْ يَكُ جُرْمٌ عَنَّ (١) أَوْ تَكُ هَفْوَةٌ
عَلَى خَطَأٍ مِنِّى فَعُذْرِى عَلَى عَمْدِ (٢)

وكقولِ البُحْتُرِىّ :

فَتًى دَفَعُوا (٣) بُخْلَ (٤) الزَّمَانِ بِجُودِهِ
وَلا طِبَّ حَتَّى يُدْفَعَ (٥) الضِّدُّ بِالضِّدِّ (٦)

وقد حللتُ هذه الأبياتِ ؛ أمّا بيتا (٧) أبى الطيِّبِ المتنبِّى فإنِّى قلتُ فى حَلِّهِمَا (٨) ما أذكرُه ، وهو (٩) : ولقدْ رأيتُه فرأيتُ العالمَ فى واحدٍ ، وعلمتُ أنَّ الدَّهرَ للناسِ ناقدٌ . وما أقولُ إلاَّ أنَّ اللهَ ردَّ به الأفاضلَ إلى معاد ، ومثَّلهم بأعداد الحسابِ ثمَّ وضعَه موضعَ « فَذَلِكَ » من جملةِ الأعدادِ . وهذه لفظةُ « فَذَلِكَ » هى من ألفاظِ الحسابِ وهى الجملةُ الكبرَى الواردةُ (١٠) فى آخِرِ الجملِ . كأنَّ (١١) الحاسبَ (١٢) يُقَدِّمُ (١٣) ذكرَ الأعدادِ المجملةِ أوّلاً ؛ ثمَّ يقولُ (١٤) : فذلكَ كذا وكذا(١٥) . أىْ

(١) فى ن : « عز » تحريفًا ، وفى ع : « حُزْمٌ » تصحيفًا .
(٢) البيت من الطويل فى ديوان أبى تمام ٢ / ١١٧ ، ق ٥٦ .
(٣) فى م : « فقد أمنوا » تحريفا .
(٤) فى م ، وع : « نجل » تصحيفا .
(٥) فى م : « تدفع » تصحيفا .
(٦) البيت من الطويل فى ديوان البحترى ٢ / ٧٤٩ / ق ٢٩٠ .
(٧) فى م ، وع : « بيت » خطأ .
(٨) فى ن : « حله » خطأ .
(٩) « وهو » غير موجودة فى ن .
(١٠) فى م : « الوارد » ، وفى ع : « الوارة » وكلاهما تحريف .
(١١) فى الأصل : « وإن كان » ، وفى ط ، وم ، ون : « كان » ؛ وماأثبته من ت ، وع .
(١٢) فى ع : « الحساب » خطأ .
(١٣) فى م : « تقدم » .
(١٤) فى م : « تقول »
(١٥) فى ن : « فذلك كذلك أى فالجميع » وهى عبارة مضطربة المعنى .

فالجميعُ كذا وكذا . ولهذا يقولُ الحاسبُ : قد فَذْلَكْتُ حسابِى أىْ أجملتُه [١] ، وفرغتُ منهُ وتُسَمَّى الفَذْلَكَةُ [٢] .

وأمّا [٣] بيتُ أبِى الطيِّبِ المفردُ ؛ فإنِّى نثرتُه فى فصلٍ من كتابٍ إلى بعضِ [٤] الملوكِ وهو : أحمدُ المساعِى ما خدمتْهُ جدودُ الإقبال [٥] ، وغدتْ له بمنزلةِ السلاحِ فى أيدِى الرِّجال ، ومَنْ زَعَمَ أنَّ السَّعْىَ يُغنِى مَن يُغنِى مِن غيرِ [٦] جَدٍّ فقد رامَ أن تمضِى [٧] زُبْرَةُ الحديدِ فى يدِه مِن غيرِ حَدٍّ [٨] واللهُ يُخْدِمُ [٩] السعادةَ لمولانا [١٠] فى كُلِّ مقام ، ويجعلُ له على عِداه رَصَدينِ من ضوءِ [١١] الصبحِ والإظلامِ حتَّى يُرَى [١٢] وقد تصرَّفتْ بأمرِه [١٣] أفعالُ الزمان ، وأصبحتْ أعنَّتُها فى يدِه يُثْنيهَا [١٤] ثَنْىَ العَنان ؛ فإذا عَزَمَ سارعتْ إلى تلبيةِ عَزْمِه ، وأَمْضَتْ مُرادَه [١٥] فى مُسْتَقْبَلِ كُلِّ

---

(١) فى م : « قد جملته » .
(٢) فى ع : « وفرغت وكد الفذلكة » وهى عبارة مضطربة .
(٣) فى ن : « فأما » .
(٤) فى ط : « بغض » تصحيفا .
(٥) فى ت : « وجوه الإقبال » .
(٦) فى ع : « عن غير » خطأ .
(٧) فى م ، ون : « يمضى » .
(٨) فى ع : « جدٍّ » .
(٩) التشكيل من ت ، وط .
(١٠) فى م : « مولانا » .
(١١) فى ت ، وط : « الأعداء » ، وفى م : « ويجعل له رصدين » ، وفى ن : « ويجعل على الأعداء رصدين » ، وفى ع : « الأعداء رصدأين ضوء » وهى عبارة مضطربة .
(١٢) التشكيل من ت . وضوء الصبح والإظلام محلول من قول أشجع السلمى :

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ ... رَصَدَانِ ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالإِظْلامُ
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وَإِذَا غَفَا ... سَلَّتْ عَلَيْهِ سُيُوفَكَ الأَحْلامُ

تجريد الأغانى القسم الثانى ٢ / ١٩٤٩ ، والبيان والتبيين ٣/ ٣٢٥ .
(١٣) فى م : « به » .
(١٤) فى ط : « تثنيها » .
(١٥) فى م : « أمره » .

أَمرٍ حتَّى يمضِى قبلَ حزمِه (١) ؛ فلا يستبعدُ (٢) من المطالبِ بعيدًا ، ولا يستصعبُ منها شديدًا (٣) ، ولاتزالُ غاياتُها منحطَّةً دونَ مبلغِهِ ، فلا يسألُ (٤) مزيدًا .

وأمَّا بيتُ أبِى تمَّام ؛ فإنِّى حللتُه ؛ فقلتُ : إنْ (٥) كانَ ذنبِى خطأً ، فقد جاءتْ (٦) معذرتِى عمدًا ، ولاعقوبةَ مع الاعتذارِ وإنْ كانَ (٧) الذنبُ شيئًا إدًّا . والمقدرةُ لا تُسيغُ لكريمٍ (٨) أنْ يُمضِى غيظًا أو يُطيعَ حقدًا . فلفظةُ الخطإِ (٩) ، ولفظةُ العمدِ من أخصِّ ألفاظِ الفقهاءِ لأنَّهما يدورانِ على لسانِ الفقيهِ أكثرَ ممَّا يدورانِ على لسانِ غيرِه . وإذا (١٠) كانَ الأمرُ كذلكَ فلا بُدَّ مِن ذكرِهما كمَا وَرَدَا (١١) فى الشعرِ مِنْ غيرِ تبديل .

وأمَّا بيتُ أبى عُبادة البحترىِّ فإنِّى نثرتُه فقلتُ فى نثرِه – وهو فصلٌ من كتابٍ إلى بعضِ الملوكِ – : الأحوالُ شبيهةٌ بالأبدانِ فى عوارضِ سَقَمِهَا ، وكلُّ داءٍ مِن أدوائِها (١٢) لهُ علاجٌ إلاَّ ما كانَ مِن سامِها (١٣) وهَرَمِهَا ؛ وقد قيلَ : إنَّ الطِّبَّ [هو] (١٤) معالجةُ الأضدادِ ، ولهذا لا يُطَبُّ (١٥) سُقْمُ الأحوالِ إلاَّ بجودِ الأجوادِ .

(١) فى ط ، وم ، ون ، وع : « جزمه » . (٢) فى م ، وع : « ولايستبعد » .
(٣) فى ن : « سديدا » . (٤) فى ط ، وع : « ولا يسأل » .
(٥) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « لإن كان » .
(٦) فى ن : « جات » خطأ .
(٧) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « ولو كان » .
(٨) فى ط : « الكريم » ، وفى ن : « للكريم » .
(٩) فى ن : « الخطاء » خطأ .
(١٠) فى ع : « وإن » .
(١١) فى الأصل ، وت ، وط : « ورد » ؛ وماأثبته من ن ، وع ؛ وفى م : « وردو » خطأ .
(١٢) فى ع : « دآى من أدآيها » خطأ .
(١٣) فى ع : « سآمها » . والسام : الموت . اللسان فى مادتى : س م م ، و س و م .
(١٤) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(١٥) فى ت : « ولايطبُّ » .

ومولانا (١) هو الجوادُ الذى (٢) يَشْفِى بعطاياه أَمَلاً وإذا شكَا (٣) إليه شاكٍ سقاهُ من جودِهِ عَسَلاً .

وهذا الموضعُ مِن محاسنِ ما يُذْكَرُ فى حَلِّ الشعرِ ؛ فإنِّى لم أَكْتَفِ بنثرِ هذا البيتِ المُشارِ إليهِ حتَّى قَرَنْتُهُ بخبرينِ مِن الأخبارِ النبويَّةِ وهُما (٤) مناسبانِ لمعناه (٥) الذى هو الطبُّ والعلاجُ . أَما الخبرُ (٦) الأوَّلُ فقولُ النبيِّ ﷺ (٧) : مَاخَلَقَ اللهُ دَاءً إلاَّ وَخَلَقَ لَهُ دَوَاءً إلاَّ [السَّامَ] (٨) والهَرَمَ . وأَمَّا الخبرُ الثَّانِى : فإنَّهُ جَاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ (٩) ﷺ فقالَ إنَّ أخى اسْتُطْلِقَ (١٠) بطنُه فقالَ رسولُ اللهُ « ﷺ » (١١) : اسْقِهِ عسلاً . فسقاه ثم جاءَه فقال : إنِّى سقيتُه عسلاً (١٢) فلمْ يزدْه إلا استطلاقًا . فقالَ [لهُ] (١٣) ثلاثَ مراتٍ . ثمَّ جاءَ (١٤) الرابعةَ فقالَ اسقهِ عسلاً فقالَ

(١) فى ع : « مولانا » .

(٢) فى ت : « هو الذى » . (٣) فى ع : « اشتكى » .

(٤) فى ت ، وم ، ون : « هما » . (٥) فى ط : « لمعباه » تحريفا .

(٦) فى م : « الجزو » تحريفا .

(٧) فى ت : « صلى الله عليه » .

(٨) فى الأصل : « السأم » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع . والحديث فى المعجم الكبير ١١/١٥٣ / رقم ١١٣٣٧ ، وصحيح ابن حبان ١٣/٤٢٨/رقم ٦٠٦٤ ، الأحاديث المختارة ٤/١٧١/رقم ١٣٨٥ ، وعلل الدارقطنى ٦/٢٨/ رقم ٩٥٨ باختلاف فى الرواية .

(٩) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « إلى النبى » .

(١٠) اسْتَطْلَقَ بطنُه أى كثر خروج ما فيه، يريد الإسهال . النهاية فى غريب الحديث ٣/ ١٣٦ واللسان فى مادة (ط ل ق) .

(١١) « ﷺ » غير موجودة فى ت ، وط ، وع ، وفى ن : « فقال النبى » .

(١٢) «عسلا » غير موجودة فى م ، ون .

(١٣) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(١٤) فى ت ، ون ، وع : « جاءه » ؛ وفى م كرر الناسخ عبارة : « إنى سقيته فلم يزده إلا استطلاقا » ؛ وسقط منه : « الرابعة فقال اسقه عسلا » .

لقد (١) سقيتُه . فلمْ يزدْه إلا استطلاقًا . فقالَ رسولُ اللهِ (٢) ﷺ صدقَ اللّهُ (٣) وكذبتْ بطنُ (٤) أخيكَ ؛ فسقاهُ فبرِئَ (٥) .

ولمثلِ هذا الموضوعِ (٦) أمرتُ المتصدِّى (٧) لصناعةِ الكتابةِ أنْ يُكْثِرَ مِن حفظِ (٨) الأخبارِ النبويَّةِ كما يكثرُ من حفظِ الأشعارِ . ولولا ثروةُ البضاعةِ من هذا الفنِّ وإلاَّ (٩) لم آتِ فى نثرِ بيتِ أبى (١٠) عُبادة البُحترىِّ (١١) بهذَين الخبرينِ المناسبينِ لمعناه . والخَطْبُ فى مثلِ هذا كبيرٌ ، والتَّرَقِّى إليه عسيرٌ ، ولا بُدَّ مِن التعبِ وهجرِ الراحةِ فى تحصيلهِ .

وَهَلْ يَفرِسُ اللَّيثُ الطَّلاَ وَهُوَ رَابِضُ (١٢) .

---

(١) فى ن : « قد » .

(٢) فى ع : « فقال النبى » .

(٣) فى ع تدخل الناسخ وأثبت : « وهو قوله تعالى يخرج من بطونها شراب . الآية .

(٤) فى ط ، ون : « كذب بطن » والبطن مذكر ؛ والتأنيث لغة . اللسان (ك ذ ب) .

(٥) فى ط : « فبرأ » وهى لغة أهل الحجاز ؛ اللسان (ب ر أ) . والحديث فى صحيح البخارى ٥/ ٢١٦١/رقم ٥٣٨٦ ، وصحيح مسلم ٤/ ١٧٣٦/ رقم ٢٢١٧ ، وسنن الترمذى ٤/ ٤٠٩/ رقم ٢٠٨٢ ، وسنن البيهقى الكبرى ٩/ ٣٤٤/ رقم ١٩٣٤٨ باختلاف فى الرواية .

(٦) اضطراب فى الأوراق فى م .

(٧) فى م : « للمتصدى » والفقرات مضطربة .

(٨) « حفظ » غير موجودة فى م .

(٩) « وإلا » غير موجودة فى ن .

(١٠) فى م : « أنى » تصحيفاً .

(١١) « البحترى » غير موجودة فى ت :

(١٢) فى م : « رابص » تصحيفا . وهذا عجز بيت من الطويل لأبى تمام وصدره :

أرادت بأن يحوى الرغيبات وادع . . . .

ديوانه جـ ٢ / ص ٢٩٧ ، ق ٨٧ . والطّلا : الصغير من كل شىء ، وقيل : ولد الظبية ساعة تضعه ، وجمْعه : طلْوانٌ . اللسان فى : ط ل ى .

النَّوْعُ الرَّابعُ مِنَ الأَبْيَاتِ الَّتِي لا يَجُوزُ تَغْيِيرُ لَفْظِهَا :

وهو كُلُّ بيتٍ تضمَّنَ [(١)] ذِكْرَ قبيلةٍ مِن القبائلِ أو بيتٍ مِن البيوتِ المشهورةِ فإذا وَرَدَ [(٢)] مثلُ ذلكَ فى الشعرِ فلا يَرِدُ [(٣)] إلاَّ لفائدةٍ اقتضتْ ذكرَه فينبغِى أنْ يُذْكَرَ كما جاءَ فى الشعرِ . أمَّا القبائلُ فَكَبَنِى ثُعَلٍ واشتهارُهم [(٤)] بالإصابةِ فى الرَّمْيِ . وأمَّا البيوتُ فَكَبَنِى عَبْدِ المَدَانِ [(٥)] فى الاشتهارِ بالتقدُّمِ والرئاسةِ فيجبُ على الناثرِ أنْ يُورِدَ هذا وما يجرِى مجراه على هيئتِه . لكنْ ينبغِى له أنْ يتصرَّفَ فى صوغِ الألفاظِ [(٦)] بالتقديمِ والتأخيرِ والزيادةِ فيها على حسبِ ما يراهُ . ولابُدَّ هَهُنا [(٧)] من ذكرِ مثالٍ واحدٍ يستدلُّ [(٨)] به على أمثالِه وأشباهِه ، فمِن ذلكَ قولُ الْفَرَزْدَق وهو :

وَلَوْ أَنِّى بُلِيتُ بِهَاشِمِىٍّ خَؤُولَتُهُ [(٩)] بَنُو عَبْدِ المَدَانِ
لَهَانَ عَلَىَّ مَا أَلْقَى وَلَكِنْ تَعَالَوْا فَانْظُرُوا بِمَنِ ابْتَلانِى [(١٠)]

---

(١) فى ع : « يضمَّن » . (٢) فى ع : « أورد » .
(٣) فى م ، وع : « ولايرد » ، وفى ن : « فلابرد » تصحيفا .
(٤) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « فى اشتهارهم » ؛ وثعل موضع بنجد وهو ماء لبنى قوالة قرب سجا والأخراب فى ديار كلاب . معجم ما استعجم ٣٤١/١ ، ومعجم البلدان ٢/ ٧٩، ولسان العرب فى (ث ع ل) .
(٥) المدان وادٍ فى قضاعة بناحية حرة الرجلاء ؛ وقد بنى كعبة نجران بنو عبد المدان مضاهاة للكعبة . معجم البلدان ٧٤/٥ ، و٢٦٨/٥ ، ولسان العرب فى (ب ى ت) .
(٦) فى م : « مصوغ » تحريفا ، وفى ع : « صوغ ألفاظ خطأ .
(٧) فى ت : « لابد هنا » .
(٨) فى ن : « فيستدل » ، وفى ع : « مستدل » خطأ .
(٩) فى ن : « خؤلته » تحريفا .
(١٠) البيتان لدعبل بن على الخزاعى من الوافر فى ديوانه ؛ ص ٤٢٩ ، ق ٦٥ صنعة د. عبد الكريم الأشتر ؛ دمشق ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ؛ وليسا للفرزدق كما نسبهما ابن الأثير ؛ وروايتهما :
ولو ....
صبرت على عداوته ولكن تعالى فانظرى بمن ابتلانى

وقد نثرتُ هذا المعنَى (١) الذى تضمَّنَهُ هذانِ البيتانِ . فقلتُ : ظُلْمُ الساداتِ لا تعدُّه النفوسُ مِن ظلمِها ولرُبَّمَا كَلَمَ السُّوارُ يَدًا (٢) فذهبَ فَخْرُ زينتِها بألمِ كَلْمِهَا ، ولهذا هانتْ جنايةُ بنى عبدِ المدانِ ، وَضُرِبَ بها المثلُ فى شرفِ المكانِ والنّاسُ (٣) فى المنازلِ ضروبٌ وأطوارٌ ، فمنهم أنجادٌ ومنهم أغوارٌ .

فانظرْ كيفَ فعلتُ فى نثرِ هذينِ البيتينِ (٤) ، وكيفَ تصرَّفتُ فى معناهما وَامْشِ على هذا الأَثَرِ ، وَاعْلَمْ أنَّ هذا الموضوعَ مُهِمٌّ مِن مُهِمَّاتِ هذه الصناعةِ .

النَّوْعُ الْخَامِسُ مِنَ الأَبْيَاتِ الَّتِى لا يَجُوزُ تَغْيِيرُ لَفْظِهَا :

وهو كُلُّ بيتٍ تضمَّنَ (٥) ذِكْرَ معنًى من معانِى التشبيهِ . وذلكَ لأنَّ التشبيهَ (٦) الواردَ فيها يكونُ بلفظٍ مخصوصٍ ؛ دالٌ على معنًى مخصوصٍ ؛ وإذا غُيِّرَ لفظُهُ زالَ ذلكَ المعنَى (٧) فممَّا جاءَ مِنهُ قولُ امرئِ الْقَيْسِ

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا
لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَّابُ وَالْحَشَفُ البَالِى (٨)

---

(١) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « نثرت المعنى » .

(٢) فى م : « يدى » . وهو ينظر إلى قول ابن زيدون فى رسالته الجدية : « هل أنا إلا يد أدماها سوارها » ، راجع ديوان ابن زيدون ، معه رسائله وأخباره ، شرح وتحقيق محمد سيد كيلانى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر / ص ٢٢٦ و ٢٢٧ . وفى الأدب الأندلسى ، د. جودت الركابى ، دار المعارف / ٢٦٧ ، ١٩٨٠

(٣) فى ع : « وللناس » . (٤) « البيتين » غير موجودة فى ن .

(٥) فى م : « يتضمن » ؛ وفى ع : « يضمَّن » .

(٦) فى ت ، ون : « وذاك » ؛ وفى ط : « وذاك أن » ؛ وفى ع : « وذاك التشبيه » .

(٧) فى م : « زال إلى ذلك المعنى » .

(٨) أمرؤ القيس بن حُجْرٍ الكندى الأمير الشاعر الجاهلى المشهور . البداية والنهاية ٢/ ٢١٨ ، ٢١٩ . والبيت من الطويل فى ديوانه ص ٣٨ , ق . ٢ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ؛ ط٤ ؛ ١٩٨٤

فقولُه : قلوبُ الطَّيرِ ورطبًا [١] ويابسًا والعُنَّابُ والحشفُ البَالِى لا بُدَّ [٢] مِن ذِكْرِهِ ، كمَا [٣] ذَكَرَهُ امرؤ القيسِ [٤] ؛ لأنَّهُ تشبيهٌ مخصوصٌ بألفاظٍ مخصوصةٍ فَلا «بُدَّ مِن ذِكْرِ ذلكَ ولا» [٥] يمكنُ تغييرُ ألفاظِهِ .

وقد نثرتُ هذا البيتَ فقلتُ : وأشهبَ تفخرُ السوابقُ [٦] بأنَّها له سَمِيَّة ، وتَرتمِى [٧] الطيرُ فى جوِّ [٨] السماءِ وهِىَ لَهُ رَمِيَّة . كأنَّمَا يجلُو [٩] القَذَى [١٠] عن عقيقتينِ ، ويظلُّ من توحُّشِهِ وإيناسِهِ بينَ خليقتينِ . ومن أدنَى صفاتِهِ أنْ يُقالَ : هذا خَلْقٌ منَ الرياحِ فى صُورةِ ذِى مَنسِرٍ [١١] وجناح . قد [١٢] لُقِّبَ بالبازِى لكثرةِ وثوبِهِ ، وما غدا [١٣] لمطلبِ صيدٍ ففاتَهُ شىءٌ من مطلوبِهِ . ولقد تكاثرتْ قلوبُ الطيرِ لديهِ فى كلِّ حال ، حتَّى شُبِّهَ [١٤] رطبُها ويابسُها بالعُنَّابِ والحشفِ البال . إلاَّ أنَّ امرأَ القيسِ [١٥] أرادَ العُقَابَ وأنا نقلتُه إِلى البازِى ، ولا مُشَاحَّة فى ذلك . فتأمَّلْ ما أتيتُ بهِ [١٦] مِن هذه المعانِى الشريفةِ زيادةً على ما اقتضاهُ معنَى البيتِ .

---

(١) فى ت : « فقوله رطبا » ؛ وفى ط : « فقوله قلوب الطير رطبا » .
(٢) فى الأصل : « فلابد » وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٣) فى م : « ذكر » . (٤) فى ع : « امرىء القيس » خطأ .
(٥) ما بين علامتى التنصيص سقط من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٦) فى ع : « نفخر السوابق » تصحيفا .
(٧) فى ط ، وم : « وترمى » ؛ وفى ن : « ترقى » .
(٨) « جو » غير موجودة فى ن .
(٩) فى م : « نجلو » خطأ . (١٠) فى ع : « القذ » تحريفا .
(١١) فى م : « بشرٍ » تحريفا . والمنسر : منقار الطائر . اللسان مادة (ن س ر) .
(١٢) فى ت ، وم : « لقد » .
(١٣) فى ط : « وما عذا » تصحيفا ؛ وفى ن : « وما عدا » .
(١٤) فى ن : « حال شبيه رطبها » عبارة مضطربة .
(١٥) فى ع : « امرىء القيس » خطأ .
(١٦) « به » غير موجودة فى ع .

وهكذا (١) فَلْيَكُنْ نثرُ ما جرَى هذا المجرَى من الأبياتِ الشعريَّةِ حتَّى تَسْلَمَ لك المبانِيَ ، وتحسنَ لديْكَ المعانِي ، ويُتْرَكَ لقولِكَ قولُ فُلانٍ والقولُ الفُلانِي .

ومن هذا الأسلوبِ ما ذكرْتُهُ فى نثرِ بيتٍ من (٢) شعرِ أَبِي تمَّامٍ (٣) يتضمَّنُ وصفَ السحابِ وهو

فَسَقَاهُ مِسْكَ الطَّلِّ كَافُورُ الصَّبَا (٤)
وَانْحَلَّ فِيهِ خَيطُ كُلِّ سَمَاءِ (٥)

« فقولُهُ (٦) : مسكُ الطلِّ وكافورُ (٧) الصَّبَا لا يُغَيَّرُ (٨) لفظُهُ وكذلكَ قولُهُ : وانحلَّ فيهِ » (٩) خيطُ كلِّ سماءٍ . وقد نثرتُهُ فقلتُ وانْحَلَّ (١٠) بها (١١) خيطُ السماءِ حتَّى استوفَى (١٢) رِيَّ بُطُونِهَا الظَّماءِ والمِنَّةُ للريحِ التَّى حَبَتْهُ بِمَا حَبَا ولَمْ (١٣) يَكُنْ مِسْكُ الطلِّ مُعْتَصَرًا (١٤) إلاَّ من كافورِ الصَّبَا

فانظرْ أيُّها المُتَأَمِّلُ كيفَ نثرْتُ هذا البيتَ (١٥) ولم أُخِلَّ من لفظِهِ بشيءٍ لكنْ (١٦)

---

(١) فى م : « وهذا » تحريفا . (٢) « من » غير موجودة فى ن .
(٣) فى ن : « لأبى تمام » .
(٤) فى الأصل : « كافور الندى » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٥) البيت من الكامل فى ديوان أبى تمام ١/ق٢/ ص ٢٥
(٦) فى ن : « وقوله » .
(٧) فى ت ، وط : « مسك الطل كافور » .
(٨) فى ن : « لا يتغير » .
(٩) مابين علامتى التنصيص سقط من ع .
(١٠) فى م : « فقلت فى انحل بها » خطأ .
(١١) فى ن : « وانحل فيها » . (١٢) فى ن : « استوى فى » .
(١٣) فى م : « ولمن » تحريفا .
(١٤) فى ت ، وط ، وم ، ون : « مسك طله » ؛ وفى ع : « ولم يكن طله معتصرا » .
(١٥) فى الأصل : « فى هذا البيت » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(١٦) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « لكنى » .

أضفتُ إليهِ ما حَسَّنَهُ وَزَيَّنَهُ ، ويَكْفِى من ذلكَ قَوْلِى : إنَّ مسكَ الطلِّ معتصرٌ [١] من كافورِ الصَّبَا .

وكذلك نثرتُ بيتًا من شعرِ أبِى عُبادة البُحتريِّ فى وصفِ الدروعِ إذا خالطَتْهَا [٢] أسنَّةُ الرِّماحِ [٣] وهوَ :

وَإِذَا [٤] الأَسِنَّةُ خَالَطَتْهَا [٥] خِلْتَهَا
فِيهَا خَيَالُ كَوَاكِبٍ [٦] فِى مَاءِ [٧]

وقد قلتُ [٨] فى نثرِهِ ما أذكرُهُ ، وهوَ : ولقدَ سَنُّوا [٩] دروعَ الحديدِ على مِثْلِهَا ؛ ولولا اتِّقاءُ البَغْيِ لرَأَوا حَمْلَ العارِ فى حَمْلِهَا ؛ فإذا صافحتْهَا أسنَّةُ الخُرصانِ رأيتَ أشخاصَ الكواكبِ فى غُدْران . وهذا أحسنُ مِن الأوَّلِ ، فإذَا [١٠] شئتَ أنْ تنثرَ [١١] شعرًا ؛ فَلْيَكُنْ هكذا [١٢] ، وإلاَّ فَدَعْ [١٣]

---

(١) فى الأصل : « معتصرا » خطأ ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون , وع .
(٢) فى ن : « خالطها » .
(٣) فى ت : « الرماج » تصحيفا .
(٤) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « فإذا » .
(٥) فى م : « خالظتها » تصحيفا .
(٦) فى م : « كواعب » تحريفا .
(٧) البيت من الكامل فى ديوان البحترى ١ / ١١ / ق ١
وروايته فإذا . . . .
(٨) فى ع : « وقلت » .
(٩) فى ن : « لبسوا » .
(١٠) فى ن : « فإن » .
(١١) فى ع : « تفشر » تحريفا .
(١٢) فى م : « هذا » تحريفا .
(١٣) فى ط كتب فى أعلى الصفحة اليسرى جملة : بلغ مقابلة .

النَّوْعُ السَّادِسُ [(١)] مِنَ الأَبْيَاتِ الَّتِى لا يَجُوزُ تَغْيِيرُ لَفْظِهَا :

وهوَ كُلُّ بيتٍ صِيغَ بلفظٍ بَلَغَ الغايةَ القُصْوَى فى [(٢)] البلاغةِ فإذَا أُبْدِلَ ذلكَ [(٣)] بغيرِهِ من الألفاظِ أُفْسِدَ [(٤)] ؛ لأنَّهُ لا يأتِى إلاَّ مُنْحَطًّا عنْهُ ونازلاً دونَه . وهذا لا تكادُ [(٥)] تراهُ فى الشعرِ إلاَّ قليلاً ؛ فإنَّ [(٦)] الشاعرَ المُفْلِقَ قَلَّ ما يَصِحُّ لهُ ذلكَ ، ورُبَّمَا كانَ فى شطرِ بيتٍ ولا يكونُ بيتًا كاملاً ، كقولِ أَبِى الطيِّبِ المتنبِّى :

أُطَاعِنُ خَيلاً مِنْ [(٧)] فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ
وَحِيدًا وَمَا قَوْلِى [(٨)] كَذَا وَمَعِى الصَّبْرُ [(٩)]

فإنَّ صدرَ [هذا] [(١٠)] البيتِ فردٌ فى البلاغةِ [و] [(١١)] إذا نُثِرَ لا يُمكنُ أنْ يُؤْتَى بِمَا هو أعلَى منه ، وأمَّا عَجُزُ البيتِ فإنَّه سخيفٌ جدًّا .

وقد نثرتُ أبياتًا فى هذا الموضعِ الذى نحنُ بصددِ ذكرِه . فمنْهَا قولُ مُسْلِمِ بْنِ الوَلِيدِ :

دَاوَى فِلَسْطِينَ مِنْ أَدْوَائِهَا بَطَلُ
فِى صُورَةِ الْمَوْتِ إِلاَّ أَنَّهُ رَجُلُ
مِنْ بَعْدِ مَاعَظُمَتْ فِى الدِّينِ شَوْكَتُهَا
وَاسْتَذْأَبَتْ شَاتُهَا وَاسْتَأْسَدَ الْوَعِلُ [(١٢)]

---

(١) الأوراق والفقرات مضطربة فى م .
(٢) فى ط : « من » .
(٣) « ذلك » غير موجودة فى م .
(٤) فى ط : « فَسَدَ » .
(٥) فى م : « لايكاد » خطأ .
(٦) فى م : « لأن » .
(٧) فى م : « عن » خطأ .
(٨) فى م : « وقول » خطأ .
(٩) البيت من الطويل فى ديوان المتنبى ص ١٧٤ .
(١٠) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون .
(١١) الزيادة من ت ، وط ، وم ، وع ؛ وفى ن : « وإن نثر فإنه لايمكن » .
(١٢) « الوعل » غير موجودة فى م . والبيتان من البسيط فى شرح ديوان صريع الغوانى مسلم ابن الوليد الأنصارى ؛ ص ٢٥٢ / ق ٤٠ ، عنى بتحقيقه والتعليق عليه د. سامى الدهان ؛ دار المعارف بمصر .

فقولُهُ : استذأبتْ [١] شاتُها من القولِ الفصلِ الذِى يُقَرْطَسُ فى البلاغةِ بإصابتِهِ ، وتَأْنَسُ [٢] به الأسماعُ على [٣] غرابتِهِ . وقد نثرتُ ذلكَ فى فصلٍ من كِتَابٍ ، فقلتُ : وَرَدَ البلادَ وقد استذأبتْ نِقَادُهَا [٤] واستجبلتْ وِهادُها ، ووردت وعولُها بحيثُ تَرِدُ آسادُهَا ؛ فَعَلِمَ أنَّ ذلكَ جَهْلٌ [٥] لا يَزَعُ [٦] منه عنفُ الملامةِ ، وداءٌ لا يكفِى فى تقليلِ دمِهِ الفَصْدُ [٧] والحجامة . بل لا بُدَّ من وضعِ السيفِ فى [٨] موضعِ العصَا ومِن عَمَى الضَّلالةِ [٩] ما لا يُبْصَرُ إلاَّ بسفكِ [١٠] الدمِ ، ومنه ما يُبْصَرُ بتسبيحِ الحَصَى .

فأَنْعِمْ نظرَكَ أيُّهَا النَّاظِرُ فى كتابى هذا [١١] وتَدَبَّرْ هذه الكلماتِ الواردةَ فى نثر هذينِ البيتينِ ؛ فإنَّ موضعَ البلاغةِ منهُما الذى [١٢] قَصَرْتُ عليْهِ نَظَرِى ؛ إنَّمَا هوَ قولُ الشاعرِ : « استذأبتْ شاتُها فغيَّرْتُ لفظةَ الشاةِ بلفظةِ النِّقَادِ ، وهىَ في مَعناهَا ؛

---

(١) فى ط : « واستذأبت » .

(٢) فى ت : « وتستأنس » .

(٣) فى م : « عن » .

(٤) النَقَدُ بالتحريكِ جِنْس من الغَنَمِ قصار الأَرْجُل قِباحِ الوُجوه تكون بالبَحْرَيْن ، انظر اللسان فى مادة (ن ق د) .

(٥) فى الأصل : « جهلا » خطأ ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ؛ وفى ع : « حهل » تصحيفا .

(٦) فى ن : « لاينزع » تحريفا .

(٧) فى م : « للفصد » خطأ .

(٨) فى ت ، وط ، وم ، وع : « فيه » ؛ و « فى » غير موجودة فى ن ، يشير إلى قول المتنبى :

وَوَضْعُ النَّدَى فِى مَوْضِعِ السَّيفِ بِالعُلا
مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيفِ فِى مَوْضِعِ النَّدَا

ديوان أبى الطيب / ٣٦١ .

(٩) فى م : « الخديعة » .

(١٠) الأوراق والفقرات مضطربة فى م ؛ وفى ع : « بسيفك » تحريفا .

(١١) «هذا » غير موجودة فى ن .

(١٢) فى م : « منها للذى » خطأ .

ثمَّ قلتُ : واستجبلتْ وهادُها وهوَ فى الحُسْنِ والغرابةِ كقولِ الشاعرِ » (١) بلْ أحسنُ وأجملُ .

ومنْ شرطِ (٢) هذه الصناعةِ (٣) أنْ يُواخِيَ النَّاثرُ بينَ ألفاظِ الشاعرِ وألفاظِهِ (٤) وقدْ تقدَّمَ القولُ على ذلكَ . وأمَّا ذكرُ تسبيحِ الحَصَى هَهُنا [فإنَّهُ مَعْنًى لطيفٌ] (٥) يحتاجُ الواقفُ عليْهِ (٦) إلى تأمُّلٍ .

ومن هذا البابِ قولُ البُحتريِّ :

وَلَيلَةَ هَوَّمْنَا عَلَى الْعِيسِ أَرْسَلَتْ
بِطَيْفِ خَيَالٍ يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهْ (٧)

« فَعَجُزُ هذا البيتِ لا يَحْسُنُ (٨) تغييرُ لفظِهِ وهوَ قولُهُ : يشبهُ الحقَّ باطلُهْ » (٩) ؛ فإنَّهُ قد حَوَى طَرَفَيِ الفصاحةِ والبلاغةِ (١٠) لفظًا ومعنًى . وقد نثرتُهُ فقلتُ فى نثرِهِ : وكمْ لطيفِ الخيالِ منْ يَدٍ يبذلُهَا وصاحبُه (١١) يمنعُها ، ولطالما سَمَحَ (١٢) برؤيةِ عينٍ لا يرَاهَا ونَجْوَى حديثٍ لا يسمعُها فيالَه مِن باطلٍ أشبهَ فى مَزارِهِ حقًّا ، وأَوْهَمَ القلبَ أنّه دَاوَاهُ ومَا دَاوَى والغليلَ أَنَّهُ أَسْقَاهُ ومَا أَسْقَى .

---

(١) ما بين علامتى التنصيص سقط من ن .
(٢) فى ع : « وشرط » .
(٣) « الصناعة » غير موجودة فى ت .
(٤) فى ع : « ومن ألفاظه » تصحيفا .
(٥) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٦) فى الأصل : « الواقف عليه ههنا » .
(٧) البيت من الطويل فى ديوان البحترى ٣ / ١٦٠٧ / ق ٦٣٢
(٨) فى ن : « لايمكن » .
(٩) ما بين علامتى التنصيص سقط من م .
(١٠) « والبلاغة » غير موجودة فى م .
(١١) فى ط : « وصاحبها » خطأ .
(١٢) فى م : « سمحت » خطأ .

« وهذا [١] مِن الحُسْنِ على ما لا خفاءَ بِهِ . وليسَ فى هذهِ الأنواعِ العشرةِ الواردةِ فى كِتابِى هذا أعْلَى مَحَلاً مِن هذا [٢] النوعِ ولا أوعرُ مسلكًا ؛ وذاكَ لأنَّ الناثرَ يتعرَّضُ [فيهِ] [٣] لمُمَاثلةِ ألفاظٍ ظَفَرَ بها الناظمُ المُفْلِقُ فى لُمَعٍ مِن شعرِهِ لمكانِ فصاحتِها وبلاغتِها . وقد وَجَدْتُ ذلكَ فى شعرِ البُحْتُرِىِّ أكثرَ مِن غيرِهِ . فمِن ذلكَ قولُه [٤] :

قَلْبٌ يُطِلُّ عَلَى أَفْكَارِهِ وَيَدٌ
تُمْضِى الأُمُورَ وَنَفْسٌ [٥] لَهْوُهَا التَّعَبُ [٦] .

فقولُهُ : قلبٌ يُطِلُّ على أفكارِهِ من الكلامِ الفصلِ [٧] الَّذِى يَمُرُّ عليْهِ الناسُ ولا يعطونَهُ حقَّهُ من التأمُّلِ . ومُرادُه بذلكَ أنَّ الأفكارَ لا تستغرقُ قلبَهُ ولا تملأُ جوانِبَهُ ، أىْ أنَّ قلبَهُ واسعٌ لا تبلغُ الأفكارُ مَدَى أقطارِهِ . إلاَّ أنَّه عَبَّرَ عن [٨] ذلكَ بقولِهِ : يُطِلُّ على أفكارِه ، وهذا تعبيرٌ يَعِزُّ على غَيْرِهِ أنْ يأتِىَ به . وقد نثرْتُ [٩] هذا البيتَ فقلتُ : قليلُ الاحتفالِ [١٠] بالخطوبِ المُحْتَفِلَة [١١] ، وإذَا انتقلتْ [١٢]

---

(١) بداية خرم وقع فى م ، ون يبدأ من قوله : « وهذا من الحسن .... وينتهى بنهاية النوع السادس فى الصفحة القادمة ؛ وقد كتب الناسخ فى م : « النوع السادس النوع السابع » واضطربت الأوراق والفقرات فى هذا الموضع .

(٢) فى ع : « هذه » خطأ .

(٣) كتب بخط مغاير فى الأصل : « هو « وبها لا يستقيم المعنى ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وع .

(٤) « قوله » غير موجودة فى ط .

(٥) « ونفس » غير موجودة فى ع .

(٦) البيت من البسيط فى ديوان البحترى ١/ ١٧٢/ ق ٥٧ .

(٧) فى ط : « الفضل » تصحيفا .

(٨) « عن » غير موجودة فى ع .

(٩) فى ع : « تنثرت » .

(١٠) فى ع : « الاحفال » تحريفا .

(١١) فى ع : « المختلفة » تحريفا .

(١٢) فى ع : « تنقلت » .

به[١] أحوالُ الزمانِ كانتْ حالُه غيرَ مُنْتَقِلَة ؛ فقلبُه يُطِلُّ على أفكارِه ، ويَرَى الأمرَ[٢] الخفيَّ مِن خلفِ أستارِهِ ، ولا تبلغُ[٣] الأنجادُ والأغوارُ مَدَى أنجادِهِ وأغوارِهِ . وهوَ[٤] اليَقِظُ الذى يَهْجَعُ النجمُ وهوَ لا يَهْجَعُ[٥] ، والماضِى الَّذِى يَجْزَعُ السيفُ وهو[٦] لا يَجْزَعُ ، والمُعَافَى[٧] المضروبُ لهُ المَثَلُ بأنَّه لا يُخْدَعُ[٨]

فانظرْ كيفَ أخذْتُ تلكَ الكلماتِ الأربعَ المُشارَ إليْهَا وواخَيْتُها بما يلائمُها ومَنْ لم يسطِعْ[٩] المُواخَاةَ فلا يَعْرِضْ إلى ما يجرِى هذا المجرَى[١٠] » .

النَّوْعُ السَّابعُ مِنَ الأَبْيَاتِ الَّتِى لا يَجُوزُ تَغْييرُ لَفْظِهَا

وهوَ كُلُّ بيتٍ اسْتُعْمِلَ فيهِ التَّجنيسُ[١١] ، وهوَ الألفاظُ المُشترَكَةُ التى يكونُ[١٢] لفظُهَا واحدًا ومعناها مختلفًا . فمِنْ ذلكَ مَا ذكرْتُهُ فى السِّيَادَةِ وهوَ : رَيَعَانِ الشبابِ[١٣] يشتركُ فيه نهضةُ[١٤] الأجسامِ والهممِ[١٥] ، ولهذا كانَ شبابُ

---

(١) « به » غير موجودة فى ط .
(٢) فى ع : « أمر » .
(٣) فى ت : « ولايبلغ » .
(٤) فى ت : « فهو » .
(٥) فى ع : « ولايهجع » بدون » هو » .
(٦) فى ع : « ولهو » خطأ .
(٧) فى ع : « والمعانى » تحريفا .
(٨) فى ع : « بأنه يخدع » تحريفا .
(٩) فى ت ، وع : « لم يستطعْ » ؛ وفى ط : « لم يستطيع » خطأ .
(١٠) نهاية الخرم فى م ، ون . الذى بدأ من أول الصفحة السابقة .
(١١) فى ع : « التجنس » خطأ .
(١٢) فى م ، وع : « تكون » خطأ .
(١٣) فى ت ، وم ، ون ، وع : « ريعان العمر » ؛ وفى ط : « ريعان الشباب العمر » .
(١٤) فى ن : « نحيف » .
(١٥) فى م : « أو الهمم » .

العُلا فى الشبابِ وهَرَمُها فى الهَرَمِ . وما أقولُ إلاَّ أنَّ [١] بينَ سوادِ الشّعرِ والسُّؤدُدِ غِرَاسًا كمَا أنَّ بينَهُما فى الاسميةِ جِنَاسًا ؛ وما تشابَهَا فى اللّفظِ إلاَّ لتشابُهِهِمَا [٢] فى المعنَى ، وكلاهُما ذو رَوْنَقٍ فى حُسْنِهِ فإذَا اجتمعَا زادَا حُسْنًا .

وبعضُ هذا اللفظِ [٣] مأخوذٌ مِن شِعْرِ أبِى عُبادة البُحتُرِىِّ :

بَلَغَ السِّيَادَةَ فِى اقْتِبَالِ شَبَابِهِ
إنَّ السَّوَادَ [٤] مَظِنَّةٌ للسُّؤدُدِ [٥]

فقولُهُ : السوادُ والسؤددُ من التجنيسِ ، وقد ذكرتُهُما ولم أغيِّرْ شيئًا من اللفظِ . بل زدْتُ فيهِ زيادةً حسنةً يعلمُها المتأمِّلُ لهُ .

ومِن هذا النوعِ ما ذكرتُهُ فى وصفِ رجالِ الحربِ ، وهوَ فصلٌ [٦] مِن كتابٍ فقلتُ مِن كُلِّ بَطَلٍ يَزْحَمُ [٧] غَرْبَ [٨] الأهوالِ بغاربِهِ ، وَيَلْقَى وُجُوهَهَا الكريهةَ [٩] لقاءَ حبائبِهِ ، ولطالما كافحَهَا حتَّى نَفَضَتْ وقائعُها غبارًا على ذوائبِهِ ؛ فهو يُقْدِمُ فيها إقدامَ مَن ليسَ [١٠] لهُ أجَل ، ولا يَرَى للخدِّ الأسيلِ حُسْنًا إلاَّ بخدٍّ مِن الأَسَل .

---

(١) « أن » غير موجودة فى م .

(٢) فى ع : « تشابههما » خطأ . والغراس بالكسر فسيل النخل وهو أيضا وقت الغرس . اللسان فى (غ ر س) .

(٣) فى م : « هذا الشعر » .

(٨) فى ت : « إن الشباب » .

(٤) البيت من الكامل فى ديوان البحترى ٢/ ٦٩٠/ ق ٢٧٣ ؛ وروايته

فى بدوء .... مطية ....

(٥) فى م : « وهو وصف » .

(٦) فى الأصل ، وط : « يرحم » تصحيفا ؛ وما أثبته من ت ، وم ، ون ، وع .

(٧) فى ط : « غروب » تحريفا . وغرب كل شيء حده و الغارب ما بين السنام إلى العنق . اللسان فى (غ ر ب) .

(٨) فى ن : « وجهها الكريه » .

(٩) « ليس » غير موجودة فى م .

وبعضُ هذا اللّفظِ مأخوذٌ (١) من شعرِ أبى تمّامٍ :

ما زالَ للصّارخِ المُغلِى عَقِيرَتَهُ
غَوثٌ من الغَوثِ تَحتَ الحادِثِ الجَلَلِ (٢)
بِكُلِّ أَبيَضَ يَجلُو مِنهُ سَائِلُهُ
خَدًّا أَسِيلاً بِهِ خَدٌّ مِنَ الأَسَلِ (٣)

« فقولُه : الخدُّ الأسيلُ وخدٌّ (٤) من الأسلِ لا بُدَّ من ذكرِهِما كمَا ذُكِرَا فى الشعرِ » (٥) لمكانِ التجنيسِ فيهِما .

النَّوعُ الثَّامِنُ مِنَ الأَبيَاتِ الَّتِى لا يَجُوزُ تَغييرُ لَفظِهَا

وهو كُلُّ بيتٍ استُعمِلَتْ فيهِ ألفاظُ (٦) المُطابَقَةِ كاللفظِ الدالِّ على « المعنَى واللفظِ الدالِّ على » (٧) ضدِّهِ ، مِثلَ (٨) السوادِ والبياضِ والضحكِ والبكاءِ وما يجرِى مَجرَاهُ .

فمِنْ ذلكَ ما ذكرتُه فى الثَّغرِ (٩) ، وهو : تماثلتْ عقودُ فرائدِها وثغرُها ، فلا

---

(١) « مأخوذ » غير موجودة فى ت .

(٢) فى م : « الجدل » تحريفا .

(٣) البيت من البسيط فى ديوان أبى تمام ٣/٩٧/ ق ١٢٧ ؛ ورواية البيت الثانى :

من كل

(٤) « وخد » غير موجودة م ؛ وفى ن : « فقوله خدا أسيلا وخد » .

(٥) مابين علامتى التنصيص سقط من ع .

(٦) فى م : « الألفاظ » . و يقابل هذه الفقرة فى هامش صفحة الأصل : بلغ ابن الدحميسى معارضة بأصله المنقول منه المقروء على مصنفه .

(٧) مابين علامتى التنصيص سقط من ن .

(٨) « مثل » غير موجودة فى ن .

(٩) فى م : « السعر » تحريفا ؛ وفى ن : « الثغور » .

يُدْرَى أَنْظِمَتْ حِلْيَةُ نَحرِهَا فى مَبْسِمِهَا أم حِلْيَةُ مَبْسِمِهَا فى نَحْرِهَا ؛ فلو انتثرتْ تلكَ الفرائدُ فى اللَّيلِ البَهيمِ لالْتُقِطَتْ حبَّاتُ العقدِ النثيرِ فى ضوءِ العقدِ النظيمِ .

وبعضُ هذا اللفظِ مأخوذٌ من قولِ الشاعرِ المعروفِ بالغَزّى (١) :

[حَتَّى إِذَا طَاحَ عَنْهَا الْمِرْطُ مِنْ دَهَشٍ
وَانْحَلَّ بِالضَّمِّ سِلْكُ العِقْدِ فِى الظُّلَمِ] (٢)
تَبَسَّمَتْ فَأَضَاءَ اللَّيلُ (٣) فَالْتُقِطَتْ
حَبَّاتُ مُنْتَثِرٍ فِى ضَوْءِ مُنْتَظِمِ

فالمقابلةُ ههنا بين المنتثرِ والمنتظمِ لا بُدَّ منها لأنَّه من الِصناعةِ المعنويةِ (٤) فى ذكرِ الشىءِ وضدِّهِ . « والذِى أتيتُ به فى نثرِ هذينِ البيتينِ هو زيادةٌ علَى مَا تضمَّنَاهُ وكأنَّهُ شَرْحٌ لهُما » (٥)

ومن ذلكَ ما ذكرتُه فى نَدْبِ الشبابِ – وهو فصلٌ من كتابٍ – فقلتُ : جِدَّتُهُ (٦) أَخلَقَتْ ، وثروتُه أَمْلَقَتْ ، وصفوتُه تَكَدَّرَتْ ، وبشاشتُه تَنَكَّرَتْ ، وأحوالُه التى قِيلَ (٧) إنَّها لا تتغيَّرُ تغيَّرَتْ . فيا عجبًا له فى (٨) إقبالِهِ وإعراضِهِ . ولقد كانتْ أيامُه

---

(١) الغَزِّىُّ هو : إبراهيم بن عثمان الأشهبى الغزى ؛ أبو إسحاق الكلبى ولد ٤٤١ هـ بغزة ؛ وتوفى ٥٢٤ هـ . انظر ترجمته والبيتين ، وهما من البسيط فى : أبجد العلوم ٣/ ٨٦ ، ٨٧ . سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٥٤ ، ٥٥٥ . البداية والنهاية ١٢/ ٢٠١ . وفيات الأعيان ١/ ٥٧ ومابعدها . تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ٧/ ٥١ وما بعدها .

(٢) ما بين المعقوفين غير موجود بالأصل ؛ وأثبته لارتباطه الوثيق بالبيت الذى يليه من ت ، وط ، وم ، ون ، وع . وبعدهما كتب ناسخ ن : « ونسب بعضهم هذين البيتين إلى الشريف الرضى ا.هـ » فى المتن .

(٣) فى م : « فأضاء الجو » .

(٤) فى م : « المعنوى » خطأ .

(٥) ما بين علامتى التنصيص سقط من م ، ون .

(٦) « جدته » غير مقروءة فى م .

(٧) فى م ، و ن : « قيل فيها إنها » .

(٨) فى م : « من » .

بيضًا بسوادِ الشعرِ فأصبحتْ سودًا ببياضِهِ ؛ ولطالما غَدَا [١] صاحبُه وقد صادتْ نبلُه ، وفازتْ خَصْله [٢] ، وأطاعَه الحُسْنُ وأهلُه . وشيءٌ من هذا اللفظِ مأخوذٌ من شعرِ أبِى عُبادة البُحتريِّ :

إنَّ أيَّامَهُ مِنَ البِيضِ بِيضٌ   مَا رَأَيْنَ [٣] المَفَارِقَ السُّودَ سُودَا [٤]

فَذِكْرُ السوادِ والبياضِ لا بُدَّ منه لمكانِ المطابقةِ بينَهما . والذى ذكرْتُه من المعنَى هو غيرُ [٥] ما ذَهَبَ إليه البحتريُّ لكنِ اللفظُ من [٦] اللفظِ .

النَّوْعُ التَّاسِعُ مِنَ الأَبْيَاتِ الَّتِى لا يَجُوزُ تَغْيِيرُ لَفْظِهَا

وهو كلُّ بيتٍ ينحصرُ [٧] معناهُ فى مَقْصِدٍ من المقاصدِ كقولِ أبِى الطيِّبِ المتنبِّى :

فَتَبًّا لِدِينِ عَبِيدِ النُّجُوم
وَمَنْ يَدَّعِى [٨] أَنَّهَا تَعْقِلُ
وَقَدْ عَرَفَتْكَ فَمَا بَالُهَا
تَرَاكَ [٩] تَرَاهَا وَلا تَنْزِلُ [١٠]

---

(١) فى ت : « عدا » .

(٢) فى م ، وع : « حصله » تصحيفا ؛ وفى ن : « نصله » . وفازت خصله : غلب على الرهان اللسان فى (خ ص ل) .

(٣) فى ع : « ما رأينا » خطأ .

(٤) البيت من الخفيف فى ديوان البحترى ١/ ٥٩٠/ ق ٢٤٧ .

(٥) فى ع : « هو وغير » خطأ .

(٦) « من » غير موجودة فى م .

(٧) فى ع : «ينحصره » خطأ .

(٨) فى م : « يدغى » تصحيفا ؛ وفى ع : « وما يدعى » .

(٩) فى ع : « ترال » تحريفا .

(١٠) فى الأصل : « تراها تراك ولاتنزل » ؛ وفى ط : « تراك تراها فلا تنزل » ، وما أثبته من ت ، وم ، ون ، وع .

وَلَوْ بِتُّمَا عِنْدَ قَدْرَيْكُمَا
لَبِتَّ وَأَعْلاكُمَا الأَسْفَلُ [(١)]

فقولُه : عبيدُ النجومِ وأنَّها تعقلُ . وقولُه : الأعلَى والأسفلُ ؛ فإنَّ هذه الألفاظَ لابُدَّ من إيرادِها كمَا ذُكِرَتْ ؛ إذ لو غيَّرْنا لفظةَ [(٢)] النجوم بلفظةِ الكواكبِ التى هى فى معناهَا لَمَا حَسُنَ ذلكَ ؛ إذ الاشتهارُ إنَّمَا هو للنجومِ وعلْمِ النجومِ ومَن يقولُ إنَّهَا تعقلُ أو لا تعقلُ ، وكذلكَ [(٣)] الأعلَى والأسفلُ ؛ فإنَّ هاتينِ اللفظتينِ [(٤)] لا يُعْتَاضُ عنهُما بمَا هو مثلُهُما .

وقدْ حَلَلْتُ هذهِ الأبياتَ الثلاثةَ فِى فصلٍ من كتابٍ إلى ديوانِ الخلافةِ ، وهو : إذا نَظَرَ الخادمُ إلى حَسَبِهِ المُقْتَنَى [(٥)] مِنْ خدمةِ الديوانِ العزيزِ لمْ يَحْتَجْ إلى أوّليّةِ مجدٍ قديمٍ ، ولا إلى فضيلةِ سعيٍ كريمٍ ؛ فالحظوظ مُقْتَسَمَةٌ [(٦)] فى تلكَ الأبوابِ بلثمِ الترابِ [(٧)] . ولو عَقِلَتْ النجومُ [(٨)] كما يزعمُ قومٌ لنزلتْ [(٩)] إليها خاضعةَ الرقابِ ، وقامتْ لتعظيمِ خدمتِها [(١٠)] قيامَ [(١١)] العبيدِ لخدمةِ [(١٢)] الأربابْ ، وقالتْ لها[(١٣)] : أنتِ أولَى بمكانِ السماءِ الذى منْه مطلعُ الأنوارِ وَنَشْءُ [(١٤)] السحابِ .

ولو شئتُ أنْ أنقلَ هذا المعنَى عن [(١٥)] هذا الوجهِ إلى وجهٍ آخَرَ لنقلتُهُ ولكنْ هذا

---

(١) الأبيات من المتقارب فى ديوان المتنبى ص٢٩٨ .
(٢) فى ت : « لفظ » .
(٣) فى ت : « تعقل وكذلك » ؛ وفى ع : « تعقل ولا تعقل » .
(٤) فى ن : « فإن هذين اللفظين » . (٥) فى م : « المقتنى » تصحيفا .
(٦) فى ت : « فالخطوط » تصحيفا ، وفى م : « فالحظوظ مقسمة » .
(٧) فى ط : « الثراب » تصحيفاً . (٨) فى ع : « كالنجوم » .
(٩) فى ط : « لَزَلَتْ » تحريفا .
(١٠) فى ت : « حرمتها » ؛ وفى ع : « حذمتها » .
(١١) فى ت : « مقام » . (١٢) فى ع : « بخدمة » .
(١٣) « لها » غير موجودة فى م . (١٤) فى م : « ونشر » .
(١٥) فى ع : « من » .

القدرُ كافٍ فى هذا الموضعِ ، لأنَّهُ كتابُ تعليمٍ وتمثيل [١] ، لا كتابَ تكثيرٍ [٢] وتطويل .

النَّوْعُ الْعَاشِرُ مِنَ الأَبْيَاتِ الَّتِى لا يَجُوزُ تَغْييرُ لَفْظِهَا :

وهو كُلُّ بيتٍ [٣] [تَضَمَّنَ ألفاظًا فرائدَ فِى محلِّهَا ، لا يسدُّ غيرُها مسدَّها بحيثُ إذا بُدِّلَتْ بما يرادفُها تَدَاعَى بناءُ البيتِ ، وانهدمَ معناه ؛ فمِن ذلكَ قولُ امرئِ القيسِ :

وَقَدْ أَغْتَدِى وَالطَّيْرُ فِى وُكُنَاتِهَا
بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ [٤] الأَوَابِدِ هَيْكَلِ [٥]

فإنَّ ألفاظَه مِن وُكُنَاتٍ ومنجردٍ وأوابدَ وهيكلٍ فرائدُ فِى مكانِها لايسوغُ تبديلُها بغيرِها ، بلْ إذَا أُرِيدَ حَلُّه ، وَجَبَ أنْ يُحافَظَ على تلكَ الفرائدِ . وقدْ حللتُه ؛ فقُلتُ فى وَصْفِ فَرَسٍ أدْهَمَ : وطالما امتطيتُ صهوةَ مُطَهَّمَ نَهْدٍ ، فغَنيتُ عن نشوةِ الكُمَيْتِ من ذاتِ نَهْدٍ . يُسابِقُ الرِّيحَ فَيُغَبِّرُ فى وجهِهَا دونَ شقِّ غُبارِه ، وإذا ظَهَرَ عليها رَجِعَتْ حَسْرَى فى مضمارِه . نُسِبَ إلى الأعوجِ وهو مستقيمٌ فى الكرِّ والفرِّ ، وقد حَنِقَتْ عليه عينُ الشَّمْسِ إذ لايمكِنُها أنْ تَرْسُمَ ظلَّه على الأرضِ إذا مرَّ ، لَيْلِئٌ

---

(١) « وتمثيل » غير موجودة فى ت .

(٢) فى م : « تكبير » .

(٣) كتب فى هامش الأصل : « كذا وقع هذا البياض » ؛ وفى ت : « كذا وجد فى هذا البياض » ؛ وفى ط : « لم يشر الناسخ إلى شىء وكتب : « وهو كل بيت (بياض) وحيث انتهى القول إلى ههنا » ؛ وفى م خرم بدأ من « تكثير وتطويل » ، وينتهى فى الصفحة المقبلة بـ « وحيث انتهى بنا القول » ، ولم يشر الناسخ إلى بياض فى الأصل الذى نسخ عنه ؛ وفى ع ترك البياض دون إشارة بين قوله : « وهو كل بيت » وقوله : « الشعر بلفظه » .

(٤) فى ن : « قيذ » تصحيفا .

(٥) البيت من الطويل فى ديوان امرىء القيس ص ١٩ / ق ١ .

الإهابِ لَطَمَ جبينَه الصباحُ ببهائِه ، فَعَدَا عليه وخاضَ يقتصُّ منه فى أحشائه . وقد أغْتدِى عليه والطيرُ فى وُكُنَاتِهَا فلا يفوتُنِى الأَجْدَل ، وإذا أطلقتُه لصيدِ وحشٍ رأيتَنِى علىٰ مُنجردٍ قيدِ الأوابدِ هيكَل . وفيه زيادةٌ على بيتِ امرئِ القيسِ حَلُّ بيتِ ابنِ نُبَاتة السَّعْدِى فى وصفِ فَرَسٍ مُحَجَّلٍ له غرةٌ بيضاءُ وهو قولُه :

وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ
فَاقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِى أَحْشَائِهِ (١)

وحيثُ انتهَى بنَا القولُ إلى هَهُنا ، ونبَّهْنَا على هذهِ الأسرارِ الَّتِى خَفِيَتْ على كثيرٍ من أربابِ هذهِ الصناعةِ فَلْنُتْبِعْ ذلكَ بتمثيلِ أمثلةٍ] (٢) فى حَلِّ الشعرِ بلفظِهِ .

فمِن ذلكَ (٣) ما ذكرتُه فى وصفِ الحياءِ ، وهوَ : الحياءُ لباسٌ يَقِى وَجْهَ (٤) الكريمِ بوقائِهِ ، وهوَ لهُ كاللِّحَاءِ الذِى يَبْقَى العودُ ببقائِهِ .

وهذا مأخوذٌ مِن أبياتِ الحماسَةِ :

يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ
وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِىَ اللِّحَاءُ (٥)

ومِنْ ذلكَ ما ذكرتُه فِى (٦) انتقالِ الدهرِ مِن حالٍ إلى حالٍ ، وهو : لو أردْتَ دوامَ الدَّهرِ على حالةٍ واحدةٍ لمَا دام ، والبأساءُ والضَّرَّاءُ فيه (٧) خيالاتُ (٨) أحلام ؛

---

(١) ابن نباتة السعدى أبو نصر عبد العزيز بن عمر ، وهو غير ابن نباتة الفارقى الخطيب الذى سبقت ترجمته ، ولد سنة ٣٢٧ هـ ، وتوفى ثالث شوال ٤٠٥ هـ ببغداد . ترجمته وبيت الشعر من الكامل فى شذرات الذهب ٢/ ١٧٥ ، ووفيات الأعيان ٣ / ١٩٣ وما بعدها ، وأعلام النبلاء ١٧/ ٢٣٤ و ٢٣٥ ، وذيل مولد العلماء ١/ ١٣٤ .

(٢) الزيادة من بداية الصفحة السابقة حتى هنا انفردت بها ن .

(٣) فى ن : « (فمن ذلك) بين قوسين هكذا .

(٤) فى ت : « يُتَّقَى وَجْهُ » ؛ وفى م : « يبقى » ؛ وفى ع : « ينقى » .

(٥) البيت من الوافر فى الحماسة ١/ ٢٩٧/ رقم ٣٣٩ . وديوان أبى تمام ٤/ ٢٩٧ / ق ٣٤٢ .

(٦) فى م : « من » . (٧) فى ع : « فبه » تصحيفا .

(٨) فى م : « حيالات » تصحيفا ؛ وفى ع : « خيالات خيالات » وسقطت « أحلام » .

فَمَا يَنْبَغِي لكَ (١) أنْ تُولِيهِ حمدًا ولا ذمًا ؛ فإنَّكَ تَتَقَلَّدُ لهُ يدًا ولا يدا (٢) وتشكُو منْهُ ظُلْمًا ولا ظُلْما ؛ وهذا مأخوذٌ (٣) مِن شعرِ التِّهَامِيِّ (٤) :

لا تَحْمَدِ الدَّهرَ فِي بَأْسَاءَ يَكْشِفُهَا
فَلَوْ أَرَدْتَ دَوَامَ الْبُؤْسِ (٥) لَمْ يَدُمِ (٦)

ومِن ذلكَ ما ذكرْتُه فِي فصلٍ مِنْ كتابٍ يتضمَّنُ تعزيةً ، وهو : ولإنْ صَبَرْتُ فلأنَّ (٧) الجَزَعَ لا يُفِيدُ ردَّ الفائتْ ، ولقدْ عَلِمْتُ أنَّ للمُصابِ أجرًا ولكنْ (٨) لا يَفِي (٩) بِشَمَاتَةِ الشَّامِتْ (١٠)

وهذا مأخوذٌ مِن قولِ أبِي تَمَّام :

أَجْرٌ وَلَكِنْ قَدْ نَظَرْتُ فَلَمْ أَجِدْ
أَجْرًا يَفِي بِشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ (١١)

---

(١) « لك » غير موجودة فى ت ؛ وفى ع : « فما تنبغى » .

(٢) فى ن : « ولا يد » .

(٣) فى م : « مأخود » تصحيفا .

(٤) التهامى : أبو الحسن على بن محمد التهامى الشاعر المشهور ؛ قتل فى سجن القاهرة المحروسة سرا فى تاسع جمادى الأولى سنة ٤١٦ هـ . وفيات الأعيان ٣/٣٧٨ وما بعدها ، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٦٣ .

(٥) فى الأصل بخط مختلف : « الشيء » ؛ وما أثبته من ط ، وم ، ون ، وع ؛ وفى ت : فلو طلبت دوام البؤس لم يدم » .

(٦) البيت من البسيط فى ديوان التهامى ص ٣٣٧ من قصيدة يمدح بها الأمير نصر الدولة بن مروان بميافارقين ، شرح وتحقيق د. على نجيب عطوى ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت – لبنان ١٩٨٦ م ، وفى النجوم الزاهرة ٧/ ٣٤٥ ، وروايته :

لاتسأل الدهر في البأساء يكشفها فلو سألت ....

(٧) فى ت : « فإن » .

(٨) فى ت ، وط ، وم , ون ، وع : « ولكنه » .

(٩) فى ع : « لاينفى » تحريفا .

(١٠) فى م : « بشماتة الأعداء وللشامت » .

(١١) البيت من الكامل فى ديوان أبى تمام ١/ ١٧/ ق ١ .

ومِن ذلكَ مَا ذكرْتُه [١] فى وصفِ الحربِ ، وهوَ فصلٌ مِن كتابِ : مَرَرْنَا عليْهم مُرورَ [٢] الإمْحَال ، ولقيناهُم وهمْ رجالٌ بلا أرضٍ [٣] ، وتركْنَاهُم وَهُمْ أرضٌ بلا رجال . ولقدْ مَشَتْ المنايَا فِى دِمائِهِمْ [٤] حتَّى ظَلَّتْ [٥] حَسْرَى [٦] ، وَشَبعَ السيفُ مِنهم حتَّى تَمَرَّدَ بِطْنَةً [٧] ، وَشَرِبَ الرمحُ حَتَّى تَأَوَّدَ سُكْرًا [٨] ؛ فلمْ [٩] يَبْقَ للإسلامِ فِى عَدوِّهِ غِلٌ [١٠] إلاَّ شَفَاهُ ، ولا عندَه دَيْنٌ إلاَّ [استوْفَاه .

وبعضُ] [١١] هذا مأخوذٌ مِن شعرِ أبِى الطيِّبِ المتنبِّى فِى قولِهِ

وَكَمْ [١٢] رِجَالٍ بِلا أَرْضٍ لِكَثْرَتِهِمْ
تَرَكْتَ جَمْعَهُمُ أَرْضًا بِلا رَجُلِ [١٣]

وعلى هذا [١٤] الأسلوبِ جاءَ قولِى فى وَصْفِ [١٥] الحرْبِ أيضًا ، وهوَ : إذا أَيْتَمَ [١٦] السيوفَ مِن الأغمادِ ، فقدْ أَيْتَمَ الأولادَ مِن الآباءِ وَأَثْكَلَ الآباءَ

---

(١) فى ط : « ما وصفته » . (٢) فى ن : « مرر » خطأ .
(٣) فى ن : « رجال بالأرض » خطأ .
(٤) فى ن : « ذمائهم » .
(٥) فى م : « طلت » تصحيفا .
(٦) فى ع : « حرا » تحريفا . (٧) فى ت : « بطنه » .
(٨) فى الأصل : « سكران » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٩) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « ولم » .
(١٠) « غل » غير موجودة فى م ؛ وفى ن : « داء » .
(١١) ما بين المعقوفين ممحو فى الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(١٢) فى الأصل : « حكم » خطأ ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(١٣) البيت من البسيط فى ديوان المتنبى ص ٢٦٧ .
(١٤) فى ع : « هذه » خطأ .
(١٥) فى ت : « صفة » .
(١٦) فى الأصل بخط مختلف : « ولما ينم » وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع حتى يستقيم المعنى .

بالأولادِ[١] ؛ فَلا[٢] يُرَى أَدْهَمُ نَقْعٍ[٣] إلاَّ وهوَ ببياضِهَا أَبْلَقُ[٤] ، ولا أَحْمَرُ دَمٍ[٥] إلاَّ وهوَ بِحَدِّهَا مُهْرَقٌ[٦] ، ولا فَيْلَقٌ « جَمْعٍ إلاَّ وقدْ هُزِمَ بها[٧] ذلكَ الْفَيْلَقُ »[٨] ، فهِيَ مَصَارِعُ النُّفوسِ[٩] ، ومَطَالِعُ السُّعُودِ والنُّحُوسِ » ، والنَّارُ التِّى [قد][١٠] عُبِدَتْ مِن قِبَلِ المَجُوسِ »[١١] .

ويعضُ هذا مأخوذٌ مِن شعرِ أَبِى الطَّيِّبِ المتنبِّى :

يُرَوِّى بِكَالفِرْصَادِ[١٢] فِى كُلِّ غَارَةٍ
يَتَامَى مِنَ الأَغْمَادِ[١٣] بِيضًا وَيُؤْتِمُ

يَشُقُّ بِلادَ الرُّومِ وَالنَّقْعُ أَبْلَقٌ
بِأَسْيَافِهِ وَالْجَوُّ بِالنَّقْعِ أَدْهَمُ[١٤]

ومِن ذلكَ مَا ذكرْتُه فِى فصلٍ مِن كتابٍ « كتبْتُه عَن الملكِ الأفضلِ عَلِى بْنِ يوسفَ بْنِ أَيُّوب[١٥] إلى ابنِ عمِّهِ الملكِ الأشرفِ موسَى بْنِ أَبِى بَكْرِ [بْنِ

(١) فى ع : « وأثكل الآباء من الأولاد » .

(٢) فى م : « ولا » .

(٣) فى م : « يقع » تصحيفا .

(٤) فى ع : « أيلق » تصحيفا .

(٥) « دم » غير موجودة فى م .

(٦) فى ن : « محرق » تحريفا ؛ وفى ع : « عدها مهرق » تحريفا .

(٧) فى ن : « لها » .

(٨) ما بين علامتى التنصيص سقط من ع .

(٩) فى ت : « للنفوس » .

(١٠) الزيادة من ط ، ون .

(١١) ما بين علامتى التنصيص سقط من م .

(١٢) فى م : « بك الفرصاد »· و الفِرْصادُ: التُوتُ، وقيل حَمْلُه وهو الأَحمر منه. والفِرْصادُ: الحُمْرَة . اللسان فى (ف رص د)·.

(١٣) فى ع : « الأعماد » تصحيفا . ورواية البيت الأول : ···,.. ... تنضى فتوتم .

(١٤) البيتان من الطويل فى ديوان المتنبى ص ١٠٥ . والنقع : الغبار . اللسان (ن ق ع) ، وأبلق : فيه سواد وبياض . اللسان (ب ل ق) ، الأدهم : الأسود . اللسان (د هـ م) .

(١٥) الأفضل هو : أبو الحسن على نور الدين بن صلاح الدين الأيوبى ؛ ولد بمصر ليلة عيد الفطر سنة ٥٦٥ هـ ؛ تسلطن بدمشق . وتوفى فجأة بسميساط فى صفر سنة ٦٢٢ هـ . =

أَيُّوب](١) ، وهوَ إِذْ ذاكَ صاحبُ مدينةِ حَرَّانَ (٢) وما وَالاهَا مِن البلادِ الفُرَاتِيَّةِ (٣) ، وكانَ غابَ (٤) عنها فِي سَفَرٍ طالتْ مُدَّتُه ، وجاءَ الشتاءُ وَوَقَعَ المطرُ قبلَ عودِهِ ؛ فأصدرْتُ هذا الكتابَ إليْه فى هذا المعنَى » (٥) ، وهوَ : الكريمُ تتحاسَدُ (٦) البلادُ علَى مواطِئِ قَدَمِهِ ، وتشتاقُ (٧) إليهِ شَوْقَ (٨) الروضِ إلى عقائقِ (٩) دِيَمِهِ ، كَمَوْلانَا فَلا (١٠) يَحِلُّ أرضًا إلاَّ حَلَّتْهَا النعماءُ ، وَحَسَدَتْهَا السماءُ ، وأَضْحَتْ (١١) حديثًا فى الآفاقِ حتَّى يُقالَ : فالقصرُ (١٢) فالنخلُ فالجمَّاءُ (١٣) . وقدْ أَلِفَتْ (١٤) أرضُ الجزيرةِ أنْ يَمُرَّ بهَا مرورَ السحابِ ويُخَفِّفَ عنْها (١٥) ثِقَلَ مِنَنِهِ ، ومِن عادةِ المِنَنِ

= انظر ترجمته فى : سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٩٤ وما بعدها ، وفيات الأعيان ٣/ ٤١٩ وما بعدها ، البداية والنهاية ١٣/ ١٠٨ ، الكامل ١٠/ ٤٤٥ ، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٦٣ .

(١) صاحب دمشق السلطان الملك الأشرف مظفر الدين أبو الفتح موسى شاه أرمن بن الملك العادل ؛ ولد فى القاهرة ٥٧٦ هـ ؛ ومات رابع المحرم ٦٣٥ هـ ، انظر ترجمته فى : سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٢٢ وما بعدها ، وفيات الأعيان ٥/ ٣٣٠ وما بعدها ، شذرات الذهب ٣/ ١٧٥ ، مآثر الإنافة ٢/ ٨٤ وما بعدها ، النجوم الزاهرة ٦/ ٣٠٠ وما بعدها .

(٢) « مدينة » غير موجودة فى ت ؛ وحرَّان : مدينة عظيمة مشهورة ؛ فتحت أيام عمر بن الخطاب على يد عياض بن غنم ، وينسب إليها جماعة كثيرة من أهل العلم . معجم البلدان ٢/ ٢٣٥ وما بعدها ، معجم ما استعجم ١/ ٤٣٥ ، تاريخ الطبرى ١/ ١٨٨ .

(٣) فى ع : « الحرانية » ؛ وفى ط : « الفرانية » .

(٤) « غاب » غير موجودة فى ت .

(٥) ما بين علامتى التنصيص الذى بدأ فى منتصف السطر قبل الأخير فى الصفحة السابقة حتى هنا سقط من م ، ون .

(٦) فى م : « يتحاسد » .

(٧) فى م : « وتشاق » ؛ وفى ع : « نشتاق » .

(٨) فى ع : « الشوق » خطأ .

(٩) فى ن : « عقائل » .

(١٠) فى م : « لا » .

(١١) فى ن : « وأصبحت » .

(١٢) فى م : « القصر » .

(١٣) فى ع : « والجماء » .

(١٤) فى ط : « ألقت » تصحيفا .

(١٥) « عنها » سقطت من م .

إثقالُ الرقابِ ، ولمَّا غابَ عنها في هذا العامِ جادَهَا [١] الغيثُ قَبْلَ نداهُ ، ونابتْ عن يديْه الكريمتينِ يداهُ . فلهُ حينئذٍ [٢] أنْ يَفْخَرَ [٣] علَى أشباهِهِ مِن الغُيوثِ وأمثالِهِ ، وأنْ يُسَاجِلَ [٤] فيضَ البحرِ بفيضِ سِجَالِهِ .

وفِى هذا الكلامِ مواضعُ [٥] مأخوذةٌ مِن الشعرِ ؛ فمِن ذلكَ قولُ أبِى الطيِّبِ المتنبِّى [٦] :

تَحَاسَدَتِ الْبِلْدَانُ حَتَّى لَوَ انَّهَا
نُفُوسٌ لَسَارَ الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ نَحْوَكَا [٧]

ومِن ذلكَ قولُ أبِى عُبادةِ البُحْتُرِىِّ :

مَا كَانَ فَيْضُ الْمُزْنِ يَطْمَعُ قَبْلَهَا
[فِى] [٨] أَنْ يَجِئَ نَدَاهُ قَبْلَ نَدَاكَا [٩]

ومِن ذلكَ قولُ أَبِى قَطِيفَة ، وهوَ صوتٌ يُغَنَّى بِهِ مشهورٌ بينَ الناسِ [١٠] :

---

(١) فى م : « جادلها » تحريفا .
(٢) «حينئذ » غير موجودة فى ط .
(٣) فى م ، ون : « يفتخر » .
(٤) فى ع : « يساحل » تصحيفا .
(٥) فى ع : « مواضيع » خطأ .
(٦) « أبى الطيب » غير موجودة فى ت .
(٧) البيت من الطويل فى ديوان المتنبى ص ١٣٧ وروايته :

نفوس لسار الغرب والشرق نحوكا

(٨) فى الأصل : « من » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع . وهى رواية الديوان .
(٩) البيت من الكامل فى ديوان البحترى ٣/١٥٦٩ / ق ٦١٥ وروايته :

ما كان صوب المزن يطمع قبلها

(١٠) « مشهور » غير موجودة فى ت ؛ وأبو قطيفة هو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط ؛ ويقال له أبو قطيفة الأموى ، نزهة الألباب فى الألقاب ١/٢٠٣ و ٢/٢٧٠ ، ومعجم ما استعجم ٣/ ٩٣٢

فَالْقَصْرُ فَالنَّخْلُ فَالْجَمَّاءُ بَيْنَهُمَا [١]
أَشْهَى إِلَى الْقَلْبِ [٢] مِنْ أَبْوَابِ جَيْرُونِ [٣]

ومِن ذلكَ مَا ذكرْتُه فِي مُصاحَبَةِ اللئيمِ ، وهوَ : إِذَا جَارَى الكريمُ لئيمًا عُدَّ لئيمًا ، ولمْ [٤] يُغْنِهِ إنْ كانَ كريمًا ؛ فإنَّ القرينَ بقرينِهِ ، ودينُه معدودٌ مِن دينِهِ .

وهذَا مأخوذٌ مِن شعرِ أبِي تمَّام فِي قولِهِ [٥] :

إِذَا جَارَيْتَ فِي خُلُقٍ لَئِيمًا فَأَنْتَ وَمَنْ تُجَارِيهِ سَوَاءُ [٦]

ثمَّ ذكرْتُ هذَا المعنَى مُكررًا ، فقُلتُ : إِذَا ماشيتَ اللئيمَ فِي طُرُقِهِ ، فقدْ ساويتَه فِي خُلُقِهِ وكذلكَ قلتُ : إِذَا اتَّخذْتَ اللئيمَ خَلِيلا ، فقدْ صِرْتَ لهُ عَدِيلا . ثُمَّ تَصَرَّفْتُ فِي هذَا المعنَى فضربْتُ لهُ مِثالاً [٧] ، وذلكَ قولِي : مُجاراةُ اللئيمِ تَسِمُ وجهَ الحَسَبِ ، وتُلْحِقُ النَّبْعَ بالغَرَبِ [٨] ؛ فإنَّ الخُلُقَ السَّيِّئَ [٩] يستتبعُ الحَسَنَ علَى أَثَرِهِ ، وكَدَرُ الماءِ لا يُغْلَبُ بصفوِهِ [١٠] ، وصفوُهُ مَغلوبٌ بِكَدَرِهِ

وهذَا ليسَ مِن هذَا [١١] الفصلِ الذِي هوُ حَلُّ الشعرِ بلفظِهِ ، وإنَّمَا ذكرْتُه هَهُنا

---

(١) فى ع مكان : « فالجماء بينهما » كشط ؛ وفى الهامش مكتوب : « المهمان » .

(٢) فى ت كتب الناسخ كلمة : « النفس » ؛ وكتب فوقها : « القلب » وكلمة : « صح » بجوارها ؛ ولم يمح كلمة : « النفس » .

(٣) البيت من البسيط فى تجريد الأغانى القسم الأول/ الجزء الأول/ ص ١٤ ؛ وروايته :
القصر .... من أكناف ....

(٤) فى ط : « إذا جارى الكريم لئيما فلم يغنه إن كان كريما » وهى عبارة مضطربة .

(٥) فى ع : « من قول أبى تمام فى شعره » .

(٦) البيت من الوافر فى ديوانه ٤/٢٩٦ / ق ٣٤٢ ؛ وروايته :

إذا جاريت فى خلق دنيئا

(٧) فى م : « أمثالا » .

(٨) الغرب : الماء السائل بين الحوض والبئر ، اللسان (غ ر ب) .

(٩) فى ن : « السئى » خطأ . (١٠) فى م : « لا يغلب صفوه » .

(١١) « هذا » سقطت من ن .

لأنَّه مِن أقرانِ (١) هذَا (٢) المعنَى . والأقوالُ تَتَّسِعُ (٣) فِى حَلِّ بعضِ الشعرِ دونَ بعضٍ (٤) ، وهذَا يَجِئُ فِى الأقسامِ الثلاثةِ : مِن حَلِّهِ بلفظِهِ ، وحَلِّهِ ببعضِ لفظِهِ ، وحَلِّهِ بغيرِ لفظِهِ ، إلاَّ أنَّ وجودَهُ فِى القسمينِ (٥) الآخرينِ (٦) أكثرُ مِن وجودِهِ فِى القسمِ (٧) الأوَّلِ .

والسببُ (٨) فِى ذلكَ أنَّ حَلَّ الشعرِ « بلفظِهِ لا يُتَمَكَّنُ مِن التصرُّفِ فِيهِ ، وغايةُ المتصدِّى لهُ أنْ يُقَدِّمَ اللفظَ ويُؤَخِّرَهُ (٩) ، ولا [يكادُ] (١٠) يَجِئُ ذلكَ إلاَّ فِى مثالٍ واحدٍ أو مثالينِ . وأمَّا حَلُّ الشعرِ » (١١) ببعضِ لفظِهِ والتَّصَرُّفِ فِى البعضِ بلفظٍ آخَرَ ؛ أوْ حَلُّهُ (١٢) بغيرِ لفظِهِ ، فإنَّ المجالَ يَتَّسِعُ فِيهِ ، ولا يُتَقَيَّدُ فِيهِ بقيدٍ .

ومِن هذَا البابِ الذِى هوَ حَلُّ الشعرِ (١٣) بلفظِهِ مَا ذكرْتُه فِى وَصْفِ الكرمِ (١٤) ، وهوَ : ولا يكونُ الكريمُ كريمًا ، حتَّى يكونَ لمُعْتَفِيهِ غَرِيمًا (١٥) ؛ فإنَّ العَطَايَا

---

(١) فى ع : « أقراب » تحريفا .

(٢) فى م : « هذه » خطأ .

(٣) فى ن : « تتبع » تحريفا .

(٤) فى ع : « فى حل بعض الشعر دون بعض الشعر دون بعض » .

(٥) فى ن : « وجود القسمين » .

(٦) فى م : « الأخيرين » .

(٧) فى ن : « وجود القسم » .

(٨) فى ع : « الأوالسبب » خطأ .

(٩) فى م : « أو يؤخره » .

(١٠) فى الأصل : « ولا يجىء » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، وع .

(١١) ما بين علامتى التنصيص سقط من ن .

(١٢) فى ت ، وط ، وم ، وع : « وحله » .

(١٣) فى ط : « الشغر » تصحيفا .

(١٤) فى ط ، وم ، ون : « الكريم » .

(١٥) فى م : « عريما » تصحيفا .

حقوقٌ [١] واجبةٌ علَى أقوام ، وإذَا [٢] لَمْ يَجُدْ الغمامُ بمائِهِ فَأَيُّ فائدةٍ فِى كثرةِ ماءِ الغمام .

وهذَا مأخوذٌ مِن شعرِ أَبِى تمَّامٍ فِى قولِهِ [٣] :

أَعْطَيْتَنِى دِيَةَ الْقَتِيلِ وَلَيْسَ لِى عَقْلٌ وَلا حَقٌّ عَلَيْكَ قَدِيمُ
إلاَّ نَدًى كَالدَّيْنِ حَلَّ قَضَاؤُهُ إِنَّ الْكَرِيمَ لِمُعْتَفِيهِ غَرِيمُ [٤]

ومِن ذلكَ مَا ذكرْتُه فِى إِكْدَاءِ المطلبِ [٥] وإخفاقِ المَسْعَى ، وهوَ : تَوَانَى عنْهُ وَشِيكُ النجاحِ ، وَوُكِّلَتْ بِهِ عَزْمَةٌ أَوْقَفَتْهُ [٦] علَى رِجْلٍ وأَنْهَضَتْهُ بجناحٍ ، ويمنَعُه مِن الإيابِ [٧] علَى عَجَلٍ أنَّ القضاءَ علَى مَهَلٍ .

وهذَا مأخوذٌ مِن قولِ أَبِى تَمَّام :

تَوَانَى [٨] وَشِيكُ النُّجْحِ عَنْهُ وَوُكِّلَتْ
بِهِ عَزَمَاتٌ أَوْقَفَتْهُ [٩] عَلَى رِجْلِ
وَيَمْنَعُهُ [١٠] مِنْ أَنْ يَكُونَ زِمَاعُهُ
عَلَى عَجَلٍ أَنَّ الْقَضَاءَ [١١] عَلَى رِسْلِ [١٢]

---

(١) فى ن : « فإن للعطاء حقوقا » . (٢) فى ع : « إذا » خطأ .
(٣) فى ن : « وهو قوله » ؛ و « فى قوله » سقطت من ع .
(٤) البيتان من الكامل فى ديوان أبى تمام ٣/ ٢٩٢/ ق ١٦٠ .
(٥) فى ن : « الطلب » ؛ وفى ع : « المطالب » .
(٦) فى م : « أوفقته » تصحيفا .
(٧) فى ط : « الأنات » تصحيفا .
(٨) فى ن : « تولى » . (٩) فى : « أوفقته » تصحيفا .
(١٠) فى م : « وتمنعه » . (١١) فى ن : « القضايا » .
(١٢) البيتان من الطويل فى ديوان أبى تمام ٤/ ٥٢٣ / ق ٤٦٨ ، وروايتهما :

بـه عـزامـات

يـبـيـت زماعه

ومِن ذلكَ مَا ذكرْتُه فِى المُعَاتَبَةِ (١) ، وهوَ إنْ تأخّرَتْ كُتُبِى عَنْ فُلانٍ فالأعذَارُ (٢) عنها ظاهِرَة ، والأحوالُ (٣) فيهَا عاذِرَة . وقدْ عَلِمَ أنَّ مرضَ الأيامِ كمرضِ الأجسامِ ، والعيادةُ فيهِمَا سُنَّةٌ مَأجورةٌ ، ومَكْرُمَةٍ مَأْثُورَةٌ (٤) . « ومع هذَا فنحنُ المرضَى ونحنُ العوّادُ ، وكُلُّ ودادٍ لا يدومُ علَى ذلكَ فليسَ بوداد » (٥)

وهذَا مأخوذٌ مِن شعرِ أبِى الطيِّبِ المتنبِّى وغيرِهِ ، أمّا أبُو الطيِّبِ فقولُه (٦) :

وَكُلُّ (٧) وِدَادٍ لا يَدُومُ عَلَى الأَذَى دَوَامَ وِدَادِى للأَمِيرِ ضَعِيفُ (٨)

وأمّا غيرُ أبِى الطيِّبِ فقولُه

إِذَا مَرِضْتُمْ (٩) أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمُ وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيكُمْ فَنَعْتَذِرُ (١٠)

ومِن ذلكَ مَا ذكرْتُه (١١) فِى تهذيبِ النفسِ ، وهو : هَذَّبْتُ (١٢) نفسِى حتَّى

---

(١) فى ن : « المكاتبة » تحريفا .وفى هامش ع عنوان جانبى : « فى العذر عن تأخر الكتابة » .

(٢) فى م : « الأعذار » ؛ وفى ع : « فلأعذار » خطأ.

(٣) فى م : « الأهوال » تحريفا .

(٤) « ومكرمة مأثورة » سقطت من ن .

(٥) ما بين علامتى التنصيص سقط من ع .

(٦) فى الأصل : « مأخوذ من شعز أبى الطيب فقوله » ؛ وفى ت ، وط : « مأخوذ من شعر أبى الطيب فى قوله » ؛ وفى م : « مأخوذ من شعر أبى الطيِّبِ المتنبِّى فقوله » ؛ وفى ع : « ومع هذا مأخوذ من شعر أبى الطيِّبِ المتنبِّى فقوله » ؛ وما أثبته من ن حتى يستقيم السياق .

(٧) فى ت : « فكل » .

(٨) البيت من الطويل فى ديوان المتنبى / ٢٤١ ، وروايته :

للحسين

(٩) فى ن : « مرضنا » .

(١٠) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « ونعتذر » . والبيت من البسيط فى المستطرف فى كل فن مستظرف ١/ ٤١٢ ، و ٢/ ٥٧١ . ومنسوب لمحمد بن حمير الهمذانى ولم أعثر له على ديوان .

(١١) فى ن : «ذكرنه » خطأ . (١٢) فى م : « هدبت » تصحيفا .

تَهَذَّبَتْ ، وَغَرَّبْتُهَا مِنَ الجَسَدِ (١) قبلَ [تغريبِها] (٢) فَتَغَرَّبَتْ ، وبالتدريجِ أَوْصَلْتُهَا إلى هذهِ الدرجةِ [فَتَوَصَّلَتْ] (٣) ؛ وذلك من فقه الرجل مَئِنَّتَهُ (٤) وقدْ كانتْ أمّارةً ثمّ صارتْ لوّامةً ، وهىَ الآنَ مطمئنّةٌ . فأنَا أَصْرِفُهَا (٥) كمَا أَشْتَهِى ، وآمرُهَا وأنهاهَا فَتَأْتَمِرُ (٦) وتنتهِى ومِن صفاتِهَا أنّهَا لا تُمْنَى مِن غيرِهَا بزاجِرٍ ، وقدْ استوتْ حالتاهَا (٧) فِى باطنٍ مِن الأمرِ وظاهرٍ (٨)

ومِن (٩) هذَا الكلامِ مَا هوَ (١٠) مأخوذٌ مِن قولِ مُسْلِم بْنِ الوليدِ

رَكَنْتُ إِلَى نَفْسٍ (١١) كَفَتْنِى عِتَابَهَا

وَلَمْ تُمْنَ مِنْ نَفْسٍ (١٢) سِوَاهَا بِزَاجِرِ (١٣)

ومِن ذلكَ مَا ذكرْتُه فِى ذَمِّ البُخْلِ (١٤) ، وهوَ : جَمْعُ المالِ فَقْرٌ لا غِنًى ، وهوَ

---

(١) فى ن ، وع : « الحسد » تصحيفا .

(٢) موجودة فى هامش صفحة الأصل ؛ لكنها مقطوعة ولا تقرأ ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع ؛ وفى م : « تعريتها فتعربت » .

(٣) زيادة يقتضيها السياق انفردت بها ط .

(٤) هذه الكلمة غير مقروءة فى م ؛ وط ؛ وفى ن : « من فقه الرجل سنه » . ومَئِنَّةُ الرجل : بيان منه ، وخليق به . اللسان (م أ ن) .

(٥) فى ط ، وع : « أصرّفها » .

(٦) فى ع « فتأمر » .

(٧) فى م : « حالتها » .

(٨) فى ن « والظاهر » .

(٩) « من » سقطت من ع .

(١٠) « ما هو » سقطت من ع .

(١١) فى ن : « نفسى » .

(١٢) فى ن : « نفسى » .

(١٣) البيت من الطويل ولم أجده فى ديوان مسلم بن الوليد .

(١٤) فى م : « النجل » تصحيفا .

كشجرةٍ لا ظِلَّ لهَا ولا جَنَى ؛ وصاحبُه لا يستفيدُ بِهِ إلاَّ ذَمًّا ؛ ولا يستزيدُ بالسّعْيِ [لَهُ] (١) إلاَّ هَمًّا ؛ فهوَ لهُ عَبْدٌ يَخْدِمُهُ ولا يَثْلِمُهُ (٢) ، بلْ أُمٌّ تُرْضِعُهُ ولا تَفْطِمُهُ ، ويا ويلَهُ أَلَمْ يعلمْ أنَّ اليسارَ علَى هذهِ الحالِ هوَ عينُ الإملاقِ ، وأنَّ الحَجَرَ والذَّهَبَ (٣) سواءٌ ؛ إذَا لمْ تتصرَّفْ فيهِ يَدُ الإنفاق ! وقدْ قِيلَ إنَّ فَضْلَةَ المالِ (٤) داءٌ للأعراضِ (٥) كمَا أنَّ فَضْلَةَ الزادِ (٦) داءٌ للأجسادِ (٧) ، وعلاجُهُمَا شيءٌ واحدٌ فِي الوقوفِ علَى درجةِ الاقتصادِ .

ومِن هذَا الكلامِ مَا هوَ مأخوذٌ مِن شعرِ أبِى تمَّامٍ ، ومنه مَا هوَ (٨) مأخوذٌ مِن شعرِ أبِى الطيِّبِ المتنبِّى ؛ أمَّا أبو تمَّام فقولُه :

أَرَى فَضْلَ مَالِ الْمَرْءِ دَاءً لِعِرْضِهِ   كَمَا أَنَّ فَضْلَ الزَّادِ دَاءٌ لِجِسْمِهِ (٩)

وأمَّا قولُ أبِى الطيِّبِ المتنبِّى (١٠) :

وَمَنْ يُنْفِقُ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ (١١) مَالِهِ
مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِى فَعَلَ الْفَقْرُ (١٢)

---

(١) زيادة من ط ، وم ، ون .

(٢) الثلم : الكسر . اللسان (ث ل م) .

(٣) فى ت ، وط ، ون ، وع : « الذهب والحجر » .

(٤) فى م : « الماء » .

(٥) فى ت : « الأعراض » .

(٦) فى ع : « كما لفضلة الزاد » .

(٧) فى ت : « لأجساد » .

(٨) « ما هو » غير موجودة فى ط ، وم .

(٩) البيت من الطويل فى ديوان ابن الرومى ٦/ ٦١ / ق ١٦٨٩ ، شرح وتحقيق عبد الأمير على مهنا ، دار ومكتبة الهلال - بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١ م . وقرى الضيف ١/ ١٧١

(١٠) فى ن : « وأما قول أبى الطيِّبِ المتنبِّى فقوله » .

(١١) فى ع : « جميع » خطأ يؤدى إلى كسر فى الوزن ، وخلل فى المعنى .

(١٢) البيت من الطويل فى ديوان المتنبى / ص ١٧٥

ومِن هذَا البابِ مَا ذكرْتُه فِي وَصْفِ الصنائعِ ، وهوَ : وصنائعُ [١] المعروفِ وإنْ أُورِثَتْ مِن [٢] الثناءِ خلودًا [٣] ، وكانتْ لغيرِ ذوِي الجدودِ جدودًا ؛ فإنَّها تُبْتَنَى [٤] بمَا يَفْنَى ولا يَبْقَى . وتَرْقَى بصاحبِهَا إلى منالَ [٥] النجمِ وهوَ لا يَرْقَى . والسعيدُ مَن جَعَلَ مالَهُ نَهْبًا [٦] للمعالِي لا لليالِي [٧] ، وعُرْضَةً للمآثرِ ، لا للذخائرِ [٨] . ومَن نالَ الدنيَا فَاشْتَرَى آخرَتَه ببعضِهَا ، وأَقْرَضَ اللهَ مِن مواهبِهِ الَّتِي دعاهُ إلَى قَرْضِهَا ؛ فذلكَ [٩] الذِي فازَ بالدارينِ ، وَحَظِيَ فيهِمَا [١٠] برفعِ المنارينِ .

وبعضُ [١١] هذَا الكلامِ مأخوذٌ [١٢] مِن شعرِ أَبِي تمَّامٍ فِي قولِهِ :

سَلَفُوا يَرَوْنَ الذِّكْرَ عَقْبًا صَالِحًا
وَمَضَوا [١٣] يَعُدُّونَ الثَّنَاءَ خُلُودَا [١٤]

وكذلكَ قولُهُ :

---

(١) فى ط ، وم : « صنائع » .

(٢) فى ت : « فى » .

(٣) فى ع : « جلودا » تصحيفا .

(٤) فى ط : « لا تبتنى » ؛ وفى ن : « فإنها تبقى ولا يبقى » .

(٥) فى ن : « منازل » .

(٦) « نهبا » سقطت من ن .

(٧) فى ع الليالى » تصحيفا .

(٨) فى ع : « لا للزخائر » تحريفا .

(٩) فى ت ، وط : « فذاك » ، وفى م : « وذلك » .

(١٠) فى م : « فيها » ، وفى ع : « وخطى فيهما » تصحيفا .

(١١) « بعض » سقطت من ع .

(١٢) فى الأصل : « وبعض هذا الكلام (كشط) من شعر » ، و فى ت : « هذا مأخوذ من » ، وما أثبته من ط ، وم ، ون .

(١٣) « ومضوا » غير مقروءة فى ع .

(١٤) البيت من الكامل فى ديوان أبى تمام ١/ ٤٢١/ق٤٠ .

ثَوَى مَالُهُ نَهبَ الْمَعَالِى (١) وَأَوْجَبَتْ
عَلَيْهِ زَكَاةُ الْجُودِ (٢) مَا لَيْسَ وَاجِبَا (٣)

ومِن ذلكَ مَا ذكرْتُه فِى إجمالِ الطلبِ ، وهوَ : يَنبغِى للمرءِ ألاَّ يحرصَ فِى (٤) طلبِ رزقِهِ ، بلْ يَكِلُهُ إِلَى اللهِ [تعالَى] (٥) الذِى تَوَلَّى (٦) القسمةَ فِى خلقِهِ ؛ فإنَّ النسرَ يأكلُ بعُنقِهِ والنحلُ يَرْعَى الشهدَ بِرِفْقِهِ .

وهذَا مأخوذٌ مِن قولِ بعضِهِمْ :

يَا طَالِبَ الرِّزْقِ السَّنِىِّ بِقُوَّةٍ   هَيهَات أَنْتَ بِبَاطِلٍ مَشْعُوفُ (٧)
أَكَلَ الْعُقَابُ بِقُوَّةٍ جِيَفَ (٨) الْفَلا   وَرَعَى الذُّبَابُ الشَّهْدَ وَهُوَ ضَعِيفُ (٩)

ومِن ذلكَ مَا ذكرْتُه فِى وَصْفِ سحابٍ ، وهوَ (١٠) : سارِيَةٌ تَمْشِى (١١) لثقلِهَا

---

(١) فى ع : « الليالى » .
(٢) فى ط كتب فوق كلمة « الجود » كلمة : الحمد .
(٣) فى ع : « واحيا » تصحيفا . والبيت من الطويل فى ديوانه ١/ ١٤٤/ ق١٠ ، وروايته :

. . . .   فــأوجــبــت

(٤) فى ن : « على » .   (٥) الزيادة من م .
(٦) « تولى » غير موجودة فى ع .
(٧) فى ط : « مسعوف » ، وفى م ، و ن : « مشغوف » .
(٨) فى ع : « حيف » تصحيفا .
(٩) البيت الثانى موجود فى ديوان الإمام الشافعى / ١٢٩ ، جمعه وحققه وعلق عليه زهدى يكن ، دار الثقافة - بيروت . وفى قرى الضيف ٥/ ٣١ البيتان منسوبان للمخزومى ، ولم أعثر له على ترجمة فيما تحت يدىّ من مصادر ، وهما من الكامل ، وروايتهما :

أتــجــاول الــحــظ الــســنــى بــقــوة
هــيــهــات أنــت بــبــاطــل مــشــغــوف
رعت العقاب بقوة جيف الفلا
ورعى الذباب النور وهو ضعيف

(١٠) « وهو » غير موجودة فى ط .   (١١) فى ع : « يمشى » .

مَشْىَ (١) الرَّدَاحِ (٢) ، ويكادُ يلمسُهَا (٣) مَن قامَ بالراحِ ، ومَا نُتِجَتْ نِتَاجًا إلاَّ أَسَرَتْ فِى ضِمْنِهِ (٤) حَمْلَ لِقَاحٍ (٥) ، ومَا أظلمتْ (٦) إلاَّ أضاءَ البرقُ فِى جوانبِهَا فتمثَّلَتْ ليلاً فِى صَبَاحٍ ؛ فهىَ مُسْوَدَّةٌ مُبْيَضَّةُ الأيادِ ، مُقِيمَةٌ وهىَ مِن الغَوَادِ ، نَوَّامَةٌ علَى طولِ سهرِهَا بالوهادِ (٧) ؛ فكمْ فِى قَطرِهَا مِن ديباجةٍ لَمْ تُصْبَغْ أَفْوَافُهَا ، ولؤلؤةٍ لَمْ تُشَقَّ (٨) عنها أصدافُها ، ومِسْكَةٌ (٩) لَمْ تُخالِطْ سُرَرَ الغزلانِ أعرافُها ؛ فمَا مَرَّتْ بأرضٍ إلاَّ أحيتْهَا بعدَ مماتِهَا ، وَوَسَمَتْهَا بأحسنِ سِمَاتِهَا ، وغادرتْ غُدْرَانَهَا فائضةً مِن جَمَّاتِهَا (١٠) ومثَّلتْها والنبتُ (١١) مُطِيفٌ بِهَا بالأقمارِ المُتَلَفِّعَةِ بِأَرْدِيَةِ ظلماتِهَا .

وبعضُ هذَا الكلامِ [مأخوذٌ] (١٢) مِن شعرِ أَوْس بْنِ حَجَرٍ (١٣) :

دَانٍ مُسِفٌ فُوَيْقَ الأَرْضِ هَيْدَبُهُ
يَكَادُ يَلْمِسُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ (١٤)

---

(١) فى م : « ثقل » ، وفى ع : « شى » تحريفا .
(٢) الرداح : الثقيلة العظيمة ، اللسان (ردح) .
(٣) فى ع : « ملمسها » تحريفا .
(٤) فى ط : « أسْرَتْ » ، وفى ت ، وع : « أسَرّت » ، وفى ن : « أسرت ضمنه » ، وفى ط : « صمنه » .
(٥) فى ن : « اللقاح » ، وفى ع : « جمل لقاح » تصحيفا .
(٦) فى ت ، وط ، وم ، وع : « ولا أظلمت » ، وفى ن : « ولا أظلت » تحريفا .
(٧) فى ن : « بالواد » . (٨) فى ت : « يشق » ، وفى ن : « تنشق » .
(٩) فى ع : « ومكة » تحريفا . (١٠) فى ن : « قابضة حماتها » تحريفا .
(١١) فى م : « والبيت » تحريفا .
(١٢) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(١٣) فى م : « شعرأبى أوس » خطأ . وأوس بن حجر « أبو شريح » شاعر جاهلى ؛ الإكمال لابن ماكولا ٤/ ٢٨٢ .
(١٤) البيت من البسيط فى ديوان أوس بن حجر ص١٥/ ق ٥ ؛ تحقيق وشرح : د . محمد يوسف نجم ، ط ٢ ، دار صادر بيروت . ورواية شطره الثانى :

.... يكاد يدفعه من قام بالراح

ومِن شعرِ أبِى تمَّام ، وهوَ قولُهُ :

سَارِيَةَ مُسْمِحَةَ (١) الْقِيَادِ

مُسْوَدَّةَ مُبْيَضَةَ الأيَادِى

سَهَّارَةَ نَوَّامَةَ بِالْوَادِى (٢)

« ومِن ذلكَ مَا ذكرْتُه فِى استطرافِ المُلْكِ ، وهوَ فصلٌ مِن كتابٍ ، فقلتُ : لايقومُ بِخَلْقِ (٣) المُلْكِ إلاَّ مَن خُلِقَ عزمُه مِن حجارةٍ أوْ حديد ، ولمْ يَتَنَجَّمْ فِى سعيهِ (٤) بطالعِ ميلادٍ قديمٍ ولا بطالعِ وقتٍ جديد ؛ فهوَ مِن أبناءِ الحروبِ الذينَ نَشَأُوا فِى حجرِهَا ، وأَنِسُوا بملاعبةِ بِيضِهَا وسُمْرِهَا ، وصاهَرُوا (٥) المنايَا حتَّى صارُوا أحقَّ بنسبِهَا وصهرِهَا ؛ فلقاءُ الأعداءِ عندَهُم كلقاءِ الإخوان ، والطعنُ فِى الهيجاءِ كالطعنِ فِى الميدانِ . فإنْ خُصَّتْ أكفُّهم بالسماحةِ ، ووجوهُهم بالصباحةِ ؛ قيلَ : كَمُلَتْ المعانِى والصور ، وجاءُوا المعالِى (٦) علَى قَدَر ؛ فإذَا اسْتَلأَمُوا (٧) الدروعَ رأيتَ بحورًا فِى ضمنِ سُحُب ، وإذَا تَقَلْنَسُوا البيضَ رأيتَ بدورًا مِن تحتِ مطالعِ شُهُب ومَن كانتْ هذهِ صفاتُه فإنَّهُ خليقٌ (٨) باستنتاجِ مُلْكٍ عَقِيم ، واستحداثِ التقدُّم غيرَ وارثٍ لَهُ عَن قَدِيم ، ولا مِرَاءَ فِى أنَّ (٩) الأبوةَ للمساعِى لا للأنساب ، وأنَّ الاعتزاءَ إلَى الذكرِ الباقِى لا إلَى التراب . وإذَا كشفْتَ عَن الأخبارِ

---

(١) فى ن : « وسمحة » خطأ .

(٢) البيتان من الرجز فى ديوان أبى تمام ٤/ ٥١٢/ ق ٤٦٣ ورواية البيت الثانى :

سهادة نوامة بالوادى

كثيرة التعريس بالوهاد

(٣) فى ت : « بحق » .

(٤) « فى سعيه » سقطت من ع .

(٥) فى ت : « وساهروا » .

(٦) فى ع : « المعانى » تحريفا .

(٧) فى ت : « استلموا » .

(٨) فى ع : « يطيق » تحريفا .

(٩) فى ت : « ولا مراء أن » ، وفى ط : « والأمراء فى أن » تحريفا .

السالفةِ ، ونظرْتَ إلَى الأحوالِ الآنفةِ لمْ تَجِدْ مُقيمى الدولِ إلاَّ رجالاً مِن أطرافِ الناسِ ، ولا يظفرُ بذلكَ إلاَّ مَن هانتْ عليهِ وجوهُ الإنفاقِ (١) ومِن الجملةِ إنفاقُ الراسِ ، وقدْ قيلَ : إنَّ المُلْكَ كأنفِ الأسدِ وحَنَكِ الأفعَى [ودونَهما] (٢) مِن الخطرِ أندَاد (٣) ، واليدُ الممتدةُ إليهِمَا لا يتقدَّمُها رَأْىٌ قبلَ الامتدَاد . ولهذَا (٤) كانَ الرأىُ بعيدًا عَن الخطرِ (٥) فلا يجتمعان ، ولا يُستعانُ فِى مِثْلِ هذَا (٦) المقامِ بالنظرِ فِى العاقبةِ بلْ باللهِ المُستعَان وعلَى كلِّ حالٍ فإنَّ المخاطرةَ (٧) لمَن يعلمُ أنَّ لَهُ أمدًا(٨) مِن العمرِ فهوَ ينتهِى إلَى أمده ، وابنُ الخمسينَ لا يموتُ وهوَ ابنُ عشرينَ لأنَّ ذلكَ دونَ عددِهِ ، وإذَا جفَّتْ الأقلامُ بَما هوَ كائِن ، فلا يَجْبُنُ (٩) عَن مواقفِ الحَيْنِ إلاَّ حائِن (١٠)

هذَا الفصلُ يشتملُ علَى معانٍ ذاتِ براعةٍ وشجاعَة (١١) وكأنَّها مُكْتَتَبَةٌ بحدِّ سيفٍ (١٢) لا بِطَرَفِ يَرَاعَة . ومنْها مَا هوَ مأخوذٌ (١٣) مِن الشعرِ كقولِ أبِى الطيِّبِ المتنبِّى (١٤) :

---

(١) فى ت : « هان عليه الإنفاق » .
(٢) فى الأصل ، وت ، وع : « دونهما » ، وما أثبته من ط .
(٣) فى ت ، وط ، وع : « إسداد » .
(٤) فى ع : « وبهذا » .
(٥) فى ت : « الحظر » .
(٦) فى ط : « فى هذا مثل » خطأ .
(٧) فى ع : « للخاطرة » تحريفا .
(٨) فى ع : « أمد » خطأ .
(٩) فى ط : « فلا يحين » .
(١٠) فى ت : « إلا من هو حائن » .
(١١) فى ت : « ذات شجاعة وبراعة » .
(١٢) فى ت : « بحد السيف » .
(١٣) فى الأصل : « مأخوذا » خطأ ، وما أثبته من ت ، وط .
(١٤) فى ت : « كقول المتنبى » ، وفى ط : « كقول أبى الطيب » .

وَالطَّعْنُ فِي الْهَيْجَاءِ [١] غَيْرُ الطَّعْنِ فِي الْمَيْدَانِ [٢]

وكقولِ أبِي تمَّام :

كَأَنَّهُمْ وَقَلَنْسِي الْبِيضِ فَوْقَهُمْ
يَوْمَ الْهِيَاجِ بُدُورٌ قُلِّنسَتْ شُهُبَا » [٣]

ومِن ذلكَ مَا ذكرْتُه فِي دعاءِ كتابٍ ، وهوَ : أَلْبَسَهُ [٤] اللهُ مِن النعمِ أَوْفَى [٥] ثيابِها ولا اسْتَحْقَبَتِ الأيامُ جِدَّتَهَا بمرورِ أحقابِهَا ، ولا زالتْ أيامُها متفاوتةً فِي سماتِهَا وألقابِهَا ؛ ومعاليهِ متماثلةً فِي شرفِ أحسابِهَا واطِّرَادِ أنسابِهَا ، وآراؤه وعزائمُه متقابلةً فِي أناةِ تَكَهُّلِهَا [٦] وطيشِ شبابِهَا ، ومجدُه مُسْتَمَدًّا مِن بذلِ يدِهِ وسعيِ هممِهِ ، فلَهُ مِن هذهِ سَكْبُ [٧] جُودِهَا ومِن هذهِ سَبْقُ سَكَابِهَا .

بعضُ [٨] هذَا الكلامِ مأخوذٌ مِن شعرِ أبِي تمَّام ، ومِن شعرِ [٩] رجلٍ مِن بنِي تميمٍ فِي أبياتِ [١٠] الحماسةِ . أمَّا أبُو تمَّام فقولُهُ فِي أوَّلِ قصيدةٍ :

قَدْ نَابَتِ الْجِزْعَ مِنْ أَرْوِيَّةَ النُّوَبُ
وَاسْتَحْقَبَتْ جِدَّةً مِنْ رَبْعِهَا الْحِقَبُ [١١]

---

(١) فى ع : « الهجاء » خطأ أخل بالوزن والمعنى .

(٢) البيت من الكامل فى ديوان المتنبى / ٤١٣ ، وأوله :

وَتَوَهَّمُوا اللَّعِبَ الْوَغَى ....

(٣) البيت من البسيط فى ديوان أبى تمام ١/ ٢٣٥/ ق ١٧ . وهنا ينتهى خرم وقع فى م ، ون ؛ يبدأ من قوله : « ومن ذلك ما ذكرته فى استطراف الملك ... » ص ٢٤٠ .

(٤) فى ط : « ألبسهم » خطأ .

(٥) فى ن ، وع : « أوفى » .

(٦) فى م : « تكفلها » تحريفا .

(٧) فى ع : « سلب » تحريفا .

(٨) فى ت : « وبعض » .

(٩) فى ع : « وشعر » .

(١٠) فى م : « وهى أبيات » ، وفى ن : « فى كتاب » ، وفى ع : « من أبيات » .

(١١) البيت من البسيط فى ديوان أبى تمام ١/ ٢٣٩/ ق ١٨ .

« وكذلكَ قولُه فِي قصيدٍ آخرَ (١) :

كَهلُ الأَنَاةِ فَتَى الشَّذَاةِ إِذَا غَدَا
لِلحَرْبِ كَانَ الْقَشْعَمَ الْغِطْرِيفَا » (٢)

وأمَّا شعرُ الرجلِ التميميِّ الواردُ فِي كتابِ الحماسةِ ، فهو :

أَبَيْتَ اللَّعْنَ إِنَّ سَكَابَ عِلْقٌ نَفِيسٌ (٣) لا يُبَاعُ وَلا يُعَارُ (٤) .

ومِن ذلكَ مَا ذكرْتُه فِي دعاءِ كتابِ أيضًا ، وهوَ (٥) : أرضاهُ اللهُ بمَا هوَ واهبُه ، وأعزَّ جانبًا هوَ صاحبُه ، ولا أعثَرَ جوادًا هوَ راكبُه ، وأنالَهُ بعيداتِ المطالبِ التِي (٦) يقالُ فيهَا : أَنْضَرُ الرَّوْضِ عَازِبُه (٧) ، وجعلَ حسبَهُ مِن الأحسابِ التِي أضاءتْ دُجَى الليلِ حتَّى نَظَّمَ الجزْعَ ثَاقِبُه .

وهذَا مأخوذٌ مِن الشعرِ ، فمنْه مَا هوَ (٨) مأخوذٌ مِن شعرِ (٩) أبِي تمَّام :

وَقَلْقَلَ نَأْيِي مِنْ خُرَاسَانَ جَأْشَهَا
فَقُلْتُ : اطْمَئِنِّي أَنْضَرُ الرَّوْضِ عَازِبُهْ (١٠)

---

(١) فى ط ، وم : « فى قصيدة أخرى » .

(٢) فى الأصل : « العطريفا » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، وع ، **وما بين علامتى التنصيص سقط من ن** . والبيت من الكامل فى ديوان أبى تمام ٢/ ٣٨٢/ ق٩٧ . وسَكاب اسم فرسِ عُبَيدةَ بن ربيعة وغيره . اللسان فى (س ك ب) .

(٣) فى م : « يفيس » تصحيفا .

(٤) فى ع : « لاتغار ولا تباع » . وهى رواية الحماسة من الوافر ١/٦٦/ رقم ٤٩ منسوبة لعبيدة بن ربيعة بن قحفان بن ناشرة .

(٥) « أيضا وهو » سقطت منْ م .

(٦) فى م : « الذى » خطأ .

(٧) فى ع : « غازبه » تصحيفا . (٨) « ما هو » سقطت من ع .

(٩) فى ت ، وط ، وم ، و ن ، وع : « قول » .

(١٠) البيتُ من الطويل فى ديوانْ أبى تمام ١/ ٢٢٠/ ق ١٦ . المخاطَبَةُ هى العاذلة ، والجأش : القلب ، وعازبه : البعيد الذى يزهِّد بعدُه الناسَ فى النَّيْلِ منه .

ومنه مَا هوَ (١) مأخوذٌ مِن قولِ الآخرِ ، [وهوَ] (٢) :

أَضَاءَتْ لَنَا أَحْسَابُنَا وَجُدُودُنَا (٣)
دُجى اللّيلِ حَتّى نَظَّمَ الْجِزْعَ ثَاقِبُهْ (٤)

(١) « ما هو » سقطت من ط ، وم . (٢) الزيادة من ظ ، ون ، وع .

(٣) فى ن : « ووجوهنا » .

(٤) البيت من الطويل فى الحماسة ٢/ ٥٢٢/ رقم ٧٠٩ منسوبا لأبى الطمحان القينى وروايته :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجذعَ ثاقبهْ

وفى وفيات الأعيان ١/ ٦٠ ، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ٨ / ٩٥ ، تأليف عبد القادر بن عمر البغدادى (١٠٣٠ - ١٠٩٣) ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة .

الْقِسْمُ الثَّانِى

الْقِسْمُ الثَّانِى
فِى حَلِّ الشِّعْرِ بِبَعْضِ لَفْظِهِ

وهذَا هوَ الطريقةُ الوسطَى ، وهوَ عندِى أصعبُ منالاً مِن الطريقةِ العليَا التِى هىَ حلُّ الشعرِ بغيرِ لفظِهِ ؛ وسببُ ذلكَ : أنَّكَ إذَا أخذْتَ (١) شعرَ شاعرٍ مُجيدٍ قدْ نَقَّحَ ألفاظَهُ وزَيَّنَهَا ، وأجادَ (٢) فِى ديباجةِ سَبْكِهَا ؛ فإذَا تصدَّيْتَ لفكِّ نظامِهِ (٣) ؛ فقدْ التزمْتَ أنْ تواخِى لفظَهُ بمثلِهِ (٤) فِى الحُسنِ والجودةِ ، وهذَا لا يسمُو إليْهِ إلاَّ مَنْ غُذِّىَ (٥) بِلِبَانِ (٦) الفصاحةِ مُرْضَعا ، « وعَرَفَ مواضعَهَا فلمْ يجهلْ منْهَا مَوْضِعا » (٧) . وإذَا لمْ يأتِ (٨) بالمماثلةِ والمواخاةِ بينَ لفظِهِ ولفظِ الشاعرِ فقدْ كَشَفَ عنْ مقتلِهِ لنابلِهِ (٩) ، وعَرَّضَ لحمَهُ لآكلِهِ . وإذَا (١٠) حَلَّ الشعرَ بغيرِ لفظِهِ فقدْ أَمِنَ (١١) هذهِ العورةَ وقدْ أوردْتُ هَهُنَا أمثلةً مِن هذَا القسمِ لتكونَ (١٢) قدوةً للمُتَعَلِّمِ .

فمِن ذلكَ مَا ذكرْتُه فِى وصفِ القلمِ فِى فصلٍ مِن (١٣) كتابٍ إلَى بعضِ

---

(١) فى ت ، وط ، وم ، ون : « حللت » ، وفى ع : « ذلك إذا حللت » .

(٢) فى ع : « وأجار » تحريفا . (٣) فى م : « نظام » .

(٤) فى ع : « كمثله » .

(٥) فى ت : « غدى » .

(٦) فى م : « بلسان » .

(٧) ما بين علامتى التنصيص سقط من م .

(٨) فى ط : « لم تأت » .

(٩) فى ن : « عن عرضه لغائله » .

(١٠) فى ن : « وإن » .

(١١) فى ن : « آمن من » .

(١٢) فى م ، ون : « ليكون » .

(١٣) « من » سقطت من ن .

الإخوانِ ، وهوَ وقلمُه هوَ اليراعُ الذِى نُفِثَتِ الفصاحةُ فِى رُوعِهِ ، وَكَمُنَتْ الشجَاعَةُ بينَ ضلوعِهِ ؛ فإذَا قالَ أراكَ كيفَ نَسَقُ [١] الفريدِ فِى الأجيادِ ؛ وإذَا صالَ أراكَ كيفَ [٢] اختلافُ الرماحِ بينَ الآسادِ [٣] . ولهُ خصائصُ أخرَى يُبْدِعُهَا إبداعًا ، وإذَا [٤] لمْ يأتِ بهَا غيرُه تَصَنُّعًا أتَى هوَ بهَا صَنَاعًا [*] ، فطورًا يُرَى نحلةً تَجْنِى عَسَلا ، وطورًا يُرَى شفةً [٥] تُمْلَى قُبَلا ، وطورًا [٦] يُرَى إمامًا يُلْقِى دَرْسا [٧] ، وطورًا يُرَى ماشطةً تَجْلُو عِرْسا [٨] ، وطورًا يُرَى ورقاءَ [٩] تصدحُ بينَ الأوراقِ ، وطورًا يُرَى جوادًا [١٠] مُخَلَّقًا بخلوقِ السباقِ ؛ وطورًا يُرَى أفعوانًا مُطْرِقًا ، والعجبُ أنَّه لا يُزْهَى [١١] إلاَّ عندَ الإطراقِ ؛ ولطالمَا نَفَثَ سِحْرا ، وجَلَبَ عِطْرا ، وأدارَ [١٢] فِى القرطاسِ خَمْرا ، وتصرَّفَ فِى وجوهِ الغناءِ [١٣] فكانَ فِى الفتحِ عُمَرَ وفِى الهَدْيِ عَمَّارًا ، وفِى الكيدِ [١٤] عَمْرا ؛ فلا تَحْظَى بِهِ دولةٌ إلاَّ فَخَرَتْ علَى الدوَل ، وغَنِيَتْ

---

(١) فى م : « نسبق » تحريفا .

(٢) فى ع : « ليف » تحريفا .

(٣) فى ن : « كيف الاختلاف بين الآساد » .

(٤) فى ن : « فإذا » .

(*) والصَّناع : الحاذق بالعمل . اللسان فى (ص ن ع) .

(٥) فى ن : « شفقة » خطأ .

(٦) فى ع : « وظورا » تصحيفا .

(٧) فى م : « دروسا » .

(٨) فى م : « عروسا » .

(٩) فى م : « أوراقا » ؛ وفى ع : « ورقا » تحريفا .

(١٠) فى ط : « جوابا » تحريفا .

(١١) فى ع : « لا ينهى » تحريفا .

(١٢) فى م : « ودار » .

(١٣) فى ن : « المعانى » .

(١٤) فى ن : « المكر » .

بِهِ عَنِ الخيلِ والْخَوَل ، وقالتْ : أعلَى الممالكِ مَا يُبْنَى علَى الأقلامِ لا مَا يُبْنَى علَى الأَسَل .

ولرُبَّمَا لَقِيَ هذَا القولَ قومٌ [١] بإعظامِ النَّكِير ، وقالُوا مِن أينَ للقَصَبَةِ الضعيفةِ هذَا الخطرُ الكَبِير ، وللبهائم عُذْرٌ ألاَّ تَعْرِفَ مِنْ مَلاذِّ الأطعمةِ غيرَ الشعير ولوْ أنصفَ [٢] هؤلاءِ لقالُوا [٣] : إنَّ القلمَ هوَ مزمارُ [٤] المعانِي ؛ كمَا أنَّ أخاهُ فِي النسبِ مزمارُ الأغانِي ؛ فهذَا يأتِي بغرائبِ الحِكَم ؛ كمَا يأتِي ذاكَ بغرائبِ النَّغَم [٥] ، وكلاهُمَا شيءٌ واحدٌ فِي الإطرابِ ، غيرَ أنَّ أحدَهُما يلعبُ بالأسماعِ ، والآخرُ يلعبُ بالألبابِ .

فِي هذَا الكلام معانٍ مأخوذةٌ مِن الشعرِ ، ومعانٍ مبتدعةٌ لمْ يسبقْنِي إليْهَا شاعرٌ ولا كاتبٌ ؛ فأمَّا التِي مِن [٦] الشعرِ ؛ فمنْها قولُ أبي عُبادة البحتريُّ ، [وهوَ] [٧] :

فِي نِظَامٍ مِنَ البَلاغَةِ مَاشَـ ـكَّ امْرُؤٌ أَنَّهُ نِظَامُ فَرِيدِ [٨]

ومنْها [٩] قولُهُ أيضًا :

طِعَانٌ بِأَطْرَافِ الْقَوَافِي كَأَنَّهُ طِعَانٌ بِأَطْرَافِ الْقَنَا الْمُتَكَسِّرِ [١٠]

---

(١) فى الأصل : « لقى هذا القول فى قوم » ، وفى ت : « لقى هذا القولُ قومٌ » ، وفى ن سقطت كلمة : « قوم » ، وما أثبته من ط ، وم ، وع حتى يستقيم المعنى .

(٢) فى م : « أنصفوا » خطأ .

(٣) فى ت ، وط ، وم ، وع : « لعلموا » ، وفى ن : « لعلم » .

(٤) فى ت ، وم : « القلم مزمار » ، وفى ع : « مزماز » تصحيفا .

(٥) فى م : « النعم » تصحيفا .

(٦) فى ت : « فى » .

(٧) الزيادة من ن .

(٨) البيت من الخفيف فى ديوان البحترى ١/٦٣٦/ ق ٢٥٩ ، وروايته :

فـى نـظـام مـن الـبـلاغـة مـا شـك امـرؤ أنـه نـظـامُ مـريـدِ

(٩) فى ت : « ومنه » .

(١٠) البيت من الطويل ديوان البحترى ٢/ ٨٩٠/ ق ٣٥٠ ، وروايته :

ومنْها قولُ أبِي تمَّام فِي وصفِ شعرِهِ [١] :

عَبِقَاتٍ بِالسَّمْعِ تُبْدِي وُجُوهًا كَوُجُوهِ الْكَوَاعِبِ الأَتْرَابِ [٢]

ومنْها قولُ أبِي الطيِّبِ المتنبِّي :

أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الأَسَلِ وَالطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّيهِنَّ كَالْقُبَلِ [٣]

وأمَّا الذِي ابتدعْتُهُ ، ولمْ أُسْبَقْ إليْه ؛ فهوَ أنِّي جعلْتُ القلمَ مزمارَ المعانِي ، كمَا أنَّ أخاهُ فِي النسبِ مزمارَ الأغانِي ، وذلكَ [٤] أنَّ كليْهِمَا قَصَبَةٌ ، ولهذَا جعلْتُ المزمارَ الموضوعَ للغناءِ [٥] أخَا القلمِ فِي النسبِ ، وجعلْتُ معانِي هذَا كَنَغَم [٦] هذَا . وأمَّا الأوصافُ [٧] الباقيةُ التِي ذكرْتُها فِي كونِهِ نَحْلَةً وَشَفَةً وإمامًا ، فإنِّي لمْ أسمعْهَا ، وإنْ كنتُ قدْ سُبِقْتُ [٨] إليْها . وهذهِ الأوصافُ المجموعةُ هَهُنَا فِي ذكرِ القلمِ لا تجدُهَا فِي كلامِ آخرَ غيرِ هذَا الكلامِ .

وقدْ أوردْتُ فِي وصفِ القلمِ فصلاً آخرَ مِن كتابِ آخرَ [٩] إلَى بعضِ الإخوانِ ، وهوَ : وقلمُه [١٠] هوَ القلمُ الذِي إذَا قَذَفَ بِشُهُبِ بيانِهِ رأيْتَ نُجُوما ، وإذَا ضَرَبَ [بِشَبَا حَدِّهِ] [١١] رأيْتَ كُلُوما ، وإذَا [١٢] صَوَّرَ المعانِي فِي ألفاظِهَا رأيْتَ أرواحًا

---

(١) فى ن : « شعر » خطأ .

(٢) البيت من الخفيف فى ديوان أبى تمام ٣٠٩/٤/ ق ٣٤٨ .

(٣) البيت من البسيط فى ديوان المتنبى ص ٢٥٦ .

(٤) فى ت ، وط ، ون ، وع : « وذاك » .

(٥) فى ن : « للقتال » .

(٦) فى م : « كنعم » تصحيفا .

(٧) فى ع : « الأوضاف » تصحيفا .

(٨) فى م : « أسبقت » .

(٩) « آخر » غير موجودة فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع . وفى هامش ع أعلى الصفحة عنوان : « فى وصف القلم » .

(١٠) فى ن : « قلمه » .

(١١) فى الأصل : « شبا حده » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(١٢) فى ن : « فإذا » .

وجُسُوما ، وقدْ شَرَّفَ اللهُ دولةً يجلسُ (١) فِي حفلِهَا ، ويَخْطُبُ (٢) عَنْ أهلِهَا ؛ فهوَ لهَا فِي الحُسْنِ طِرَاز ، وفِي الذَّبِّ عَضْبٌ (٣) جِرَاز ، ولطالَمَا قالَ فاستخفَّ مُوَقَّرًا وكَسَا وَقَارا ، وأطالَ فوجدْتَ إطالتَهُ بحلاوتِهَا (٤) إقْصَارا ، وادَّعَى الانفرادَ بهذهِ المَزيَّةِ فأَقَرَّتْ لَهُ الأعداءُ إقْرَارا ، وكلُّ هذَا فضلٌ لقلمِهِ (٥) غيرُ مَدْفُوع ، وشاهدُهُ مَرْئِيٌّ لديْه ؛ وإنْ غَدَا قَبْلَهُ (٦) ، وهوَ مَسْمُوع .

وفِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ (٧) زُحَلِ (٨)

وأقوالُ (٩) غيرِه متنقلةٌ عنْ أوَّلٍ إلَى آخرَ ، والذِي يقولُه لمْ يُقَلْ ، فهوَ (١٠) رَبُّ المعانِي المُخترعةِ يستخرجُهَا مِن قليبِهَا (١١) ، ويبرزُها فِي ثوبِهَا القشيبِ وليسَ خَلَقُ الأثوابِ كقشيبِهَا (١٢) ، وقدْ أَمْسَكَ (١٣) القلمَ قومٌ رَضُوا مِنَ الكتابةِ بتحسينِ السُّطُور ، وإذَا أَتَى أحدُهُم بشيءٍ مِن السجعِ فذلكَ (١٤) هوَ الكاتبُ المَشْهُور .

---

(١) فى م : « تجلس » . (٢) فى م : « تخطب » .

(٣) فى ع : « غصب » تصحيفا ، والعضب : السيف القاطع اللسان فى (ع ض ب) ، والجراز : السيف الماضى اللسان فى (ج ر ز) .

(٤) فى ط ، وم ، ون ، وع : « لحلاوتها » .

(٥) فى م : « فضل القلم » . (٦) فى م : « وإن أقبله » .

(٧) « عن » غير موجودة فى ع .

(٨) عجز بيت من البسيط فى ديوان المتنبى ص٣٣٠ ورواية البيت :

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ
فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

(٩) فى ن : « فأقوال » . (١٠) فى م : « وهو » .

(١١) فى ط : « قلبها » تحريفا . والقَلِيبُ : البئرُ ما كانت . والقليبُ : البئر، قبل أن تُطْوَى . اللسان فى (ق ل ب) .

(١٢) فى ط : « كقشبها » . (١٣) فى ع : « مسك » .

(١٤) فى م : « فذاك » .

وهؤلاءِ قَصَرُوا هِمَمَهُم علَى [١] الزيفِ دونَ اللُّبَابِ ، ولَمْ يعلمُوا أنَّ القشرَ لأهلِ [٢] القشورِ ، واللُّبَّ لذوِى الألبابِ وقدْ قيلَ : إنَّ مِنَ الأقلامِ رَخَمَةً فِى كَفِّ رَخَمةٍ [٣] ، وعُقَابًا فِى كَفِّ عُقَابٍ [٤]

هذَا فصلٌ مِنَ الكلامِ قدْ اغْتُرِفَتْ معانيهِ مِن بَحْرٍ ، ونُحِتَتْ ألفاظُهُ [٥] مِن صَخْرٍ ، بلْ فُتِقَتْ [٦] معانيهِ مِن صُوَارِ مِسْكٍ ، وأُخِذَتْ ألفاظُه مِن فَرِيدِ سِلْكٍ ، بلْ جُنِيَتْ معانيهِ مِن ثمراتٍ مُخْتَلِفٌ طَعْمُهَا ، ونُسِجَتْ ألفاظُه مِن ديابيجَ [٧] مُؤْتَلِفٌ رَقْمُهَا .

فانظرْ أيُّهَا المتأمِّلُ إليْهَا نَظَرَ المتعجِّبِ بِمَا فيهَا مِن الإعجابِ ، واسجدْ لهَا فإنَّ للبلاغةِ سجودًا [٨] كسجودِ الكُتَّابِ .

وفِى [٩] بعضِ مَا أوردْتُهُ مِن هذَا [١٠] الفصلِ معانٍ مأخوذةٌ [١١] مِن الشعرِ ؛ فمِن ذلكَ قولُ ابْنِ الرُّومِيِّ [١٢] :

---

(١) فى م : « عن الزيف » . (٢) فى ن : « لذوى » .

(٣) فى ع : « رحمة فى كف رحمة » تصحيفا . الرَّخَمُ: نوع من الطير، واحدته رَخَمَةٌ، وهو موصوف بالغَدْرِ والمُوقِ، وقيل بالقَذَر . اللسان فى (ر خ م) .

(٤) يقابل هذا الكلام فى هامش صفحة الأصل : « بلغ ابن الدحميسى عرضا بالأصل المقروء على المصنف أيده الله تعالى » .

(٥) فى ع : « ونحنت ألفاظه » تصحيفا . و الفَتْقُ: الخِصْب ، اللسان فى (خ ص ب) ، والصُّوار: وعاء المِسْك ، والصُّوَار: الرائحة الطيبة. والصِّوار والصُّوَار: القليل من المِسْك ، وقيل: القطعة منه ، والجمع أَصْوِرَة ؛ فارسى . اللسان فى (ص و ر) .

(٦) فى م : « وفتقت » ، وفى ن : « فتقت » .

(٧) فى ع : « دبابيج » خطأ . (٨) فى ن : « واسجد لها فللبلاغة سجود » .

(٩) فى ن : « فى » . (١٠) « هذا » غير موجودة فى ع .

(١١) فى م : « مأخوذ » خطأ .

(١٢) فى م : « لابن الرومى » . وابن الرومى هو : على بن العباس بن جريج مولى عبيد الله ابن عيسى ؛ يعرف بابن الرومى أحد الشعراء المكثرين المجودين فى الغزل والمديح والهجاء والأوصاف ولد ٢٢١هـ ، ومات لليلتين بقيتا من جمادى الأولى ٢٨٣ وقيل ٢٨٤ هـ . =

وَحَدِيثُهَا السِّحْرُ الْحَلالُ لَوَ انَّهُ
لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
إِنْ طَالَ لَمْ يُمْلَلْ [١] ، وَإِنْ هِىَ أَوْجَزَتْ
وَدَّ الْمُحَدِّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجِزِ [٢]

ومِن ذلكَ قولُ أبِى الطيِّبِ المتنبِّى

أَنَا الْقَائِلُ الْهَادِى إِلَى مَا أَقُولُهُ
إِذِ الْقَوْلُ قَبْلَ الْقَائِلِينَ مَقُولُ [٣]

وأمَّا مَا سِوَى [٤] هذهِ [٥] المعانِى المأخوذةِ مِن الشعرِ ؛ فإنَّهُ مِن بناتِ [٦] الخاطرِ ، التِى [٧] لمْ أَحْذُ فِيهَا حَذْوَ [٨] وقوعِ الحافرِ علَى الحافرِ [٩] ، ولا أَدَّعِى فِى ذلكَ درجةَ الإبداعِ بلْ هوَ ممَّا تناقَلَتْهُ الأيدِى وتداولَتْهُ [١٠] الأسماعُ غيرَ أنَّ لِى فضيلةَ إخراجِهِ فِى هذَا المَخْرَجِ ، وَحَوْكِهِ علَى هذَا [١١] المَنْسَجِ :

= سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٩٥ ، وفيات الأعيان ٣/ ٣٥٨ : ٣٦١ ، البداية والنهاية ١١/ ٧٤و٧٥ ، النجوم الزاهرة ٣/ ٩٦ ، الفهرست ١/ ٢٣٥

(١) فى ع : « يملك » تحريفا .

(٢) البيتان من الكامل فى ديوان ابن الرومى ٣/ ١١٦٤/ ق ٩٤٤ ، تحقيق د. حسين نصار وآخرين ، الهيئة العامة للكتاب ، إيداع سنة ١٩٧٨ م . ورواية البيت الأول :

. . . . لـو انـهـا لـم تـجـن

(٣) البيت من الطويل فى ديوان المتنبى ص ٣٥١ ، وروايته :

السابق

(٤) فى ط ، ون : « وأما سوى » .

(٥) فى ع : « هذا » خطأ .

(٦) فى ع : « نبات » تصحيفا .

(٧) فى الأصل : « الذى » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٨) فى م : « أجذوا » خطأ ، وفى ع : « لم أجد » تصحيفا .

(٩) فى م : « انحافر » تحريفا .

(١٠) فى ن : « وتناولته » .

(١١) فى م ، ون : « على منوال هذا » .

وَلَيسَ يَعْرِفُ لِى فَضْلِى وَلا أَدَبِى
إلاَّ امْرُؤٌ [١] كَانَ ذَا فَضْلٍ وَذَا أَدَبِ [٢]

ومِن هذَا القسمِ الذِى هوَ حَلُّ الشعرِ [٣] ببعضِ لفظِهِ « مَا ذكرْتُه فِى ذَمِّ كاتبٍ ، وهوَ : لا يمشِى قلمُه فِى قرطاسٍ إلاَّ ضَلَّ عَن النَهجِ ، ولا يصوغُ لفظًا إلاَّ قيلَ : رُبَّ حَدَثٍ مِن الفَم كَحَدَثٍ مِن الفَرْج [٤] ؛ فَلَهُ عَىُّ الفَهَاهَةِ [٥] ولغيرِهِ بَسْطَةُ الفصاحةِ ، والذِى [٦] يقولُه مُسْتَمَاحٌ [٧] مِن أقوالِ الناسِ فهوَ لا يَنْفَكُّ عَن الأقوالِ المُسْتَمَاحَة ؛

وَقَدْ يَجِىءُ بِخَلْطٍ فَالنُّحَاسُ لَهُ وَللأَوَائِلِ مَا فِيهِ مِنَ الذَّهَبِ [٨]

سبحانَ اللهِ ، أَفَكُلُّ مَن تناولَ قلمًا [٩] كَتَبَ ؟!. ، أمْ كُلُّ مَن رَقِىَ مِنْبَرًا خَطَبَ ؟!. والدَّعْوَى فِى هذَا المقامِ كَبيرةٌ [١٠] ، بلْ [١١] ليسَ القَنَا كغيرِهَا مِن القَصَب . وشىءٌ مِن هذَا الفصلِ مأخوذٌ مِن شعرِ أبى الطيِّبِ فِى قولِهِ :

---

(١) فى م : « أمر » تحريفا .

(٢) البيت من البسيط فى ديوان ديك الجن الحمصى جمعه وشرحه عبد المعين الملوحى ومحيى الدين الدرويش مطابع الفجر الحديثة - حمص ١٠ /١٢/ ١٩٦٠، ص ٢٦ و فى تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ٣٦/ ٢٠٣ ، وروايته :

قــدرى ذا قدر . . . . . .

(٣) فى ن : « الشر » خطأ . (٤) فى ع : « الفرح » تصحيفا .

(٥) الفهاهة : النسيان ، لسان العرب (فهه) .

(٦) فى ع : « الذى » .

(٧) « مستماح » غير موجودة فى ت .

(٨) البيت من البسيط فى ديوان ابن الرومى ١ / ٢٧١ / ق ١٩٦ ، تحقيق د. حسين نصار . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وروايته :

وللأوائل صافيه من الذهب

(٩) فى ع : « فلما » تصحيفا .

(١٠) فى ط ، وع : « كثيرة » . (١١) فى ت ، وط ، وع : « لكن » .

حَلَلْتُمْ مِنْ مُلُوكِ النَّاسِ كُلِّهِمُ مَحَلَّ سُمْرِ القَنَا مِنْ سَائِرِ القَصَبِ (١)

ومِن (٢) هذَا القسمِ مَا ذكرْتُهُ فِي وصفِ الشمعةِ ، وذلكَ فصلٌ مِن جملةِ (٣) كتابٍ كتبْتُهُ إلَى بعضِ الإخوانِ ، وهوَ : وكانَ بينَ يَدَيّ شمعةٌ تَعُمُّ (٤) مجلسِي بالإينَاس ، وتُغنينِي بوحدتِهَا عَن كثرةِ الجلاَّس ، وينطقُ لسانُ حالِهَا أنَّهَا (٥) أَحْمَدُ عاقبةً مِن مُجالسةِ الناس ؛ فلا الأسرارُ عندَهَا بملفوظَة ، ولا السَّقَطَاتُ لديْهَا بمحفوظَة (٦) . وكانتِ الريحُ تَتَلَعَّبُ بلَهَبِهَا ، وتختلفُ علَى شُعَبِهِ بشُعَبِهَا ؛ فطورًا تقيمُه فيصيرُ أَنْمُلَةً ؛ وطورًا تُميلُهُ فيصيرُ سلسلةً ؛ وتارةً تُجَوِّفُهُ فَيَتَصَوَّرُ (٧) مُدْهَنَةً ؛ وتارةً تجعلُه ذَا ورقاتٍ فَيَتَمَثَّلُ سوسنةً ؛ وآونةً تنشرُهُ فيَنْبَسِطُ (٨) منديلاً ؛ وآونةً تَلُفُّهُ علَى رأسِهَا فيستديرُ (٩) إكليلاً . ولقدْ تَأَمَّلْتُهَا فوجدْتُ نسبتَهَا إلَى العنصرِ العسليّ ، وقدُّهَا قدُّ العسَّالِ ، وبهَا يُضْرَبُ المَثَلُ للحليمِ غيرَ أنَّ لسانَهَا لسانُ الجُهَّالِ ؛ ومذهبَهَا هوَ مذهبُ الهنودِ فِي إحراقِ نفسِهَا بالنَّار ، وهِيَ شبيهةٌ بالعاشقِ فِي انهمالِ الدَّمْعِ واستمرارِ السَهَرِ وشدَّةِ الاصْفِرَار ، وكلُّ هذَا تجدَّدَ لهَا بَعْدَ فراقِ أخيهَا وذَارِها ، والموتُ فِي (١٠) فراقِ الأخِ وفراقِ الدَّار .

---

(١) البيت من البسيط فى ديوان المتنبى ص ٤٢٦ .

(٢) فى الأصل : « وفى » ، وما أثبته من ت ، وط .

(٣) « جملة » غير موجودة فى ط .

(٤) فى ت ، و ط : « تعمر » .

(٥) فى ع : « لسانها أنها » ، وحالها غير موجودة .

(٦) فى الأصل : « محفوظة » ، وما أثبته من ت ، وط .

(٧) فى ت : « فيصير » والمُدْهُنة ما يجعل فيه الدُّهن فيكون قد شبَّهه بصفاء الدُّهْن . اللسان فى (د هـ ن) .

(٨) فى ت : « فيصير » ، وفى ط : « فينبسط » ، وفى ع : « فينسط » تحريفا .

(٩) فى : « فيصير » .

(١٠) فى ع : « والموت من فى فراق » وقد ضرب الناسخ خطين على « فى » .

وهذِهِ معانٍ كريمةٍ لَمْ يُؤْتَ بِمِثْلِهَا فِي الشمعةِ (١) ؛ غيرَ أنَّ منْهَا معنًى واحدًا مأخوذًا (٢) مِن شعرِ القاضِي الأَرَّجَانِيّ (٣) ، وهوَ :

وَأَنَا لَهُ هُوَ قَدْ فَقَدْتُ بِعَيْنِهِ
أَفَلَيسَ بُخْلُ مَدَامِعِي بِقَبِيحِ ؟
بِالنَّارِ فَرَّقَتِ الْحَوَادِثُ بَيْنَنَا
وَبِهَا نَذَرْتُ (٤) أَعُودُ أَقْتُلُ (٥) رُوحِي (٦)

ومِن هذَا (٧) القسمِ » (٨) مَا ذكرْتُهُ فِي وصفِ سَخِيّ (٩) ، وهوَ : لقدْ جارَانِي (١٠)

---

(١) فى ع : « فى شمعة » .

(٢) فى الأصل ، وط ، وع : « مأخوذ » ، وما أثبته من ت .

(٣) القاضى الأرجانى ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجانى شاعر وقته ؛ ولد فى حدود ٤٦٠ هـ /١٠٦٨ م ، ومات فى شهر ربيع الأول سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م . سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢١٧ و ٢٥٦ ، وفيات الأعيان ١/ ١٥١ : ١٥٥ ، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٨٥، طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ٥٢ ، ٥٣ .

(٤) فى ع : « قدرت » . (٥) فى ع : « أقتلك » تحريف أخل بوزن البيت .

(٦) البيت الأول غير موجود فى ديوان الأرجانى . أما البيت الثانى فموجود فى ديوانه ١/ ١٨٦ ضمن مقطوعة من خمسة أبيات فى وصف شمعة وهو البيت الأخير ، ديوان الأرجانى تقديم قدرى مايو - دار الجيل - بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨ م ؛ وكذلك ورد هذا البيت فقط بديوانه ص ٨٣ بيروت سنة ١٣٠٧ هـ بتصحيح أحمد عباس الأزهرى . والبيتان من الكامل فى ديوانه ١/ ٢٣٤ / ق ٥٧ تحقيق ودراسة محمد مصطفى قاسم ؛ رسالة دكتوراة بالمكتبة المركزية لجامعة القاهرة تحت رقم ٢٢٨٥ _ ١٩٧٧ م إ . د . حسين نصار . ورواية البيت الأول :

ولـقـد

وفى ت كتب مكان الشعر : « لدى ترك فى الأصل بياض قدر سطر » .

(٧) فى ع : « هذه » خطأ .

(٨) هنا ينتهى خرم وقع فى م ، ون بدأ من ص ٢٥٤ من قوله : ما ذكرته فى ذم كاتب .

(٩) فى م ، ون : « كريم » .

(١٠) فى ت ، وط ، وم ، وع : « ولقد جارانى » ؛ وفى ن : « قد جاز لى » خطأ .

فِى سَبْقِ مطالبِى بالعَطَاء حتَّى حَكَمَ إسراعُهُ علَى إسراعِى بالإبْطَاء ، وخليقةُ [١] الكَرَم مِن شأنِهَا أنْ تأتِى عَجْلَى ، ولَا تكونُ اليدُ العُلْيَا شريفةً [٢] إلاَّ إذَا سَبَقَتِ اليدَ السُّفْلَى ؛ ولهذَا قِيلَ : إنَّ قليلَ الابتداءِ خيرٌ مِن كثيرِ الاجْتِدَاء ، ورِدَاءُ العطايَا ليسَ بكاسٍ إذَا حَسَرَ مَا [٣] علَى الوجهِ مِن الرِّدَاء .

وبعضُ هذَا الكلامِ مأخوذٌ مِن [٤] بيتَىْ شعرٍ : أحدُهُمَا لأبِى الطيِّبِ المتنبِّى ، وهوَ [٥]

وجَاوَدَنِى [٦] بِأَنْ يُعْطِى [٧] وَأَحْوِى فَأَغْرَقَ نَيلُهُ أَخْذِى سَرِيعَا [٨]

والآخرُ لأبِى تمَّام ، وهوَ :

مَا مَاءُ كَفِّكَ إنْ جَادَتْ بِنَائِلِهَا
مِنْ مَاءِ وَجْهِى إذَا أَفْنَيْتُهُ [٩] عِوَضُ [١٠]

والأخذُ مِن بيتِ أبِى الطيِّبِ المتنبِّى [١١] أكثرُ إصراحًا مِن بيتِ أبِى تمَّام . « وفِى الأخذِ مِن بيتِ أبِى تمَّام » [١٢] ضَرْبٌ مِن الكيمياءِ الذِى ينقلُ [١٣] الأعيانَ مِن صورةِ

---

(١) فى ع : « خليفة » تصحيفا . (٢) فى ع : « سريفة » .
(٣) فى الأصل : « حسرها » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٤) « مأخوذ من » سقطت من م .
(٥) « وهو » سقطت من ن .
(٦) فى م : « وجاوذنى » تصحيفا .
(٧) فى م : « أعطى » .
(٨) البيت من الوافر فى ديوان المتنبى ص ٨٣ .
(٩) فى ط أثبت الناسخ فوق كلمة « أفنيته » كلمة « أنفقته » وفوقها علامة صح .
(١٠) البيت من البسيط فى ديوان أبى تمام ٤/٤٦٥/ ق ٤٣٨ ، وروايته :
ما ماء كفك إن جادت وإن بخُلت . . . .
(١١) فى ت : « أبى الطيب » ، وفى ع : « من بيت المتنبى » .
(١٢) ما بين علامتى التنصيص سقط من ن ، وأثبت مكانه : « فإنه ضرب . . . » .
(١٣) فى ط ، وم : « تنقل » .

إلَى صورةٍ ، حتَّى ينقلَ الحجرَ ياقوتًا ، والنحاسَ فضةً وذهبًا . فانظرْ إلَى هذَا الفصلِ مِن الكلامِ المنثورِ ، وإلَى هذينِ البيتينِ مِن الشعرِ ، وَأَعْطِ ذلكَ حَقَّ النظرِ حتَّى تعلمَ مَا فِي [هذَا] (١) الكلامِ المنثورِ مِن الزيادةِ معنًى ولفظًا (٢)

ومِن هذَا القسمِ مَا ذكرْتُهُ فِي وصفِ سَخِيّ (٣) أيضًا ، وهوَ ولقدْ عَدَا السحابُ (٤) طورَه إذَا (٥) هَطَلَ فِي بلدةٍ هوَ بِهَا (٦) مُقِيم ، لكنْ عذرُه أنَّه أَتَى مُتَعَلِّمًا (٧) وقدْ جَرَتِ العادةُ بإفادةِ التَّعْلِيم ؛ ومَا أقولُ إنَّه يقابِلُ ذلكَ الوجهَ النَّدِيَّ (٨) إلاَّ بوجهٍ قلَّ ماؤُهُ ، ولوِ اسْتَحْيَا (٩) منه حقَّ الحياءِ لمَا هَطَلَتْ سماؤُهُ وأنَّى يُقاسُ فيضُ كَرَمِهِ بفيضِ كَرَمِهِ ؟! . وهذَا معيبٌ (١٠) بإقلاعِ دِيَمِهِ . ولوْ بَذَلَ مِن مائِهِ مَا يبذلُهُ (١١) مِن مَالِهِ لتجدَّدَ للناسِ [فِي] (١٢) كُلِّ يومٍ طوفانٌ جديدٌ ، ورَأَوا (١٣) منْه عيانًا مَا سَمِعُوا بِه (١٤) خَبَرًا ، وإذَا جاءَ العيانُ أَلْوَى بالأسانيدِ .

---

(١) الزيادة من ن .

(٢) في ط : « لفظا ومعنى » .

(٣) في م : « كريم » ، وفي ن : « عن وصف كريم » .

(٤) في ع : « عد السحاب » .

(٥) في ط ، وم ، وع : « إذ » .

(٦) في ت : « في بلد هو به مقيم » ، وفي م : « في بلدة وهو بها » .

(٧) في ن : « أنه متعلم » خطأ .

(٨) في الأصل بخط مختلف : « الذى يرى » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٩) في ع : « استحى » .

(١٠) في ط : « مغب » تحريفا .

(١١) في ن : « ما يبذل » .

(١٢) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(١٣) في ن : « ولرأوا » .

(١٤) في ت ، وط ، وم ، ون : « ما سمعوه » .

وبعضُ هذَا مأخوذٌ مِن شعرِ أبِى نُوَاسٍ ، وشعرِ [١] أبِى الطيِّبِ المتنبِّى [٢]
أمّا أبو نُوَاسٍ ؛ فقولُهُ :

إنَّ السَّحَابَ لَتَسْتَحْيِى [٣] إذَا نَظَرَتْ
إلَى نَدَاهُ فَقَاسَتْهُ بِمَا فِيهَا [٤]

وأمّا أبو الطيِّبِ المتنبِّى [٥] فقولُهُ :

لَوْ كُنتَ بَحْرًا [٦] لَمْ يَكُنْ لَكَ سَاحِلٌ
أوْ كُنتَ غَيْثًا ضَاقَ عَنكَ اللُّوحُ
وَخَشِيتُ مِنكَ عَلَى البِلادِ وَأَهْلِهَا
مَا كَانَ أَنْذَرَ قَوْمَ نُوحٍ نُوحُ [٧]

لكنْ إذَا نَظَرْتَ إلَى هذَا الفصلِ [مِن الكلامِ المنثورِ] [٨] ، وإلَى الأبياتِ المشارِ إليْهَا عَلِمْتَ أنَّ الآخِرَ متقدِّمٌ علَى الأوَّلِ ، وتَمَثَّلْتَ بقولِ القائلِ :

وَهَلْ [٩] عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ [١٠]

« ومِن هذَا القسمِ مَا ذكرْتُهُ فِى وصفِ رجلٍ بالرأىِ والشجاعةِ ، فقلتُ : إذَا رَفَعَتِ الخطوبُ أعناقَهَا ، لَقِيَهَا مِن رأيِهِ بسعدِ الذَّابحِ [١١] . وإنْ دَجَا ليلُها ، غَشِيَهُ

---

(١) « وشعر » غير موجودة فى ن . (٢) « المتنبى » غير موجودة فى ع .
(٣) فى الأصل : « ليستحيى » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ؛ وفى ع : « لتستحى » وبها يختل الوزن .
(٤) البيت من البسيط فى ديوان أبى نواس ص ٦٨٥ ، دار صادر - بيروت .
(٥) فى ط : « وأما قول أبى الطيب فهو » ، و « المتنبى » سقطت من ع .
(٦) فى م : « بحر » خطأ .
(٧) البيتان من الكامل فى ديوان المتنبى ص ٦٢ . اللوح : ما بين السماء والأرض .
(٨) الزيادة من ت ، ون . (٩) فى ط : « فهل » .
(١٠) عجز بيت من الطويل لامرىء القيس وصدره :

وإنَّ شِفَائِى عَبْرَةٌ إنْ سَفَحْتُهَا

(١١) فى ع : « الزابح » خطأ .

مِن عزمِهِ بالسِّماكِ الرَّامِح ؛ فهوَ فِي إحدِى الحالتينِ يَسْفِكُ دماءَهَا ، وفِي الحالةِ الأخرَى يَجْلُو [١] ظلماءَهَا ؛ ولهذَا تُرَى وقدْ أَجْفَلَتْ عنْ طريقِه ، ورجعتْ عَنْ حربِ عدوِّهِ إلَى سلمِ صديقِه .

فِي هذَا الفصلِ معنًى مأخوذٌ مِن شعرِ البُحترىِّ :

سَمَّاهُ سَعْدًا ظَنَّ أَنْ يَحْيَا بِهِ   عَمْرِى لَقَدْ أَلْفَاهُ سَعْدَ الذَّابِحِ [٢]

إلاَّ أنَّ الذِى أتيتُ بِه أَسَدُّ [٣] ، وأمتنُ ، وأحسنُ موقعًا ، وألطفُ مأخذًا ؛ لأنِّى ذكرْتُ العُنُقَ والذبحَ والليلَ والسِّماكَ ، ولا خفاءَ بِمَا فِى ذلكَ مِن المناسبةِ .

ومِن هذَا القسمِ مَا ذكرتُه فِي اليأسِ والطمعِ ، وهوَ : إذَا نُظِرَ إلَى اليأسِ [٤] والطمعِ وُجِدَا سواءً فِي جَدْوَى الإعْطَاء ، ولا فرقَ بينَهُمَا إلاَّ فِي رَوحِ التعجيلِ ، وكُرْبَةِ [٥] الإبْطَاء ، ومِن هَهُنَا جُعِلَ اليأسُ غِنًى والطمعُ فقرًا ، وأُوسِعَ صاحبُ هذَا ذمًّا ، وصاحبُ هذَا شُكرًا . ألاَ تَرَى أنَّ ليتَ ولعلَّ حرفانِ مِن الحروفِ الناصبةِ ، ولا أعنِى بذلكَ إلاَّ نَصَبَ النفسِ التِى لا تزالُ بِه [٦] تَعِبَةً لاغِبَةً .

بعضُ [٧] هذِهِ المعانِى مأخوذٌ مِن شعرِ أبِى تمَّام ، وهو :

تَوَهُّمُ آجِلِ الطَّمَعِ المُفِيتِى   تَيَقُّنُ عَاجِلِ اليَأْسِ المُنِيلِ [٨]

---

(١) فى ع : « يحلو » تصحيفا . والسماك الرامح : نجم نير . اللسان فى (س م ك) .

(٢) البيت من الكامل فى ديوان البحترى ١/ ٤٧٣/ ق ١٩٥ ، وسَعْد الذَّابِحُ : منزل من منازل القمر، أحد السعود . اللسان فى (ذ ب ح) ، وراجع العمدة لابن رشيق ٢/ ٢٥٥ .

(٣) فى ط : « أشد » .

(٤) فى ع : « البأس » تصحيفا .

(٥) فى ت ، وط : « كرب الإبطاء » .

(٦) فى ت : « الذى لايزال تعبة لاغبة » ؛ وفى ط : « إلا نَصَبَ النفس الذى لاتزال تعبة لاغبة » .

(٧) فى ت : « وبعض » .

(٨) البيت من الوافر فى ديوان أبى تمام ٤/ ٤١٦/ ق ٤٠٨ . وينتهى هنا خرم وقع فى م ، ون بدأ فى نهاية الصفحة السابقة .

ومِن هذَا القسمِ مَا ذكرتُه فِي [فصلٍ مِن] (١) كتابٍ يتضمَّنُ تعزيةً ، وهوَ : إذَا فازَ المرءُ مِن اليقينِ بحظِّه ، ولَحَظَ الدنيَا بقلبِه لا بلحظِه ؛ عَلِمَ أنَّ عطايَاهَا (٢) عاريةٌ مردودةٌ ، وأنَّها وإنْ طالتْ مدةُ وجودِهَا فإنَّها مفقودةٌ ومَا ينبغِي لَهُ حينئذٍ أنْ يُسَرَّ بالشيءِ المُعَار ، ويحزنُ إذَا دُخِرَ (٣) لَهُ فِي خزائنِ الادِّخَار (٤) ، ونُقِلَ (٥) مِن دارِ المتاعِ إلَى دارِ القَرَار . وبعضُ هذَا الكلامِ مأخوذٌ مِن شعرِ أبى تمَّام :

وَأَكْثَرُ حَالاتِ ابْنِ آدَمَ خِلْفَةٌ (٦)
يَضِلُّ (٧) إِذَا فَكّرْتَ فِي كُنْهِهَا الفِكْرُ
فَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ المُعَارِ بَقَاؤُهُ
وَيَحْزَنُ لمَّا صَارَ وَهُوَ لَهُ ذُخْرُ (٨)

ولا خفاءَ بمَا فِي [هذَا] (٩) الكلامِ المنثورِ مِن الزيادةِ علَى هذينِ البيتينِ .

ومِمَّا يَنْخَرِطُ (١٠) فِي هذَا السِّلْكِ مَا ذكرتُه فِي فصلٍ مِن كتابٍ ، وهوَ: كانتْ

---

(١) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٢) فى ع : « عقاباها » تحريفا .
(٣) فى ت ، وط ، ون : « ذخر » .
(٤) فى ن : « الأخبار » خطأ .
(٥) فى ع : « ونقد » تحريفا .
(٦) فى م ، وع : « خلقة » .
(٧) فى م : « يظل » .
(٨) البيتان من الطويل فى ديوان أبى تمام ، ورواية البيت الأول :
. . . . خلقة
وفى شرح الخطيب التبريزى لهذا البيت يقول : « المعنى يَصِحُّ على : خِلْقَةٌ ، وخِلْفَةٌ ؛ فإذا رويت بالقاف فالمعنى أن حالات ابن آدم طبعه وخلقته التى جبل عليها . . . ، وإذا رويت خلفة بالفاء فالمعنى أن حالات ابن آدم مختلفة » ٤/٨٦/ ق ١٩٣ .
(٩) الزيادة من ط ، ون .
(١٠) فى م : « ومما نظمته » خطأ .

الدُّنْيَا بِهِ مسرورةً فَطُوِيَ [١] عنها لباسُ [٢] السُّرُور ، وكانتِ الزُّلْفَى لهَا بحياتِهِ فانتقلتِ [٣] الزُّلْفَى إلَى أهلِ القُبُور . فيا بُؤْسَى للأحياءِ [٤] بِبُعْدِهِ ، ويا طُوبَى للأمواتِ باقترابِهِ ؛ ولا واللهِ مَا عَلِمَ الناسُ قَدْرَ هذَا الرُزْءِ لأنَّهم لمْ يُوَفُّوهُ حقَّ مُصابِهِ [٥] . ومَا أقولُ إنَّه كانَ للأرضِ إلاَّ بمنزلةِ الأرواحِ [٦] مِن الأجسادِ ، ولا شَكَّ أنَّ السماءَ حسدتْهَا علَى الاختصاصِ بِهِ فمَا أُعِيذَتْ [٧] مِن حَسَدِ الحُسَّادِ . وبماذَا يمدحُه المادحُ [٨] ، وقدْ أَسْلَمَهُ العَيَانُ إلَى الخَبَر ، وإنْ قِيلَ لولا النَّبِيُّ لمْ تُخْلَقْ [٩] شَمْسٌ ولا قَمَر ؛ قلتُ : ولولا موتُه [١٠] لمْ تُخْسَفْ [١١] شَمْسٌ ولا قَمَر .

وفِي [١٢] هذَا الفصلِ معنَى بيتٍ مِن الشعرِ ، وهوَ قولُ أبِي نُوَاس [١٣] :

لا خَيْرَ لِلأَحْيَاءِ فِي عَيْشِهِمْ
بَعْدَكَ وَالزُّلْفَى لأَهْلِ القُبُورْ [١٤]

---

(١) فى ط : « فَطَوَى » .

(٢) فى ط : « لياس » تصحيفا ، وفى ع : « البأس » تحريفا .

(٣) فى ن : « فانقلبت » .

(٤) فى م : « الأحياء » .

(٥) فى م : « لم يعرفوا قدر مصابه » .

(٦) فى ن : « وما أقول إلا أنه ما كان للأرض إلا بمنزلة الأرواح » .

(٧) فى م : « أعيد » ، وفى ن : « أعيذه من » .

(٨) فى ط : « المداح » .

(٩) فى م ، وع : « يخلق » .

(١٠) فى ن : « مونه » خطأ .

(١١) فى ن : « يخسف » ، وفى ع : « نحسف » تصحيفا .

(١٢) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « فى » .

(١٣) فى ن : « النواس » .

(١٤) البيت من الخفيف فى ديوان أبى نواس ص ٣٤٣ .

وفيهِ معنَى خبرٍ مِن الأخبارِ النبويَّةِ ؛ إلاَّ أنَّ هذَا المَوْضِعَ يتعلَّقُ بحلِّ [١] الشعرِ ، وإذَا جاءَ [فيهِ] [٢] معنِى الخبرِ أو الآيةِ كانَا [٣] ضمنًا وتبعًا .

« ومِن هذَا النحوِ مَا ذكرتُه فِي فصلٍ مِن كتابٍ يتضمَّنُ تعزيةً ، وهوَ : كيفَ يُظْلِمُ ذلكَ اللَّحْدُ وبهِ مِن أعمالِ ساكنهِ أنْوَار ، أمْ كيفَ يُجْدِبُ وبهِ مِن فيضِ يمينهِ سحابٌ مِدْرَار ؛ أمْ كيفَ يُخْفِيهِ [٤] طولُ العهدِ علَى زُوَّارِه وطِيبُ تُرَابِهِ [٥] هَادٍ للزُوَّار .

وهذَا الفصلُ فيهِ معنَى بيتٍ [٦] مِن الشعرِ

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ
فَطِيبُ تُرَابِ الْقَبْرِ دَلَّ [٧] عَلَى الْقَبْرِ [٨]

وكذلكَ قلتُ فِي فصلٍ [٩] مِن كتابٍ أُعَزِّى [١٠] بِه بعضَ الإخوانِ فِي [١١] أخيهِ ، وهوَ : ويا أسفًا كيفَ أَطَأُ علَى ظهرِ الأرضِ ، وهوَ فِي بطنِهَا ملحُودَا ، أمْ كيفَ أرعَى نجومَ السماءِ وليسَ [هوَ بينَهَا] [١٢] موجُودَا ، أمْ كيفَ أَعُدُّ أسماءَ البحارِ وليسَ [هوَ] [١٣] فِي جُملتِهَا معدُودَا ، أمْ كيفَ أَحْمَدُ مِن

---

(١) فى الأصل : « بكل » وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٢) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون .
(٣) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « كان » .
(٤) فى ع : « تخفيه » تصحيفا . (٥) فى ت : « تربه » .
(٦) فى الأصل ، وت ، وم ، ون ، وع : « من بيت » ؛ وما أثبته من ط .
(٧) فى ط ، وع : « نمّ » .
(٨) البيت من الطويل لصريع الغوانى مسلم بن الوليد ص ٣٢٠/ ق ١٢٦
(٩) فى ط : « وهو فصل » .
(١٠) فى ع : « أغرى » تصحيفا . (١١) « فى » سقطت من ع .
(١٢) فى الأصل : « وليس منها موجودا » ، وما أثبته من ت ، وفى ط ، وع : « وليس بينها » .
(١٣) الزيادة من ت ، وفى ط : « أعُدُّ نجوم السماء وليس فى جملتها » .

بعدِه [١] عيشًا وقدْ كانَ العيشُ كاسمِه محمودًا وهذَا الميْتُ [٢] كانَ اسمُه محمودًا [٣] وفِي هذَا الفصلِ مَا هوَ مأخوذٌ [٤] مِن الشعرِ ، وهوَ :

بِرَغْمِي أَنْ أُعَنِّفَ فِيكَ دَهْرًا قَـلِـيـلاً فِـكْـرُهُ بِـمُـعَـنِّـفِـيـهِ
وَأَنْ أَرْعَى النُّجُومَ وَلَسْتَ فِيهَا وَأَنْ أَطَأَ التُّرَابَ وَأَنْتَ فِيهِ » [٥]

ومِن هذَا البابِ [٦] مَا ذكرتُه فِي صدرِ كتابٍ إلَى الديوانِ العزيزِ النبويِّ ببغدادَ [٧] ، وهوَ : إذَا أنشأَ [٨] الخادمُ كتابًا إلَى الأبوابِ الشريفةِ تحاسدتْ علَى الاختصاصِ [٩] بِه ضروبُ المعانِي ، وتمنَّى كلٌّ منها أنْ يُودَعَ فِي أثنائهِ [١٠] حتَّى تنازعتْ فِي الأمانِي ؛ ولوْ طمعتِ القوافِي أنْ تتضمَّنَه [١١] ؛ لظلَّتْ فيهِ ساهِرَة ، ولأضحتْ [١٢] علَى الخُطَبِ وخُطبائِهَا فاخِرَة . لكنَّها علمتْ ألاَّ مطمعَ لهَا فيمَا

---

(١) فى ط : « أحمد بعده » .

(٢) فى ت : « الميِّت » .

(٣) فى ت ، وع : « كان اسمه محمود » .

(٤) فى ط : « وهذا الفصل مأخوذ » .

(٥) البيتان من الوافر للماهر الحلبي : أحمد بن عبيد الله بن فضال أبو الفتح الموازيني الحلبي الشاعر المعروف بالماهر المتوفَّى سنة ٤٥٢ هـ ، الوافى بالوفيات للصفدى ٧/ ١٧٤ ، دار صادر - بيروت ١٩٦٩ ، باعتناء إحسان عباس ، ورواية البيت الأول :

برغمي أن ألوم عليك دهرا قليلا فكره بمعنفيه

وهنا نهاية خرم وقع فى م ، ون بدأ فى ص ٢٦٣ .

(٦) فى ن : « النحو » .

(٧) فى ط : « ببغذاذ » ، وفى م : « بتعداد » تصحيفا .

(٨) فى ع : « نشأ » .

(٩) فى ع : « الأخصاص » تصحيفا .

(١٠) فى م : « أبياته » .

(١١) فى م : « يتضمنه » ، وفى ع : « فى أن تتضمنه » .

(١٢) فى م : « ولا أضحت » تحريفا ، وفى ن : « ولأصبحت » .

اختُصَّ القرآنُ بتنزيلِ (١) مدحِه ، وتولَّى الروحُ الأمينُ تفصيلَ شرحِه . ولكُتُبِ الخادمِ فضلٌ [علَى] (٢) مَا يصدرُ عَن (٣) غيرِه مِن كُتَّاب ، وليسَ ذلكَ (٤) إلاَّ لأنَّ ولاءَه يحوكُ (٥) رياضَهَا (٦) والروضُ علَى قَدْرِ السَّحاب . وقدْ تصفَّحَهَا الديوانُ العزيزُ فاستقامتْ علَى نظرِهِ أولاً وأخيرًا ، ولوْ صدرتْ عَن غيرِ ولاءٍ صادقٍ لوجدَ (٧) فيهَا اختلافًا كثيرًا .

هذَا الفصلُ فيهِ معانٍ كثيرةٌ ، وهوَ مِن محاسنِ مَا يُكْتَبُ فِي مثلِ هذَا الموضعِ . وليسَ فيهِ مَا هوَ مأخوذٌ مِن الشعرِ إلاَّ معنًى واحدٌ مِن شعرِ أبِي تمَّام :

تَحَاسَدَ الشِّعْرُ فِيهِ إِذْ سَهِرْتُ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقْتَتِلُ (٨)

والذِي تضمَّنَه (٩) الكلامُ المنثورُ (١٠) مِن المعانِي الباقيةِ أكرمُ محتدًا ، وأعذبُ (١١) موردًا ، وأسدُّ مقصدًا ؛ وفِي حُسْنِهِ مَا يشهدُ لنفسهِ ، وهلْ يحتاجُ النهارُ إلَى شاهدٍ بعدَ طلوعِ شمسِه ؟ .

---

(١) فى ن : « فيما احتضن القرآن تنزيل » وهى عبارة أصابها التحريف .

(٢) الزيادة من ت ، وط ، ون ، وفى م : « فصل على » تصحيفا .

(٣) فى ط : « ما يصدر من » .

(٤) فى ت : « ذاك » .

(٥) فى ن : « بحوك » .

(٦) فى ت : « روضها » .

(٧) فى م : « لوجدوا » .

(٨) ينظر ابن الأثير فى هذه الفقرة إلى ما كتبه ابن زيدون لابن الأفطس الحاجب ، راجع ديوان ابن زيدون / ٢٦٢ ، والبيت من البسيط فى ديوان أبى تمام ٣/ ١٠/ ق١١١ ، وروايته :

تغاير . . . .

(٩) فى م : « نظمته » تحريفا .

(١٠) فى ع : « المنشور » تحريفا .

(١١) فى ع : « واعذاب » تحريفا .

ومِن هذَا القسمِ مَا ذكرتُه فِى إِبَاقِ غُلامٍ ، وهوَ فصلٌ مِن كتابٍ [(١)] : وأمَّا فلانٌ فإنَّه أَبِقَ مِن يدِ كريمٍ لوْ كانَ للدنيَا سَعَةُ صدرِه لمْ تَضِقْ [(٢)] بطالِبٍ ، ولا ضاقتْ علَى هارِبٍ . فيَا وَيْلَهُ يَنْتَجِعُ والروضُ [(٣)] فِى منزلِه [ويستمطرُ] [(٤)] والغيثُ فِى مَنْهَلِهِ ؛ ومَا هوَ إلاَّ كَمَنْ باعَ الصحَّة بالسُّقْمِ [(٥)] ، والثروةَ بالعُدْمِ ، وستردُّه الأيامُ إِلَى بابِه بعدَ أنْ تأخذَ فِى تهذيبِه ، وتَذُمَّ [(٦)] إليْه عُقْبَى تجريبِه ، وتُعَلِّمُه أنَّ خيرتَهُ فِى ملازمةِ ذلكَ البابِ الذِى مَا فارقَهُ أحدٌ إلاَّ شَوَى وجهَهُ حَرُّ [(٧)] الهجيرِ ، ولا استظلَّ بظلِّهِ إلاَّ وجدَ على [كَبِدِهِ] [(٨)] بَرْدَ العَذْبِ النَّمِيرِ .

وبعضُ هذهِ المعانِى مأخوذٌ [(٩)] مِن شعرِ أبى الطيِّبِ المتنبِّى [(١٠)] وشعرِ مُسْلِمِ بْنِ الوليدِ [(١١)] . أمَّا أبو الطيِّبِ فقولُه :

تَضِيقُ عَنْ جَيْشِهِ الدُّنْيَا وَلَوْ رَحُبَتْ
كَصَدْرِهِ لَمْ تَبِنْ فِيهَا عَسَاكِرُهُ [(١٢)]

---

(١) « فصل من كتاب » غير موجودة فى ت .
(٢) فى الأصل : « يضق » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٣) فى ن : « والروص » تصحيفا .
(٤) ممحوة فى الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٥) فى ع : « بالعدم » خطأ لانتقال عينه .
(٦) فى ت : « وتدمُّ » خطأ .
(٧) فى ع : « جر » تصحيفا .
(٨) فى الأصل : « كفه » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٩) فى ت ، وم ، وع : « مأخوذة » خطأ ، وفى ن : « وبعض هذه مأخوذ » .
(١٠) فى ت : « أبى الطيب » ، وفى م سقط قوله : « وشعر مسلم بن الوليد » ، وفى ن : « المتنبى ومسلم بن الوليد » .
(١١) فى ن : « الولد » خطأ .
(١٢) البيت من البسيط فى ديوان المتنبى ص ٣٧ .

والذِى ذكرتُه أنَا (١) فِى هذَا (٢) الموضعِ ألطفُ وأحسنُ (٣) ، وإنْ كانَ أصلُه منه وهذَا مِن (٤) الكيمياءِ الذِى تقدَّمَ ذكرُه . وأما مسلمُ بنُ الوليدِ فقولُه :

وَتُرجِعُنِى (٥) إلَيكَ إذَا نَبَتْ بِى
دِيَارِى عَنكَ تَجرِبَةُ الرِّجَالِ (٦)

ومِن هذَا القسمِ (٧) مَا ذكرتُه فِى جملةِ كتابٍ يتضمَّنُ (٨) شفاعةً ، وهوَ : العفوُ عَن المذنبِ (٩) عقوبةٌ لعِرْضِهِ وإنْ نَجَا بسلامةِ نفسِهِ ، وجنايتُه هىَ التِى (١٠) تُلبِسُهُ غَضَاضَتَهَا مَا لمْ يَبْلُغْهُ العِقَابُ بِلُبْسِهِ ؛ وقدْ قيلَ : إنَّ الرفقَ بالجانِى عِتَاب (١١) والإحسانُ إليهِ مَتَاب . ولا شَكَّ (١٢) فِى أنَّ بَسْطَةَ القدرةِ تَذْهَبُ بالحفيظةِ (١٣) وتُزِيلُ وَ[جَرُ الصدورِ] (١٤) المغيظةِ . والسجايَا اللطيفةُ تَأْبَى أنْ تَخْشُنَ علَى مَن أصبحَ فِى

---

(١) « أنا » سقطت من ت . (٢) فى ع : « هذه » خطأ .

(٣) فى ع : « أحسن وألطف » .

(٤) « من » سقطت من ع .

(٥) فى ع : « ويرجعنى » .

(٦) البيت من الوافر فى ديوان مسلم بن الوليد ٣٣٦/ ق ١٧٢ ، وروايته :

وترجعنى إليك وإن نبت بى . . . .

(٧) فى م : « القدر » .

(٨) فى ع : « تضمن » ، وفى هامش الصفحة لأعلى : ما قيل فى العفو عن المذنب .

(٩) فى ن : « الذنب » تحريفا .

(١٠) فى ت : « التى هى » .

(١١) فى م : « إن الثانى بالحانى » وهى عبارة مضطربة ، وفى ع : « عقاب » .

(١٢) فى الأصل : « ولا يقال » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(١٣) فى م : « ولا شك أن فى بسطة القدرة ما يذهب بالحفيظة » .

(١٤) ممحوة فى الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، وفى ن : « وجد القلوب » خطأ ، وفى ع : « وحر » تصحيفا .

ووجر الصدور : الغصة والخوف ، الفائق فى غريب الحديث ٣ / ١٣٤ . وقيل : الغيظ .

قبضتِهَا أسيرًا ، ولمْ يجدْ سواهَا ملجأً ولا ظهيرًا ، ومِن شأنِهَا أنْ يكونَ رضاهَا شفيعًا[١] إلَى غضبِها ، وإنْ نبضتْ [منْها] [٢] بادرةُ [٣] سهم ردَّتْهَا شيمةُ التَّغَمُّدِ [٤] علَى عَقِبِهَا ؛ ولا [٥] شافعَ إليْها إلاَّ وسيلةُ كَرَمِهَا [٦] ، ولا ذِمَّةَ عنها إلاَّ الاسْتِذْمَامُ بحَرَمِهَا [٧] .

وبعضُ هذَا مستنبطٌ مِن شعرِ أبى تمَّام وشعرِ الشَّرِيفِ الرَّضِىِّ وشعرِ أبِى الطيِّبِ المتنبِّى .

أمَّا أبو تمَّام فقولُه :

سَتُصْبِحُ الْعِيسُ بِى وَاللَّيْلُ عِنْدَ فَتًى
كَثِيرِ ذِكْرِ الرِّضَا فِى سَاعَةِ[٨] الْغَضَبِ [٩]

وأمَّا الشَّرِيفُ الرَّضِىُّ [١٠] فقولُه :

لاَ سَفِيرَ إِلَيْكَ إلاَّ مَعَالِيـ ـكَ ولا شَافِعٌ إِلَيْكَ[١١] سِوَاكَا[١٢]

وأمَّا أبو الطيِّبِ المتنبِّى فقولُه :

تَرَفَّقْ أيُّهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الرِّفْقَ بِالْجَانِى عِتَابُ [١٣]

---

(١) فى ن : « أن رضاها شفيع » .

(٢) كشط فى الأصل ، وما بين المعقوفين من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٣) فى م : « بادرت » خطأ .

(٤) فى الأصل : « النعمد » ، وما أثبته من ت ، وط ، وع ؛ وفى م ، ون : « التعمد » .

(٥) فى ت ، وط ، وم ، ون : « فلا » .

(٦) فى م : « كربها » تحريفا . (٧) فى م : « بحرمتها » .

(٨) فى م : « فى حالة » .

(٩) البيت من البسيط فى ديوان أبى تمام ١/ ١١٢/ ق ٧ .

(١٠) فى ع : « الرضا » خطأ .

(١١) فى ن : « إليها » .

(١٢) البيت من الخفيف فى ديوان الشريف الرضى ٢/ ١٠٢ ، دار صادر - بيروت ١٩٩٤ .

(١٣) البيت من الوافر فى ديوان المتنبى / ٣٧١ ، و فى ع : « عقاب » .

إلاَّ أنَّ المأخوذَ مِن قولِ أبى الطيِّبِ المتنبِّى [١] إنَّما هوَ اللفظُ والمعنَى [٢] معًا ، وَوَرَدَ ههُنا تبعًا لِمَا أُخِذَ بعضُ لفظِه وإنْ لمْ يكنْ مِن بابِه . وقدْ تقدَّمَ القولُ [٣] : إنَّه إذَا أَخَذَ الناثرُ لفظًا لشاعرٍ مجتهدٍ [٤] قدْ نَقَّحَهُ وَحَسَّنَهُ فينبغِى أنْ يُوَاخَى بمثلِه . ألاَ تَرَى إلَى قولِ أبِى الطيِّبِ المتنبِّى [٥] : إنَّ الرفقَ بالجانِى عِتَابٌ مِن أفصحِ الكلامِ [وألطفِهِ] [٦] وأبلغِهِ ، وقدْ شَهِدَ الفضلاءُ بفضيلتِهِ وأقرُّوا بمزيَّتِهِ . [٧] فلمَّا أخذتُه وَاخَيْتُهُ بِمَا هوَ أحسنُ منه ؛ فقلتُ : إنَّ الرفقَ بالجانِى عِتَاب [٨] والإحسانُ إليْه مَتَاب . فقولِى : والإحسانُ إليْه مَتَاب أحسنُ موقعًا وألطفُ مأخذًا . ومعناهُ أنَّكَ [٩] إذَا أحسنْتَ إلَى الجانِى فِى قُبَالَةِ [١٠] جنايتِه كانَ ذلكَ سببًا لتوبتِه أنْ يعاودَ جنايةً .

ومِن هذَا القسمِ مَا ذكرتُه فِى وصفِ الفضائلِ [١١] ، وهوَ إذَا ادَّعَتْ لَهُ الأوصافُ [١٢] رتبةَ فضلٍ [١٣] شَهِدَ شاهدٌ مِن أهلِهَا ، وكفتْهُ وراثتُها [١٤] عَن آبائِه أنْ

---

(١) « المتنبى » غير موجودة فى ت ، ون .

(٢) « والمعنى » غير موجودة فى ع .

(٣) « القول » غير موجودة فى ت .

(٤) فى ت ، وم ، ون ، وع : « مجيد » ، والكلمة غير موجودة فى ط : « » .

(٥) « المتنبى » غير موجودة فى م .

(٦) الزيادة من ط .

(٧) فى ط : « وأقر » تحريفا ، وفى ن : « وأقروا بمرتبته » .

(٨) فى ت : « عتَّاب » خطأ .

(٩) « أنك » غير موجودة فى ع .

(١٠) فى ن : « مقابلة » .

(١١) فى هامش ع عنوان : فى وصف الفضائل .

(١٢) فى ت : « العلياء » ، وفى ن ، وع : « ادعت الأوصاف » .

(١٣) فى م : « فصل » تصحيفا .

(١٤) فى م : « وراثها » تحريفا ، وفى ع : « وراثته » خطأ .

يشارِكَه [١] البُعَدَاءُ فِي فضلِهَا . وأحقُّ الناسِ بالمعالِى [٢] مَن كانَ فيهَا عريقًا ، [٣] ولا يكونُ المرءُ خليقًا بهَا إلاَّ إذَا كانَ أبوهُ بهَا [٤] خليقًا . وإذَا زَكَتْ أصولُ الشجرِ زَكَتْ فروعُه ، ولا يَعْذُبُ مذاقُ الماءِ إلاَّ إذَا طابَ يُنبوعُهُ .

ويعضُ هذهِ الكلِماتِ مأخوذٌ [٥] مِن شعرِ أبِى عُبادة البحترىِّ فِى قولِه :

لا يَحْتَذِى [٦] خُلُقَ القَصِىِّ وَلا يُرَى
مُتَشَبِّهًا [٧] فِى سُؤدِدٍ بِغَرِيبِ
وَأَرَى النَّجابَةَ لا يَكُونُ تَمَامُهَا
لِنَجِيبِ قَوْمٍ لَيسَ بِابْنِ نَجِيبِ [٨]

ومِن هذَا القسمِ مَا ذكرتُه فِى كتابٍ يتضمَّنُ عنايةً بشخصٍ [٩] قدْ مَسَّهُ الزمانُ ، وهوَ : هذَا الكتابُ واردٌ مِن يَدِ فُلانٍ ، وقدْ قَصَدَ الْبابَ الكريمَ فارًّا مِن الإعدامِ ، وهوَ عدوُّهُ الذِى أَخَذَ بِكَظْمِهِ [١٠] ، واشْتُقَّ لَهُ العُدْم مِن معنَى اسْمِهِ ، ولا يعينُه علَى قتلِه إلاَّ مَن يسمحُ لَهُ بِدِيَةِ القَتِيل ، ويَرَى الكثيرَ [١١] مِن عطائِهِ بعينِ القَلِيل . ومَا كلُّ مَن شاءَ استمرَّتْ يدُه بالسَّمَاح ، وقدْ يُحْجِمُ عنه مَن يُقْدِمُ علَى مكروهِ الصِّفَاح ؛

---

(١) فى الأصل ، وت ، وط ، وم ، وع : « يشارك » ؛ وما أثبته من ن .
(٢) فى ن : « المعانى » خطأ .
(٣) فى م : « غريقا » تصحيفا .
(٤) « بها » غير موجودة فى م .
(٥) فى م : « مأخوذة » خطأ .
(٦) فى م : « لايحتدى » ، وفى ن : « لايجتدى » تصحيفا .
(٧) فى ن : « متشبه » خطأ .
(٨) البيتان من الكامل فى ديوان البحترى ١/ ٢٤٧، ٢٤٨/ ق ٨١ .
(٩) فى م : « لشخص » .
(١٠) فى م : « يكطمة » تصحيفا .
(١١) فى م : « الكبير » .

علَى أنَّه قدْ قيلَ : إنَّ بينَ الشيمتينِ إخَاء . فالسخاءُ يكونُ نجدةً ، والنجدةُ تكونُ سَخَاء (١) . ومصداقُ هذَا القولِ اجتماعُهما لليدِ الكريمةِ المولويَّةِ (٢) التِي أَلِفَتْ إنجاحَ الوعدِ وإنجاحَ الوَعِيد ، وضَمِنَتْ أرزاقَ الناسِ وأرواقَ الحَدِيد ، وقالتْ فِي النَّدَى هلْ مِن صادٍ ، وفِي الوَغَى (٣) هلْ مِن مَزِيد ؟ . فالسارِى إلَى أبوابِها لا يَضِلُّ به نهجُ السُّرَى ، وهوَ مهتدٍ منها (٤) علَى قَبَسِ القِرَاع أو قَبَسِ (٥) القِرَى . فمَن كانتْ لَهُ نارٌ فَلْتَكُنْ كهاتينِ النارينِ ، أو كانَ لهُ منارٌ وعُلاً (٦) فَلْيَكُنْ كهذينِ المنارينِ . وهذَا مِن الكُتُبِ المستحسنةِ فِي بابِها (٧) التِي تَزْهَى بإعجابِها وتَنْأَى (٨) إلاَّ عَن أربابِها .

ومِن المعانِى التِي تضمَّنَه (٩) مَا هوَ (١٠) مأخوذٌ مِن شعرِ أبى الطيِّبِ المتنبِّى ، وأبى عُبادة البحتريّ . أما أبو الطيِّبِ [المتنبِّى] (١١) فقولُه :

هُوَ الشُّجَاعُ يَعُدُّ البُخْلَ (١٢) مِنْ جُبُنٍ
وَهُوَ (١٣) الجَوَادُ يَعُدُّ الجُبْنَ (١٤) مِنْ بَخَلِ (١٥)

---

(١) فى ن : « فإن بالسخاء نجدة ، وبالنجدة سخاء » ؛ وفى ع : « شخاء » تصحيفا .

(٢) فى ن : « العلوية » خطأ . (٣) فى ع : « الوعا » خطأ .

(٤) فى ن : « بهما » ؛ وفى ع : « منهما » خطأ .

(٥) فى ط ، ون : « وقبس » ، وفى م : « قيس القراع أو قيس » تصحيفا .

(٦) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « منار العلا » .

(٧) فى م : « بالها » تحريفا .

(٨) فى ن : « وتناءى » .

(٩) فى ت ، وط : « تضمنته » ، وفى ن : « تضمنتها » . والصواب : ومن المعانى التى تضمنها . حتى يعود الضمير فى جملة الصلة على موصوله .

(١٠) « ما هو » ضرب عليها الناسخ فى م خطين ؛ ولم يثبتها .

(١١) الزيادة من ت ، ون . (١٢) فى م : « النجل » تصحيفا .

(١٣) فى ع : « هو » .

(١٤) فى م : « الحبن » تصحيفا .

(١٥) البيت من البسيط فى ديوان المتنبى ص ٢٦٦ .

وأمّا (١) أبو عُبادة البحتريّ فقولُه :

— وَمَا البَذْلُ (٢) بِالشَّىْءِ الَّذِى يَسْتَطِيعُهُ
مِنَ القَوْمِ إلاَّ [الأَرْوَعَ] (٣) المُتَهَجِّمُ
وَيُحْجِمُ (٤) أَحْيَانًا عَنِ (٥) الجُودِ بَعْضُ مَنْ
تَرَاهُ عَلَى مَكْرُوهَةِ السَّيْفِ يُقْدِمُ (٦)

ومِن هذَا القسمِ مَا ذكرتُه فِى الشكرِ فِى فصلٍ مِن كتابٍ ، وهوَ : منحتُه عقيلةَ شكرِى التِى تزيدُ حُسْنًا علَى كثرةِ الابتذالْ ، وتَسْتَجِدُّ (٧) شبابًا علَى مرورِ الأيامِ [والليالْ] (٨) ، وتكثرُ أسلابُها (٩) فِى السلمِ ومَظِنَّةُ الأسلابِ القتالْ .

وهذَا (١٠) مأخوذٌ مِن شعرِ أبى تمّام فِى قولِه يصفُ قصيدةً (١١) مِن شعرِه :

خُذْهَا ابْنَةَ الفِكْرِ المُهَذَّبِ فِى الدُّجَى
وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةُ (١٢) الجِلْبَابِ
بِكْرًا تُوَرِّثُ فِى الحَيَاةِ وَتَنْثَنِى (١٣)
فِى السِّلْمِ وَهْىَ كَثِيرَةُ الأَسْلابِ

---

(١) فى ع : « أما » . (٢) فى م : « النذل » تصحيفا .
(٣) ما بين المعقوفين ممحو فى الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٤) فى م : « ويهجم » تحريفا .
(٥) فى ن : « على » .
(٦) البيت من الطويل فى ديوان البحترى ٣/١٩٢٦/ ق ٧٤٩ .
(٧) فى م : « الابتدال ويستجد » تصحيفا .
(٨) فى الأصل ، وم : « والليالى » ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع لمناسبة السجع .
(٩) فى م : « ويكثر استلابها » . (١٠) فى م : « وهو » .
(١١) فى ت ، وط ، وم ، ون : « قصيدا » .
(١٢) فى ط : « رفعة » تصحيفا .
(١٣) فى م : « وينثنى » .

[وَيَـزِيـدُهَـا مَـرُّ الـلَّـيَـالِـى جِـدَّةً
وَتَقَادُمُ الأيامِ حُسْنَ شَبَابِ] (١)

« وكذلكَ قلتُ أيضًا ، وهوَ فصلٌ مِن كتابِ : وقدْ (٢) بلغَ العبدُ فِى شكرِ مولانا كلَّ غايةٍ ، وجاوزَ كلَّ مَدَى ، ومعَ هذَا فإنَّه عَجزَ عَن مكافأةِ أيادٍ لَمْ تعْتَدَّ (٣) عليْه منْها يدًا ، وتركُ الامتنانِ يَعْصِفُ بالشكرِ عَصْفَ الرِّيَاحِ ، ويقولُ : أنَا صامتٌ وأنتَ ناطقٌ ؛ فمَن الذِى فازَ منَّا بالإفْصاحِ وعلَى كلِّ حالٍ فإنَّه (٤) لايرتفعُ بالشكرِ ذِكْرًا ، والبحرُ إذَا جَرَتْ مياهُ الأرضِ إليْه فإنَّه (٥) لا يَعْظُمُ قَدْرًا ؛ وكمَا أنَّه لا ينقصُ مالُ (٦) مولانَا بالنعمةِ علَى عبدِه فكذلكَ (٧) لا يستزيدُ بالشكرِ (٨) فى طلاوةِ مجدِه . وليسَ لَه إذنْ ما يَمُتُّ بِه إلاَّ أنْ يقولَ : قدْ مَلَكَ ولائِى رِقًّا وقلبًا ، وصارَ الظاهرُ والباطنُ فى يديْه طوعًا لا غصبًا .

وبعضُ هذهِ المعانى مأخوذٌ (٩) من شعرِ أبى العَتَاهِيَةِ (١٠) فى قولِه :

---

(١) هذا بيت انفردت به ط ، وهو متمم لما حله ابن الأثير ، والأبيات من الكامل فى ديوان أبى تمام ١/ ٩٠/ ق ٤ .

(٢) فى ت ، وط ، وع : « قد » .

(٣) فى الأصل ، وت ، وع : « يَعْتَدّ » وما أثبته من ط .

(٤) « فإنه » غير موجودة فى ت .

(٥) « فإنه » غير موجودة فى ت .

(٦) « مال » غير موجودة فى ع .

(٧) فى ع : « وكذلك » .

(٨) فى ت ، وط : « بشكره » .

(٩) فى ع : « مأخوذة » .

(١٠) أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم ، شاعر زمانه ، لقب بأبى العتاهية لاضطراب فيه ، وقيل : كان يحب الخلاعة ، تنسك بآخرة ، وقال فى المواعظ والزهد فأجاد ، ولد ١٣٠ هـ ، وتوفى ٢١١ ، وقيل ٢١٣ هـ . راجع سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٩٥ وما بعدها ، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٦٥ و ٢٦٦ ، ووفيات الأعيان ١/ ٢١٩: ٢٢٦ ، واللسان مادة (ع ت هـ) .

وَلَمْ أَرَ مُثْنِيًا أَثْنَى عَلَى ذِى
فَعَالٍ قَطّ أَفْصَحَ مِنْ فَعَالِهْ » [(١)]

ومِن هذا القسمِ أيضًا [(٢)] ما ذكرتُه فى وصفِ فرسٍ هجينٍ ، وهوَ [(٣)] : فرسٌ له مِن العربيَّةِ حَسَبُ أصْلِها ، ومِن الكُرْدِيَّةِ نَسَبُ [(٤)] جهلِها ؛ فهوَ مِن [(٥)] بينِهِمَا مُسْتَنْتَجٌ ، لا ينتسبُ [(٦)] إلى الضبيبِ [(٧)] ، ولا إلى أَعْوَجَ . ومِن صفاتِه أنّه رَحْبُ اللَّبَانِ ، عريضُ البِطَانِ [(*)] ، سَلِسُ العِنَانِ ، ينثنى على قَدْرِ الطِّعَانِ ، وعلى قَدْرِ الكُرَةِ والصولجانِ . وقد [(٨)] استوتْ حالتاهُ : بادنًا ومُضْطَمِرًا [(٩)] ؛ فإذَا أقبلَ خِلْتَهُ مرتفعًا وإذا [(١٠)] أدبرَ خِلْتَهُ منحدرًا ؛ كأنّه فى حُسْنِهِ دُمْيَةُ [(١١)] مِحْرَاب ، وفى خَلْقِهِ

---

(١) البيت من الوافر وهو فى ديوانه ص ٣٦٧ ، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م . وروايته :

ولـم تـر ....

وهنا ينتهى خرم وقع فى م ، ون يبدأ فى الصفحة السابقة من قوله : وكذلك قلت . . . ، وفى هامش ع عنوان : وصف الفرس العربى .

(٢) « أيضا » غير موجودة فى ت ، وم .

(٣) « وهو » غير موجودة فى ع .

(٤) فى ن : « من العربية حسب ، ومن الكردية نسب » .

(٥) « من » غير موجودة فى ت .

(٦) فى ط ، وم : « لا ينسب » .

(٧) فى م : « الضبييت » تحريفا ، وفى ن : « لا يتتسب إلى خبيب ولا إلى إلى أعوج » ، والضبيب فرس من خيل العرب ، اللسان مادة (ض ب ب) . وأَعْوَجُ : اسم فرس نسب إليه الأعوجيات وليس فى العرب فحل أشهر ولا أكثر نسلا منه . اللسان فى (ع و ج) .

(*) والبطان : الحزام الذى يجعل تحت بطن البعير . اللسان فى (ب ط ن) .

(٨) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « قد » .

(٩) فى م : « مضمطرا » تحريفا ، وفى ن : « حالتاه قادما ومتأخرا » ، وفى ع : « ومصطمرا » تصحيفا . والمضطمر الذى فى وسطه بعض الانضمام ، اللسان مادة (ض م ر) .

(١٠) فى م : « فإذا » .

(١١) فى م : « دمية » ، وفى ع : « ذمية » خطأ .

ذروةُ [١] هِضَاب . وهو فى سباقِهِ [٢] ولحاقِهِ مُخلِّقٌ بخَلُوقِ [٣] المِضْمَارِ ، وبدمِ السِّرْبِ [٤] والصُّوَارِ ؛ فهو منسوبٌ إلى ذواتِ [٥] القوادِمِ وإنْ كانَ محسوبًا فى ذواتِ القوائِمِ . كأنَّما ثُنِىَ لجامُه على سالِفَةِ عُقَاب ، وشُدَّ حزامُه على بارِقَةِ سَحَاب .

وبعضُ هذهِ المعانِى مأخوذٌ [٦] مِن شعرِ عَبْدِ السَّلامِ [بنِ رَغْبَان] [٧] المعروفِ بديكِ الجِنِّ ، ومِن [شعرِ] [٨] أبى الطيِّبِ المتنبِّى [٩] .

أمَّا ديكُ الجنِّ فقولُه [١٠] :

أَحْمَرٌ كَالخِضَابِ فِى صَفْحِ هَادِيـ ـهِ مِنَ الهَادِيَاتِ [١١] مِثْلُ الخِضَابِ
وَكَأَنِّى أَرْمِى الهِضَابَ عَلَى حِيـ ـنِ وَنَاهُ بِقِطْعَةٍ مِنَ هِضَابِ
وَكَأَنِّى رَفَعْتُ بِالبَرْقِ شِمْلا لِى وَلَمَّا أُطَأْطِهَا بعِقَابِ [١٢]

وأمَّا أبو الطيِّبِ المتنبِّى فقولُه :

---

(١) فى م : « دورة » تصحيفا .

(٢) فى ع : « سياقه » تصحيفا .

(٣) فى ن : « مخلق بخلق » ، وفى ع : « بخلق بخلوق » خطأ .

(٤) فى ن : « السراب » خطأ .

(٥) فى ت ، وط : « ذات » . والصُّوار : القطيع من البقر . اللسان فى (ص و ر) .

(٦) فى م ، وع : « مأخوذة » خطأ .

(٧) الزيادة من ت . وقد ولد ديك الجن ١٦١ هـ وتوفى ٢٣٦ هـ أيام المتوكل . سير أعلام النبلاء ١١/١٦٣ وما بعدها ، وفيات الأعيان ٣/١٨٤ : ١٨٨ ، تاريخ دمشق الكبير ٣٦/ ٢٠١ وما بعدها ، والنجوم الزاهرة ٣/٧٨ .

(٨) الزيادة انفردت بها م .

(٩) « المتنبى » غير موجودة فى م ، وفى ع : « بديك الجن وأبى الطيِّبِ المتنبِّى » .

(١٠) فى م : « قوله » .

(١١) فى ن : « الهدايات » خطأ .

(١٢) لم أجد هذه الأبيات فى ديوان ديك الجن ، وهى من الخفيف .

إنْ أَدْبَرَتْ قُلْتُ لا تَلِيلَ لَهَا
أَوْ أَقْبَلَتْ [١] قُلْتُ : مَالَهَا كَفَلُ [٢]

وكَذَا [٣] قولُه :

تَثَنَّى عَلَى قَدْرِ الطِّعَانِ كَأَنَّمَا
مَفَاصِلُهَا تَحْتَ الرِّمَاحِ مَرَاوِدُ [٤]

فانظرْ أيُّها المتأمِّلُ إلى هذا الفصلِ من الكلامِ المنثورِ [٥] ، ووازِنْ بينَ مافيهِ من الألفاظِ « المُرْتَجَلَةِ ، والألفاظِ » [٦] المُتَنَحَلَةِ ؛ حتَّى تعلمَ أنَّ السيفَ لحاملِهِ ؛ لا لصيقلِه ، وأنَّ ضيفَ [٧] المنزلِ أحقُّ بمنزلِه .

ومن ذلكَ أيضًا [٨] ما ذكرتُه فى فصلٍ من كتابٍ يتضمَّنُ وصفَ الخيلِ والمَسِيرِ [٩] ، فممَّا جاءَ منه قولِى : ثمَّ نزلْنا للاستراحةِ ، والهجيرُ قد أخذَ فى الاستعارِ [١٠] ، وقَذَفَ بالدَّرَكِ الأسفلِ من النارِ ، والحرباءُ قد لجأَ إلى ظلِّ المقيلِ ، وسَمَحَ بمفارقةِ عينِ الشَّمْسِ وهوَ بهَا عينُ البخيلِ . فلمْ يكنْ إلاَّ مقدارُ وَضْعِ الرِّجْلِ من الرِّكَابِ، ومصافحةِ الجَنْبِ لصفحةِ الترابِ ، حتَّى قيلَ : قد فَجَأَتْكُمْ عصابةٌ [١١]

---

(١) فى ع : « أدبرت » .
(٢) البيت من المنسرح فى ديوان المتنبى ص ١٢٦
(٣) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « وكذلك » .
(٤) فى ع : « مرواد » خطأ ، والبيت من الطويل فى ديوان المتنبى ص ٣١١ . والمرود : البكرة التى يدور عليها الحبل . اللسان فى (م ر و د) .
(٥) فى ع : « المنشور » تصحيفا .
(٦) ما بين علامتى التنصيص سقط من ن .
(٧) فى الأصل : « صيف » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٨) « أيضا » سقطت من م .
(٩) « والمسير » سقطت من م .
(١٠) فى م : « الاسعار » تحريفا ، ويقابلها فى هامش ع عنوان : وصف مسير الخيل .
(١١) فى ع : « عصاه » تحريفا .

من أهلِ العَيْثِ (١) ؛ تَشْتَدُّ (٢) فى جِرَائِهَا (٣) ، وتَجْنُبُ نَقْعَهَا (٤) من ورائِها ، وقد قَرَّطَتْ (٥) جِيَادَهَا بأعنَّتِها ، وطاولتْ هواديَها بأسنَّتِها ؛ فَعُذْتُ (٦) حينئذٍ بحُرَّةٍ من الخيلِ تدركُ ما كانتْ طالبةً وتفوتُ (٧) ما كانتْ هاربةً ؛ لا تملُّ من موالاةِ (٨) الدءوبِ ، وهىَ عندَ النزولِ كمثلِها عندَ الركوبِ . فلمَّا استويْتُ على ظهرِها عَقَدْتُ مع الريحِ عَقْدَ الرِّهَانِ ، وعَرَضْتُ عليهْا حكمَ الشَّقْرَاءِ والميدانِ ، ثمَّ قلتُ لهَا : إنِ استشعرْتِ (٩) مسابقَتِى فقد جِئْتِ شيئًا فريًا ، وتلوتُ (١٠) قولَه [تباركَ و] (١١) تعالَى (١٢) ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ (١٣) بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً ﴾ (١٤) وما كانَ إلاَّ هُنَيْهَةً (١٥) حتَّى أدركتُ الرَّواحَ عندَ الأظهارِ ، واسْتَسْلَفْتُ (١٦) المدَى بالتقريبِ قبلَ الإحضارِ ؛ وجئتُ الفُرَاتَ (١٧) فلقيتُه منها

(١) فى ن ، وع : « الغيث » تصحيفا . والعيث هو الإسْراعُ فى الفَساد ، اللسان فى (عيث) .
(٢) فى الأصل : « تستد » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٣) فى م : « حراتها » تحريفا . والجراء : الجرى . اللسان فى (ج ر ى) .
(٤) فى ن : « بعضها » خطأ .
(٥) فى ع : « فرطت » تصحيفا .
(٦) فى الأصل ، وم : « فغذبت » ؛ وفى ت ، ون : « فعُدت » ، وما أثبته من ط ، وع .
(٧) فى ع : « ونقوت » تصحيفا .
(٨) فى ت : « موالات » خطأ .
(٩) فى ع : « اشتشعرت » تصحيفا . والشَّقْرَاءُ : اسم فرس . اللسان فى (ش ق ر) .
(١٠) فى م : « ويكون » تحريفا .
(١١) الزيادة من ت .
(١٢) « وتعالى » سقطت من ن .
(١٣) فى ع : « لتتخذ » خطأ .
(١٤) الزخرف / ٣٢ .
(١٥) فى ت : « هنيئة » ، وفى م : « هنية » .
(١٦) فى ن : « واستلفت » .
(١٧) فى ن : « الغزَاة » تحريفا .

بصدرٍ [١] يطاردُ الأمواجَ مطاردةَ الفِجَاجِ ، وعينٍ لا تروعُها [٢] هَبَوَاتُ الماءِ [٣] . كما لا تروعُها [٤] هَبَوَاتُ العَجَاجِ [*] . فتلكَ فَرَسِى التى أُعِدُّهَا لكلِّ مَخُوفَة ، وهى حوتٌ فى كلِّ مَعْبَرٍ [٥] وظَلِيمٌ فى كلِّ تَنُوفَة [٦] . وبعضُ هذا الفصلِ مأخوذٌ من قولِ [٧] أبى الطيِّبِ المتنبِّى :

وَمَا بِكَ غَيْرُ حُبِّكَ أَنْ تَرَاهَا وَعِثْيَرُهَا لأَرْجُلِهَا جَنِيبُ
فَقَرِّطْهَا الأَعِنَّةَ رَاجِعَاتٍ فِإِنَّ بَعِيدَ مَا طَلَبَتْ قَرِيبُ [٨]

« ومِن ذلكَ [٩] قولُ بعضِهِمْ :

خَيْرُ مَا اسْتَطْرَفَ الفَوَارِسُ طَرْفٌ كُلُّ طَرْفٍ بِحُسْنِهِ مَبْهُوتُ
هُوَ فَوْقَ الجِبَالِ وَعْلٌ وَفِى البَرِّ ظَلِيمٌ ، وَفِى المَعَابِرِ حُوتُ » [١٠]

---

(١) « منها » غير موجودة فى م ، وفى ن : « فلقيتها بصدر » .
(٢) فى الأصل : « لايروعها » ، وما أثبته من ت ، ون ، وفى م : « لايروغها » تصحيفا . و فَجَّ الفرس وغيره: هَمَّ بالعَدْوِ . اللسان فى (ف ج ج) .
(٣) فى ط : « عين الماء » . (٤) فى م : « لايروعها » .
(*) والعَجَاج : الغُبار ، وقيل: هو من الغبار ما ثَوَّرَتْهُ الريح . اللسان فى (ع ج ج) .
(٥) فى م : « معين » تصحيفا . (٦) فى ع : « نتوفة » تصحيفا .
(٧) فى ن : « شعر » .
(٨) البيتان من الوافر فى ديوان المتنبى ص ٣٥٤ ، وهما على غير ترتيب القصيدة .
(٩) « ذلك » سقطت من ظ .
(١٠) ما بين علامتى التنصيص غير موجود فى ت ، وع ؛ وفى ط : « ومن قول بعضهم » . والبيتان من الخفيف فى قرى الضيف فى ذكر الأمير أبى الفضل الميكالى ، وإيراد محاسن له من نثره ونظمه ٤/ ٤٣٢ ؛ وروايتهما :

خير ما استطرف الفوارس طرف كل طرف لحسنه مبهوت
هو فوق الجبال وعل وفى السهـ ـل عقاب وفى المعابر حوت .

وفى نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ١٠/ ٦٠ ط دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٣٣ ؛ وروايتهما :

خير ما استطرف الفوارس طرف كل طرف بحسنه مبهوت
هو فوق الجبال وعل وفى السهـ ـل نعام وفى المعابر حوت

ومن ذلكَ ما ذكرتُه فى وصفِ الركابِ والمسيرِ ، فقلتُ : سِرْتُ وتحتِى بنتُ قفرةٍ [(١)] لايذهبُ السُّرَى بجماحِها ، ولا يستزيدُ [(٢)] الحادِى من مِرَاحِهَا فهىَ طَمُوحٌ بإثناءِ الزِّمَام ، وإذا سارتْ بينَ الأكمامِ قيلَ : هذه أَكَمَةٌ مِن الآكَام . ولمْ تُسَمَّ جَسْرَةً [(*)] إلاَّ لأنَّها تقطعُ عَرْضَ الفَلا كما يقطعُ الجسرُ عَرْضَ الماءِ ، ولا سُمِّيَتْ حرفًا إلاَّ لأنَّها جاءتْ لمعنًى فى العزائمِ لا لمعنًى فى الأفعالِ والأسماءِ ، وخَلْفَهَا جَنِيبٌ [(٣)] من الخيلِ يُقْبِلُ بِجِذْعٍ [(٤)] ، ويدبرُ [(٥)] بصخرةٍ ، وينظرُ من عينِ جَحْظَةٍ ويسمعُ بِأُذُنِ حَشْرَةٍ [(٦)] ، وتجرِى مع الرِّيحِ [(٧)] الزَّعْزَعِ فَتَذَرُهَا [(٨)] وقد ظَهَرَ فيهَا أَثَرُ الفَتْرَة ، وَمَا قُيِّدَ خَلْفَهَا إلاَّ وهو يَهْتَدِى بِهَا فى المسالكِ المُضِلَّةِ ، ويَطَأُ على آثارِها فَيَرْقُمُ وجوهَ البدورِ بأشكالِ الأَهِلَّة . هذا والليلُ قد أَلْقَى جِرَانَه [(٩)] فلمْ يَبْرَحْ ، والكواكبُ قد رَكَدَتْ فيه فلمْ تَسْبَحْ . وأَنَا أَوَدُّ لو زادَ طولُه ، ولمْ تَظْهَرْ [(١٠)] غُرَّةُ أَدْهَمِهِ ولا حُجُولُه ، فقد قيلَ : إنَّه أَدْنَى للبعدِ وأَكْتَمُ للأسرارِ ، ودَلَّ عليْه القولُ النبوىُّ بأنَّ الأرضَ تُطْوَى فيهِ مَا لا تُطْوَى فى النهارِ [(١١)] . ومازِلْتُ

---

(١) فى ع : « فقرة » تصحيفا .
(٢) فى الأصل : « ولايستزد » بغير خط الناسخ ، وما أثبته من ت ، وط ، وع .
(*) والجسرة : ناقة جَسْرَة و مُتَجَاسِرَة : ماضية شجاعة . اللسان فى (ج س ر) .
(٣) فى ط : « جنبت » خطأ .
(٤) فى ط : « بحدع » تصحيفا ، وفى ع : « بجزع » تحريفا .
(٥) فى ط : « تدبر » تصحيفا .
(٦) فى ت : « جسرة » ، وأذن حَشْرَة : صغيرة لطيفة مستديرة . اللسان فى (ح ش ر) .
(٧) فى ع : « الربح » تصحيفا .
(٨) فى الأصل ، وت : « فيذرها » ، وما أثبته من ط ، وع .
(٩) فى ط : « جرابه » تحريفا ، وهو كناية عن امتداد الليل وطوله ، وألقى جرانه : مد عنقه على الأرض ، اللسان فى (ج ر ن) .
(١٠) فى ع : « تطهر » تصحيفا .
(١١) إشارة إلى قوله ﷺ : . . . «وعَلَيْكُمْ بِسَيْرِ اللَّيْلِ فَإِنَّ الأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ مَا لا تُطْوَى بِالنَّهَارِ . الموطأ ٢/٩٧٩ / رقم ١٧٦٧ ، والمعجم الكبير ٢٠/٣٦٥ / رقم ٨٥٢ .

أسيرُ (١) مرتديًا بثوبِه حتَّى كادَ (٢) ينضُو لونَ (٣) السوادِ ، وظَهَرَ ذَنَبُ السِّرْحَانِ فأغارَ على سَرْحِ السماءِ [كمَا] (٤) يُغِيرُ السِّرْحَانُ (*) على سَرْحِ النَّقَادِ . فعندَ ذلكَ نَهِلَتِ العينُ مِن الكَرَى نَهْلَةَ الطائرِ ، ولمْ يكُنْ ذلكَ على ظهرِ الأرضِ المطمئنَّةِ (٥) وإنَّما كانَ على الطيرِ (٦) السائرِ .

فِي (٧) هذا الفصلِ خبرٌ مِن الأخبارِ النبويَّةِ ، وفيهِ بعضُ بيتٍ مِن شعرِ أبي تمَّام :

بِالشَّـذْقَمِيَّاتِ العِتَـاقِ كَـأَنَّـمَا أَشْبَاحُهَا بَيْنَ الإِكَامِ أَكَامُ » (٨)

وقد تقدَّمَ القولُ بأنَّ (٩) من الأبياتِ الشعريةِ ما يتفنَّنُ (١٠) ناثرُه في حَلِّهِ بضروبٍ من الألفاظِ والمعنَى واحدٌ .

وذلكَ كقولِي مأخوذًا (١١) من شعرِ أبي تمَّام ، وهوَ :

وَالشَّوْلُ (١٢) مَا حُلِبَتْ تَدَفَّقَ رِسْلُهَا وَتَجِفُّ دِرَّتُهَا إِذَا لَمْ تُحْلَبِ (١٣)

---

(١) « أسير » غير موجودة في ع .

(٢) « حتى كاد » غير موجودة في ع .

(٣) في ط : « ينطلون » تحريفا . ينضو : يخلع ويلقى عنه. اللسان في (ن ض و) .

(٤) الزيادة من ت ، وط ، وع . وذنب السرحان : الفجر الكاذب . اللسان في (ف ج ر) .

(*) والسِّرْحانُ : الذِّئبُ والجمع سَراحِينُ وسَراحِي بغير نونٍ. اللسان في (س ر ح) . والنَّقَد : صغار الغنم واحدتها نقَدة وجمعها نِقاد . اللسان في (ن ق د) .

(٥) في ط : « على ظهر الطمأنية » وهي عبارة مضطربة .

(٦) في ت ، وط : « الظهر » ، وفي ع : « ظهر » .

(٧) في ط : « وفي » .

(٨) البيت من الكامل في ديوان أبي تمام ٣/ ١٥٤/ ق ١٣٣ ، والشدقميات : فحول الإبل ، ومفردها شدقم . اللسان في (ش د ق م) . وينتهي هنا خرم وقع في م ، ون بدءا من قوله : ومن ذلك قول بعضهم . . . في منتصف ص ٢٧٩ .

(٩) في م : « إن » . (١٠) في م : « يتعين » تحريفا .

(١١) في م : « مأخوذ » خطأ (١٢) في ط : « والشوك » تحريفا .

(١٣) البيت من الكامل في ديوان أبي تمام ١/ ١٠٥/ ق ٥ . والشائلة من الإبل التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها ، والجمع شول . اللسان في (ش ول) .

فقلتُ فى حلِّ ذلكَ ومثَّلتُ الخاطرَ بِه ، وهوَ : الخاطرُ كالضَّرْعِ إنْ (١) حلبْتَهُ طَفَّ ، وإنْ تركْتَهُ جَفَّ . ثمَّ قلتُ غيرَ ذلكَ ، وهوَ : إنْ حلبْتَهُ سَحَّ ، وإنْ تركْتَهُ شَحَّ . ثمَّ قلتُ : إنْ مَرَيْتَهُ (٢) حَلَبَ ، وإنْ تركْتَهُ نَضَبَ ، وهذا إنَّما يكونُ فى بعضِ الأبياتِ من الشعرِ دونَ بعضٍ .

وممَّا ينتظمُ فى هذا (٣) السِّلْكِ قولِى (٤) أيضًا مأخوذًا (٥) من شعرِ أبى الطيِّب [المتنبِّى] (٦) :

وَكَذَا اسْمُ أَغْطِيَةِ العُيونِ جُفُونُهَا
مِنْ (٧) أَنَّهَا عَمَلَ السُّيوفِ عَوَامِلُ (٨)

وهذا المعنَى وإنْ كانَ شريفًا فإنَّ اللفظَ الدَّالَّ عليْه مضطربٌ غيرَ مرضِىٍّ . وقدْ حللْتُ هذا البيتَ (٩) المشارَ إا ء فقلتُ : لو لمْ تكنْ معانِى المُسَمَّيَاتِ مشتركةً فى اتحادِ الألفاظِ ، لمَا شُورِكَ ينَ الجفونِ فى أغطيةِ السيوفِ وأغطيةِ الألحاظِ . وكذلكَ قلتُ : لا ريبَ فى أنَّ لحاظَ (١٠) النواظرِ ، كمُتُونِ البواترِ ؛ وإنَّما اشتركتْ جفونُهُما (١١) فى الأسماءِ لاشتراكِهما (١٢) فى سَفْكِ الدماءِ .

---

(١) فى ن : « إذا » .
(٢) الكلمة غير مقروءة فى م ، وفى ع : « مرينه تصحيفا . ومرى الضرع : مسح عليه للدرة ، اللسان فى (م را) .
(٣) فى ط ، وم : « بهذا » ، وفى ن : « ينتظم هذا » .
(٤) فى م : « فقولى » .
(٥) فى م : « مأخوذ » خطأ .
(٦) الزيادة من م .
(٧) فى ن : « مع » .
(٨) البيت من الكامل فى ديوان المتنبى ص ١٦٤ ، وروايته : ولذا . . . .
(٩) فى ن : « المعنى » .
(١٠) فى ع : « يحاط » تحريفا .
(١١) فى ن : « جفونها » خطأ .
(١٢) فى ع : « ولاشتراكهما » خطأ .

ومما يجرى هذا المجرى ما هو مأخوذ من شعر أبى تمام وهو قوله [١] :

الصَّبْرُ كَاسٍ وَبَطْنُ الكَفِّ عَارِيَةٌ
وَالعَقْلُ عَارٍ إِذَا لَمْ يُكْسَ بِالنَّشَبِ [٢]

وقد حللْتُ ذلكَ بألوانٍ [٣] من العباراتِ ، فقلتُ فيهِ أولاً : الإكثارُ من الصبرِ يجعلُ الإقلالَ من المالِ إكثارًا ، والإقتارُ من المالِ يجعلُ الإثراءَ من العقلِ إقتارًا . ثمَّ قلتُ فيهِ ثانيًا [٤] : عقلُ المرءِ من خَوَلِ مالِه . ومَالُهُ من خَوَلِ صبرِه ؛ فإذَا [٥] افتقرتْ يدُه ذهبتْ بعقلِه ، وإذَا صبرتْ نفسُه ذهبتْ [٦] بفقرِه . ثمَّ قلتُ فيهِ ثالثًا العقلُ فقيرٌ إذَا لم تكنِ اليدُ مُكْثِرَة ، والصبرُ مُثْرٍ وإنْ كانتِ اليدُ مُقْتِرَة [٧]

وحيثُ عَرَّفْتُكَ لُمْعَةً ممّا يتسعُ المجالُ فى حلِّهِ من الأشعارِ فإنّى أعودُ إلى مَا كنتُ بصددِه .

فممّا ذكرْتُهُ فصلٌ [٨] من كتابٍ يتضمَّنُ هزيمةً ، وهوَ : فرُّوا وقد عَلِمُوا أنَّ العارَ مقرونٌ بالفرارِ ، لكنَّهم [٩] رأَوا كَلْمَ الأعراضِ أَهْوَنَ من كَلْمِ الأعمارِ . وتلكَ نفوسٌ خُدِعَتْ بالحياةِ الذليلةِ التِي الموتُ ألذُّ منْها طَعْمًا ، وليسَ الموتُ إلاَّ فى أنْ تُلاقِي [١٠] [النفسُ] [١١] ذلاً ، أو تفارقَ جِسْمًا . ولَرُبَّما تسلَّى المهزومُ بقولِ

---

(١) « وهو قوله » غير موجودة فى م .

(٢) البيت من البسيط فى ديوان أبى تمام ٤/٥٤٨/ ق ٤٧٧ .

(٣) فى ت : « بأنواع » .

(٤) « ثانيا » سقطت من م .

(٥) فى ن : « وإذا » .

(٦) فى ن : « وإذا صبر ذهبت » .

(٧) فى ن : « مفتقرة » .

(٨) فى ن : « فى فصل » .

(٩) فى ن : « ولكنهم » .

(١٠) فى م : « تلافى » تصحيفا ، وفى ن : « إلا أن تلاقى » .

(١١) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون .

القائلِ : إنَّ الأُسْد تغلبُها [١] الأسودُ ، وإنَّ الحربَ ليستْ لمَضَاءِ العزائمِ وإنَّما هيَ لمَضَاءِ الجُدُود .

وهذَا القولُ مسلاةٌ كاذبةٌ لِهِمَمٍ [٢] مكذوبة ، ولولا العزمُ لمْ تُرَ حصونٌ مفتتحةٌ [٣] ولا جموعٌ مَخْرُوبَة [٤] وبالجِدِّ [٥] يُدْرَكُ الجَدُّ ، « ولولا القدحُ لم يَثْقُبِ الزَّنْدُ » [٦] . ولمَّا جِيءَ بأسرَى القوم مَنَنَّا عليْهم بإطلاقِ [٧] السَّرَاح ، وقاتلتْ عنْهم شيمةُ الصَّفْحِ إذ [٨] لم [تُقَاتِلْ] [٩] عنْهم شِيَمُ الصِّفَاح . وحَمِيَّةُ الآباءِ لا تقتلُ مَن لم يَحْوِهِ مَكَرُّ [١٠] الطِّرَادِ ، ولا حَمَتْهُ صَهَوَاتُ الجِيَادِ . وأيّ فرقٍ بينَ الأسيرِ فى عدمِ الدفاعِ ، وبينَ أشباهِهِ من ذواتِ القِنَاع .

وهذهِ معانٍ شريفةٍ قد حازتْ الجمالَ بأسرِه ، وصدرتْ عن خاطرٍ يُنْفِقُ من كَثْرَة ، ولا يخافُ عَادِيَةَ عُسْرَة [١١] . ومن أحسنِ ما فيهَا قولِى : وليسَ الموتُ إلاَّ فى أنْ تُلاقِى النفسُ [١٢] ذُلاًّ ، أو تفارقَ [١٣] جِسْمًا ، وقولِى أيضًا : وقاتلتْ عنْهم شيمةُ الصفحِ إذ [١٤] لم [تقاتلْ] [١٥] عنْهم شِيَمُ الصِّفَاح

---

(١) فى ن : « يغلبها » .

(٢) فى ن : « لهم » خطأ .

(٣) فى ن : « مفتحة » خطأ .

(٤) فى ن : « محزوبة » .

(٥) فى ن : « وبالحد » .

(٦) ما بين علامتى التنصيص سقط من ن .

(٧) « بإطلاق » سقطت من ن .

(٨) فى ن : « إذا » خطأ .

(٩) فى الأصل : « يقاتل » ، وما أثبته من م ، ون ، وع .

(١٠) فى ن : « بكر » تحريفا . والمَكَرُّ : موضع الحرب . اللسان فى (ك ر ر) .

(١١) فى ع : « عرة » تحريفا .

(١٢) « النفس » سقطت من ت .

(١٣) فى ط : « وتفارق » .

(١٤) فى ن : « وإذا » .

(١٥) فى الأصل : « يقاتل » ، وما أثبته من ت ، وم ، ون ، وع .

وأمَّا ما سِوَى (١) هذينِ (٢) المعنيينِ الكريمينِ ؛ فمنه ماهوَ مأخوذٌ من الشعرِ كقولِ الشاعرِ ، وهوَ من أبياتِ الحماسةِ :

وَمَا عَنْ ذِلَةٍ غُلِبُوا (٣) وَلَكِنْ كَذَاكَ الأُسْدُ تَغْلِبُهَا الأُسُودُ (٤)

وكقولِ أبى الطيِّب المتنبِّى :

ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ (٥) بِعَيْشٍ رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الحِمَامُ (٦)

وممَّا يلتئمُ بهذا المعنَى ما ذكرْتُهُ فى فصلٍ من كتابٍ يتضمَّنُ وصفَ الحربِ فقلتُ (٧) : وما زالَ (٨) يُزْعِجُ ديارَ الأعداءِ بغزواتِهِ حتَّى لم تُهْنَّ (٩) حاملةٌ بإتمامِهَا ، ولا مُتِّعَتْ عينُها بلذَّةِ (١٠) منامِهَا . فاسمُ المُقْرِبُ (١١) من نسائِهم منسوخٌ بغارةِ المُقْرِبَاتِ الجِيَادِ (*) ، ولذيذُ النومِ بأرضِهم مسلوبٌ بإيقاظِ جفونِ البيضِ الحدادِ ؛ ولقدْ قَصَّرَ (١٢) مدةَ أعمارِهم حتَّى فَقَدَتْ سِنَّ شيخِها وسِنَّ كهلِها ، وفَجَأَهُم بجنودِ

---

(١) فى ن : « وأما سوى » . (٢) فى م : « هذه » خطأ .

(٣) فى ط : « غليو » خطأ .

(٤) البيت من الوافر فى الحماسة ١/١٩٢/ رقم ٢٣٠ لشبيل الفزارى ، وروايته :

. . . . **تفرسها** . .

(٥) فى م : « الدليل » تصحيفا .

(٦) البيت من الخفيف فى ديوان المتنبى ص ١٤٩

(٧) « فقلت » غير موجودة فى ط .

(٨) فى م : « ومازل » تحريفا .

(٩) فى ت : « يُهنَّ » ، وفى ط : « تَهَنَّ » .

(١٠) فى م : « بلديد » تصحيفا .

(١١) فى ن : « القرب » تحريفا . و أَقْرَبَتِ الحاملُ ، وهى مُقْرِبٌ : دنا وِلادُها ، وجمعها مَقاريبُ . اللسان فى (ق ر ب) .

(*) والمُقْرَب من الخيل : التى تُدْنى ، و تُقَرَّبُ ، وتُكَرَّمُ ، ولا تُتْرَكُ أن تَرُودَ ، والمُقْرَبات من الخيل : التى ضُمِّرَتْ للرُّكوب . اللسان فى (ق ر ب) .

(١٢) فى م : « ولهذا قصرت » تحريفا .

رُغبِهِ قبلَ جنودِهِ ، فلا يُتْلَى [١] بينَهم من [٢] سورِ القرآنِ إلاَّ آخرُ فرقانِهَا وأوَّلُ نَحْلِهَا . وكما [٣] ذَمَّتِ [٤] الأعداءُ سوءَ صباحِهِ فقدْ ذَمَّتِ الخيلُ مَسْرَى غُدُوِهِ ورَوَاحِهِ [٥] . لكنَّ النسورَ فى شكرٍ دائمٍ من جُزُرِ [٦] ولائِمِهِ ، وما ضَرَّهَا فَقْدُ مخالبِهَا إذَا أَغْنَتْهَا عنها [٧] غُرُوبُ [٨] صَوَارِمِهِ .

هذا الفصلُ [٩] مُرَصَّعٌ بنفائسِ الخواطرِ كما يُرَصَّعُ العُقْدُ [١٠] بنفائسِ الجواهرِ ، وهوَ يشتملُ على ضربٍ [١١] من التجنيسِ والمطابقةِ ، وسوابقُ معانيهِ لا تُجَارَى إذا لُزَّتْ فى مضمارِ المسابقةِ .

وحاشيةٌ منْه مأخوذةٌ [١٢] من شعرِ أبى الطيِّبِ المتنبِّى ، وهو

يُفَدِّى [١٣] أَتَمُّ الطَّيرِ عُمْرًا سِلاحُهُ نُسُورُ المَلا أَحْدَاثُهَا وَالقَشَاعِمُ
وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيرِ مَخَالِبٍ وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالقَوَائِمُ

---

(١) فى م : « ولاتتلى ، وفى ن : « ولايتلى » .
(٢) « من » غير موجودة فى ط .
(٣) فى الأصل : « وكلما » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٤) فى م : « ذمة » خطأ .
(٥) فى م : « وروائحه » تحريفا .
(٦) فى ن : « جود » .
(٧) فى الأصل : « عنه » ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع ، وفى م : « إذ أغنتها عنها » .
(٨) « غروب » غير موجودة فى ط ، وفى ن : « حروف » . الغَرْب : الحِدَّة ومنه غَرْب السّيف . النهاية فى غريب الحديث فى (غ ر ب) .
(٩) فى ط : « وهذا الموضع » .
(١٠) فى ع : « العفل » تحريفا .
(١١) فى ت ، ون : « ضروب » .
(١٢) فى م : « مأخوذ » خطأ
(١٣) فى ط ، وم : « تفدى » ، وهى رواية ديوان المتنبى ص ٣٧٥ . وهما من الطويل .

ومِن هذا القسمِ ما ذكرْتُهُ فى وصفِ بعضِ البلغاءِ ، وهوَ إذا ارتَجَلَ أتَى بالمعانِى غيرَ مُكْرَهَةٍ ولا مُخرَجَةٍ ، وأبرزَهَا كواملَ الصورِ غيرَ مُخْدِجَةٍ (*) . وإنْ تَرَوَّى تهافتَتْ على تَوَقُّدِ خاطره تهافُتَ الفراشِ ، وجاءته سوانحُ وبوارحُ حتَّى يقولَ (١) : تكاثرتِ الظباءُ على خَرَاش . فلَهُ الحالتانِ ارتجالاً ورويَّة ، وكلتاهُما فيهِ [مرئيةٌ وعنه مرويَّة] (٢)

وبعضُ هذا مأخوذٌ من قولِ الشاعرِ :

تَكَاثَرَتِ الظِّبَاءُ عَلَى خِرَاشٍ فَمَا يَدْرِى خِرَاشٌ مَا يَصِيدُ (٣) .

ومِن هذا القسمِ ما ذكرْتُهُ فى النجومِ ، وهوَ فصلٌ من كتابٍ : ولقدْ أوْهَمَ (٤) أهلُ التنجيمِ بالتسييرِ (٥) والتقويمِ والحكمِ على أفعالِ (٦) العليمِ الحكيمِ ؛ فأخبرُوا (٧) عن النجومِ فى سُعُودِهَا ونُحُوسِهَا ، بمَا لمْ تَخْبَرْهُ من نُفُوسِهَا ؛ وقَضَوا فى ترتيبِ أبراجِها واختلافِ مِزَاجِهَا ؛ وحَكَمُوا على حوادثِ العُمرِ من (٨) حالِ وجودِهِ إلى [حالِ] (٩) عَدَمِهِ ، فى سعادتِه وشقائِه (١٠) وصحَّتِه وسَقَمِهِ ، وأشباهُ

---

(١) فى م ، ون : « تقول » .

(*) الخِداجُ : النقصان . اللسان فى (خ د ج) .

(٢) فى الأصل : « مرئية وغير مرئية » ، وفى ط : « مرئية غير مروية » ، وفى م : « مرتبة منه وعنه مروية » ، وما أثبته من ت ، ون ، وع

(٣) البيت من الوافر وهو فى تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ٥٦/٥١٨ ، ومدارج السالكين لابن قيم الجوزية ٢ / ٤١٥ ، دار الكتاب العربى - بيروت ، ١٣٩٣ - ١٩٧٣ ، ط ٢ ، تحقيق محمد حامد فقى ، ولم أعثر له على قائل فيما بين يدىَّ من مصادر .

(٤) فى م ، ون : « توهم » . (٥) فى ط : « بالتيسير » تحريفا .

(٦) فى ط : « أفغال » تصحيفا ، و « أفعال » غير موجودة فى ع .

(٧) فى الأصل : « فأخبر » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٨) فى ن : « فى » .

(٩) الزيادة انفردت بها م .

(١٠) فى ن : « شقاوته » .

ذلكَ من الزخارفِ [١] التى نَصَبُوها حبائلَ للاكتسابِ [٢] على غيرِ ذوِى الألبابِ ، وكلُّهَا أضغاثُ أَحْلام ، وأوضاعٌ لا تخرجُ عن خطِ الأقْلام .

وبعضُ [٣] هذا المعنَى مأخوذٌ من شعرِ أبى تمَّام فى قولِهِ :

أينَ الرِّوَايَةُ أَمْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا
صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ [٤] كَذِبِ
تَخَرُّصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً
لَيسَتْ [٥] بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلا غَرَبِ
وَصَيَّرُوا الأَبْرَجَ العُلْيَا [٦] مُرَتَّبَةً
مَا كَانَ مُنقَلِبًا أَوْ غَيرَ مُنقَلِبِ
يَقْضُونَ بِالأَمْرِ عَنْهَا وَهْيِ غَافِلَةٌ
مَا دَارَ فِي فُلُكٍ مِنْهَا وَلا [٧] قُطُبِ [٨]

ومِن هذا [٩] الأسلوبِ ما ذكرْتُهُ فى ضمنِ كتابٍ إلى بعضِ الإخوانِ أَنْدُبُ فيه عصرَ الشبابِ ، وهوَ : ولم أَبْكِ إلاَّ عصرَ الشبابِ [١٠] الذى هو فى الأعمارِ بمنزلةِ

---

(١) فى ت : « الرجارف » تصحيفا .

(٢) فى الأصل ، وت ، وم ، ون : « حبائل الاكتساب » ، وفى ع : « حبائك » تحريفا ، وما أثبته من ط .

(٣) فى ن : « بعض » .

(٤) فى ت : « فى القول أو » .

(٥) فى ن : « ليت » خطأ .

(٦) فى ن ، وغ : « العلياء » خطأ .

(٧) فى ت : « وفى » ، وهى رواية الديوان .

(٨) ديوان أبى تمام ٤٢/١ وما بعدها / ق ٣ ، والأبيات من البسيط على غير ترتيب الديوان .

(٩) فى م : « هذه » خطأ .

(١٠) فى ن : « غضة الشباب » .

الربيعِ منَ الأعْوَام ، وما كنتُ أعرفُ كُنْهَ أمرِهِ حتَّى مَضَى فَتَرَحَّلَتْ مَعَهُ الحياةُ بسلاَم . فالأيامُ [١] فيه غوافلُ ، والسنونُ لقربِ عهدِهَا مراحلُ . ولم أقصدْ به وَطَرًا إلاَّ أَخْلَفْتُ [٢] أَنْدَى منه مَرْتَعًا ، وأحسنُ مرأًى ومَسْمَعًا . أيامَ لا أعاقرُ خمرةً إلاَّ لَمَى ، ولا وردةً إلاَّ خَدًّا ، ولا [٣] نُقْلاً إلاَّ فَمًا ، وإذَا تَأَلَّيْتُ [٤] لم أحلفْ إلاَّ بالقُدُودِ وهَيَفِهَا ، والجفونِ وَوَطَفِهَا ، وليالِي الذوائبِ وسُدُفِهَا ، ووجوهُ الأقمارِ التى لا تُشَانُ بِكَلَفِهَا ، ولا تُرَى فى غُرَرِ الشهورِ ولا فى مُنْتَصَفِهَا [٥] ، فأصبحتُ الآنَ وَبِكْرُ أيامِى عَوَانٍ ، وغَوَانِى [٦] الحيِّ عنِّى غَوَانٍ ؛ قدْ بُدِّلْتُ غريبَ الأحوالِ بأليفِهَا ، وعُوِّضْتُ من نُضْرَةِ الأوراقِ بِيُبْسِ خريفِهَا ؛ فلا الأوطارُ عندِى بأوطارٍ ، ولا ليلَى بليلَى ، ولا النوارُ بنوارِ

فَعَلَى الصِّبَا الآنَ السَّلامُ وَلَوْعَةٌ ... يَثْنِى عَلَيْهَا الدَّمْعَ فِى [٧] مُرْفَضِّهِ
وَلْيَفْنَ تُفَّاحُ الخُدُودِ فَلَسْتُ مِنْ ... تَقْبِيلِهِ غَزِلاً وَلا مِنْ عَضِّهِ [٨]

ولطالمَا كانتِ الحاجاتُ تُطالبُنِى بإنجاحِهَا ، واللذَّاتُ تَلقانِى بسعدِ مسائِهَا ويُمْنِ صباحِهَا . وعلى عَقِبِ [٩] هذا القولِ فإنِّى أقولُ : اللَّهُمَّ غَفْرًا ، وقد يَنْطِقُ [١٠] المرءُ بما يكونُ فيهِ لسانُهُ آثِمًا وفِعَالُهُ [١١] بِرًّا ، ولرُبَّمَا شَهِدَ القلمُ بما لم يَسْعَ إليْه القَدَم ،

---

(١) فى م : « والأيام » . (٢) فى ن : « خلفت » .
(٣) فى ط : « أولا » خطأ . (٤) فى ن : « ما تأليت » .
(٥) فى ط : « ولا منتصفها » ، وفى ن : « ولا بمنتصفها » .
(٦) فى ط : « وغوان » خطأ .
(٧) فى ط : « من » .
(٨) البيتان من الكامل فى ديوان البحترى ٢/١١٩٦/ ق ٤٨١ ، ورواية البيت الأول :

تـثـنـى عـلـيـه

(٩) فى ن : « عقيب » .
(١٠) فى م : « ينطلق » تحريفا . (١١) فى م : « وأفعاله » .

ولولا اتباعُ حُكْم الفصاحةِ لمَا ذُكِرَتْ بانةٌ ولا عَلَم ، ولا وَقَفَ المتغزِّلُ [١] بأقوالِهِ موقفَ التُّهَم . فلْيَعْلَمِ الأخُ أنِّى عَفُّ الضميرِ والنَّظَر ، وليظنَّ [٢] بى خيرًا ولا يسألْ عن الخَبَر .

فى [٣] هذا الكلام ما هو مأخوذٌ من الشعرِ . فمِن ذلكَ قولُ مَنْصُورُ النَّمْرِىّ [٤] :

مَا كُنتُ أُوفِى شَبَابِى كُنْهَ غُرَّتِهِ [٥] حَتَّى مَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ [٦]

ومِن ذلكَ قولُ أبى الطيِّبِ المتنبِّى :

لَيسَ القِبَابُ عَلَى الرِّكَابِ وَإِنَّمَا هُنَّ [٧] الحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلامِ [٨]

ومنْ هذا القسمِ ما ذكرْتُهُ فى فصلٍ من كتابٍ إلى الديوانِ العزيزِ النبوىِّ يتضمَّنُ مجادلةَ خصمٍ للمكتوبِ عنهُ ، وهوَ : المُلْكُ لا يستحقُّهُ وارثُهُ وإنَّما يستحقُّهُ كاسبُه ، والمالُ لا يَحْظَى بِه جامعُه وإنَّما يَحْظَى بِه واهبُه . فمَا بالُ قومٍ يفخرونَ بانتقالِ المُلْكِ « إليْهِم [٩] عنِ الآباءِ والأجدادِ [١٠] ، ولا يفخرونَ بانتقالِهِ » [١١] إليْهِم عن

---

(١) فى م : « المتعزل » تصحيفا .

(٢) فى ع : « وليظننَّ » .

(٣) فى ط : « وفى » .

(٤) فى ن : « النميرى » تحريفا . وهو منصور بن الزبرقان بن سلمة أبو الفضل النمرى الشاعر ، امتدح الرشيد ، وأصله من الجزيرة ، وأقام ببغداد ، وولى قضاء الجانب الشرقى بها عن أمر الرشيد ، توفى فى رجب سنة ١٩٢ هـ . البداية والنهاية ١٠/٢١٢

(٥) فى ن : « عزته » .

(٦) البيت من البسيط فى تجريد الأغانى / القسم الثانى/ ج- ١ / ١٤٨٣ . ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ١ / ٥٩٩ . للثعالبى . دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٦٥ م ، ط ١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٧) فى م : « هى » خطأ .

(٨) البيت من الكامل فى ديوان المتنبى ص ٤٠٩ .

(٩) « إليهم » سقطت من ط .

(١٠) فى ط : « الأخداد » تصحيفا .

(١١) انتقلت عين الناسخ فسقط ما بين علامتى التنصيص من م .

حَدُّ (١) البيضِ الحِدَادِ ؛ وفَرْقٌ (٢) بينَ شرفٍ يُرَاقُ الدَّمُ على جوانبِهِ وشرفٍ يُرَاقُ الأملُ على مطالبِهِ .

وبعضُ هذهِ المعانِي مأخوذٌ (٣) من شعرِ أبى عُبادة البُحتريّ وأبى الطيِّبِ المتنبِّى .

أمَّا أبو عُبادة فقولُه :

وَظَلْتَ (٤) تَحْسِبُ رَبَّ المَالِ (٥) مَالِكَهُ
عَلَى الحُقُوقِ وَرَبُّ المَالِ وَاهِبُهُ (٦)

وأمَّا أبو الطيِّبِ [المتنبِّى] (٧) فقولُه :

لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأَذَى
حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ (٨)

وممَّا يجرِى (٩) على هذا النهجِ ما ذكرْتُهُ فى وصفِ معركةِ الحربِ ، وهوَ : فلا تَرَى إلاَّ بَحْرًا من الحديدِ (١٠) يسيرُ به طودٌ من الجِيَادِ ، أوغابًا من الوشيجِ تُقِلُّهُ (١١) فرقةٌ من الآسادِ . فكلُّ قَفْرٍ (١٢) [قد] (١٣) أصبحَ بمواكبِهِ هَضْبًا (*) ، وإذا شاءتِ الريحُ أنْ تمرَّ بِهِ فلا تعبرُ (١٤) على القَنَا (١٥) إلاَّ وَثْبًا ، ولمَّا عَوَّدَ

---

(١) فى ع : « جد » تصحيفا . (٢) فى ط : « وفرقٍ » خطأ .
(٣) « مأخوذ » سقطت من ع ، وفى م ، ون : « مأخوذة » خطأ .
(٤) فى ن : « فظلت » . (٥) فى ن : « الملك » .
(٦) البيت من البسيط فى ديوان البحترى ١/ ٢٢٦/ ق ٧٣ (٧) الزيادة من م .
(٨) البيت من الكامل فى ديوان المتنبى ص ٢١٨ .
(٩) فى م : « جرى » . (١٠) فى م : « حديد » .
(١١) فى م ، ون : « يقله » . والوَشِيجُ : شجر الرّماح ، وقيل : هو ما التفّ من الشجر . اللسان فى (و ش ج) .
٢١) فى ن : « فرق » خطأ . (١٣) الزيادة من م ، ون ، وع .
(*) و الهَضْبة : المَطْرةُ الدائمة ، العظيمةُ القَطْرِ ؛ والجمع هِضَبٌ . اللسان فى (هـ ض ب) .
(١٤) فى ط : « فلا تُغَيِّر » خطأ .
(١٥) فى ن ؟ « الفنا » .

الطيرَ مِن جَزَرِ [١] أعدائه فقد تَبِعَتْهُ أسرابًا ، واستبقَى سحابُها [٢] ما تَحْتَهُ مِن سحابِ خيلِهِ [٣] ؛ فاستسقَى سحابٌ سَحَابًا ، ولقد مرّتْ عليْه الشمسُ فَضَعُفَتْ أنْ تَخْرِقَ [٤] جَنَاحَا ، أو أنْ [٥] تحمِي بِحَرِّهَا سِلاحَا ؛ فلم تَلْقَ [٦] بينَ الريشِ فرجةً [٧] تنثرُ [٨] فيهَا دَرَاهِمُهَا . ولرُبَّمَا خَالَسَتْهَا [٩] النظرَ إذا [١٠] هَزَّتْ قوادمُها . وهذا الفصلُ فيه ما هو مأخوذٌ من شعرِ أبى الطيِّبِ المتنبِّى فمِن ذلكَ قولُه

وَذِى لَجَبٍ [١١] لا ذُو الجَنَاحِ أَمَامَهُ
بِنَاجٍ وَلا الوَحْشُ المُثَارُ بِسَالِمِ
تَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ [١٢] وَهْىَ ضَعِيفَةٌ
تُطَالِعُهُ [١٣] مِنْ بَيْنِ رِيشِ القَشَاعِمِ

---

(١) فى الأصل : « جُزُر » ، وفى ط : « جَزَر أعاديه » ، وما أثبته من ت ، وهذا المعنى مأخوذ من قول مسلم بن الوليد :

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ولا يمسح عينيه من الكحل
قد عود الطير عادات وثقن بها فهن يتبعنه فى كل مرتحل

وهما من البسيط ، تجريد الأغانى القسم الثانى ٢ / ١٩٩٢ .

(٢) فى م : « سحابه » .

(٣) فى م : « حيله » تصحيفا ، وفى ن : « سحائب خيله » .

(٤) فى م : « تحرق » تصحيفا ، وفى ن : « تخترق » تحريفا .

(٥) فى ت ، ون : « وأن » .

(٦) فى م : « يبق » .

(٧) فى م : « فرحة » تصحيفا .

(٨) فى ن : « تنشر » .

(٩) فى ن : « خالسها » .

(١٠) فى ط : « إذ » .

(١١) فى الأصل بخط مختلف : « وذو مخلب » وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع ؛ وفى م : « وذو الجب » خطأ . واللَّجَبُ : صوتُ العَسْكر . وعَسْكَرٌ لَجِبٌ : عَرَمْرَمٌ وذو لَجَبٍ وكثرةٍ . اللسان فى (ل ج ب) .

(١٢) فى الأصل بخط مختلف : « النفس » وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(١٣) فى ن : « تطالبه » خطأ . والقَشْعَمُ : المُسِنُّ من الرجال والنُّسور والرخَم اللسان فى (ق ش ع م) .

إِذَا ضَوْؤُهَا لاقَى مِنَ الطَّيرِ فُرْجَةً
تَدَوَّرَ فَوْقَ البَيْضِ [١] مِثْلَ الدَّرَاهِمِ [٢]

ومِن ذلكَ قولُهُ :

حَوَالَيْهِ بَحْرٌ لِلتَّجَافِيفِ [٣] مَائِجٌ   يَسِيرُ بِهِ طَوْدٌ مِنَ الخَيْلِ أَيْهَمُ [٤]

ومِن ذلكَ قولُهُ

سَارَ وَلا قَفْرَ مِنْ مَوَاكِبِهِ   كَأَنَّمَا كُلُّ سَبْسَبٍ جَبَلُ [٥]

ومن هذا البابِ ما ذكرْتُهُ فى فصلٍ من كتابٍ يتضمَّنُ استعطافَ بعضِ الملوكِ على قرابتِهِ ، وهوَ : قد أُلِفَ من شِيَمِ المَوْلَى [٦] التى هى شِيَمُ الكَرَمِ ، وضرائرُ الدِّيَم ، أنَّه إذا لُيِّنَ [٧] له غُلِبَ على أمرِهِ وأُزِيلَتْ مغيظةُ [٨] صدرِهِ ، وهذه خليقتُهُ مع [البعيدِ] [٩] الذى لا يَمَسُّهُ بلُحْمَة [١٠] . ولا يَمُتُّ إليْه بِحُرْمَة . فما الظنُّ بالقريبِ الذى فازَ بمزيَّةِ الشَرِكَةِ فى عِرْقِهِ ، وفضلِ الجِوَارِ الذى لا حَقَّ أَوْجَبُ من حقِّهِ   فكيفَ نَسِيَ [١١] المولَى عادةَ كَرَمِهِ ، وَوَضَعَ وجوهَ قومِهِ تحتَ قدمِهِ ،

---

(١) « البيض مثل » سقطت من م .
(٢) الأبيات من الطويل فى ديوان المتنبى ص ١٩٧ ؛ والبيت الأخير سقط من ن .
(٣) فى ع : « بالتحافيف » خطأ .
(٤) البيت من الطويل فى ديوان المتنبى ص ٢٩٣ .
(٥) البيت من المنسرح فى ديوان المتنبى ص ١٢٧ ؛ وقد سها الناسخ فى م فسقط منه : « يسير به طود من الخيل أيهم . ومن ذلك قوله : سار ولا قفر من مواكبه » وأخذ شطر البيت الأول مع شطر البيت الثانى فكتب :
حواليه بحر للتجافيف مائج
كأنما كل سبسب رجل .
(٦) فى م : « الموالى » تحريفا ؛ ويقابلها فى هامش ع عنوان : « استعطاف » .
(٧) فى ت ، وط ، وم : « لين » ؛ وفى ع ، ون : « لين » بدون تشكيل .
(٨) فى م : « مغبطة » تصحيفا ، وفى ن : « حفيظة » .
(٩) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون .
(١٠) فى ع : « بلجمة » تصحيفا . واللُّحْمَةُ ، بالضم: القرابة. اللسان فى (ل ح م) .
(١١) فى م : « يسىء » تحريفا .

وجعلَهُم حصائدَ سيفِه وقلمِه . وحاشاهُ أنْ يقطعَ رَحِمًا أمرَهُ[(١)] اللهُ بوصلِهَا[(٢)] ، ويَغضِدَ شجرةً أصلُه الكريمُ من أصلِها . ولعمرِى إنَّهم أخرجُوهُ[(٣)] عن معهودِ[(٤)] خلائقِهِ ، و بدَّلوا أنواءَ غُيوثِهِ بمخيلةِ[(٥)] صواعقِهِ . ولكنَّهم[(٦)] [شَفَعُوا][(٧)] الذنبَ بالاعتذارِ ، وعَلِمُوا أنَّ خَبْطَ[(٨)] أَرْشِيَتِهِم لا يؤثِّرُ[(٩)] فى كَدَرِ البِحَارِ .

وقد قَدَرَ والمقدرةُ[(١٠)] تُصَغِّرُ[(١١)] كبارَ الذنوبِ ، وتُذْهِبُ تِرَاتِ[(١٢)] القلوبِ . فإنْ حُمَّ[(١٣)] منهُم أنَّهم جَمَعُوا قِلَّةَ الآدابِ إلى إذلالِ ذوى الأنسابِ ، فتلكَ سنَّةٌ سَنَّهَا حُكْمُهُ[(١٤)] ، وجَبَلَهُمْ عليْهَا حِلْمُهُ[(١٥)] ، وما يتحدَّثُ الناسُ أنَّ الكريمَ عادَ عن[(١٦)] عادةِ إغضائِهِ ، ورَجَعَ[(١٧)] فى حُكْمِ قضائِهِ . وَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ

---

(١) فى م : « امرء » تحريفا . (٢) فى م : « لوصلها » تحريفا .

(٣) فى م : « أخذوا » تحريفا ؛ وفى ن : « أحرجوه » خطأ .

(٤) فى ع : « من معهود » .

(٥) فى الأصل : « لمخيلة » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون .

(٦) فى ع : « وللنهم » تحريفا .

(٧) فى الأصل : « شفعوه » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٨) فى ط ، وم ، ون : « خيط » تصحيفا ، والأرشية نوع من الحبال يربط بدلاء البئر وغيره ، و الرِّواء ، بالكسر والمدّ: حبلٌ من حِبال الخِباء، وقد يُشدُّ به الحِمْل والمَتاع على البعير. وقال أبو حنيفة: الرِّواءُ أغلَظُ الأَرْشيةِ ، اللسان فى (ر و ى) .

(٩) « لا يؤثر » سقطت من ن .

(١٠) فى الأصل : « وإن قدروا » ؛ وفى ط : « قدر المقدرة » وبها لا يستقيم المعنى وما أثبته من ت ، وم ، ون ، وع.

(١١) فى م : « بصغر » تصحيفا .

(١٢) فى ت ، وع : « تراه » خطأ ؛ وفى م : « تراق » تحريفا .

(١٣) فى ت ، وط ، ون ، وع : « نقم » ، وفى م : « يقم » تحريفا .

(١٤) فى ط : « حلمه » ، وفى م : « سننها حكم » تحريفا .

(١٥) « حلمه » سقطت من ط ، وفى م : « وحلهم عليها حلم » تحريفا .

(١٦) فى ن ، وع : « من » .

(١٧) فى م : « ويرجع » .

يُسَيِّرُهَا[١] ؛ فلْيُسْبِلِ المولى فضلَه ، وليُجزِ [٢] إساءةَ فعلِهم بإحسانِ [٣] فعلِهِ ، وليأخذْ [٤] بأدبِ اللهِ وأدبِ رُسُلِهِ فى الإعراضِ عن الجاهلِ وجهلِهِ ، ويعلمْ أنَّ قومَ المرءِ كنانتُهُ التِى بِهَا يُناضِلُ ، وذروتُهُ التِى بِهَا يُطاولُ ، وإذا لمْ يحملْ ما يَرِيبُ مِن أدانيهِ رَمَتْهُ أقاصيهِ . ولا بُدَّ للإنسانِ مِن طاعةٍ ومعصيةٍ . ومِن أجلِ طاعاتِهِ تُغْفَرُ مَعاصيهِ . إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ [٥] . وبعدُ فإذا شاءَ المولَى أنْ يقتلَ حُرًّا فَلْيَعْفُ عَنْ زَلَلِهِ . فإنَّ إصابةَ [٦] عِرْضِهِ أشدُّ مِن إصابةِ مقتلِه .

فى [٧] هذا الكتابِ معانٍ كثيرةٌ شريفَة ، وهى فى الميزانِ ثقيلةٌ وعلى القلوبِ خفيفَة . ومنْها ما أُخِذَ مِن الشعرِ . فمنْها [٨] ما هو [٩] مأخوذٌ مِن أبياتِ الحماسةِ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرُكْ بِجَنْبِكَ [١٠] بَعْضَ مَا
يَرِيبُ مِنَ الأَدْنَى رَمَاكَ الأَبَاعِدُ [١١]

ومنْها ما هو [١٢] مأخوذٌ مِن شعرِ أبى تمَّام ، وهو قولُه :

---

(١) عجز بيت لخالد بن أخت أبى ذؤيب الهزلى من الطويل ، وصدره :

فلا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أنتَ سِرْتَهَا

مجمع الأمثال للميدانى ٢/٢٤٨ ، وفصل المقال فى شرح كتاب الأمثال ١ / ٣٩٥ .

(٢) فى ن : « وليجر » خطأ . (٣) فى ن : « وإحسان » .

(٤) فى ع : « وليأخذه » خطأ .

(٥) هود / ١١٤ .

(٦) في م : « إصابت » خطأ .

(٧) فى م : « وفى » .

(٨) فى ت : « فمن ذلك » .

(٩) ما هو « سقطت » من ع .

(١٠) هذه الكلمة غير مقروءة فى م .

(١١) البيت من الطويل فى حماسة أبى تمام ١/٣٥٦/ رقم ٤٥٣ ، منسوبة لمحمد بن أبى شحاذ الضبى .

(١٢) ما هو « سقطت » من ع .

هُمْ صَيَّرُوا تِلْكَ البُرُوقَ صَوَاعِقًا
فِيهِمْ (١) وَذَاكَ (٢) العَفْوَ سَوْطَ عَذَابِ
فَإِذَا كَشَفْتَهُمُ وَجَدْتَ لَدَيْهِمُ كَرَمَ النُّفُوسِ وَقِلَّةَ الآدَابِ (٣)

ومنها ما هو (٤) مأخوذٌ مِن شعرِ أبى الطيِّبِ المتنبِّى ، وهو (٥) قولُه :

وَمَا قَتَلَ الأَحْرَارَ كَالعَفْوِ عَنْهُمُ
وَمَنْ لَكَ بِالحُرِّ الَّذِى يَحْفَظُ اليَدَا (٦)

ومِن هذا القسمِ ما ذكرْتُهُ فى خَلْعِ الممدوحِ علَى مَادِحِهِ ، وهوَ : سليبُ المدائحِ (٧) أبهجُ حُسْنًا مِن الغصونِ المكسوَّةِ بأوراقِهَا ، والحمائمِ المتحليَّةِ (٨) بأطواقِهَا ، فهوَ عارٍ مِن اللِّبَاسِ ، مَكْسُوٌّ مِن المحامدِ التى صَاحِبُهَا هو الكاسِ .

وبعضُ هذَا المعنَى مأخوذٌ مِن شعرِ بَشَّارٍ (٩) :

سَلَبَتْهُ يَدُ المَدَائِحِ ثَوْبًا فَهُوَ كَاسٍ مِنَ المَدَائِحِ (١٠) عَارِ (١١)

---

(١) فى ت : « عليهم » ، وبها لا يستقيم الوزن .

(٢) فى ع : « فيهم ذاك » ، وبها لا يستقيم الوزن .

(٣) البيتان من الكامل فى ديوان أبى تمام ١/ ٨٦ ، ٩٠ /ق ٤ ، وهما على غير ترتيب القصيدة .

(٤) « ما هو » سقطت » من ع .

(٥) فى ن : « من » .

(٦) البيت من الطويل فى ديوان المتنبى ص ٣٦١ .

(٧) فى ط : « المدأح » ، وفى م سقطت عبارة : « سليب المدائح » .

(٨) فى ت : « المتجلية » .

(٩) بشار بن بُرْدٍ أبو معاذ البصرى ، وكان فارسيًا من سَبْيِ أصبهان ؛ فولد فى الرق وهو أعمى ، اتهم بالزندقة ، وكان يتعصب للعجم على العرب ، قتل سنة ١٦٧ هـ وبلغ التسعين . سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤و ٢٥ ، وفيات الأعيان ١/ ٢٧١ : ٢٧٤ ، البداية والنهاية ١٠/ ١٤٩و١٥٠ ، النجوم الزاهرة ٢/ ٥٣ .

(١٠) فى ت ، وم ، ون ، وع : « المحامد » .

(١١) البيت من الخفيف ولم أجده فى ديوان بشار الذى اعتنى بجمعه السيد محمد بدر الدين العلوى أستاذ اللغة العربية سابقا فى الجامعة الإسلامية بعليكرة - الهند نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت - لبنان .

ومِن هذا الأسلوبِ ما ذكرْتُهُ فى المودَّةِ ، وهوَ خَيْرُ الوُدِّ ماعَطَفَ عليْكَ اخْتِيَارًا ، لا ما أَعَدْتَهُ بالعتابِ اقْتِسَارًا ؛ فإنَّ شِيمَةَ التبرُّعِ كَحُسْنِ [1] البداوةِ [غيرَ] [2] مَجْلُوب ، والإلحاحُ فى الطلبِ إِتْعَابٌ لوجهِ المَطْلُوب .

وهذا [3] مأخوذٌ مِن أبياتِ الحماسةِ ، وهوَ

أَلا إِنَّ خَيرَ الوُدِّ وُدٌّ تَطَوَّعَتْ
بِهِ النَّفْسُ لا وُدٌّ أَتَى وَهُوَ مُتْعَبُ [4]

ومن شعرِ أبى الطيِّبِ [المتنبِّى] [5] فى قولِهِ

حُسْنُ الحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيَةٍ
وَفِى البَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيرُ مَجْلُوبِ [6]

ومن هذا البابِ ما ذكرْتُهُ فى الشَّيْبِ ، وهوَ الشَّيْبُ بعدَ جِدَّةِ الشبابِ إِخْلاقٌ [7] ، وهوَ علَى كراهةِ لقائِهِ مَكْرُوهُ الفِرَاق . فآهًا [8] لنزولِهِ وآهًا [9] لرحيلِهِ ، وسُحْقًا له بديلاً مِن الشبابِ وسُحْقًا لبديلِهِ .

وهذَا مأخوذٌ مِن شعرِ أبى نُوَاسٍ ، وهو قولُه

---

(١) فى ن : « التبرج لحسن » خطأ . وفى هامش ع : « خير الود ما عطف عليك اختيارا » .

(٢) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٣) فى الأصل : « وهو » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٤) البيت من الطويل فى حماسة أبى تمام ١/ ٩٣ / رقم ٩٢ .

(٥) الزيادة من م .

(٦) البيت من البسيط فى ديوان المتنبى ص٤٤٧ .

(٧) فى ط : « إخلاف » تصحيفا .

(٨) فى ت ، وم ، وع : « فواها » ، وفى ن : « فواها لزورته » .

(٩) فى ت ، وم ، ون ، وع : « وواها » .

الشَّيبُ كُرْهٌ وَكُرْهٌ أَنْ يُفَارِقَنِى أَعْجِبْ بِشَىْءٍ عَلَى البَغْضَاءِ مَوْدُودِ
يَمْضِى الشَّبَابُ وَيأْتِى بَعْدَهُ بَدَلٌ وَالشَّيبُ يَذْهبُ مَفْقُودًا بِمَفْقُودِ [(١)]

ومِن هذا الفَنِّ [(٢)] ما ذكرْتُهُ فى الهِجَاءِ ، وهوَ : لمْ أَرَ لَهُ فى حُظوظِ المَساعِى مِن قِسْم ، كأَنَّهُ فيهَا واوُ عَمْرٍو أو أَلِفُ بِسْم [(٣)] فهوَ لا يزالُ مُنَكَّرًا غيرَ مَعْروف [(٤)] ، فإمَّا زائدٌ لا حاجةَ إليْهِ وإمَّا مَحْذوف ، والسنيدُ فى الشىءِ لا يكونُ كالنسيبِ ، وفرقٌ كبيرٌ [(٥)] بينَ أُنْسِ الأنيسِ ووَحْشَةِ الغَرِيبِ .

وبعضُ هذا [المعنَى] [(٦)] مأخوذٌ مِن شعرِ أبى عُبادة البُحترىِّ :

خَلِّ [(٧)] عَنَّا فَإِنَّمَا أَنْتَ فِينَا وَاوُ عَمْرٍو أَوْ كَالحَدِيثِ المُعَادِ [(٨)]

وقد [(٩)] أتيتُ بهذَا المعنَى على وَجْهٍ آخرَ ، فقُلتُ : لمْ أَرَ لَهُ فى حظوظِ المَساعِى مِن أَثَرٍ فهُو فى عَدَمِ الحاجةِ إليْهِ [(١٠)] كواوِ عمروٍ وفى الامتناعِ مِن الصرفِ كراءِ عُمَرَ .

ومِن هذا البابِ ما ذكرْتُهُ فى وصفِ السِّرِّ ، وهوَ : السِّرُّ [(١١)] أمانةٌ لاتُبَاعُ ، ووديعةٌ لا تُضَاعُ ، فالعينُ [(١٢)] تُكاتِمُ القلبُ فيهَا ما تُبْصِرُهُ ، والقلبُ يُكَاتِمُ اللسانَ

---

(١) البيتان من البسيط وهما ليسا لأبى نواس ، وإنما هما لصريع الغوانى مسلم بن الوليد فى ديوانه ص ٣١٠ و ٣١١ مقطوعة رقم ٩٧ ، وفى تاريخ بغداد ١٣ / ٩٦ ، وروايتهما :

أعجب

يمضى الشباب وقد يأتى له خلف

(٢) فى م : « الفصل » . (٣) فى ن : « اسم » .

(٤) فى م : « معرف » .

(٥) فى ت ، وم : « كثير » ، وفى ن : « أكثر » .

(٦) الزيادة من ط ، وم ، ون . (٧) فى ن : « حل » خطأ .

(٨) البيت من الخفيف فى ديوان البحترى ٢/ ٧٩٩/ ق ٣١٨ .

(٩) فى ت : « قد » .

(١٠) « إليه » سقطت من م ، وع .

(١١) « السر » سقطت من م . ويقابلها فى هامش ع عنوان : « السر أمانة لا تباع » .

(١٢) فى ط : « فالعتن » تحريفا .

ما [(١)] يُضمِرُهُ فإذا [(٢)] حُوفِظَ على السِّرِّ كذلكَ فقدْ أُلقِيَ فِي مَهْوَاةٍ لا يُرَامُ اطِّلاعُهَا ، ونِيطَ بصخرةٍ أعْيَا الرجالَ انصداعُها .

وبعضُ هذا المعنَى [(٣)] مأخوذٌ مِن أبياتِ الحماسةِ ، وهوَ :

وَفِتْيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ
عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّى جِمَاعُهَا
يَظَلُّونَ شَتَّى فِى الْبِلادِ وَسِرُّهُمْ
إِلَى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرِّجَالَ انْصِدَاعُهَا [(٤)]

ومِن شعرِ أبى الطيِّبِ المتنبِّى

كَأَنِّى عَصَتْ مُقْلَتِى فِيكُمُ وَكَاتَمَتِ الْقَلْبَ مَا تُبْصِرُ [(٥)]

ومِن هذا القسمِ ما ذكرْتُهُ فى فصلٍ مِن كتابٍ يتضمَّنُ قتالَ قومٍ كانُوا [(٦)] مُعتصمينَ بجبلٍ فنزلُوا إلَى الصحراءِ [(٧)] وهُزِمُوا : وبَعْدُ فإنَّ العساكِرَ رَكِبَتْ لارتيادِ موقفِ الحربِ ، واختيارِ المصعدِ السهلِ فى الجبلِ دونَ الصعبِ ؛ لتكونَ على بصيرةٍ من أمورِهَا ، ولتأتِىَ [(٨)] البيوتَ من أبوابِهَا لا من ظهورِهَا ؛ فانبسطتْ كتائبُهَا فِى كلِّ مُنْخَفَضٍ ومُنْحَدَر ، وعَمِيَتْ [(٩)] على العدوِّ كثرةُ عددِهَا فاعتمدَ فى ذلكَ على مَرْأَى البَصَر . فحينئذٍ نَفَخَ الشيطانُ فى أنفِه ، وساقَهُ إلى حَتْفِه ؛ فبَرَزَ فيمَنْ قِبَلَهُ من

---

(١) فى ن : « بما » .

(٢) فى ت ، وم ، ون : « وإذا » .

(٣) فى ت : « هذا مأخوذ » ، وفى ن : « وبعض المعنى » .

(٤) البيتان من الطويل فى حماسة أبى تمام منسوبان لمسكين الدارمى ١/ ٣٢٣/ رقم ٤٠٣ .

(٥) البيت من المتقارب فى ديوان المتنبى / ٣٤٤ . وفى م : « وكاتمنى القلب ما يبصر » .

(٦) فى ن : « وكانوا » .

(٧) فى م : « كانوا معتصمين فنزلوا بجبل إلى الصحراء » وهى عبارة مضطربة .

(٨) فى م : « ليأتى » .

(٩) فى ن : « وعمت » خطأ .

الجنودِ ، ونَزَلَ عن قُلَلِ [١] الأوعالِ إلى مُضطَحَرِ [٢] الأسْود . وقد [كانَ] [٣] حَزْنُ الخطبِ فى أحزانِه ، وتَبَاعُدُ منالِهِ فى تَبَاعُدِ مكانِه . فلمَّا أسْهَلَ أسهلَ النصرُ [٤] فى طلبِه ، وأمكنَ يدَه من سَلَبِه .

لا جَرَمَ أنَّهم رُدُّوا على الأعقابِ . ونُسِفُوا نَسْفَ الريحِ للسحابِ [٥] . فلمْ يكنْ لهُم سلاحٌ أَوْقَى [٦] مِن الفرارِ ، ولا عاصمَ إلاَّ الجبلُ الذى إنْ عَصَمَ مِن طوفانِ السيفِ فمَا عَصَمَ مِن طوفانِ العارِ .

فى هذا الفصلِ [٧] ما هوَ مأخوذٌ مِن شعرِ أبى تمَّام وشعرِ [٨] أبى الطيِّبِ المتنبِّى . أمَّا أبو تمَّام فقولُه :

لَبِسَتْ لَهُ خُدَعُ الحُرُوبِ زَخَارِفًا [٩]
فَـرَّقْـنَ بَـيْـنَ الـهِـضْـبِ وَالأَوْعَـالِ
قَدْ كَانَ حَزْنُ الخَطْبِ فِى أَحْزَانِهِ
فَدَعَاهُ دَاعِى الحَيْنِ [١٠] للأَسْهَالِ [١١]

وأمَّا أبُو الطيِّبِ المتنبِّى فقولُه :

---

(١) فى ن ، وع : « تلك » خطأ .

(٢) فى ن : « مصطخر » .

(٣) ممحوة فى الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٤) فى ت : « البصر » ، وفى ط ، وم : « فلما أسهل النصر » .

(٥) فى ت ، وط ، ون : « السحاب » ، وفى ع : « التراب » .

(٦) فى ت ، وط : « أوقى » .

(٧) فى ع : « الكلام » .

(٨) فى ع : « ومن شعر » .

(٩) فى ط : « رخارقا » خطأ .

(١٠) فى م : « الخير » .

(١١) البيتان من الكامل فى ديوان أبى تمام ٣/١٣٧/ ق ١٣٠ ، وقد قدم المصنف البيت الثانى على البيت الأول على غير ترتيب الديوان .

فَلَزَّهُمُ الطِّرَادُ إِلَى قِتَالٍ
أَحَدُّ (١) سِلاحُهُمْ (٢) فِيهِ الفِرَارُ (٣)

« ومِن هذا القسم ما ذكرْتُهُ فى جملةِ رسالةٍ طَرْدِيَّةٍ (٤) أَصِفُ فيهَا صيدَ الفهدِ (٥) ، فقلتُ : وثارَ (٦) بينَ أيدينَا سِربُ ظباءٍ مُدَرَّبٌ على القنصِ ومقانصِهِ ، عارِفٌ بغوائلِهِ ومَخْلَصِهِ . وقد طُرِقَ مكانُه حتَّى لمْ يَتَهَنَّ بمَرْتَعِهِ ومَشْرَعِهِ ، ولا أَمِنَ نَبْوَةَ (٧) مَصْرَعِهِ وليسَ منْه ما [تَمَتَّعَ] (٨) برؤيةِ أشباهِهِ من الفَرْقَدَيْنِ (*) ، [ولانَسِيَ] (٩) الفجيعةَ بإلفِهِ الذِى خَرَّ للفَمِ واليدينِ . فلمَّا أحسَّ بِنَا طارَ خيفةَ (١٠) حتفِه ، وكادَ أنْ يُخَلِّفَ ظِلَّهُ مِن خلفِه . فأرسلْنَا عليْهِ فهدًا نخيسَ (١١) الضريبَةِ ، ميمونَ النقيبَةِ ، [مُنتسبًا] (١٢) إلى نجيبٍ من الفهودِ ونجيبَةٍ كأَنَّمَا ينظرُ من

(١) فى ع : « أجدُّ » .
(٢) فى م : « سلاحه » وبها لايستقيم الوزن ولا المعنى .
(٣) البيت من الوافر فى ديوان المتنبى ص ٣٩٣ .
(٤) « طردية » غير موجودة فى ت .
(٥) فى ت : « الفهود » .
(٦) فى ع : « وسار » .
(٧) فى ع : « بنوة » تصحيفا . ونَبَا حَدُّ السيفِ إذا لم يَقطع . اللسان فى (ن ب و) .
(٨) فى الأصل ، وع : « يمنع » ، وفى ت : « يُمتِّع » ، وما أثبته من ط .
(*) والفَرْقدان : نجمانِ فى السماء لا يغرُبانِ قريبان من القُطْب ، اللسان فى (ف ر ق د) .
(٩) فى الأصل : « ولا على الفجيعة » ، وما أثبته من ت ، وط ، وع .
(١٠) « خيفة » غير موجودة فى ع .
(١١) فى ت ، وط ، وع ، ورسالته فى نشرة أنيس المقدسى ص ١٠١ : « سلس الضريبة » ؛ ونخيس : اتساع ثقب محورها فنخست بنخاس ، اللسان (ن خ س) ؛ والضريبة : الرأس وسمى بذلك لكثرة اضطرابه ، وهو المضروب بالسيف ، اللسان مادة (ض ر ب) .
(١٢) فى الأصل ، وع : « متنسب » ، وما أثبته من ت ، وط ؛ وميمون النقيبة : المظفر بما يحاول وهو كناية عن قوته ، اللسان (ن ق ب) .

جَمْرَة ، ويسمعُ فى [١] صَخْرَة ، ويطأُ من كلِّ بُرْثُنٍ [*] عَلَى شَفْرَة . ولهُ إهابٌ [*] قد حِيكَ من ضدينِ : بياضٍ وسَوَاد ، وصُوِّرَ على أشكالِ العُيون . فتَطَلَّعَتْ إلى انتزاعِ الأرواحِ من الأجْسَاد . وهوَ يبلغُ الأمَدَ [٢] الأقْصَى فى أدْنَى وَثْبَاتِه ، ويسبقُ الفريسةَ فلا يَقْنِصُهَا [٣] إلاَّ عندَ التِفَاتِه . وقد عَلِمَتْ الظباءُ أنَّ حبائلَهَا فى حبلِ [٤] ذراعِه ، وأنَّ نفوسَها مخبوءةٌ [٥] بينَ أضلاعِه ، فلمْ يَكُنْ [٦] إلاَّ نبضةُ عرقٍ ، أو لمحةُ برقٍ ، حتَّى [٧] أَدْرَكَ عقيلةً من تلكَ [٨] العقائلِ ، فأناخَ عليْها كَلْكَلَهُ ، ووَقَفَ بإزائِهَا ينتظرُ [٩] مُرْسِلَهُ .

فى [١٠] هذا الكلامِ معنًى مأخوذٌ من شعرِ ابْنِ بَابِك [١١] ، وهوَ :

وَكَأَنَّ جِلْدَتَهُ [١٢] عُيونٌ كُلُّهَا
بُثَّتْ [١٣] عَلَي الأَرْوَاحِ فَهِىَ تَطَلَّعُ » [١٤]

---

(١) فى ط : « من » .
(*) البُرْثُنُ : مِخْلَبُ الأَسَد . اللسان فى (ب ر ث ن) .
(*) الإهابُ: الجِلْد من البَقَر والغنم والوحش ما لم يُدْبَغ . اللسان فى (أ هـ ب) .
(٢) فى ت ، وط : « المدى » . (٣) فى ت : « فلايقبضها » .
(٤) فى ع : « حل » تحريفا .
(٥) فى ت : « مخبوّة » ، وط ، وع : « مخبوة » .
(٦) فى ت : « يكن » بدون نقط ، وفى ط : « تكن » .
(٧) « حتى » غير مقروءة فى ط . (٨) فى ت : « عقيلة تلك » .
(٩) « ينتظر غير مقروءة فى ط . والكَلْكَل : الصدر من كل شيء . اللسان (ك ل ل) .
(١٠) فى ت ، وط : « وفى » .
(١١) شاعر وقته أبو القاسم عبد الصمد بن منصور بن بابك البغدادى ، طوف النواحى ، ومدح الكبار ، توفى ٤١٠ هـ ببغداد ، سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٨٠ ، ووفيات الأعيان ٣/ ١٩٦ وما بعدها ، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٤٥ .
(١٢) فى ع : « حلدته » تصحيفا .
(١٣) فى ط : « ثُبّت » تصحيفا ، وفى ع : « نبتت » .
(١٤) ينتهى هنا خرم وقع فى م ، ون يبدأ من قوله فى ص ٣٠٠ : ومن هذا القسم .... والبيت من الكامل .

ومن هذا القسمِ ما ذكرْتُهُ فى فصلٍ من كتابٍ يتضمَّنُ ذِكْرَ التاريخِ ، فقلت : والتاريخُ مُعَادٌ معنويٌّ يعيدُ (١) الأعصارَ وقد سَلَفَتْ ، ويَنْشُرُ(٢) أهلَها وقد ذَهَبَتْ آثارُهم وعَفَتْ . وبه يستفيدُ عقولَ التجاربِ مَنْ كَانَ (٣) غِرًا ، ويُلقِى آدَمَ ومَنْ (٤) بَعْدَهُ مِن الأُمَمِ وهَلُمَّ جَرًا . فهُم لديْه أحياءٌ وقد تضمَّنَتْهُم بطونُ (٥) القُبُور ، وعنه غُيَّبٌ وقد جعلَتْهُم الأخبارُ في عدادِ الحُضُور .

ولولا التأريخُ (٦) لجُهِلَتْ الأنسابُ ، ونُسِيَتْ الأحسابُ ، ولم يعلمِ الإنسانُ أنَّ أصلَه مِن تُرَاب ؛ وكذلكَ لولاهُ لماتَتْ (٧) الدولُ بموتِ زعمائِهَا ، وعَمِيَ على الأواخرِ حالُ قُدَمَائِهَا ، ولم تُحِطْ (٨) علمًا بمَا [قد] (٩) تداولَتْه الأرضُ (١٠) مِن حوادثِ سمائِهَا . ولمكانِ الحاجةِ (١١) إليْهَا لمْ يَخْلُ منها كتابٌ مِن كُتُبِ اللهِ المُنْزَلَة ، فمنْها ما يأتِي (١٢) بأخبارِه المُجْمَلَة ، ومنْها ما يأتِي(١٣) بأخبارِه المُفَصَّلَة (١٤) . وقد

---

(١) فى م : « بعيد » تصحيفا ، يقابلها فى هامش ع عنوان : « فى التاريخ » .

(٢) فى ع : « وتنشر » خطأ .

(٣) فى م : « مكان » تحريفا .

(٤) فى ن : « ويلقى مَن » .

(٥) « بطون » غير موجودة فى م .

(٦) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « التاريخ » .

(٧) فى ت : « ماتت » .

(٨) فى ن : « يحط » .

(٩) الزيادة من ط .

(١٠) « من » سقطت من ع .

(١١) فى ت ، وط ، ون : « العناية به » ، وفى م : « ولمكان العناية لم » .

(١٢) فى ت ، وم : « ما أتى » .

(١٣) فى ت ، وم : « ما أتى » .

(١٤) فى الأصل : « المسألة » ، وما أثبته من ت ، وم ، ون ، وع ؛ وفى ط : « المفضلة » تصحيفًا .

وَرَدَ فى التوراةِ [١] مُفْرَدًا فى سِفْرٍ مِن أسفارِهَا ، وتضمَّنَ تفصيلَ أحوالِ الأُمَمِ السالفةِ ، ومُدَدِ أعمارِهَا .

وقد [٢] كانتِ العَرَبُ على جهلِهَا بالقلمِ وخطِّه ؛ والكِتَابِ وضَبْطِه ؛ تَصْرِفُ إلى التواريخِ جُلَّ [٣] دَوَاعِيهَا ، وتجعلُ لها أوفرَ [٤] حظٍّ مِن مَسَاعِيهَا ؛ فتستغْنِى بحفظِ قلوبِها عن حفظِ مكتوبِها ، وتعتاضُ بِرَقْمِ صُدورِهَا عن رَقْمِ مسطورِهَا [٥] ، كُلُّ ذلكَ عنايةً [٦] منها بأخبارِ أوائلِهَا ، وأيَّامِ فضائلِهَا . وهلِ الإنسانُ إلاَّ ما أَسَّسَهُ [مِن] [٧] ذِكْرِهِ وبَنَاه . وهلِ البقاءُ لصورةِ لَحْمِهِ ودَمِهِ لولا بقاءُ مَعْنَاه .

فى هذا الكلامِ شىءٌ من الشعرِ وهو مأخوذٌ من أبياتِ الحماسةِ ، وهو [٨] :

« وَإِذَا الفَتَى لاقَى الحِمَامَ وَجَدْتَهُ لَوْلا الثَّنَاءُ كَأَنَّهُ لَمْ يُولَدِ [٩]

ومن هذا القسمِ ما ذكرْتُهُ فى عيادةِ مريضٍ ، وهو فصلٌ من كتابٍ ، فقلتُ : والخادمُ [١٠] يعودُه من شَكَاةِ جِسْمِهِ ، والناسُ يعودونَ الخادمَ من شَكَاةِ هَمِّهِ . وإذَا مَرِضَ المولَى المُنْعِمُ سَرَى مرضُه إلَى عبدِهِ وخادِمِه . فهُمْ مشاركُوهُ [١١] فى اسْمِ مَرَضِهِ ، وإنْ خالفُوهُ فى صورةِ أَلَمِهِ . وقد تمرضُ أرواحٌ لمرضِ أجْسَاد . ويشتركانِ فى [١٢] كلِّ شىءٍ حتَّى فى عيادةِ العُوَّاد .

---

(١) فى الأصل ، وم : « التورية » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(٢) فى ع : « ولقد » . (٣) فى ن : « جمل » خطأ .

(٤) فى ن : « أول » . (٥) فى ن : « سطورها » .

(٦) فى ع : « غاية » تحريفا . (٧) الزيادة من ط .

(٨) « وهو « سقطت من ت .

(٩) البيت من الكامل وهو فى الحماسة ٢/٥٧٩ / رقم ٧٩٦ ؛ وروايته :

رأيتـه ....

منسوبا لزيد بن عامر الحارثى ؛ ومن أول هذا البيت وقع خرم فى م ينتهى فى ص ٣٣٠ .

(١٠) فى ط : « الخادم » . (١١) فى ط : « مشاركون » .

(١٢) فى ت : « من » .

وبعضُ هذا المعنَى مأخوذٌ من شعرِ أبى تمَّام فى قولِهِ :

وَإِنْ يَجِدْ عِلَّةً نُعَمُ [١] بِهَا حَتَّى كَأَنَّا نُعَادُ مِنْ مَرَضِهْ [٢]

ومن هذا البابِ ما ذكرْتُهُ فى وصفِ السيرِ ، وهوَ : كمْ أزعجْتُ مِن عنانٍ وزِمَام ، وكمْ [٣] ودَّعتُ من بلدٍ بغيرِ سَلام ؛ فوَطَنِى حيثُ رَحلُ [٤] الرِّكَاب ؛ وأهْلِى حيثُ صَحِبْتُ مِن الصِّحَاب .

وهذا مأخوذٌ من أبياتِ الحماسةِ :

لا يَمْنَعَنَّكَ خَفضَ العَيْشِ فِى دَعَةٍ نُزُوعُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلٍ وَأَوْطَانِ [٥]

تَلْقَى بِكُلِّ بِلادٍ إِنْ حَلَلْتَ بِهَا أَهْلاً بِأَهْلٍ وَجِيرَانًا بِجِيرَانِ [٦]

وكذلكَ قُلْتُ فى وصفِ السيرِ أيضًا ، وهوَ : ولقد سِرْتُ مسيرَ الأخْبَار ، وأخذْتُ بمطالِعِ الليلِ والنَّهار ، حتَّى عَدِمْتُ رُفْقَةً ورِفْقا ، وصِرْتُ للغربِ غربًا ، وللشرقِ شَرْقا .

وهذا مأخوذٌ من شعرِ أبى عُبادة البحترىّ :

فَأَكُونُ طَوْرًا مَشرِقًا للمَشرِقِ الـ أَقْصَى ، وَطَوْرًا مَغْرِبًا للمَغْرِبِ [٧]

ومن هذا البابِ ما ذكرْتُهُ فى مساءلَةِ الدِّيارِ [٨] ، وهوَ : إذا وقفْتَ بالدارِ تُسائلُ

---

(١) فى ن : « نُغَمُ » تصحيفا . فى الديوان : نُعَمُ بالرفع ، والصواب : نُعَمْ لأنها جواب الشرط .

(٢) البيت من المنسرح فى ديوان أبى تمام ٣١٨/٢ ق ٩٠ وروايته :

. . . . حتى ترانا

(٣) فى ط ، ون : « وودعت » بسقوط : « وكم » .

(٤) فى ط ، وع : « حلّ » .

(٥) فى الأصل : « أهل وجيران » خطأ ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ؛ وفى ع : « أهل وخيران » تصحيفا .

(٦) البيتان من البسيط فى الحماسة ٨٧/١/ رقم ٨٣ .

(٧) البيت من الخفيف فى ديوان البحترى ٧٩/١/ ق ٢٨ .

(٨) فى ط : « الدار » ؛ وفى ن : « مسألة الدار » خطأ .

أحجارَهَا (١) ، وتبكِي أسرارَهَا ؛ فإنَّكَ لاتبكِي التُّرَاب ؛ بل الأَتْرَاب (٢) ، ولا تندبُ الآثارَ الخامِلَة (٣) ، بل الأحبابَ الزائِلَة .

وكذلكَ قلتُ فى هذا المعنَى أيضًا ، وهوَ : لا فائدةَ فى (٤) سلامِكَ على الطَّلَلِ الذى لا يَعِى خِطَابا ، ولا يردُّ (٥) جَوَابا ؛ فإنَّمَا تخاطِبُ أصداءً لا تملكُ إعادةً ولا إبداءً . وإذا شغلْتَ نفسَكَ بسؤالِ التُّرَابِ والجَنْدَل ، فلا فرقَ بينَ سؤالِ مَن لا يجيبُ ، وجوابِ مَن لا يسأل .

وهذانِ الفصلانِ فيهِمَا ما هو مأخوذٌ من شعرِ أبى تمَّام ، وهو :

فَعَلَيْكِ السَّلامُ لا أُشْرِكُ الأَطْـ ـلالَ فِى لَوْعَتِى وَلا فِى نَحِيبِى

فَسَوَاءٌ إجَابَتِى غَيْرَ دَاعٍ وَدُعَائِى بِالقَاعِ غَيْرَ مُجِيبِ (٦)

ومن هذا القسم ما ذكرْتُهُ أيضًا (٧) فى أدعيةِ الكتبِ ؛ فمنْها هذا الدعاءُ ، وهو : وَهَبَهُ اللهُ عُمْرًا طَوِيلا ، وبَنَى لَهُ مجدًا أَثِيلا ، وصَوَرَ وَجْهَ أيامِهِ جَمِيلا ، ونَصَبَ سَعْيَهُ للشمسِ والقمرِ رَسِيلا (٨) ، وحَمَى بعدلِهِ رَعِيَّةً وببأسِهِ رَعِيلا ، وأقامَ جودَه عن أخويْه البحرِ والسحابِ بَدِيلا ، ومَثَّلَ معنَى شيمِهِ دقيقًا ، ومحلَّ عليائِهِ جَلِيلا (٩) ،

---

(١) فى ن : « أخبارها » .

(٢) « بل الأتراب » غير موجودة فى ط .

(٣) فى ن : « الحائلة » خطأ ؛ وفى ع : « الحاملة » تصحيفا ؛

(٤) فى ن : « من » .

(٥) فى ط : « لاتعي خطابا ، ولاترد » ..

(٦) البيتان من الخفيف فى ديوان أبى تمام ١/ ١١٩/ ق ٨ ؛ وروايتهما :

فعليه

بالقفر

(٧) « أيضا » سقطت من ت ، وط ، ون ، وع .

(٨) فى ن : « سبيلا » . (٩) فى ع : « حليلا » تصحيفا .

وأَنْطَقَ السيوفَ بشكرِهِ صَليلا [١] ، والجيادَ بمدحِهِ صَهيلا ، وجَعَلَ هامَ العِدَا لرُمْحِهِ مَقِيلا . وَوَحْشَ [الفَلا] [٢] لجيوشِهِ نَزِيلا .

وبعضُ هذهِ المعانِى مأخوذٌ من شعرِ مُسْلِمِ بْنِ الوَلِيد ، وأبي الطيِّبِ المتنبِّى [٣] أمَّا مُسْلِمُ بْنُ الوَلِيد ؛ فقولُه :

قَوْمٌ إِذَا احْمَرَّ [٤] الهَجِيرُ مِنَ الوَغَى
جَعَلُوا الجَمَاجِمَ للرِّمَاحِ مَقِيلا [٥]

وأمَّا [٦] أبو الطيِّبِ المتنبِّى فقولُه :

نَطَقَتْ بِسُؤْدُدِكَ الحَمَامُ تَغَنِّيًا وَبِمَا تُجَشِّمُهَا [٧] الجِيَادُ صَهِيلا [٨]

ومن الأدعيةِ المُشَارِ إليهَا دعاءٌ آخرُ ، وهوَ : أعادَ اللهُ مجدَهُ كمَا بَدَاه [٩] ، وفَسَحَ فى البقاءِ عُمرَه كمَا فَسَحَ فى [العلـ]ـياءِ [١٠] مَدَاه ، ووَكَّلَ إحسانَهُ بحادثِ الدهرِ فلا تمتدُّ يَدَاه إلاَّ كَفَّتْهُمَا يَدَاه ، وجعلَهُ لَه عَاقِلَةً حتَّى لا يجرحَ جريحًا من الناسِ إلاَّ وَدَاه [١١] ، ولازالَ واحدًا فى فضلِهِ ؛ حتَّى يكونَ الأفاضلُ أشباهًا ما عَدَاه [١٢] .

---

(١) فى ع : « ضليلا » تصحيفا .
(٢) فى الأصل : « الفلاء » ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع . والفلا : جمع الفلاة .
(٣) فى ت : « أبو الطيِّبِ المتنبِّى ، وشعر مسلم بن الوليد » .
(٤) فى ن : « حمى » .
(٥) البيت من الكامل فى ديوان مسلم / ٦٠ / ق ٥ ، وروايته :

. . . . حمى . . . . للسيوف . . . .

(٦) « أبو » سقطت من ع . (٧) فى ع : « نجشمه » خطأ .
(٨) البيت من الكامل فى ديوان المتنبى / ١٣٦ .
(٩) فى ت ، ون : « أبداه » .
(١٠) ما بين المعقوفين ممحو فى الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .
(١١) وداه : وَدَيْتُ القَتِيلَ أَدِيه دِيةً إذا أعطيت دِيَتَه ، اللسان فى (و د ى) .
(١٢) فى ع : « أشباه ما عداه » . وهذا معنى مأخوذ من قول المتنبى فى ديوانه / ص ٢٣٨ وهو من المنسرح :

الناس ما لم يروك أشباه والدهر لفظ وأنت معناه

وبعضُ هذا المعنَي مأخوذٌ من شعرِ أبى نُواس فى قولِه :

وَكـلْتَ بِالدّهرِ عَينًا غَيرَ غَافِلَةٍ
مِنْ جُودِ كَفِّكَ تَأْسُو كُلّمَا جُرِحَا (١)

ومن الأدعيةِ دعاءٌ آخرُ ، وهوَ : أقرّ اللهُ عيونَ المعالِى باعتلاءِ مَرَاتِبِه ، وأسعدَهُ بشرفِ هِمَمِهِ لا بشرفِ كَوَاكِبِه ، وجعلَ صباحَهُ عندَ كتائِبِه ؛ إذا كانَ صباحُ غيرِهِ عندَ كَوَاعِبِه ، ورَفَعَ مجدَهُ عن (٢) أقوالِ الواصِفِين ، حتّى تكونَ (٣) مدائحُهَا من مَعَايِبِه لا من مَنَاقِبِه ؛ وأغْنَاهُ بمكافحَةِ أقلامِهِ عن مكافحةِ جنودِه ، وببديهةِ آرائِه عن رَوِيّةِ تجارِبِه ، ولا زالَ محمودًا فى السلمِ بلسانِ مواهِبِه ، وفى الحربِ بلسانِ قواضِبِه (*)

فى هذا الدعاءِ معنًى (٤) من قولِ أبى الطيِّبِ المتنبِّى :

أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهوَ عِنْدَ الكَوَاعِبِ (٥)
وَرُدُّوا (٦) رُقَادِى فَهوَ لَحْظُ الحَبَائِبِ (٧)

وكنتُ أَلّفْتُ كتابًا فى ذكرِ أدعيةٍ مخصوصةٍ ، وضمّنْتُه (٨) مائةَ دعاءٍ ممّا

---

(١) البيت من البسيط فى ديوان أبى نواس ص ١٧١ ؛ دار صادر - بيروت .

(٢) فى ن : « على » .

(٣) فى ن : « يكون » .

(*) والقضيبُ من السيوف اللطيفُ القاطع . اللسان فى (ق ض ب) .

(٤) « معنى » سقطت من ن .

(٥) فى ن : « الكواكب » خطأ .

(*) وكعبت وكَعَّبت: نَهَدَ ثَدْيُها. وجارية كَعابٌ ومُكَعّبٌ و كاعِبٌ ، وجمعُ الكاعِبِ كواعِبُ . اللسان فى (كـ ع ب) .

(٦) فى ت : « وزدًا » .

(٧) البيت من الطويل فى ديوان المتنبى / ٢٠٩

(٨) فى ن : « ضِمنته » .

يوضعُ[١] فى الكتبِ السلطانياتِ والإخوانياتِ ، وضَمِنْتُ على نَفْسِى أنْ أُودِعَ كلَّ دعاءٍ[٢] منها معنَى آيةٍ من القرآنِ ، أو خبرٍ من الأخبارِ النبويةِ ، أو معنَى بيتٍ سائرٍ ، وكثيرًا ما اشتملَ الدعاءُ الواحدُ منها على هذه المعانِى الثلاثَةِ .

(١) فى ن : « توضع » .

(٢) فى ن : « دعا » خطأ .

القِسْمُ الثَّالِثُ

القِسْمُ الثَّالِثُ
فِى حَلِّ الشِّعْرِ بِغَيْرِ لَفْظِهِ

وذلكَ هو الطبقةُ العُليا ، وهو [١] أخفَى لأمرِهِ ، فإنَّه لا يُعْلَمُ [٢] مِن أينَ أخذَ النَاثرُ ؛ وإنْ عُلِمَ كانَ فى موضعِ « الاستحسانِ ؛ لا فى موضعِ » [٣] الاستهجانِ . ومن المعلومِ أنَّ الآخِرَ لا يستغْنِى عن الاستفادَةِ من الأوَّلِ ، وليسَ هذا لفضيلةٍ [٤] اخْتُصَّ بِهَا الأوَّلُ دونَ الآخِرِ ؛ بلْ [٥] لأنَّه سَبَقَ زمانًا ؛ فسَبَقَ إلى استخراجِ المعانِى . وإذا [٦] جاءَ الآخِرُ من بعْدِهِ [٧] واستخرجَ تلكَ المعانِى ، كما استخرجَهَا قيلَ : هذا أَخَذَ من ذاكَ . ومازالَ أربابُ النثرِ والنظمِ [٨] يتناقلونَ المعانِى مُنَاقَلَةً ، ويتداولونَهَا مُداولةً .

والفضيلةُ إنَّما تَقَعُ [٩] فى سَبْكِ الألفاظِ ، وإبرازِهَا فى حليةٍ رائقةٍ . وخواطرُ الناسِ مُتشاكلةٌ فى الوقوعِ على المعانِى . وكثيرًا ما يَقَعُ للآخِرِ كمَا يَقَعُ للأوَّلِ من غيرِ وقوفٍ على ما ذَكَرَهُ الأوَّلُ ، وقد جرَّبْتُ هذا فى معانٍ [١٠] كثيرةٍ ؛ فكانَ يقعُ لى معنًى ، ثمَّ أَجِدُهُ [١١] بعد ذلكَ فى كلامِ مَنْ تقدَّمَنِى ، وكثيرٌ من الناسِ يستوعرونَ

---

(١) فى ت : « وهى » .

(٢) فى ن : « وهو الذى لا يعلم » .

(٣) ما بين علامتى التنصيص سقط من ن ؛ وفى ع : « لا موضع الاستهجان » .

(٤) فى ن : « ولأن هذه الفضيلة » .

(٥) « بل » سقطت من ن .

(٦) فى ن : « إذا » .

(٧) فى ن : « الآخر بعد هذه » .

(٨) فى فى ت ، وط : « النظم والنثر » .

(٩) فى ن : « تنفع » .

(١٠) فى الأصل ، وت : « معانى » .

(١١) فى ط ، وع : « آخذه » تصحيفا .

الطريقَ فى نقلِ الكلامِ من لغةٍ إلى لغةٍ [١] أخرَى . وهذا القسمُ الثالثُ مِنْ حلِّ الشعرِ الذى هوَ نقلُ المعنَى [٢] من لفظٍ إلى لفظٍ آخرَ أوعرُ عندِى ، وأضيقُ مجالاً ، وذاكَ أنَّ نقلَ الكلامِ من لغةٍ إلى لغةٍ يَسْهُلُ بسببِ أنَّ ألفاظَ هذهِ غير ألفاظِ هذه ؛ فلا يحتاجُ [٣] العارفُ بألفاظِ اللغتينِ أنْ يرتادَ [٤] ألفاظًا مترادِفَةً ؛ يعبرُ بِهَا فى نقلِهِ ؛ فإنَّ أكثرَ ما يُستعملُ فى هذا الموضعِ من الألفاظِ إنَّما هو الألفاظُ المترادفةُ التى هى أسماءٌ كثيرةٌ واقعةٌ على مسمًى واحدٍ ، ثمَّ إذا كانَ ناقلُ المعنَى من لفظٍ إلى لفظٍ عارفًا بذلكَ ؛ فيحتاجُ مع هذه المعرفةِ إلى معرفةٍ أخرَى فوقَهَا ، وهى اختيارُ الأحسنِ الأليقِ من الألفاظِ المترادفةِ الذى هو متصفٌ بأوصافِ الفصاحَةِ .

وهذا لا يُحْتَاجُ إلى تَطَلُّبِهِ فى نقلِ لغةٍ إلى لغةٍ أخرَى ؛ فإنَّ لهذهِ ألفاظًا ، ولهذه ألفاظًا [٥] ، فإذا أرادَ [٦] نقلَ المعنَى من لغةٍ إلى لغةٍ عَبَّرَ بهذِه [٧] الألفاظِ عن هذه الألفاظِ من غيرِ كبيرِ كُلْفَةٍ .

وبلغَنِى أنَّ محمودَ بْنَ سُبُكْتِكِين [٨] أحدَ الملوكِ الذين جاءُوا على عَقِبِ الملوكِ

---

(١) فى ن : « من لفظة إلى لفظة » خطأ .

(٢) فى الأصل : « المغنى » تصحيفا ؛ وما أثبته من ت ، ون ، وع ؛ وفى ط : « نقل معنى » .

(٣) فى ط ، ون : « ولا يحتاج » .

(٤) فى ط : « نزداد » تحريفا .

(٥) « ولهذه ألفاظا » سقطت منْ ع .

(٦) فى الأصل : « أردت » ؛ خطأ ؛ وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(٧) فى ن : « غيرُ هذه » خطأ .

(٨) السلطان الملك يمين الدولة ، فاتح الهند ؛ أبو القاسم محمود بن سيد الأمراء ناصر الدولة سبكتكين التركى ، صاحب خراسان والهند ، وغير ذلك ، ولد ٣٦١ هـ ، ومات بغزنة فى ٤٢١ هـ . سير أعلام النبلاء ١٧/٤٨٣ وما بعدها ، البداية والنهاية ١٢/٢٩ : ٣١ ، وفيات الأعيان ٥/١٧٥ : ١٨١ . تاريخ جرجان ١ / ٤٥٣ .

السامانيةِ كانَ فى خدمتِهِ شاعرٌ مفلقٌ [(١)] من شعراءِ العَجَمِ يُقالُ لَهُ : العُنْصُرِىُّ ، وإنَّهُ حَضَرَ إلى خدمتِهِ بعضُ شعراءِ العربِ وافدًا ؛ فراجتْ سوقُهُ لديْهِ ، ونَفَقَ عليْهِ حتَّى اختَصَّهُ لمنادَمَتِهِ [(٢)] ومجالسَتِهِ [(٣)] . فأنشدَهُ فى بعضِ الأيامِ بيتينِ من الشعرِ فى وَصْفِ الخمرِ [(٤)] ، وكانَ العُنْصُرِىُّ حاضرًا ؛ فسألَهُ المَلِكُ عن تفسيرِ البيتينِ ؛ فأنشدَهُ بيتينِ بالفارسيةِ ارتجالاً يتضمنانِ معنَى البيتينِ .

وهذا من الغريبِ العجيبِ لمكانِ [(٥)] نقلِ الكلامِ العربىِّ إلى الفارسىِّ سواءً بسواءٍ [(٦)] . وهذا لا يقعُ إلا نادرًا . وكنتُ سافرْتُ إلى بِلادِ الرُّومِ [(٧)] فى سنةِ ستمائةٍ ؛ فلمَّا دخلْتُ مدينةَ مَلَطْيَةَ [(٨)] ؛ أُخْبِرتُ عن خطيبِهَا أنَّ عندَهُ أدبًا وفضلاً [(٩)] ، وأنَّه يقولُ الشعرَ ؛ فقصدْتُ لقاءَهُ ؛ وألفَيْتُهُ [(١٠)] كمَا أُخْبِرتُ عنْهُ . وعَرَضَ علىَّ قصيدًا من شعرِه ، وهو مائةُ بيتٍ : كلُّ عشرينَ منهَا على لغةٍ ؛ فكانَ مضمَّنًا [(١١)] خمسَ لغاتٍ : العربية ، والفارسية ، والتركية ، والرومية ، والأرمنية . والجميعُ [(١٢)] على وزنٍ واحدٍ ، وقافيةٍ واحدةٍ ، إلاَّ أنَّه كانَ فى غيرِ اللغةِ العربيةِ أبرعُ منه فى اللغةِ العربيةِ .

---

(١) فى ط : « شاعر عنصرى مفلق » . وشاعر مُفْلِقٌ : مُجيد يجيء بالعجائب فى شعره . وأَفْلَقَ فى الأمر إذا كانَ حاذقاً به . اللسان فى (ف ل ق) .

(٢) فى ن : « بمخادمته » .

(٣) فى ط : « ومخالسته » تصحيفا .

(٤) فى ن : « القمر » .

(٥) « لمكان » سقطت من ن .

(٦) « بسواء » سقطت من ط .

(٧) بلاد الروم : القسطنطينية وأعمالها ؛ معجم البلدان ١/ ٣٢٣ ؛ معجم ما استعجم ٣/ ٨٩٧ .

(٨) ملطية : من بناء الإسكندر ، وجامعها من بناء الصحابة ، بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة ، تتاخم الشام ؛ وذكرها المتنبى وأبو فراس . معجم البلدان ٥/ ١٩٢ و ١٩٣ . واللسان فى (م ل ط) .

(٩) « فضلا » سقطت من ن .

(١٠) فى ت : « فألفيته » ؛ وكتب فى الهامش بخط مختلف : ملمع غريب .

(١١) فى ط ، ون : « متضمنا » .

(١٢) فى ن : « فالجميع » .

وهذا من أغربِ ما شاهدْتُهُ ؛ ولْنَرْجِعْ إلى غرضِنَا ومهمَّنَا من حَلِّ الشعرِ بغيرِ لفَظِهِ ؛ فمِن ذلكَ ما ذكرْتُهُ فى وَصْفِ الكَرَم (١) ، وهو : قَطَعَتْ مواهبُه إلىَّ مَدَى البلادِ ولَمْ أَقْطَعْ إليْهَا مَدَى ، ومَدَّتْ يَدَهَا نَحْوِى ولَمْ أَمْدُدْ نحوَهَا يَدًا . فهىَ المُسَافِرَةُ إلى كلِّ مُقيم ، وطاردةُ الإعْدامِ عن كلِّ عَديم ، والكريمةُ (٢) إذا غَدَا صَوْبُ الغمام ، وهوَ لَئيم . « فشُكْرِى لهَا شُكْرَان : شكرٌ علَى العطاءِ » (٣) ، وشكرٌ على التبرُّعِ (٤) . ومِن أحسنِ أوصافِهَا أنَّهَا تأتِى للصَّنيعِ (٥) ؛ لا للتَصَنُّعِ .

وهذا مأخوذٌ من قولِ أبى الطيِّبِ المتنبِّى :

وَأَنْفُسُهُمْ مَبْذُولَةٌ لِوُفُودِهِمْ
وأَمْوَالُهُمْ فِى دَارِ مَنْ لَمْ يَفِدْ وَفْدُ (٦)

إلاَّ أنِّى غيَّرتُ هذه الألفاظَ ، ونقلْتُهَا إلى صورةٍ أخرَى مع ما أضفْتُهُ إلى المعنَى من الزياداتِ . وهذا ضربٌ من الكيمياءِ الذِى تقدَّمَ ذِكْرُهُ .

ومما ينتظمُ بهذا المعنَى (٧) قولِى أيضًا ، وهوَ : مَنْ يسألُه غيرَ درجاتِ المَعَالِى ؛ فقد قَدَحَ فى مواهبِه (٨) ، وحَطَّ من مَرَاتِبِهِ ، لكنَّ الهِبَةَ على قَدْرِ المَوْهُوب ، ومَطْلَبُ الناسِ هو هذَا [العَرَضُ] (٩) الأَدْنَى من المَطْلُوب ، فمَن كانَ ذا فَخْرٍ ببذلِ مالِهِ الذِى هو عَرَضٌ يَذْهَبُ ، وعَارِضٌ يَنْضُبُ – وقد جَعَلَ حادِثَ

---

(١) فى ن : « الكريم » .

(٢) فى ع : « والكريم » .

(٣) ما بين علامتى التنصيص سقط من ط .

(٤) فى ن : « التسرع » .

(٥) فى ت ، وط ، ون ، وع : « للصنع » .

(٦) البيت من الطويل فى ديوان المتنبى / ١٩٣ .

(٧) فى ن : « فى المعنى » .

(٨) فى ط : « مواهنه » تحريفا .

(٩) الزيادة من ط .

هلاكِهِ في ضِمْنِ إمساكِهِ – فلمْ يَكُنِ المولَى بذلكَ فاخرًا [١] ، ولا لَهُ ذَاكِرًا .

وهذا المعنَى مُسْتَمَدٌّ من شعرِ أبى عُبادة البحترىّ :

وَإذَا اجْتَدَاهُ الـمُجْتَدُونَ فَإنَّه يَهَبُ العُلا في نَيْلِهِ المَوْهُوبِ [٢] .

غيرَ أنَّ الذِى ذكرْتُهُ فيهِ مِن الزيادةِ ما لا خفاءَ بِه وأمَّا فضيلتُه على الشعرِ وحُسْنُهُ فسكُوتِى عنْ وصفِهِ بيَان ، وسَتْرِى لإحسانِهِ إحْسَان .

وقد أوردْتُ هذا المعنَى على أسْلوبٍ آخرَ ، فقلتُ : ولقد قَصَدَ [٣] منه كريمًا . لم تزلْ مَعَاهِدُ أكنافِهِ مَعْهُودَة ، ومِن شيمةِ [٤] مَواهبِهِ أنْ تكونَ [٥] قاصدةً قبلَ أنْ تكونَ مَقصودَة ؛ فلو حَلَفَ سائلُه أنْ [٦] يُصافحَ السحابَ لبَرَّ في يمينِهِ بمُصافَحةِ يمينِه ؛ وليسَ هذا من المجازِ الذى يُتوسَّعُ فى مَقالِه ، بلْ هوَ مِن [٧] حقيقةِ القياسِ الذى يُحْمَلُ على أشباهِهِ وأمثالِهِ . وببعضِ هذا تَتِمُّ السيادَة ، وتَكْمُلُ العلياءُ حتَّى لا زيادَة . ولقد أغْنَى بيتَه وهو أوَّلُ بيتٍ وُضِعَ للجُود ، وزُخْرِفَ بالعَطَايا البيضِ فى المَطالِبِ السُّود ، عمَّا ابْتَنَتْهُ أوائلُه ، وسَنَّتْهُ فضائلُه

وهذا المعنَى مأخوذٌ من شعرِ أبى تمَّام وشعرِ [٨] أبى عُبادة البحترىّ .

أمَّا أبو تمَّام فقولُه :

يَرَى أَقْبَحَ الأَشْيَاءِ أَوْبَةَ آمِلٍ كَسَتْهُ يَدُ المَأْمُولِ حُلَّةَ خَائِبِ

---

(١) فى ط : « فاجرا » تصحيفا .

(٢) البيت من الكامل فى ديوان البحترى ١/٢٤٨ / ق ٨١ .

(٣) فى ط : « قصدت » .

(٤) فى ع : « شيم » .

(٥) فى ع : « يكون » .

(٦) فى ع : « أنه » .

(٧) « من » سقطت من ط .

(٨) « وشعر » سقطت من ط .

وَأَحْسَنُ مِن نَوْرٍ تُفَتِّحُهُ (١) الصَّبَا

بَيَاضُ العَطَايَا فِى سَوَادِ المَطَالِبِ (٢)

وأمّا أبو عُبادة البحتريُّ فقولُه :

أَغْنَى جَمَاعَةَ طَيِّءٍ عَمَّا ابْتَنَتْ

آبَاؤُهَا القُدَمَاءُ (٣) لِلأَبْنَاءِ

فَإِذَا هُمُ فَخَرُوا بِهِ لَمْ [يَبْجَحُوا] (٤)

بِقَدِيمِ مَا وَرِثُوا مِنَ العَلْيَاءِ

ومن هذا البابِ ما ذكرْتُهُ فى وصفِ الرماحِ وحامليهَا ، وهو : وبأيدِيهم كلُّ لَدْنٍ (*) شِدَّتُهُ فى لِينِهِ ، وتَمَكُّنُ النصرِ مَنوطٌ بتمكِينِهِ ؛ فمَا منْهم إلاَّ مَن اعْتَقَلَ بِمَا (٥) يماثلُه قَدًّا ، ويناسبُه جِدًّا ؛ فإذا مُثِّلَتْ شُكولُهَا وشكولُهُم قيلَ : صِعَادٌ (*) فى أيدِى صِعَاد . وإذا مُثِّلَ غنَاؤهَا وغَنَاؤهُم قيلَ (٦) : أَسَاوِدُ فى [أيدِى] (٧) آسَاد .

---

(١) فى ن : « يفتحه » .

(٢) البيتان من الطويل فى ديوان أبى تمام ١/ ٢٠٥/ ق ١٥ . ورواية البيت الأول :

أوبة آيب

(٣) فى ت : « الكرماء » .

(٤) غير مقروءة فى الأصل ؛ وفى ت : « ينجحوا » ؛ وفى ن : « فخروا فلم يتبجحوا » ؛ وما أثبته من الديوان ، وط ، وع . والبيتان من الكامل فى ديوان البحترى ١/ ٨/ ق ١ . بجح : البَجَحُ : الفَرَحُ ، بَجِحَ بَجَحاً ، و بَجَحَ يَبْجَحُ وابْتَجَحَ : فَرِحَ . اللسان فى (ب ج ح) .

(*) اللَّدْنُ : اللَّيِّنُ من كل شيء من عُودٍ أو حبل أو خُلُقٍ، والأنثى لَدْنة ، والجمع لِدانٌ و لُدْنٌ ، وقد لَدُنَ لَدانةً و لُدُونةً . اللسان فى (ل د ن) .

(٥) فى ت ، وط ، ون ، وع : « ما » .

(٦) فى ن : « غناؤها وهم قيل » .

(*) و الصَّعْدَةُ :القَناة، وقيل : القناة المستوية تنبت كذلك لا تحتاج إلى التثقيف ؛ والجمع صِعادٌ . اللسان فى (ص ع د) .

(٧) فى الأصل : « يدى » ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

ومن صفاتِها أنَّها لا تُنشَدُ إذا كانتْ قصائدَ ، ولاتجورُ [١] إلاَّ إذا كانتْ قواصدَ . قد أدَّبها الثِّقَافُ من عهدِ فِطامِهَا [٢] ، وكانتْ منابتُ الترابِ مِن « شَرَابِهَا ؛ فأضحتْ [٣] منابتُ الترائبِ [٤] مِن » [٥] طعامِهَا . فهذه هي الرماحُ التي تعتقلُهَا [٦] أيدِي الأبطَال ، وتأْوِي منها إلى معاقِلَ بذلكَ الاعْتِقَال .

بعضُ [٧] هذه المعانِي مأخوذٌ [٨] من شعرِ أبي الطيِّبِ المتنبِّي :

قُلُوبُهُم فِي مَضَاءِ مَا امْتَشَقُوا   قَامَاتُهُمْ فِي تَمَامِ مَا اعْتَقَلُوا [٩]

وإذا أنصفَ الواقفُ على هذا الوصفِ [١٠] مالَ من الطَرَب ، وعَلِمَ أنَّ في الخمرِ معنًى ليسَ في العِنَب [١١] . وقالَ : ليسَ القلمُ بقلمٍ في يَدِ [١٢] كلِّ مَن كَتَب .

ومن هذا القسمِ ما ذكرتُهُ في فصلٍ من كتابٍ يتضمَّنُ هزيمةً ، وهوَ : مَنَنَّا عليهم

---

(١) في ن : « ولا تجود »

(٢) في ت : « فطامعا » تحريفا .

(٣) في ط : « فأصبحت » .

(٤) في ط ، وع : « التراب » . والتَّرائبُ : أربعُ أضلاعٍ من يَمْنةِ الصدر وأربعٌ من يَسْرَتِه . اللسان في (ت ر ب) .

(٥) ما بين علامتي التنصيص سقط من ن .

(٦) في ط : « تعقلها » .   (٧) في ط : « وبعض » .

(٨) « مأخوذ » سقطت من ن .

(٩) البيت من المنسرح في ديوان المتنبي / ١٢٧ .

(١٠) في ت ، وط ، ون ، وع : « الفصل » .

(١١) عجز بيت مأخوذ من قول أبي الطيِّبِ المتنبِّي في ديوانه / ص ٤٢٥ ، وقرى الضيف ١/ ١٦٢ ، وهو من البسيط ، وصدره :

وإنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الغَلْبَاءُ عُنْصُرَهَا   فإنَّ في

(١٢) في ن : « في كف » .

من الأسلابِ بالبيضِ القواطِع ؛ ليجعلوا حُلِيَّهَا أساورَ فى أيدِى البيضِ ذواتِ البراقِع . وحِلْيَةُ السيفِ لا تَحْسُنُ إلاَّ فى كَفٍّ يكونُ بِه ضاربًا لا لَه (١) حامِلا . وإذا عَطَلَ (٢) فى مواقفِ الجِلادِ فالأَوْلَى [لَه] (٣) أَنْ يُجْعَلَ عاطِلا .

وهذا المعنَى ينظرُ إلى قولِ أبى العَتَاهِيَةِ ، وهو :

فَصُغْ مَا كُنْتَ حَلَّيْتَ بِهِ سَيْفَكَ خَلْخَالا
فَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُ (٤) قَتَّالا (٥)

ومن هذا القسمِ ما ذكرْتُهُ فى كتابٍ يتضمَّنُ تعزيةً وتهنئةً لمَلِكٍ [قَامَ] (٦) فى المُلْكِ بعدَ موتِ أبيهِ (٧) ، وهو : ولقد [تَعَقَّبَتِ] (٨) الأيامُ نقضَها بإتمامِها ، ونقضَها بإبرامِها ، ونُسِىَ (٩) نَعْىُ مَيِّتِهَا ببُشْرَى حَيِّهَا ، ونَشَرَتِ المكارمَ التى كانتْ طَوِيَتْ فَوَفَى أُنْسُ نَشْرِهَا (١٠) بوحشةِ طَيِّهَا . وأصبحَ عزاءُ (١١) الناسِ مُستدركًا بالهَنَاء ، وعُوِّضُوا عنْ (١٢) كَنْزِ الغِنَى بكنزِ الغَنَاء (١٣) ، حتَّى اسْتَرْجَعَتِ العَبَراتُ ما

---

(١) فى ت : « لا حاملا » . (٢) فى ت ، وط : « عُطِّلَ » .

(٣) الزيادة من ت ، وط ، وع ؛ وفى ن : « فأولى له » .

(٤) فى ن : « تكن » وبها يختل الوزن .

(٥) البيتان من الهزج فى ديوان أبى العتاهية ص ٣٨٠ ؛ دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت ؛ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م . ورواية البيت الثانى :

ومـا ....

(٦) فى الأصل : « أقام » ، ما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(٧) فى ط : « أنيه » تصحيفا .

(٨) فى الأصل : « تعتبت » ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(٩) فى ن : « وسىء » خطأ .

(١٠) فى ط : « نسرها » تصحيفا .

(١١) فى ن : « حزن » .

(١٢) فى ت : « من كنز » .

(١٣) « بكنز الغناء » سقطت من ن .

جادتْ به سحابُ [١] مُزْنِهَا [٢] ، واستبدلَتْ بَرْدَ مَسَرّتِهَا [٣] مِن حرارةِ حُزْنِهَا

وبعضُ هذه المعانِى [٤] مأخوذٌ من شعرِ الشّرِيفِ الرَّضِىّ فى قولِهِ

تَمْضِى العُلَى وَإِلَى ذُرَاكُمْ تَرْجِعُ   شَمْسٌ تَغِيبُ لَكُمْ وَأُخْرَى تَطْلُعُ

بُؤْسَى وَنُعْمَى أَعْقَبَتْ ، فَكَأَنَّمَا   رُدَّتْ عَلَى أَعْقَابِهِنَّ الأَدْمُعُ [٥]

وفى [٦] الذِى ذكرْتُهُ من الزيادةِ ما لا خفاءَ بِهِ ، وهوَ من بابِ نقلِ المعانِى الذِى هوَ الكيمياءُ ، وقد تقدَّمَ ذكرُهُ .

ومن هذا ما ذكرْتُهُ فى العفوِ والصفحِ ، وهوَ : تُدَافِعُهُ [٧] الأعداءُ عن نفوسِهَا بجهدِ قِرَاعِهَا فإذا أُسِرَتْ حاطَهَا حِلْمُهُ [٨] بما لم تَحُطْهُ قوَّةُ دِفاعِهَا ، فلَهَا من تَغَمُّدِهِ [٩] عندَ الإذعانِ أنصَار ، والكريمُ يَلْقَى عُدَاتَهُ * فى الحربِ بالإقدامِ [١٠] ، وعندَ السلمِ بالفِرَار .

---

(١) « سحاب » سقطت من ط .د

(٢) فى ن : « جاءت به سحاب حزنها » .

(٣) فى ط : « برد مشربها » .

(٤) فى الأصل بخطٍ مختلف : « معنى هذه الأبيات » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(٥) البيتان من الكامل فى ديوان الشريف الرضى ١/٦٠٣ ؛ دار صادر - بيروت - ١٩٩٤ ؛ وهما البيت الأول والعاشر من القصيدة .

(٦) فى ط : « والذى » ؛ وتوجد إشارة نحو الهامش للحرف « فى » غير الموجود - على ما يبدو ؛ ولكنه غير موجود فى الصورة .

(٧) فى ط : « يدافعه » ؛ ويقابلها فى هامش ع عنوان : فى العفو .

(٨) فى ع : « حكمه » .

(٩) فى ع : « تعمده » تصحيفا .

(١٠) فى ط ، ون : « بالأقلام » تحريفا .

* والعادِى : العَدُوُّ ، وجَمْعُه عُداةٌ . اللسان فى (ع د و) .

وهذا المعنَى مُخْتَلَسٌ مِن قولِ مُسْلِمِ بْنِ الوَلِيد :

يَـغْـدُو عَـدُوُّكَ خَـائِـفًـا فَـإِذَا رَأَى
أَنْ قَدْ قَدَرْتَ عَلَى العِقَابِ رَجَاكَا [١]

ومما ينتظمُ بهذا المعنَى ما ذكرتُه فى فصلٍ من كتابٍ ، وهو : وإذا [٢] حَكَمَتْ قدرتُه فى الذنوبِ [٣] كانَ العفوُ لهَا عَائِقا ، وإذا أحبَّ الشفعاءُ أنْ يَشْفَعُوا إليْه كانَ كرمُهُ لهُم سَابِقًا . فقد أَيِسَ [٤] الشافعُ عندَه مِن أجرٍ [يَذْخَرُه] [٥] ، كما أَمِنَ المذنبُ لديْه من عقابٍ يَزْجُرُه . ولقد صَغَّرَ قدرَ الانتقامِ حتَّى صَغُرَ بِه كبيرُ الذنبِ ، ومَحَا أثرَ الغضبِ من وجهِهِ ، وهو فى [٦] الوجوهِ كالصَّدَأِ فى [٧] مَتْنِ العَضْبِ . فلا بارقةٌ من بوارِقِه إلاَّ وهى مَغْشِيَّةٌ بغمامةِ حِلْمِه ، ولا بادرةٌ من بوادِرِهِ إلاَّ وهى محبوسةٌ فى قبضةِ كَظْمِه وعلى هذا فإنَّ [٨] الجانِى غيرُ مُفْتَقِرٍ لديْه إلى إقامةِ الأعْذَار ، ولا إلى التوبةِ التى تسترُ عورةَ [٩] الإصْرَار ويُوشِكُ [١٠] أنْ تَخَلَّقَ بخُلُقِ [١١] اللهِ سبحانَه فى عمومِ المَغْفِرَة . ورَأَى ألاَّ أثرَ يبقَى فى صدرِ المغيظِ إذا تولَّتْ إذهابَهُ يَدُ المَقْدِرَة [١٢]

---

(١) البيت من الكامل فى ديوان مسلم بن الوليد ص ٣٣١/ ق ١٥٨

(٢) فى ط ، ون ، وع : « إذا » .

(٣) فى ت : « على الذنوب » .

(٤) فى ط : « أنس » .

(٥) فى الأصل : « يدخره » ، وما أثبته من ت ، وط ، ن ، وع . لأن الداخر : هو الذليل المُهان . اللسان فى (د خ ر) .

(٦) فى ط : « من » .

(٧) فى ط : « من » . والعَضْبُ : السيفُ القاطع . اللسان فى (ع ض ب) .

(٨) فى ط : « فأنى » تحريفا .

(٩) فى ط : « عوة » تحريفا .

(١٠) فى ط : « الأضرار وتوشك » تصحيفا .

(١١) « بخلق » سقطت من ط .

(١٢) فى ع : « القدرة » .

هذا الفصلُ فصلٌ من القَوْل ، وله علَى غيرِه بسطةُ الطَّوْل . وهو شبيهٌ بخمرِ الجنةِ التى لا فيهَا غَوْل . وقد أبرزْتُه فى هذه الصورةِ التى ألفاظُهَا مَعَان ، وإذا قِيسَ إليْهَا غيرُها قيلَ : والنظمُ والنثرُ يَسْجُدَان .

وبعضُ ما تضمَّنَه هذا الفصلُ (١) مُسْتَمَدٌّ من شعرِ أبى تمَّام فى قولِهِ :

إِذَا سَيفُهُ أَضْحَى عَلَى الهَامِ حَاكِمًا

غَدَا العَفْوُ مِنْهُ وَهوَ فِي السَّيْفِ حَاكِمُ (٢)

والأحسنُ منْه مُستفادٌ من كتابِ اللهِ تعالَى فى سورةِ حم عسق : وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣) .

ومن هذا القسمِ ما ذكرتُه فى فصلٍ [من كتابٍ] (٤) يتضمَّنُ ذِكْرَ السعادةِ ، وهو : الجَدُّ لا يفتقرُ إلى فضيلةٍ تستوجبُه ، ولا إلى سعيٍ يستجلبُه . ولذلكَ (٥) قيلَ : قيراطٌ من سعادَة ، خيرٌ من قنطارٍ من سيادَة ؛ وهى شبيهةٌ (٦) بالحبِّ فى أنَّه لا يفتقرُ إلى [زيادَةِ] (٧) أوصافِ الجمالِ ، من نُطْقِ النِّطَاقِ * وخَرَسِ الخَلْخَالِ ، وانتظامِ لؤلؤِ الثَّغْرِ فى العَذْبِ الزُّلالِ ، واهتزازِ غصونِ القُدودِ فى كُثبانِ الر[مالِ . بل] (٨) هو نائبٌ عن هذا كلِّه ، ولو تناهَى المحبوبُ فى قُبْحِ شكلِهِ . و [سَريرةُ المحبَّةِ] (٩) مَكْنُونَة ، وفِطْنَتُهَا بِبَلَهِ الهَوَى مَغْبُونَة .

---

(١) فى ت : « القول » .

(٢) البيت من الطويل فى ديوان أبى تمام ٣/ ١٨١ / ق ١٣٦

(٣) الشورى / ٣٧ . وفى النسخ : « والذين إذا ما غضبوا ...,.. » .

(٤) زيادة انفردت بها ط ، ويقابلها فى هامش ع عنوان : وصف السعادة .

(٥) فى ط ، ون : « وكذلك » تحريفا .

(٦) فى ن : « شبيه » خطأ . (٧) الزيادة من ن .

* النِّطاقُ : واحد النُّطُق ، وهى أَغرَاض من حبالٍ بعضها فوق بعض ؛ يشدّ بها أوْساط الأناسى . اللسان فى (ن ط ق) .

(٨) ما بين المعقوفين ممحو من الأصل ؛ وما أثبته من ت، وط ، ون ، وع .

(٩) ما بين المعقوفين ممحو من الأصل ؛ وما أثبته من ت، وط ، ون ، وع .

وبعضُ هذا المعنَى يَتَسَوّرُ على قولِ أبى تمّام مِن بُعْدٍ :

يَنَالُ الفتَى مِنْ دَهْرِهِ وَهْوَ جَاهِلٌ
وَيُكْدِى الفتَى فِى [1] دَهْرِهِ وَهْوَ عَالِمُ
وَلَوْ كَانَتِ الأَرْزَاقُ تَجْرِى عَلَى الحِجَى
إِذًا هَلَكَتْ مِنْ جَهْلِهِنَّ البَهَائِمُ [2]

فانظرْ أيُّها المتأمِّلُ إلى هذينِ البيتينِ ، وإلى الفصلِ من الكلامِ المنثورِ ، ودَقِّقِ النظرَ حتَّى تعلمَ أنَّ بينَهُما بَوْنًا ، وتَرَى هذا [3] لونًا ، وهذا لونًا [4]

« ومن هذا القَسمِ ما ذكرْتُه فى وصفِ الخمرِ ، وهو : خمرةٌ سُقِيَتْ مَغارسُها بالسرورِ بدلاً من الماءِ . وجُمِعَ لها بين وصفينِ [5] من تذكيرِ الأفعالِ ، وتأنيثِ الأسماءِ ، وما سُجِنَتْ فى دَنِّهَا إلاَّ لِمَا عندَها من النِّفَارِ ، وكانتْ حمراءَ اللونِ فألبسَهَا طولُ السجنِ [6] ثوبَ الصَّفَارِ ، وقد شُبِّهَتْ بالنارِ المُوسَوِيَّةِ فى تَأَلُّقِ ضِرَامِهَا ، وبالنارِ الخَلِيلِيَّةِ [7] فى [تَعَمُّدِ] [8] بَرْدِهَا وسَلامِهَا . فإذا [9] نُظِرَ إليْهَا

(١) فى ط : « من » .

(٢) البيتان من الطويل فى ديوان أبى تمام ٣/١٧٨/ ق ١٣٦ ؛ وروايتهما :

من عيشه .... من دهره ....

هلكن إذن ....

اتفقت جميع النسخ على ما فى المتن ، وقد علق د. أبو همام على قوله : هلكن إذن ، بأنها أدق لأنه وقبيلته يستخدمون لغة أكلونى البراغيث عن سعة ، لا عن عجز . راجع المازنى شاعرا / ١٩٩ ، للدكتور أبى همام ، ط٣ ، ١٩٩٤ ، مكتبة النهضة المصرية .

(٣) فى ت : « لهذا » .

(٤) فى ط : « وأن هذا لونا ، وهذا لونا » خطأ .

(٥) فى ط : « الوصفين » .

(٦) فى ت كتب الناسخ كلمة : « تعمد السجن » ؛ ثم ضرب عليها خطا ، ولم يثبت شيئا .

(٧) فى ع : « الخليلة » .

(٨) الزيادة من ت .

(٩) فى ط : « وإذا » .

وإلى زُجاجِهَا أَشْكَلَ الأمرُ بينَها وبينَ الزُّجَاج ، وقيلَ : هذه سراجٌ فى كأسٍ ، أم كأسٌ فى سِرَاج .

فى هذا الفصلِ معانٍ حسنةٌ فمِن جملتِهَا قولى : إنَّ أفعالَها مذكرةٌ وأسماءَهَا (١) جميعَها على اختلافِهَا مؤنثةٌ (٢) : كالخمرِ ، والراحِ ، والمُدامِ ، وغيرِ ذلكَ . ومِن جملتِهَا : أنَّ السجنَ أَوْرَثَهَا (٣) ثوبَ الصفارِ ؛ فإنَّ المسجونَ يَتَغَيَّرُ (٤) لونُه ويصفرُّ . ومن جملتِهَا : أنَّهَا شُبِّهَتْ بالنارِ الموسويةِ ، وبالنارِ [الخليليةِ] (٥) وأمَّا المأخوذُ من الشعرِ ؛ فهو :

لَسْتُ أَدْرِى مِنْ رِقَّةٍ وَصَفَاءٍ هِىَ فِى كَأْسِهَا أَمِ الكَأْسُ فِيهَا (٦)

فأخذتُ المعنَى (٧) من هذا البيتِ وغيَّرْتُ اللفظَ إلى غيرِهِ » (٨)

ومن هذا القسمِ ما ذكرتُه فى الشَّيْبِ (٩) ، وهو : وقد تَعَمَّقَ قومٌ فى وصفِ

---

(١) فى جميع النسخ : « وأسماؤها » خطأ .

(٢) كتب فى هامش الأصل عبارة : « مؤنثة ، أى أن فعل إسكارها قوى شديد » ؛ وفوقها كتب الناسخ : « كذا وقعت هذه الحاشية » ؛ والإشارة إلى موضعها فى المتن خاطئة ؛ تؤدى إلى اضطراب المعنى والسياق ، وهذه العبارة غير موجودة فى ع ؛ وفى ت ، وط : « وأسماؤها مؤنثة ؛ أى أن فعل إسكارها قوى شديد ، وأسماؤها جميعها ... » .

(٣) فى ت ، وط : « ألبسها » .

(٤) فى ت : « يشحب » .

(٥) ما بين المعقوفين ممحو من الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ؛ وفى ع : « الخليلة » .

(٦) البيت من الخفيف فى ديوان كشاجم ص ٤٣٠ ؛ دراسة وشرح وتحقيق د . النبوى عبد الواحد شعلان ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ط- ١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، وروايته :

لست تدرى لرقة وصفاء هى فى كاسها أم هى الكاس فيها .

وفى المستطرف فى كل فن مستظرف ٢/٤٠٦ .

(٧) فى ت : « فأخذت هذا المعنى » .

(٨) نهاية خرم وقع فى ن بدأ من الصفحة السابقة من قوله : ومن هذا القسم ... .

(٩) يقابل هذا السطر عنوان فى ع : وصف الشيب .

المشيبِ حتّى سَمَّوا صاحبَه وَقُورَا ، وما أراهُ إلاَّ فَتْرَةَ حدثتْ لحركةِ (١) الشبابِ فكانَ الوقارُ فيهَا فُتُورَا . وعلى هذا فكلُّ ساكنٍ وَقُور ، وأَشْبَهْنَا بذلكَ أصحابَ القُبُور . وهذا المعنَى مُسْتَلٌّ (٢) من حُشَاشَةِ قول أبى تمَّام :

دِقَّةٌ فِى الحَيَاةِ تُدْعَى جَلالاً

مِثْلَ مَا سُمِّىَ اللَّدِيغُ سَلِيمَا (٣)

ومن هذا القسمِ ما ذكرتُه فى تهذيبِ النفسِ ، وهو : النفوسُ تؤثرُ الخيرَ تكلُّفًا ، والشرَّ طبعًا وهى مجبولةٌ على حُبِّ الشهواتِ : قلبًا ولسانًا وبصرًا وسمعًا وما كانَ فى أصلِ الخِلْقَةِ ؛ فإنَّ نَقْلَهُ خَلْقٌ ثَان . وهلْ فى المُمكنِ أنْ يُهْدَمَ ما الطبعُ لَه بَان (٤) . إلاَّ أنَّ للتدريجِ أَثَرًا (٥) فى تقويمِ الاعوجاجِ ، واصطناعِ أحجارِ الياقوتِ من الزجاجِ ولهذا اسْتُخْرِجَ من أوراقِ الشجرِ وشائعُ الدِّيباجِ . فلا تيأسْ من إصلاحِ نفسِكَ وإنْ أعياكَ فسادُهَا ، وإلانَةِ عريكتِهَا وإنْ عصاكَ قِيَادُهَا . وكثيرًا ما رأيْنَا صعبًا صارَ مُسْمِحا ، ومُفسِدًا عادَ مُصْلِحا .

[وهذا المعنَى ينظرُ إلىَ] (٦) قولِ أبى تمَّام :

لا تُذِيلَنْ صَغِيرَ هَمِّكَ وَانْظُرْ

كَمْ بِذِى الأَثْلِ دَوْحَةً مِنْ [قَضِيبِ] (٧)

---

(١) فى ن : « كحركة » خطأ .

(٢) فى ن : « مشتمل » خطأ .

(٣) البيت من الخفيف فى ديوان أبى تمام ٣/ ٢٢٤ / ق ١٤٤

(٤) فى ط : « ما الطبع بان » .

(٥) فى ن : « أن التدريج أثر » .

(٦) ما بين المعقوفين ممحو من الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، وع ؛ وفى ن : « هذا المعنى » .

(٧) ما بين المعقوفين ممحو من الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع . والبيت من الخفيف فى ديوان أبى تمام ١/ ١٢٠/ ق ٨ .

وهو ، والذى قبلَه ، [وما يأتِى بعدَه] [١] من بابِ الكيمياءِ الذِى هو نقلُ الأعيانِ .

ومن هذا الأسلوبِ ما ذكرتُه فى الشكرِ والثناءِ ، وهو : إذا أَفَضْتُ فى الثناءِ عليْه تنافسَ النظمُ والنثرُ فى الاستقلالِ بأوصافِه ، وما منهُما إلاَّ مَنْ فَضَّ خِتامَ طِيبِه ، ونَشْرِ مَطَاوِى أَفْوَافِه [٢] ؛ غيرَ أنَّ سماءَ مجدِهِ لمْ تَرْضَ إلاَّ بالكواكِبِ وشُهرتِهَا فلذلكَ قَلَّدْتُ عقودَ نَظْمِى بجوزائِهَا ، وفرائدَ نثْرِى بِنَثْرَتِهَا ؛ فما يُرَى بِكَلِمِى مِن حُسْنٍ [٣] فليسَ لهَا مَخْلُوقا . بلْ مِن أوصافِ سيِّدِنَا [٤] مَسْرُوقا ، والأشياءُ تُقَاسُ على أشباهِهَا وأنظارِهَا ونورُ القمرِ مُسْتَمَدٌّ من الشمسِ وأنوارِهَا

وهذا المعنَى ينظرُ إلى قولِ أبى تمَّام ، وهو

إِذَا القَصَائِدُ [٥] كَانَتْ مِنْ مَدَائِحِهِمْ

يَوْمًا فَأَنْتَ لَعَمْرِى مِنْ مَدَائِحِهَا [٦]

ومن هذا القسم ما ذكرتُه فى وصفِ الجودِ ، وهو : المالُ يكونُ فى خزائنِ أربابِهِ صامتًا وإذا [٧] خرجَ فى العَطَايا صارَ ناطِقا ، فيا قُبْحَهُ فى أيدِيهم حَبِيسًا ويا حُسْنَهُ عنهم آبِقا . ولم يُسْمَعْ قبلَه بآبِقٍ [٨] أفادَ صاحبَه حمدًا ، وبَنَى له مجدًا ؛ وقال له : كنتُ عندَك حرًّا ، وقد صرْتُ الآن عَبْدًا [٩]

---

(١) الزيادة من ت ، ون ؛ وفى هامش ع عنوان : فى الثناء .

(٢) فى ع : « أفواهه » تحريفا . (٣) فى ن : « يكلمى حسنا » .

(٤) فى ن : « سيدها » .

(٥) فى ع : « الفضائل » .

(٦) البيت من البسيط فى ديوان أبى تمام ١/ ٣٥٥ / ق ٣٤ ؛ وروايته :

فأنت لاشك عندى

(٧) فى ن : « فإذا » .

(٨) بآبق » تصحيفا . أَبَقَ : هربَ . اللسان فى (أ ب ق) .

(٩) فى الأصل بخط مختلف : « عبدا له » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

وهذه المعانِي المذ كورةُ غريبةٌ لم أسمعْهَا ، إلاَّ أنَّ حاشيةً منْها تُسَارِقُ (١) النظرَ إلى بيتٍ من الشعرِ لأبى الطيِّبِ المتنبِّى وهو :

يَا أَيُّهَا (٢) المُحْسِنُ المَشْكُورُ مِنْ جِهَتِي
وَالشُّكْرُ مِنْ قِبَلِ الإِحْسَانِ لا قِبَلِي (٣) .

وهذا نظرٌ من خَصَاصَاتِ (*) السُّتُور ؛ وما أقولُ إنَّه مُغامزةُ العيونِ بلْ مُناجاةُ بوخيِ الصُّدُوز .

ومما يلتئمُ بهذا الفصلِ أيضًا قولِي ، وهو : جُودُ مولانا قد هَوَّنَ على الناسِ مَشَقَّةَ (٤) الاغترابِ ، وأراهُم من نعيمِ الإنعامِ ما حَبَّبَ إليْهِم فراقَ الأحبابِ ، فما منْهم إلاَّ مَنْ يحمدُ خُطوبَ الأيامِ التى أخرجتْهُ من ديارِه (٥) ، ونقلتْهُ عمَّا لم يُؤْثَرْ من (٦) الانتقالِ عنْه إلى ما لَقِيَهُ (٧) مِن إيثارِه . فمثالُ بابِه الكريمِ لقَتْلَى الأيامِ كَمَثَلِ الجنةِ لقَتْلَى الحِمَامِ . فلو عَلِمَ داخلُ الجنةِ أنَّها تكونُ له مَصِيرا ؛ لاستعذبَ كأسَ الحِمَامِ ، وإنْ كانَ مَرِيرا .

بعضُ (٨) هذا المعنَى مُسْتَمَدٌّ من شعرِ ابنِ الخَيَّاطِ الدِّمَشْقِيِّ (٩) فى قولِه :

---

(١) فى الأصل : « سارق » تحريفا ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وع ؛ وفى ن : « حاشيتها تسارق » .

(٢) فى الأصل : « إنما المحسن » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع ؛ حتى يستقيم الوزن .

(٣) البيت من البسيط فى ديوان المتنبى / ٣٣١ .

(*) و الخَصَاصُ : الفُرَجُ بين الأثَافِيّ والأَصابع . اللسان فى (خ ص ص) .

(٤) فى ن : « شقة » .

(٥) فى ن : « داره » .

(٦) فى ت ، وط : « يؤثر الانتقال » ؛ وفى ن : « عما يؤثر الانتقال » .

(٧) فى ت : « ما ألفته » .

(٨) فى ط : « وبعض » .

(٩) ابن الخياط : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن على بن يحيى بن صدقة التغلبى الدمشقى الكاتب من كبار الأدباء ، ونظمه فى الذروة ؛ ولد فى ٤٥٠ هـ ، وتوفى فى ٥١٧ هـ . سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٧٦ : ٤٨٢ ، ووفيات الأعيان ١/ ١٤٥ : ١٤٧ ، وتاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ٥/ ٤١٩ : ٤٢٠ .

لأَشْكُرَنَّ زَمَانًا كَانَ حَادِثُهُ
وَصَرْفُهُ بِي [١] إِلَى مَعْرُوفِكُمْ سَبَبَا [٢]

إلاَّ أنَّ في الذى ذكرتُه من تمثيلِ قتلَى الأيامِ بقتلَى الحِمَامِ ، ودخولِ الجنةِ بالانتهاءِ [٣] إلى بابِ الكريمِ معنًى غريب لم أُسْبَقْ إليْه ، فيمَا عَلِمْتُهُ ، وهو من المعانِى اللطيفةِ .

وممَّا يجرِى هذا المَجْرَى ما ذكرتُه فى فصلٍ من كتابٍ ، وهو : إذا حَكَمَتْ سيوفُنا [٤] فى أموالِ العِدَى حَكَّمَتْ فيهَا وسائلُ النَّدَى . فهى طالبةٌ ومطلوبَة ، وسالبةٌ ومسلوبَة [٥] . إلاَّ أنَّها تأخذُ ما تأخذُه [اقتسارًا] [٦] ، وتُعْطِى ما تُعْطِيهِ اختيارًا ؛ فلَها بَسْطَةُ الغالِبِ ، ومِنَّةُ الواهبِ [٧] . [وشَرَفُ] [٨] العلياءِ لا يزدادُ إلاَّ بهاتينِ الوسامتينِ ، ولا يُبْنَى [٩] إلاَّ على ها [تينِ الدعامتينِ] [١٠]

وبعضُ هذا المعنَى ينظرُ إلى قولِ أبى تمَّام ، [وهو] [١١]

---

(١) فى ت ، وع : « لى » .

(٢) البيت من البسيط فى ديوانِ ابن الخياط / ٧٠ / ق ١٦ ؛ حققه خليل مردم بك ، المطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م ، مطبوعات المجمع العلمى بدمشق ؛ وروايته :

وغدره بى . . . .

(٣) فى ن : « ودخول رغبته بالانتهاء » .

(٤) فى ن : « سيوفها » .

(٥) فى ت ، وع : « صالبة مطلوبة وسالبة مسلوبة » .

(٦) مابين المعقوفين ممحو فى الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(٧) فى ن : « فلها بسطة الألقاب ومنة الوهاب » .

(٨) مابين المعقوفين ممحو فى الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(٩) فى ن : « ولا تبنى » .

(١٠) مابين المعقوفين ممحو فى الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(١١) فى ت : « أبى تمام حبيب بن أوس الطائى » ؛ والزيادة من ط .

إِذَا مَا أَغَارُوا فَاحْتَوَوا مَالَ مَعْشَرٍ
أَغَارَتْ عَلَيهِمْ فَاحْتَوَتْهُ [الصَّنَائِعُ] (١)

واعلمْ أنَّ من هذا القسمِ الذى نحنُ بصددِ ذكرِهِ ضربًا يقالُ لَه : توليدُ (٢) المعانِى ، وهو أخصُّ بأنْ يُسَمَّى بالكيمياءِ الذى (٣) يُبَدِّلُ (٤) صورَ (٥) الأعْيَان ، ويُبْرِزُهَا فى عِدَّةٍ من الألْوَان ، فتارةً يخرجُ منها لؤلؤًا وتارةً ياقوتًا . وتارةً ذهبًا وتارةً فضةً وهذا هو أشرفُ الدرجاتِ فى حلِّ المنظومِ ولا يكادُ يُتَفَطَّنُ (٦) لمكانِ الأخذِ منه (٧) ، بلْ يُظَنُّ أنَّ الناثرَ هو المُتَفَرِّدُ (٨) بصوغِ تلكَ المعانِى ؛ غيرَ أنَّ الطريقَ إلى ذلكَ كثيرُ الإشكالِ ؛ دقيقُ المَسْلَكِ لا يستطيعُه إلاَّ مَن أقدرَهُ اللهُ علىْ سلوكِ مضايقِه ، وثَبَّتَ قَدَمَه فى مزالقِه ، وقد مَهَّدْتُه لكَ هَهُنا . وسَهَّلْتُهُ عليْكَ إنْ كُنتَ ذا خاطرٍ جوَّالٍ ، ولسانٍ قوَّالٍ

فمن ذلك ما ذكرتُه فى فصلٍ من كتابٍ يتضمَّنُ شُكْرَ (٩) بعضِ المُنعمينَ ، وهو : إذا تقابلتْ مدائحِى وسَجَايَاه رَأَيْتُ مِرْآةً (١٠) صَقِيلَةً تُقابلُ صورةً جَمِيلَةً فلولا هذه ورَوْنَقُ صِقَالِهَا ، لَمَا تَمَثَّلَتْ تلكَ (١١) على هيئةِ (١٢) جمالِهَا . وأنَا أوَّلُ

---

(١) مابين المعقوفين ممحو فى الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع ؛ والبيت من الطويل فى ديوان أبى تمام ٤/٥٨٨ / ق ٤٨٣ .

(٢) « توليد » سقطت من ع .

(٣) فى الأصل : « والذى » ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(٤) فى ط : « تبدِّل » تصحيفا .

(٥) فى الأصل : « صورة » ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(٦) فى ط : « يفطن » .

(٧) « منه » سقطت من ت .

(٨) فى ن ، وع : « المنفرد » .

(٩) يقابل هذا السطر فى ع عنوان : فى الشكر .

(١٠) فى الأصل : « مرأة » ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(١١) فى ن : « لك » خطأ .

(١٢) فى ع : « هبة » تحريفا .

مَنْ طَبَعَ مِرْآةَ مِن الكلام ، وصَوَّرَ الأخلاقَ فيها (١) بصورِ الأجسام . فإذا عَلِمَ ذلكَ مِنّى فلا يَجْعَلْ لسانِى مُغْمَدًا ، ولا قلمِى مُقْعَدًا (٢) فإنَّ له مِن أحدِهِمَا صارِمًا بتَّارًا ، ومِن الآخرِ فارسًا كَرَّارًا ، ولا يُغْمَد هذا ، و[لا] (٣) يُقْعَدُ هذا إلاَّ أنّه (٤) يَضَعُنِى فى غيرِ مَوْضِعِى ، ويُلْحِقُ بى مَنْ لمْ يؤمِّلْ لِحَاقِى (٥) ، ولمْ يَجْرِ فى ميدانِ معِى والغَيْرَةُ (٦) حَيْرَةٌ ، والغَبِينَةُ ضَغِينَة (٧)

وذيلُ (٨) هذا [المعنَى] (٩) ينسحبُ على قولِ أبى تمّام :

أَوْلَى المَدِيحِ بِأَنْ يَكُونَ مُهَذَّبًا مَا كَانَ مِنْهُ فِى أَغَرَّ (١٠) مُهَذَّبِ
غَرُبَتْ خَلائِقُهُ وَأَغْرَبَ وَاصِفٌ فِيهِ فَأَحْسَنَ مُغْرِبٌ فِى مُغْرِبِ (١١)

إلاَّ أنَّ هذا (١٢) الذى ذكرتُه ما كأنَّه (١٣) من هذينِ البيتينِ . وكأنّه منْهُما ألا [تَرَى] (١٤) أنَّ معنَى هذينِ البيتينِ هو أنَّ أوْلَى المديحِ بأنْ يكونَ (١٥) حَسَنًا ما

---

(١) « فيها » سقطت من ت .
(٢) فى ت : « معقدا » ؛ وفى ع : « وقلمى مقعدا » .
(٣) الزيادة من ط . (٤) فى ن : « أن » .
(٥) فى ط : « لحافى » تصحيفا .
(٦) فى ط : « ولغيره » تحريفا .
(٧) فى ن : « والغيبة خيبة » .
(٨) فى ن : « ودليل » خطأ .
(٩) الزيادة من ط .
(١٠) فى ت : « أعز » تصحيفا .
(١١) البيتان من الكامل فى ديوان أبى تمام ١/١٠٦ و ١٠٧ / ق ٥ ؛ ورواية البيت الثانى : **شـاعـر**
(١٢) « هذا » سقطت من ن .
(١٣) فى ع « ما كان » تحريفا .
(١٤) الزيادة من ت ، وط ، ون .
(١٥) فى ط : « تكون » تصحيفا ؛ وفى ن : « أن يكون » .

كانَ فى حَسَنٍ مِثله [١] . وليسَ فيهِما [٢] زيادةٌ على ذلكَ ؛ فلمَّا أردْتُ أنْ آخذَ هذا المعنَى وَرَّيْتُ [٣] فى أخذِهِ عن الطريقِ المعهودةِ [٤] ؛ فمثَّلْتُهُ بمثالٍ ملائمٍ وهو مقابلةُ [٥] المرآةِ للصورةِ ، ثمَّ قلتُ : لولا مدائحِى لمَا ظَهَرَتْ محاسنُ فضلِكَ ، كما أنَّه لولا صِقَالُ المرآةِ لمَا تَمَثَّلَتْ فيهَا هيئةُ الصورةِ الجميلةِ ، ثمَّ أتبعتُ ذلكَ بمَا ينسحبُ على أَثَرِهِ مِن معانٍ أُخَرَ . وخرجْتُ فيهَا إلى مَعْرِضِ العِتابِ آخِرًا . وهكذا ينبغِى أنْ تُؤخَذَ المعانِى على حُكْمِ الاخْتِلاس ، لا على حُكْمِ الافْتِرَاس . وعلى سبيلِ المُسَاتَرَة ، لا على سبيلِ المُجَاهَرَة .

ومن هذا الضربِ [٦] ما ذكرتُه فى جوابِ رسالةٍ وَرَدَتْ من بعضِ الأصدقاءِ مِن أهلِ الأدبِ ، وهو [٧] : وَرَدَتْ إشارةُ [٨] سَيِّدِنَا أنْ أَنْظِمَ فى فلانٍ قصيدًا ، يكونُ فى نظمِهِ فَرِيدًا . وقد [٩] عَلِمَ أنَّ أحرارَ الكلام لهَا [١٠] عِزَّةُ الأحرارِ . وهى كالنفوسِ الأبيَّةِ فى الاستعلاءِ والاستكبارِ ؛ فإذا كُلِّفَتْ مَدْحَ لئيمٍ صَدَّتْ مُجَانِبَة ، وذَهَبَتْ مُغَاضِبَة . ولهذا أَبَى [١١] كَلامِى وهو الحُرُّ فى نَسَبِهِ الكريمِ فى حَسَبِهِ ، أنْ يمدحَ مَنْ عِرْضُهُ حَرَّاقٌ قَادِح . وفريسةُ جَارِح ، وطُعْمَةٌ » [١٢] هاجٍ لا مَادِح . وقالَ : لطيمةٌ

(١) فى ط : « ما كان حسنا فى مثله » وهى عبارة مضطربة .
(٢) فى ن ، وع : « فيها » خطأ .
(٣) فى ن : « ورأيت » .
(٤) فى ن : « المعمورة » .
(٥) فى ع : « ومقابلة » بسقوط : « هو » .
(٦) فى ن : « القسم » .
(٧) « وهو » سقطت من ت .
(٨) فى ن : « رسالة » .
(٩) « قد » سقطت من ن .
(١٠) فى ت : « بها » .
(١١) فى ط : « أتى » تصحيفا ، وبها لا يستقيم المعنى .
(١٢) نهاية خرم وقع فى م ؛ بدأ من ص ٣٠٣ .

الطيبِ لا تلتئمُ بالكَنيفِ (١) . وصورةُ (٢) الشوهاءِ لا يُزَيِّنُ منها التسويرُ والتشنيفُ ، وقد تركْتُهُ على إِبَائِه . « وحَفِظْتُ لَه حَسَبَ آبَائِه » (٣) .

وهذا (٤) المعنَى يُغامزُ النظرَ إلى قولِ أبى تمّام وهو (٥) :

مَالِى إِذَا مَا رُضْتُ فِيكَ غَرِيبَةً جَاءَتْ مَجِىءَ نَجِيبَةٍ فِى مِقْوَدِ

وَإِذَا أَرَدْتُ بِهَا سِوَاكَ فَرَضْتُهَا وَاقْتَدْتُهَا بِشَنَائِهِ (٦) لَمْ تَقْتَدِ (٧)

إلاّ أنّه لا يظهرُ للمتأمِّلِ أنّه منه ، ولا أنَّ بينَه وبينَه علاقةً . وفى (٨) الكلامِ الذى أوردْتُهُ زياداتٌ كثيرةٌ لا خفاءَ بحُسْنِهَا ولطافَتِهَا .

ومن هذا الضربِ ما ذكرتُه فى فصلٍ من الفصولِ ، وهو : الإنسانُ فى هَيْجِ أخلاطِ مالِهِ ، كهوَ فى هَيْجِ أخلاطِ جسدِهِ ، وكلاهُمَا شىءٌ واحدٌ فى تقويمِ إِوَدِهِ . فهذا يُطَبُّ بتنقيصِ شىءٍ من (٩) دَمِهِ ، وهذا يُطَبُّ بتنقيصِ شىءٍ مِن دِرْهَمِه . وقدْ قِيلَ : إنَّ الغِنَى داءٌ عندَ بعضِ الناسِ . ولا يُسْكِنُ (١٠) مِن سَوْرَتِهِ إلاَّ استعمالُ (١١) مُسْهِلاتَ الأكياسِ ، وهذا فلانٌ قد طَغَى (١٢) ؛ حيثُ استغنَى ، وامتلأَ عينًا ويدًا وبطنًا ؛ فينبغِى أنْ يُعالَجَ بهذا العلاجِ ، [الذِى فيهِ] (١٣) إصلاحٌ للمِزَاجِ .

---

(١) فى م : « بالكشف » تحريفا .

(٢) فى ن : « والصورة » .

(٣) ما بين علامتى التنصيص سقط من م .

(٤) فى م : « وهذه » خطأ .

(٥) « وهو » سقطت من ت .

(٦) فى م : « بثنائها » .

(٧) البيتان من الكامل فى ديوان أبى تمام ٢/١٣٧/ ق ٦١ ؛ ورواية البيت الثانى :

لم تنقد

(٨) فى ط : « فى » .

(٩) فى ط : « شىء دمه » .

(١٠) فى ط : « ولا يُسَكِّنُ » ، ويقابلها فى هامش ع عنوان : تعبير لطيف فى الغنى .

(١١) فى ط : « سورته الاستعمال » ، وبها لا يستقيم المعنى . وسَورة الشىء : حِدَّته .

(١٢) فى الأصل بخط مختلف : « فلان من حيث » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(١٣) ممحوة فى الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

وهذا المعنَى يَسْتَرِقُ [١] السمعَ من بيتينِ من شعرِ أبى تمَّام [٢] ، وهُما [٣] :

أَرَى فَضْلَ مَالِ المَرْءِ دَاءً لِعِرْضِهِ
كَمَا أَنَّ فَضْلَ الزَّادِ دَاءٌ لِجِسْمِهِ
فَلَيْسَ لِدَاءِ العِرْضِ شَىْءٌ كَبَذْلِهِ
وَلَيْسَ لِدَاءِ الجِسْمِ شَىْءٌ كَحَسْمِهِ [٤]

وقد تقدَّمَ ذكرُ هذينِ البيتينِ فى موضعٍ آخرَ من هذا الكتابِ ، وهو : القسمُ الثانِى من حلِّ الشعرِ وقد أعدتُهُمَا هَهُنا [٥] لأنِّى وَلَّدْتُ منهما معنًى آخرَ ، وهذا هوَ الكبريتُ الأحمرُ الذى هو الكيمياءُ على الحقيقةِ . فانظرْ إلى كلامِى « فى هذا الفصلِ » [٦] ، وإلى هذينِ البيتينِ ، وتأمَّلْ إنْ [٧] كنتَ متأمِّلاً ، واحكمْ بينَهما إنْ كنتَ حاكمًا . فإذا فعلْتَ ذلكَ أَذْعَنْتَ لى تسليمًا ، وعلمتَ أنَّ فوقَ كلِّ ذى عِلْمٍ عَليمًا

---

(١) فى م : « تسترق » خطأ .
(٢) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « من الشعر لأبى تمام » .
(٣) « وهما » سقطت من ن .
(٤) فى م ، وط : « كجسمه » تصحيفا ؛ والبيتان من الطويل ولم أجدهما فى ديوان أبى تمام ، ولا ديوان ابن الرومى تحقيق د. حسين نصار . وهما فى ديوان ابن الرومى ٦/ ٦١/ ق ١٦٨٩ ، تحقيق عبد الأمير على مهنا ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٤١١هـ - ١٩٩١ م . ورواية البيت الثانى :

لفضل المال

لداء العرض

وفى قرى الضيف ١/ ١٧١ منسوبان لابن الرومى أيضا .
(٥) فى ت : « هنا » .
(٦) « فى هذا الفصل » سقطت من م .
(٧) فى ن : « إذا » .

ومن هذا الضربِ ما ذكرتُه فى وصفِ القلمِ (١) ، وهو : أخرسُ وهو فصيحُ الإيرَاد ، وأصمُّ وهو يسمعُ مناجاةَ الفؤَاد . ومن عجيبِ شأنِهِ أنّه لا ينطقُ إلاّ إذا قُطِعَ لسانُه . ولا يضحكُ إلاّ إذا بَكَتْ أجفانُه .

وبعضُ هذا المعنَى ينظرُ إلى قولِ أبى الطيِّبِ المتنبِّى :

يَمُجُّ ظَلامًا فِى نَهَارٍ لِسَانُهُ ۝ وَيُخْبِرُ عَمَّنْ قَالَ مَا لَيسَ يَسْمَعُ (٢)

ومن هذا الضربِ ما يُعْكَسُ فيه المعنَى إلى ضِدِّه ، وهو ممّا يَصْعُبُ تناولُه ، ويَقِلُّ تداولُه .

فمن ذلكَ ما ذكرتُه فى الشكرِ (٣) ، وهو : الشكرُ أخفُّ من الإحسانِ وَزْنا ، وصاحبُه يستبدلُ الذى هو خيرٌ بالذِى هو أَدْنَى ، ولقد رَبِحَتْ صفقتُه (٤) إذ باعَ أَقْوَالا ، وحازَ (٥) أَموَالا ، وأعطَى كلماتٍ خِفَافًا وأخذَ عُرُوضًا ثِقَالا . ومَن زَعَمَ أنَّ شكرَ الشاكرِ أفضلُ من موهبةِ الواهبِ ؛ فقد جَهِلَ فى هذا ، أو كَذَبَ ، فهوَ لا ينفكُّ من (٦) عُذْرِ الجاهلِ ريبةُ الكاذبِ . ولقد أَغْلَى القولَ (٧) فيمَا ليسَ بِغَال ، وأَتَى ويدُه السُّفْلَى من مكانٍ عَالٍ . وأيُّ فضلٍ لمَن غايتُه أنْ يكونَ مُجَازِيًا (٨) ، لا مُوَازِيًا ،

---

(١) يقابلها فى هامش ع عنوان : فى وصف القلم .

(٢) البيت من الطويل فى ديوان المتنبى / ٢٥ ، وروايته :

ويُــفْــهِــمُ..............

(٣) يقابلها فى هامش ع عنوان : فى الشكر .

(٤) فى ن : « صنعته » .

(٥) فى ع : « وأخذ » .

(٦) فى ن : « فى » .

(٧) غير مقروءة فى م .

(٨) فى ن : « محاذيا » .

ومُعَامِلاً ، لا مُعَادِلاً . وإذا أَنْصَفَ عَلِمَ أنّه جاءَ أخيرًا . ولا فرقَ بينَه وبينَ مَن أُعْطِيَ أجرُه فصارَ أجيرًا . وما أَرَى الشُّكْرَ إلاَّ حديثًا يذهبُ فى الرياحِ ، لو لَمْ تُقَيِّدْهُ مَكارِمُ السَّماحِ ، فلا حاجةَ (١) إذًا مع لسانِهَا إلى لسانِ الشاكرِ (٢) ، وإذا (٣) نَطَقَتِ الحقائبُ فقد أغنتْ بنُطقِهَا عن مديحِ الشاعرِ .

هذا الكلامُ (٤) يشتملُ على معانٍ كثيرةٍ غيرَ أنَّ مبناهُ على عكسِ معنَى بيتٍ (٥) من الشعرِ فى قولِ أبى تمَّام ، وهو :

الشُّكْرُ بِالمَأْمُولِ أَبْهَى مِنْ يَدٍ غَرَّاءَ يُودِعُهَا رَجَاءُ الآمِلِ (٦)

ومن هذا النوعِ ما ذكرتُه فى فصلٍ يتضمَّنُ (٧) شكوَى الزمانِ وهو فصلٌ من كتابٍ ، [وهو] (٨) : مَنْ كانَ يشكُو الأقوامَ ، فإنَّ الخادمَ لا يشكُو إلاَّ الأيامَ . فإنَّ المُعْدِى على قَدْرِ العَدْوَى . والمَشْكُوُّ إليْه على قَدْرِ الشَّكْوَى .

وممَّا يشكُوه منْها أنَّها تُبادِهُهُ ولا تُواجِهُه ، وتُساوِرُهُ ولا تُجاهِرُه . ولو كانَ لهَا

---

(١) فى م : « ولا حاجة » . (٢) فى م : « لسان شاكر » .

(٣) فى ن : « وإذ » خطأ ، وهذالمعنى يغامز النظر إلى قول نصيب بن رباح ، وهو من الطويل :

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائبُ

كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ١ / ٣٤٨ ، وتجريد الأغانى القسم الأول - ١/ ١١٣ ، والبيان والتبيين ١/ ٨٣ ، والنهاية لابن الأثير ١/ ٣٥٠ .

(٤) فى ط : « وهذا » ؛ وفى ت : « هذا الفصل » .

(٥) فى ت ، وط : « على معنى بيت » ؛ وفى ن : « على بيت » ؛ وفى ع : « على عكس بيت » .

(٦) لم أجده فى ديوان أبى تمام . وهو من الكامل ، وأقرب بيت يوافقه عثرت عليه فى ديوان البحترى ٣ / ١٦٤٦ / ق ٦٤١ ، وروايته :

قمر تؤمله الموالى للتى يقضى بها المأمول حق الآمل .

(٧) « يتضمن » سقطت من ن . (٨) الزيادة من ط .

[شخصٌ لَلَقِيَهُ] [١] بعزمِ مَولانا فقارَعَهُ ، أو أَرْهَبَهُ [٢] باسمِهِ فوادَعَهُ [٣] . على أنَّها عبيدُه تَجْنِى وهو المطلوبُ [٤] بجنايتِهَا . وإذا رأتْ بأحدٍ عنايةً من جَاهِهِ قَرَنَتْهَا [٥] بعنايتِهَا . والخادمُ يُطالبُ بِأَرْشِ جراحِهَا ، ويسألُه عنايةً تَكُفُّ مِنْ [٦] غَرْبِ جِمَاحِهَا .

وبعضُ هذا المعنَى معكوسُ بيتٍ من [٧] شعرِ عبدِ السَّلامِ المعروفِ بديكِ الجِنِّ ، وهو :

وَدَافَعْتُ فِى صَدْرِ الزَّمَانِ وَنَحْرِهِ
وَأَىُّ يَدٍ لِى وَالزَّمَانُ المُحَارِبُ .[٨]

ومن هذا النوعِ ما ذكرتُه فى فصلٍ من فصولِ الكلامِ ، وهو : كَمْ للرِّكابِ مِن يدٍ لو عَلِمْتُهَا لجعلْتُ ترابَ أخفافِهَا للعيونِ [٩] إثْمِدا ، وخُطَطَ مبارِكِهَا للوجوهِ مَسْجِدا ، فهى الحاملةُ أعباءَ الهِمَم ، والمُمَكِّنَةُ من نَواصِى النِّعَم . فلا أجحدُ [١٠]

---

(١) ما بين المعقوفين غير واضح فى الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٢) فى ت ، ون : « فقارعه وأرهبه » .
(٣) فى ط : « قوادعه » تصحيفا .
(٤) فى ط : « المطالب » .
(٥) فى ع : « فزنتها » تصحيفا .
(٦) « من » غير موجودة فى ط . والأَرْش : الدِّيَةُ . اللسان فى (أ ر ش) .
(٧) « من » غير موجودة فى ن .
(٨) البيت من الطويل فى ديوان ديك الجن ص١٦ وروايته :

. . . . محارب

(٩) فى ع : « ترابها العيون » . والإِثْمِدُ : حجر يتخذ منه الكحْل ، وقيل : ضرب من الكحل ، وقيل : هو نفس الكحل . اللسان فى (ث م د) .
(١٠) فى ط : « أجحدها » .

حقَّها . وقد صَافَحَتْ بى سحابَ الجُودِ الذى هو أغزرُ (١) من سحابِ الماءِ ، وأَدْنَتْنِى مِن سماءِ المعالِى التِى هى أشرفُ مَحَلاً مِن السماءِ .

وشىءٌ من معانِى هذا الفصلِ مُسْتَنْبَطٌ (٢) مِن معكوسِ قولِ الشَّمَّاخِ (٣) ، وهو :

إِذَا بَلَّغْتِنِى وَحَمَلْتِ رَحْلِى عَرَابَةَ فَاشْرَقِى بِدَمِ الوَتِينِ (٤)

وهذا القَدْرُ كَافٍ فى حَلِّ المعانِى الشعريَّةِ . واللهُ المُوَفِّقُ للصَّوَابِ .

---

(١) فى ن : « أعز » .

(٢) فى ط : « وبعض هذا الفصل مستنبط » ؛ وفى ع : « مستغبط » تحريفا .

(٣) الشماخ بن ضرار الذبيانى الغطفانى ؛ شاعر مشهور أدرك الجاهلية والإسلام ، والشماخ لقب له ، واسمه معقل ؛ قال الحطيئة فى وصيته : أبلغوا الشماخ أنه أشعر غطفان . توفى فى غزوة موقان زمن عثمان ، وشهد القادسية . طبقات فحول الشعراء ١ / ١٣٢ وما بعدها ، الإصابة ٣/ ٣٥٣ : ٣٥٦ . فتوح البلدان ١ / ٣٢٤ .

(٤) البيت من الوافر فى ديوان الشماخ ؛ حققه ، وشرحه د. صلاح الدين الهادى . دار المعارف ، سنة الإيداع ١٩٧٧ . ووفيات الأعيان ٤ / ١٤

الفصل الثاني

فِى حَلِّ آيَاتِ القُرْآنِ العَزِيزِ

الفَصْلُ الثَّانِي
فِي حَلِّ آيَاتِ القُرْآنِ [العَزِيزِ] (١)

اعلمْ أنَّ القرآنَ بضاعةٌ (٢) زاكيةٌ ؛ فإذا رُزِقَهَا إنسانٌ يُديرُها(٣) في يدِهِ ، ويَتَجَهْبَذُ (٤) فِيهَا ، ويُحْسِنُ التجارةَ في معانِيها وألفاظِها ؛ فإنَّه يَستغْنِي بِها عنْ غيرِها(٥) . [وما] (٦) ذلكَ شيئًا (٧) يُرْزَقُهُ كُلُّ أحدٍ ، فَكَمْ مِن (٨) الناسِ مِن حافظٍ للقُرآنِ ؛ عالمٍ [بتفسيرِهِ] (٩) ، ولكنَّه في استعمالِهِ كالتاجرِ الجبانِ الذي لا يركبُ بَرًّا ولا بحرًا ، وليسَ يُسْرُهُ منه على هذه الحالِ إلا عُسْرًا . وهذا الأمرُ قد لابَسْتُه ، ومارسْتُه ، ودارسْتُه ؛ فوجدْتُه يحتاجُ إلى تلاوةٍ دائمةٍ (١٠) ، ومواظبةٍ لازمةٍ .

وكنتُ إذا مَرَرْتُ بسُورةٍ من السُّورِ يَسْنَحُ لي في حلِّ معانٍ منها مآربُ وأوطارٌ ، وأظنُّ أنِّي قد استَوْفَيْتُ ما أريدُه منها ، ثمَّ أتلوهَا بعدَ ذلكَ ؛ فَيَسْنَحُ لِي معانٍ أُخَرُ (١١) غيرَ تلكَ المعاني الأوَلِ (١٢) ، وكذلكَ (١٣) كلَّما تَجدَّدَتْ التلاوةُ تَجدَّدَتْ

---

(١) زيادة انفردت بها « ط » . (٢) في ن : « بضاعته » .

(٣) في ت ، وم ، وع : « يدبِّرها » .

(٤) في م : « ويتجهد » ، وفي ن : « ويتهجد » ؛ وكلاهما تحريف .

(٥) في ط : « غيره » خطأ .

(٦) ممحوة في الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٧) في الأصل ، وط ، وع : « ذلك شيء » ، وما أثبته من ت ، ون ، وفي م : « وما ذاك شيء » .

(٨) في ت ، وط ، وم ، ون : « فكم من الناس » .

(٩) ممحوة في الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع ؛ وفي م : « على عالم » خطأ .

(١٠) في ن : « داعية » خطأ .

(١١) « أخر » غير موجودة في ت .

(١٢) في م : « الأولى » .

(١٣) في م : « وهذا » خطأ .

معانٍ بعدَ معانٍ . فينبغِي للمُنْتَصِبِ لِفَنِّ الكتابةِ أنْ يُتْقِنَ حفظَ القرآنِ الكريمِ ، وإذا حَصَلَتْ لَه الملكةُ التامَّةُ فِي حلِّ الآياتِ التى يُحتاجُ إليْها فى الخُطَبِ والمُكاتباتِ ؛ فحينئذٍ تَتَفَتَّحُ (١) لديْه أبْوَاب ، وتُوصِلُهُ (٢) أسبابٌ إلى أسْبَاب ، ويأتِيهِ خاطرُه بمَا لمْ يَكُنْ لَه فِى حِسَاب .

واعلمْ أنَّ كتابَ اللهِ هو أفصحُ الكلامِ . وما ينبغِى (٣) أنْ يُسْلَكَ بِه مَسْلَكُ الأشعارِ فى حلِّهَا . بل ينبغِى أنْ يُحَافَظَ على ألفاظِهِ لعدمِ القدرةِ على مُمَاثَلَتِهَا ومُشَابَهَتِهَا . لكنْ أَخْذُ الآيَةِ بجملتِهَا ليسَ مِن هذا الفنِّ فى شيءٍ لأنَّه مِن بابِ التضمينِ . وهذا الذى نحنُ بصددِهِ ههنا هو ضَرْبَانِ : أحدُهُما : أنْ يُؤْخَذَ (٤) بعضُ الآيةِ فَيُجْعَلُ أولاً لكلامٍ (٥) أو آخِرًا ، والآخَرُ : أنْ يُؤْخَذَ مَعْنَى الآيةِ .

وقد أوردْتُ لكَ فى هذا الفصلِ أمثلةً [تَسْلُكُ بِهَا الطريقَ] (٦) ، وتجعلُهَا هاديةً لكَ إليْه .

فمِن ذلكَ ما ذكرتُه فى ذمِّ بخيلٍ ، وهو : جودُه (٧) بعيدُ الأمَل ؛ غيرُ مُفْتَقِرٍ إلى العَذَل ، وإذا احْتَفَلَ فهو نهرُ طالوتَ [الذى حُلِّلَ] (٨) للغَرْفَةِ لا للنَّهَل . وهذا مأخوذٌ من سورةِ البقرةِ فى قولِه [تعالَى] (٩) : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ

---

(١) فى م : « ينفتح » ، وفى ن : « تنفتح » .

(٢) فى م : « ويوصله » . (٣) فى م : « ومابنبغى له » .

(٤) فى ط : « تؤخذ » .

(٥) فى ط : « للكلام » ، وفى م : « الكلام » خطأ ، وفى ن : « أول الكلام » .

(٦) ممحوة فى الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، وع . وفى تعقيبة الأصل : « تكفيك » ، وفى السطر الأول من الصفحة المقابلة : « تكفيك ... » ومكان النقط كلمة غير مقروءة ، والمعنى لايستقيم ، وفى ن : « لتسلك بها الطريق » .

(٧) فى الأصل بخط مغاير : « إن فلان » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٨) ممحوة فى الأصل ، وما أثبته من ت ، وم ، وع ، وفى ط : « الذى حلَّ » ، وفى ن : « الذى » غير موجودة .

(٩) ممحوة فى الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى [١] ، وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّى إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ .

وهذا من بابِ أَخْذِ معنى الآيةِ ؛ والتصرُّفِ فيهِ . فتأمَّلْهُ أيُّهَا الناظرُ ، وأعْطِهِ حقَّهُ من التأمُّلِ حتَّى تعلمَ كيفَ تضعُ يدَكَ فى أشباهِهِ وأمثالِهِ .

ومن ذلكَ ما ذكرتُه فى وصفِ كريمٍ ، وهو : الكريمُ لا تبعثُه [٢] التجاربُ على النظرِ [٣] فى العَوَاقِبِ ، ويَرَى الإيثارَ والمواساةَ أعْلَى فى درجاتِ [٤] المَوَاهِبِ ؛ فإذا عُذِلَ تمثَّلَ بقولِ الشاعرِ : أُذُنِى عَنِ الفَحْشَاءِ صَمَّاء [٥] ، وقالَ إنْ هى إلاَّ أسماءٌ سَمَّيْتُمُوهَا ولا نتَّبِعُ الأَسْمَاء [٦]

وبعضُ هذا الأسلوبِ [٧] مأخوذٌ من سورةِ النجمِ [٨]

« وعلى هذا الأسلوبِ وَرَدَ قولِى أيضًا فى وصفِ كريمٍ ، فقلتُ : لا يَضْرِبُ بينَ مالِهِ حِجَابًا وبينَ السَّائِلِين ؛ وإذا عُذِلَ على الجودِ أجابَ بقولِهِ تعالَى : وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ . وقد علمَ أنَّ المَعْذِرَةَ والبخلَ أَخَوَانِ ، فلا فرقَ عندَه بينَ المعتذرينَ وبينَ

---

(١) فى الأصل : « فإنه ليس منى » سهوا . البقرة / ٢٤٩ .

(٢) فى ت : « لا يبعثه » ، وفى ط الكلمة غير منقوطة ، ويقابلها فى هامش ع عنوان : « وصف كريم » .

(٣) فى م : « النظم » تحريفا .

(٤) فى ط : « أعلى الدرجات » خطأ .

(٥) فى ت : « صما » . وهو إشارة لبيتٍ من الوافر فى خزانة الأدب للحموى ١٢٨/٢ ؛ وفى المستطرف فى كل فن مستظرف ٣٨٨/٢ قال الشيخ جمال الدين بن نباتة المصرى :

لَهُ طَرْفٌ ضَرِيرٌ عَنْ سَنَاهَا ... وَلِى أُذُنٌ عَنِ الفَحْشَاءِ صَمَّا

(٦) فى ن : « ولا أتبع » ، وفى ع : « ولا تتبع » تصحيفا .

(٧) فى ت ، وط ، وم ، ون : « الفصل » ، وفى ع : « وبعض هذا مأخوذ » .

(٨) النجم /٢٣ ، وفى م ، ون : « فى قوله تعالى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ . وهو من تدخل الناسخ .

البَاخِلِين ، وفى شِرْعَةِ هذا الخُلُقِ الكريمِ تَكْثُرُ (١) أسبابُ الامْتِيَاح (*) ، ولو عَدَاهُ سَائلٌ لنَادَى (٢) : حَيَّ على السَّمَاح كما يُنَادَى حَيَّ على الفَلاَح .

وبعضُ هذا الفصلِ مأخوذٌ من سورةِ الأعرافِ فى قولِه تعالَى : خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ » (٣) .

ومِمَّا يجرِى هذا المجرَى ما ذكرتُه فى الاقتصادِ فى طَلَبِ الرِّزْقِ ، وهو : الإنسانُ فى كفالةِ اللهِ برزقِهِ غيرُ وَاثِق . وهو فى كلِّ طريقٍ إليْه سَالِكٌ (٤) ، ولكلِّ بابٍ فيهِ طَارِق ، وكثيرًا (٥) ما يأتيهِ وهو عنه (٦) نَائِم ، ويقعدُ عنه وهو إليْه قَائِم . وهذا تعريفٌ بأنَّ اللهَ تعالَى فاتحُ أبوابِه ، ومُسَبِّبُ أسبابِه ، ولو فاتَه المقدورُ منه بإهمالِه لأدركَ غيرَ المقدورِ بِطِلابِه . ويكفِيهِ مِن الإيمانِ بذلكَ أنَّه لا يُصَرِّفُ الأرزاقَ إلاَّ القادرُ على خَلْقِهَا ، وكَمْ مِن دابَّةٍ مَرْزُوقَةٍ وهى ضعيفةٌ عنْ حَمْلِ رزقِهَا ، ولو أُعْطِيَ الإنسانُ رُشْدَهُ (٧) لألْقَى عنْ نفسِه ثُقْلَ المجيءِ والذهَاب ، وعَلِمَ أنَّ راحةَ الاتِّكَالِ أَعْوَدُ عليْه (٨) مِن تَعَبِ الاكْتِسَاب .

وهذه معانٍ شريفةٌ عاليةٌ لا يُلِمُّ بِهَا إلاَّ خاطرٌ كانَ على المعانِى (٩) غَوَّاصا ،

---

(١) فى ع : « يكثر » .

(*) امْتاحَ فلانٌ فلاناً إذا أتاه يطلب فضله . اللسان فى (م ى ح) .

(٢) فى ت : « لناداه » .

(٣) الأعراف / ١٩٩ ، وهنا ينتهى خرم وقع فى م ، ون بدأ من قوله : « وعلى هذا الأسلوب » فى الصفحة السابقة .

(٤) فى ت : « طريق سالك » .

(٥) فى م : « وكثير » .

(٦) « عنه » سقطت من م .

(٧) فى ن : « رشدا » .

(٨) فى م : « أعود إليه » .

(٩) فى م : « المعالى » تحريفا .

ولأوَابِدِ (*) وحشِهَا (١) قَنَّاصا . وبعضُ ذلكَ مأخوذٌ من سورةِ العنكبوتِ في قولِهِ تعالَى : [وَكَأَيِّن] (٢) مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ (٣) .

ومِمَّا ينتظمُ بهذا السِّلْكِ ما ذكرتُه في وصفِ الكريمِ (٤) ، وهو : شيمةُ كَرَمِهِ (٥) مسيحيَّةٌ في طِبِّهَا ، كليميَّةٌ في تسهيلِ شُرْبِهَا ؛ فإذا اعتلَّتِ الآمالُ تلقَّتْهَا (٦) بشفاءِ عَليلِهَا ، وإنْ ذِيدَتْ عن الوُرودِ تلقَّتْهَا بشفاءِ غَليلِهَا(٧) فلهَا الفضلُ الذى ليسَ بمَطْرُوق ، والخُلُقُ الذى لم يكنْ من (٨) قبلِهَا بمَخْلُوق (٩) ، ولا جُنَاحَ على من سَبَّحَ لهَا مُتَعَجِّبًا ، وسَجَدَ لهَا مَتَعَبِّدًا ، وصلَّى بالثَّنَاءِ عليْها (١٠) مُوَحِّدًا ومُتَوَحِّدًا .

[و] قد (١١) تضمَّنَ هذا الكلامُ معنيينِ من القرآنِ : أحدَهُما في (١٢) سورةِ المائدةِ في قولِه تعالَى : ﴿ وَتُبْرِئُ (١٣) الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾ (١٤) . والآخَرَ في سورةِ

(*) والأوابد والأبُدُ : الوحش ، الذكرَ آبد والأنثى آبدة ، . اللسان فى (أ ب د) .

(١) فى م : « وحشه » خطأ .

(٢) فى الأصل ، وت ، وط ، ون ، وع : « وكأىّ » ، وما أثبته من م والمصحف .

(٣) العنكبوت / ٦٠ .

(٤) فى ط ، ون : « الكرم » ، وفى م : « كريم » .

(٥) فى ن : « كريمة » تحريفاً .

(٦) فى م : « لقيتها » ، وفى ن : « تكنفتها » . و العِلّة المَرَضُ . اللسان فى (ع ل ل) .

(٧) فى ع : « عليلها » تصحيفا . والغَلِيلُ : شدّة العطش وحرارته . اللسان فى (غ ل ل) .

(٨) فى ت : « لم يكن قبلها » ، وفى ط : « ليس » وبعدها إشارة إلى الهامش مكتوب بها : « يكن » غير منقوطة ، وما قبلها غير ظاهر فى التصوير ؛ فبقيت : « ليس من قبلها » .

(٩) فى ت ، وم : « لمخلوق » .

(١٠) فى م : « لها » ، وفى ن : « بالثناء موحدا » .

(١١) زيادة من ت ، وع يقتضيها السياق .

(١٢) فى ط : « من » .

(١٣) فى الأصل ، وت ، وط ، ون ، وع : « وإذ تبرىء » سهوا ، وفى م : « وإذ تبره » خطأ .

(١٤) المائدة / ١١٠ .

القَصَصِ فى ذكرِ مُوسَى عليْه السلامُ ، وهو قولُه تعالَى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ (١) امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴾ (٢) .

وهذا المعنَى أُخِذَ فيه (٣) المعنَى دونَ اللَّفظِ .

ومن هذا الضربِ ما ذكرتُه فى صدرِ كتابٍ (٤) يتضمَّنُ خُطْبَةَ مَوَدَّةٍ ، وهو : هذه المكاتبةُ قد جاءتْه تمشِى (٥) على استحياءٍ تدعُوهُ إلى خُلَّةِ مَنْ (٦) أرسلَهَا ، وتزعُمُ أنَّ أباهَا - وهو القَلْبُ - قد أهداهَا لَه ، وَبَذَلَهَا غيرَ (٧) أنَّه لا يطلبُ على ذلكَ أَجْرا ؛ ولا يسألُ ثمانىَ حِجَجٍ ولا عَشرا . بل فَحْوَى مطلوبِهِ هو المودَّةُ التى تُمْسَكُ بالمعروفِ ، ولا تُسَرَّحُ ، وقد صَرَّحَ فى خِطْبَتِهَا ، وما عَرَّضَ - إذَا (٨) عُرِّضَ فى خِطْبَةِ الحِسانِ - ولم يُصَرِّحْ . ومِلاكُ (٩) الأمرِ فيهَا أنْ يكونَ حرثُهَا مُطْعِمًا ، وعَقْدُهَا فى عدمِ الفراقِ نَصْرَانِيًّا ، وفى وجوبِ (١٠) القَبُولِ مُسْلِمًا .

فى (١١) هذا الكلامِ ما هو مأخوذٌ من القرآنِ فى سورةِ (١٢) القَصَصِ ، وهو قولُه تعالَى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا

---

(١) فى م : « دونهما » خطأ .
(٢) القصص / ٢٣ ، ٢٤ .
(٣) « فيه » سقطت من ن .
(٤) يقابلها فى هامش ع عنوان : فى ورود الكتاب .
(٥) « تمشى » غير موجودة فى ط ، وم ، ون .
(٦) فى م : « إلى أرسلها » تحريفا .
(٧) فى م : « عين » تحريفا .
(٨) فى م : « إذ » ، وفى ن : « إذ يعرض » .
(٩) فى م : « وملال » تحريفا .
(١٠) فى ت : « جواب » خطأ .
(١١) فى ن : « وفى » .
(١٢) فى م : « صورة » تحريفا .

سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ القَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ قَالَ إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِى ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ ﴾ (١) .

ومن هذا النوعِ ما ذكرتُه فى فصلٍ من كتابٍ إلى الديوانِ العزيزِ النبوىِّ ، [وهو](٢) : لو ساغَ لولىٍّ من أولياءِ الدولةِ أنْ يَمُتَّ بولائِه ، أو يُدِلَّ (٣) بما أبْلاهُ فى أيامِه (٤) من حُسنِ بلائِه ، لكانَ لسانُ الخادمِ فى هذا المقامِ أكرمَ صِدْقًا ، ومكانُه منْه (٥) أشرفَ سَبْقًا . لكنْ ليسَ لقائمٍ بخدمتِهَا أنْ يَمُنَّ بقيامِه. كما أنَّه ليسَ لمُسْلِمٍ أنْ يَمُنَّ بإسلامِه. وهى الدولةُ التِى مَلَكَتِ الجُسومَ والقلوبَ بمهابتِهَا وإحسانِهَا. فلهَا من هذه طاعةُ إسرارِهَا ، ومن تلكَ طاعةُ إعلانِهَا . على أنَّ مَزِيَّةَ فضلِهَا تَقُودُ (٦) إليْها طاعةَ النَّاس ، وإنْ لم تَقُدْهَا (٧) رغبةُ النَّدَى ولا رهبةُ البَاس (٨) . وما مَثَلُ المتميِّزين إليْها وإلى غيرِهَا (٩) إلاَّ مَثَلُ الأمَّةِ المُوَحِّدَةِ ، والأُمَمِ العاكفينَ على آلهةٍ مُتَعَدِّدَة . والخادمُ وإنْ أمسكَ عنْ ذكرِ خِدْمَتِه (١٠) ، فقد نطقتْ بها شُهرةُ سِمَاتِهَا ، وأصبحتْ مواقفُهَا فى المواقفِ أبْكَارا (١١) ونُطْقُ البِكْرِ فى صُمَاتِهَا . ولمْ تَزَلْ معروضةً

---

(١) القصص / ٢٥، ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) ممحوة فى الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٣) فى ط : « أو يُذل » تصحيفا .

(٤) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « فى الخدمة » .

(٥) « منه » غير موجودة فى ن .

(٦) فى الأصل ، وم : « يقود » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(٧) فى ت ، وم ، ون : « يقدها » . (٨) فى م : « الناس » تحريفا .

(٩) فى ط : « عزها » تحريفا .

(١٠) فى ت ، وط ، وم : « خدمه » ؛ وفى ن : « خدمة » .

(١١) فى ع : « أنكارا » تصحيفا .

بالديوانِ العزيزِ وكلُّ وقتٍ إبَّانَ [١] وقتِهَا ، وهى كالآياتِ التى لا تأتِى [٢] منها آيةٌ إلاَّ كانتْ أكبرَ من أختِهَا .

فى [٣] هذا الكلامِ موضعانِ مأخوذانِ من القرآنِ العزيزِ [٤] : الأوَّلُ مأخوذٌ [٥] من سورةِ الحُجُرَاتِ فى قولِهِ تعالَى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ ﴾ [٦] .

والثانِى [٧] مأخوذٌ من سورةِ حم [٨] المؤمنِ فى قولِهِ تعالَى : ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ [٩] .

وفى هذا الكلامِ أيضًا معنًى من معانِى الأخبارِ النبويَّةِ ؛ وهو قولُ النبىِّ ﷺ : الأَيِّمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا ، وَالبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ فِي نَفْسِهَا [١٠] ، وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا [١١] .

وقد أوردْتُ أنَا [١٢] هذا المعنَى فى هذا المَعْرِضِ المُشارِ إلَيْه على وجهٍ غريبٍ لم يَأْتِ بِه أحدٌ قَبْلِى ، وهو من جملةِ مَعَانِيَّ المُبْتَدَعَةِ [١٣]

(١) فى ع : « إيان » تصحيفا .

(٢) فى م : ط « لا يأتى » .

(٣) فى ط : « وفى » .

(٤) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « الكريم » .

(٥) « مأخوذ » سقطت من ت .

(٦) الحجرات / ١٧ .

(٧) فى ط : « الثانى » .

(٨) « حم » سقطت من ن .

(٩) الزخرف / ٤٨ .

(١٠) « فى نفسها » سقطت من ط .

(١١) سنن أبى داود ٢/ ٢٣٢/ رقم ٢٠٩٨ ، وسنن النسائى ٦/ ٨٤/ رقم ٣٢٦٠ ، صحيح مسلم ٢/ ١٠٣٧/رقم ١٤٢١ ، صحيح ابن حبان ٩/ ٣٩٧/رقم ٤٠٨٧ .

(١٢) « أنا » سقطت من ط .

(١٣) فى م : « المعانى المبتدعة » وأمام هذا السطر فى الأصل كتب : بلغ ابن الدحميى عرضا بالأصل المقروء على المصنف أيده الله ؛ وفى هامش ع عنوان : فى الاغتراب .

وممَّا يجرِى هذا المجرَى ما ذكرتُه فى الاغْتِرَابِ ، وهو : ولطالمَا أورثَ الاغترابُ عِزًّا ، واستثارَ من السعادةِ كَنْزًا ، حتَّى إنَّ اللهَ جعلَه سُنَّةً فى أنبيائِهِ ورُسُلِه ، ونَهجَ لهُم سبيلَ [١] العِزّ بسلوكِ [٢] سُبُلِه . ويكفِى من ذلكَ ما سَنَّتْهُ الغُرْبَةُ اليثربيَّةُ من القوَّةِ بعدَ الفِرَار ، والكثرةِ بعدَ ثانِىَ اثنينِ إذْ هُمَا فى الغَار . والتَّقَلْقُلُ [٣] سببٌ للسُّكُون ، والسهادُ داعيةٌ لهُدُوِّ [٤] العُيون . ولو لَزِمَ السيفُ غِمْدَهُ لم يَبِنْ [٥] أَثَرُ مَضارِبِه ، ولا خَدَمَهُ لسانُ المدحِ فى نَظْمِ شاعرِهِ ، ولا نَثْرِ خَاطِبِه ، ومن فوائدِ [٦] الاغترابِ عذوبةُ ماءِ البحرِ بمُرافقةِ السَّحَابِ :

فى هذا الكلامِ معنًى واحدٌ مأخوذٌ من القرآنِ فى [٧] سورةِ التَّوْبَةِ ، وهو قولُه تعالَى : ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ [٨] أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ ﴾ [٩] .

ومن هذا الضربِ ما ذكرتُه فى وصفِ القلَمِ ، وهو : لَه القلمُ الذى يصرعُ الخَطْبَ الجليلَ بضعفِهِ ، ويسبقُ [١٠] الحَزْفَ الأَمُونَ بِحَزْفِهِ ؛ وإذا نَكَسَ رأسَه رأيتَ أُبَّهَةَ الخُيَلاءِ فى عطفِه . فهو يَجِلُّ بَأْسا ويَدِقُّ جِسْما ، ويَمُجُّ من لسانِهِ شَهْدًا وسُمًّا . فإذا ارتقَى أناملَه قيلَ : خطيبٌ رَقِىَ مِنْبَرا . وإذا اهتزَّ فى يدِهِ كأنَّه جانٌّ ؛ وَلَّى [السيفُ] [١١] مُدْبِرا .

وهذا الفصلُ يشتملُ على معانٍ كريمةٍ [١٢] ذاتِ [١٣] أحسابٍ صميمةٍ ،

---

(١) فى ن : « سبل » .
(٢) فى ع : « سلوك » خطأ .
(٣) فى ن : « والتقليل » خطأ .
(٤) فى ط : « الهدوء » .
(٥) فى الأصل ، وم ، وع : « لم تبن » ؛ وفى ط الكلمة غير منقوطة ؛ وما أثبته من ت .
(٦) فى ع : « فائدة » .
(٧) فى ط : « من » .
(٨) « إذ » سقطت من ع .
(٩) التوبة / ٤٠ .
(١٠) فى م : « يستبق » ؛ ويقابلها فى هامش ع عنوان : وصف القلم .
(١١) الزيادة من ت ، وم ، ون .
(١٢) فى م : « كثيرة » .
(١٣) « ذات » سقطت من م ؛ وكتب الناسخ : « وأحساب » .

ومعارفَ جمَّةٍ ذاتِ رياضٍ جميمةٍ (١) ، وهو من محاسنِ ما يؤتَى بِه فى وصفِ القلمِ ، وفيه معنًى واحدٌ من القرآنِ فى سورةِ النَّمْلِ فى قولِه تعالَى : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ (٢) .

ومن هذا الضربِ ما كتبْتُهُ (٣) إلى بعضِ الإخوانِ من أهلِ الأدبِ ؛ جوابًا عن كتابِهِ ، وهو : كُتُبُ سيِّدِنَا رياضٌ ، وإنْ جَلَّتْ عن [هذا] (٤) التَّمْثِيل ، وأَبَتْ أنْ تكونَ (٥) كَلِمُهَا التى تبقَى على الأيامِ (٦) كزهرةِ نَبْتٍ تذهبُ (٧) عمَّا قَلِيلٍ ، ولولا أنْ يُرَخَّصَ فِى حَمْلِ المعنَى على المعنَى ، وتشبيهِ الأعْلَى منْهما (٨) بالأدْنَى ؛ لمَا ضَرَبَ اللهُ لنبيِّهِ مثلاً بِسِرَاجٍ ، و[لا] (٩) لنورِهِ مثلاً بمصباحٍ فى زُجَاجٍ . ولا ينكرُ (١٠) سيِّدُنَا إذا ما مَثَّلْتُ (١١) به صفحةَ كتابِه . وليُعِدَّ ذلكَ من ضروبِ التوسُّعَاتِ المجازيَّةِ لا من أضرابِه . وكما أنَّه يَجِلُّ عن ضربِ الأمْثَال ؛ فكذلكَ ترسُّلُهُ (١٢) يَجِلُّ عن إحاطةِ الأقْوَال . وكلاهُما قد حارَ (١٣) الخادمُ فى مُلابَسَةِ

---

(١) فى م : « حميمة » تصحيفا .

(٢) النمل / ١٠

(٣) فى الأصل : « ما كتبه » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، وع ؛ وفى ن : « ومن الضرب ما كتبته » .

(٤) الزيادة من ت ، وط ، وم ، وع .

(٥) فى ن : « يكون » . (٦) فى م : « تفنى الأيام » .

(٧) فى م : « كزهرة بيت يذهب عما قليل » ؛ وفى ن : « يذهب » .

(٨) فى الأصل ، وم ، ون ، وع : « منها » ؛ وما أثبته من ت ، وط .

(٩) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون .

(١٠) فى ت ، وط ، وم ، ون : « فلا ينكر » .

(١١) فى م : « إذا مثلت » .

(١٢) فى ت ، وط ، وم ، ون : « فكذلك الشوق إلى مرسله » ؛ وفى ع : « فلذلك إلى مرسله » .

(١٣) فى ط ، وم : « حاز » تصحيفا .

أمرِه ، فهو مُمَتَّعٌ من أحدِهما بِرَوْنَقِ حُسْنِهِ ، ومُرَوَّعٌ من الآخرِ بِتَوَقُّدِ جمرِه . وقد حَصَّلَ منهما فَصْلَيْنِ [١] من فصولِ عَامِه ؛ فطرفُهُ فى ربيعِ من النظرِ واجتلائِه [٢] وقلبُهُ فى مَصِيفٍ من الشوقِ وغَرَامِه .

فى هذا الكتابِ محاسنُ من البلاغةِ كثيرةٌ [٣] ، وقد تضمَّنَ معنيينِ من القرآنِ الكريمِ : أحدَهُما فى سورةِ النُّورِ فى قولِهِ تعالَى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾ [٤] . والآخَرَ فى سورةِ الأحزابِ فى قولِهِ تعالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾ [٥] . والمعنَى المأخوذُ من سورةِ النُّورِ قد سَبَقَ إليْه أبو تمَّام فى [قولِه من] [٦] قصيدتِهِ السينيةِ :

لا تُنْكِرُوا ضَرْبِى لَهُ مَنْ دُونَهُ
مَثَلاً شَرُودًا فِى النَّدَى وَالبَاسِ
فَاللهُ قَدْ ضَرَبَ الأَقَلَّ لِنُورِهِ
مَثَلاً مِنَ المِشْكَاةِ وَالنِّبْرَاسِ [٧]

لكنْ لا ينبغِى [٨] للواقفِ على هذا الشعرِ وعلى ما أوردْتُهُ فى الكلامِ المنثورِ أنْ يجحدَنِى حقِّى . بل ينبغِى لَه أنْ ينظرَ بعينِ الإنْصَاف ، وينتقدَ نَقْدَ صَرَّاف [٩] ، ولا يلتفتُ إلى الوقوفِ مع الزمنِ القَدِيم ؛ فإنَّه [١٠] شُبْهَةٌ يتمسَّكُ [١١] بها تقليدُ

---

(١) فى ت ، وط ، ون ، وع : « فى فصلين » ؛ وفى م : « على فصلين » .
(٢) فى م : « وإجلائه » تحريفا .
(٣) فى ن : « كبيرة » .　　(٤) النور / ٣٥ .
(٥) الأحزاب / ٤٥ و ٤٦ .　　(٦) الزيادة من ط ، وم ، ون .
(٧) البيتان من الكامل فى ديوان أبى تمام ٢/ ٢٥٠/ ق ٨١ .
(٨) فى ع : « لكن ينبغى » .　　(٩) فى ت : « الصراف » .
(١٠) فى ت : « فإنها » .
(١١) فى ن : « يتسمك » خطأ .

الجَهُولِ لا اجتهادُ العَلِيم . فإذا [١] فَعَلَ ذلكَ فقد شَهِدَ لِى شِهَادَةَ خُزَيْمَة بْنِ ثَابِت [٢] ، وإنْ لم يَشْهَدْ شَهِدَتْ لِى الفضيلةُ [٣] وأنَا صَامِت .

ومن هذا الضربِ ما ذكرتُه فى وصفِ الشكرِ - وهو فصلٌ من كتابٍ - : الخادمُ يشكرُ المَوْلَى الذى ظَلَّ عندَه مُقِيما ، وغَدَا بمطالِبه [٤] زَعِيما ، « وأصبحَ بتوالِيهِ مُغْرَمًا [٥] ، كما أصبحَ لَهُ غَرِيما » [٦] . ولمَّا تَمَثَّلَ الاشتمالَ عليْه كَهْفًا [٧] ؛ تَمَثَّلَ شكرَهُ فيهِ رَقِيما .

هذا المعنَى مأخوذٌ من القرآنِ [العزيزِ] [٨] فى سورةِ الكَهْفِ ، وهو قولُهُ تعالَى : أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً [٩] . وهذا المعنَى ، وإنْ كانَ مأخوذًا من هذهِ السورةِ ؛ فهو مُبْتَدَعٌ لِى [١٠] ؛ لم أُسْبَقْ إليْه . وذاكَ أنّى نقلْتُه عن [١١] المعنَى المذكورِ فى السورةِ « [إلى] [١٢] معنَى الإحسانِ ، ومَثَّلْتُهُ فى اشتمالِهِ بالكَهْفِ استعارةً » [١٣] إلى معنَى الشكرِ [١٤] ، ومَثَّلْتُهُ بالرَّقِيمِ ، وهو

---

(١) فى ن : « وإذا » .

(٢) انظر ترجمة خزيمة بن ثابت ومصادرها فى موضعها ص ٣٨٢ من هذا الكتاب .

(٣) فى ت : « شهدت الفضيلة » ؛ وفى ط : « لى شهدت لى الفضيلة » ؛ وفى م : « إلى الفضيلة » .

(٤) فى ت : « لمطالبه » .

(٥) فى ت ، وم : « بتواليه مغرما » ؛ وفى ط كلمة « إليه » مكانها سهم يتجه نحو الهامش ، ولكنه غير مقروء .

(٦) ما بين علامتى التنصيص سقط من ن .

(٧) فى م : « ولما اشتمل عليه كهفا » ؛ وفى ن : « وإذا اشتمل عليه كهفا » .

(٨) الزيادة من ط .

(٩) الكهف / ٩ .

(١٠) « لى » سقطت من ط ؛ وفى ن : « السورة مبتدع لى » .

(١١) فى ع : « من » .

(١٢) فى الأصل : « وهو » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(١٣) ما بين علامتى التنصيص سقط من م .

(١٤) فى الأصل ، وت ، وط ، ون : « وإلى معنى الشكر » ؛ وفى م : « وإلى الشكر » ؛ وما أثبته من ع .

الكتابُ . وأنَا فى هذا الموضعِ مُبْتَدِعٌ لهذا (١) المعنَى كأبى تمّام فى ابتداعِه ؛ حينَ قابلَ ضربَ المَثَلِ فى وصفِ الممدوحِ بإقدامِ عمرٍو ، وسماحةِ حاتمٍ ، وذكاءِ إياس ؛ بضربِ المَثَلِ فى وصفِ نورِ اللهِ سبحانَه وتعالَى (٢) بمشكاةٍ فيهَا مِصْبَاحٌ .

ومن هذا الضربِ ما ذكرتُه فى فصلٍ من كتابٍ [يتضمَّنُ] (٣) تعزيةً ، وهو : لو ذَهَبَ الحُزْنُ بالدمعِ وانهمالِه (٤) ، والجَزَعِ وإعوالِه ؛ لكانَ الصبرُ بصاحبِهِ أحْرَى (٥) ، ولو لم يَنَلْ بِه أجْرًا . فكيفَ (٦) وصلاةُ اللهِ ورحمتُه من ثوابِه (٧) ، والجلالةُ والتُّقَى مطويانِ فى ضِمْنِ ثيابِه ، وما اعتاضَ المرءُ صبرًا عن المُصابِ إلاَّ كانَ فيهِ عِوَضٌ (٨) عن مُصَابِه .

وفى (٩) هذا الكلامِ معنًى مأخوذٌ من القرآنِ فى سورةِ البَقَرَةِ فى قولِهِ تعالَى : ﴿ الَّذِينَ (١٠) إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ (١١) .

وممَّا يجرِى على هذا النَّهجِ ما ذكرتُه فى وصفِ المَكْرِ والخِدَاعِ ، وهو : المكرُ ضَرَّابٌ (١٢) من تحتِ الثِّيَاب ، وسيفُه لا يقطعُ (١٣) إلاّ وهو فى القِرَاب (١٤) ؛ ومن

---

(١) فى ع : « مبتدع فى هذا » .
(٢) « وتعالى » غير موجودة فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٣) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٤) فى م : « وإهماله » تحريفا .
(٥) فى ت : « الصبر أحرى » ؛ وفى م : « أجرى » تصحيفا ؛ وفى ن : « لصاحبه أحرى » .
(٦) فى ت : « وكيف » ؛ وفى ط ، وم ، ون ، وع : « كيف » .
(٧) فى م : « ورحمته عوض من ثوابه » .
(٨) فى الأصل : « عوضا » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٩) فى م ، ون : « فى » .
(١٠) فى الأصل ، وط ، وم ، ون ، وع : « والذين » ؛ وما أثبته من ت .
(١١) البقرة / ١٥٦ و١٥٧ . (١٢) فى ن : « ظربان » خطأ .
(١٣) فى م : « لا يقع » تحريفا .
(١٤) القراب : غمد السيف ، اللسان فى (ق ر ب) .

شأنِ صاحبِهِ أنْ يَلْقَى الأعداءَ بوجوهِ الأحْبَاب ، ويُرَى وهو كالجبلِ الذى يُحْسَبُ (١) جَامِدًا وهو يَمُرُّ مَرَّ السَّحَاب . فإذا لاقتْه الجموعُ [فرَّقَهَا] (٢) وقد كادتْ (٣) تكونُ عليْه لِبَدا . وجعلَ قوَّتَهَا أضعفَ نَاصِرًا [وكَثْرَتَهَا] (٤) أَقلَّ عَدَدا . » وكذلكَ الخادمُ (٥) يَستغنِى (٦) بلينِ كيدِه عنْ شدَّةِ أيْدِه . وبهمسِ احتيالِهِ عن ضوضاءِ قتالِه وكثيرًا ما يطعنُ أقرانَه قَبْلَ الطِّعَان ، ويغزوهُم بفجأةِ الذُّعْرِ ، وهو من الأمنِ فى صِوَان .

فى هذا الفصلِ ثلاثةُ (٧) معانٍ من القرآنِ : الأوَّلُ : قولُه تعالَى فى سورةِ النَّمْلِ : ﴿ وَتَرَى (٨) الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ (٩) . والثَّانى (١٠) : فى سورةِ الجِنِّ ، وهو قولُه تعالَى (١١) : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً ﴾ (١٢) . والثَّالِثُ : فى قولِه تعالَى فى سورةِ الجِنِّ أيضًا : ﴿ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً ﴾ (١٣) .

« ومن هذا الضربِ ما ذكرتُه فى فصلٍ من كتابٍ كتبْتُه عن المَلِكِ الأَفْضَلِ عَلِىّ

---

(١) فى ط : « تحسبه » .

(٢) ما بين المعقوفين ممحو من الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٣) فى ن : « وكادت » .

(٤) فى الأصل بخط مختلف : « وصيَّرتها » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، وع ؛ وفى ن : « أضعف ناصرا ، وأقل عددا » .

(٥) فى الأصل ، وت : « الحازم » ؛ وما أثبته من ط ، وم ، وع .

(٦) فى م : « استغنى » .

(٧) فى م : « ثلاث معان » .

(٨) فى م : « وتر » خطأ .

(٩) النمل / ٨٨ .

(١٠) فى ط : « الثانى » .

(١١) « تعالى » سقطت من م .

(١٢) الجن / ١٩ .

(١٣) الجن / ٢٤ .

ابنِ يُوسُف (١) إلَى أخِيهِ المَلِكِ العزيزِ عُثمان (٢) لمَّا حَصَرَه فى مدينةِ دِمَشْق ، وانتزعَها من يدِه ، وذلكَ فى سنةِ اثنتينِ (٣) وتسعينَ وخمسمائةٍ ؛ فقلتُ : وأنا أسألُه بالرَّحِمِ التى أمرَ اللهُ باتِّقائِه واتِّقائِها ، وتكفَّلَ بالإسقاءِ يومَ القيامةِ لمَن تكفَّلَ [اليومَ] (٤) بإسقائِهَا . ولولا كرامتُها عليْه لَمَا (٥) اشْتَقَّ لهَا اسْمًا من اسمِه . وقَسَمَ لواصلِها ببسْطِ العُمرِ والرِّزقِ اللذينِ هُما من (٦) أفضلِ قَسْمِه . فلا يتركُنى (٧) أتأوَّهُ بقلبِ المتألِّمِ ، وأجهرُ بلسانِ المتظلِّمِ . وعندَ ذلكَ أناضلُه [بسهامِ] (٨) الدعاءِ القاصِدَة ، وأحاكمُه إلى صَرْعَةِ البَغْيِ التى ليستْ عن الباغِي براقِدَة . وأتمثَّلُ بقولِ اللهِ تعالَى (٩) : إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ . ويعزُّ علىَّ أنْ ألقاهُ بهذا القولِ الذى أنا فيهِ مُكْرَهٌ غيرُ مُخْتَار .

---

(١) الملك الأفضل أبو الحسن نور الدين على بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ؛ ولد بمصر ليلة عيد الفطر ٥٦٥ هـ ، وتسلطن بدمشق ، ثم زال عنه سلطانه ، وتملك سميساط ، وأقام بها مدة ، وكان فيه عدل وحلم وكرم . توفى بسميساط فجأة فى صفر ، ودفن بظاهر حلب بتربته ٦٢٢ هـ . راجع سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٩٤ : ٢٩٦ ، وفيات الأعيان ٣/ ٤٢٠ و ٤٢١ ، البداية والنهاية ١٣ / ١٠٨ ، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٦٣ .

(٢) العزيز عثمان صاحب مصر بن السلطان صلاح الدين الأيوبى ولد فى جمادى الأولى ٥٦٧هـ ، وتوفى ليلة السابع والعشرين من المحرم سنة ٥٩٥ هـ . سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٩١ : ٢٩٤ ، النجوم الزاهرة ٦ / ١٢٠ : ١٢٩ ، الكامل ١٠ / ٢٥٥ .

(٣) فى ت : « اثنين » خطأ .

(٤) الزيادة من ت ، وط .

(٥) فى ت : « لمَّا » خطأ .

(٦) « من » سقطت من ع .

(٧) فى ط : « فلا يبركنى » تصحيفا ؛ وفى ع : « فلا تتركنى » .

(٨) ممحوة فى الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، وع .

(٩) فى ت ، وط ، وع : « بقوله تعالى » .

وإنْ [١] كانَ من المحظوراتِ [٢] المَنْهِيّ عنها ، فالمَحْظُورُ مُباحٌ [٣] [لمُرْتَكِبِهِ] [٤] عندَ الاضْطِرَار .

هذا الفصلُ يشتملُ على آيتينِ ، وخبرينِ من الأخبارِ النبويَّةِ ؛ وليسَ هذا موضعَ ذكرِ الأخبارِ ؛ لكنْ لا بُدَّ من التنبيهِ عليْها [٥] . وأمَّا الآيتانِ : فإحداهُما فى سورةِ النِّسَاءِ [٦] فى قولِهِ تعالَى [٧] : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ [٨] الَّذِى تَسَاءَلُونَ [٩] بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾ [١٠] .

وأمَّا الأُخْرَى ؛ ففى [١١] سورةِ « ص » فى قصَّةِ داوود عليْه السَّلامُ [١٢] فى قولِه تعالَى : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ [١٣] . إلاَّ أنَّ الآيَةَ التى فى سورةِ النِّسَاءِ أُخِذَ معناهَا ، وهذه الآيَةُ التى فى سورةِ « ص » أُخِذَ لفظُهَا بعينِهِ » [١٤] .

وَمن هذا الضربِ ما ذكرتُه فى فصلٍ من كتابٍ إلى بعضِ الطغاةِ ، وهو : تذكيرُ

---

(١) فى ط ، وع : « ولإن » .
(٢) فى ت : « المحذورات » .
(٣) فى ت ، وط ، وع : « يباح » .
(٤) ممحوة فى الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، وع .
(٥) فى ع : « عليه » .
(٦) فى ع كتب الناسخ النمل ، وفوقها النساء ؛ ولم يضرب على إحداهما خطا .
(٧) « تعالى » غير موجودة فى ت .
(٨) فى ت : « واتقوا الذى » ؛ وفى ط : « فاتقوا » .
(٩) فى ت : « تسألون » .
(١٠) النساء / ١ .
(١١) فى ط : « والأخرى فى » .
(١٢) « فى قصة داوود عليه السلام » غير موجودة فى ت .
(١٣) ص / ٢٣ .
(١٤) نهاية خرم وقع فى ن بدءا من قوله : « وكذلك الخادم . . . فى ص ٣٥٢ ؛ وفى م من قوله : « ومن هذا الضرب » فى الصفحة نفسها أيضا .

الطاغِى [١] من سُنَّةِ اللهِ التى خَلَتْ فى عِبَادِه ، وإنْ عَسُرَ نقلُه عمدًا جُبِلَتْ عليْه فطرةُ مِيلاَدِه [٢] ، وقد أُمِرَ مُوسى بتذكيرِ فِرْعَوْنَ مع أنّه لم يَسْتَفِدْ ذِكْرَى ، بل زادَ إلى طُغيانِهِ طُغْيَانًا ، وإلى كُفرِهِ كُفْرًا . وهذا الكتابُ صادرٌ إلى مَنْ أخذتْه العزَّةُ بالإِثم ، وأضلَّهُ اللهُ على عِلْمٍ ؛ الذى ظَلَمَ نفسَه ، وقَطَعَ غَرْسَه [٣] ، وأَخَذَ أهلَ [٤] بيتِه بسالِفِ حُقُودِه ، وكانَ كالسامرىِّ فى عَبَدَةِ عِجْلِهِ وعَاقِرِ النَّاقَةِ فى ثَمُودِه [٥] . ولا لومَ علىّ أنْ جَهَرْتُ بسوءِ قولِى لمَن جاهرَنِى [٦] بحَيْفِه ، وكَلَمْتُه بلسانِى ؛ إذ كَلَمَنِى بسَيْفِه .

•

فى هذا الفصلِ ما هو مأخوذٌ من عدَّةِ آياتٍ من القرآنِ ؛ أحدُها [٧] فى سورةِ البَقَرَةِ فى قولِه تعالَى : ﴿ وَإِذَا [٨] قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ ﴾ [٩] . والأُخْرَى فى سورةِ [١٠] حم الجَاثِيَةِ فى قولِه تعالَى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ [١١] . والأُخْرَى من سورةِ [١٢] النِّسَاءِ فى قولِه تعالَى : ﴿ لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ ﴾ [١٣] .

---

(١) « الطاغى » سقطت من م .
(٢) فى م : « ولاده » .
(٣) فى ن : « عزمه » .
(٤) فى الأصل بخط مختلف : « يميل » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٥) فى ن : « ثمود » .
(٦) فى ط : « وجاهر لى » .
(٧) فى ن : « إحداها » .
(٨) فى ت : « فإذا » .
(٩) البقرة / ٢٠٦ .
(١٠) « سورة » غير موجودة فى ط .
(١١) الجاثية / ٢٣ .
(١٢) فى ت : « فى سورة » .
(١٣) النساء / ١٤٨ .

ومن ذلكَ ما ذكرتُه فى فصلٍ من كتابِ إلى المَلِكِ العادلِ أبى بَكْر بْنِ أيُّوب (١) جوابًا عن كتابٍ وَرَدَ منه ؛ يخبرُ أنَّ فرقةً من الفِرِنْجِ « خَذَلَهُمْ اللهُ » (٢) خَرَجُوا من وراءِ البحرِ لقصدِ البيتِ المقدَّسِ [حَرَسَهُ اللهُ تعالَى] (٣) فى سنةِ تسعٍ وتسعينَ وخمسمائةٍ ؛ فجاءتْهم فى طريقِهم حجارةٌ من السماءِ ؛ فأهلكتْهم . فقلتُ فى الجوابِ : واللهُ [قد] (٤) قَذَفَهُم بالبأساءِ من مَوْضِعِ النَّعماءِ ، وأمطرَهم بالحجارةِ بدلاً من الماءِ (٥) ، وتلكَ سُنَّتُهُ التى لا تُحوَّل ، وآيتُه التى لا تُؤَوَّل (٦) ، وفعلُه الآخِرُ الذى يَنْبَنِى (٧) على فِعْلِهِ الأوَّل . وقد أرسلَ أبابيلَ (٨) الطيرِ على قاصدِى بيتِه الحَرَام ، وجعلَ ذلكَ آيةً فى الجاهليَّةِ وذِكْرَى فى الإسْلام . وكذلكَ (٩) أجرَى مثلَها (١٠) على قاصدِى بيتِه الذى سمَّاه مُقَدَّسًا ، وجعلَه بعدَ تأسيسِ البيتِ (١١) الحرامِ مُؤَسَّسًا ، ولو نَجَا (١٢) هؤلاءِ من هذا (١٣) العذابِ للَقُوا من سيفِ مولانا

---

(١) الملك العادل ، ولد فى بعلبك ٥٣٤ هـ ، وكان أصغر من أخيه صلاح الدين بعامين ، سيرته مع أولاد أخيه مشهورة ، فلم يزل يراوغهم ، ويلقى بينهم ؛ حتى دحاهم ، وتمكن واستولى على ممالك أخيه ، توفى بعالقين فى جمادى الآخرة ٦١٥ هـ . راجع سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١١٥ وما بعدها ، وفيات الأعيان ٥/ ٧٤ ، النجوم الزاهرة ٦/ ١٦٠ .

(٢) « خذلهم الله » سقطت من ن .

(٣) الزيادة من ت ، وط ؛ وفى م ، ون ، وع : « حرسه الله » .

(٤) الزيادة من ت ، وم .

(٥) فى ط : « السماء » تحريفا .

(٦) فى ت : « لاتبدَّل ؛ وفى ن : « لاتزول » .

(٧) فى ت : « الآخر يبتني على » ؛ وفى م : « ينى » ؛ وفى ن ، وع : « يبتنى » .

(٨) فى ط : « أبابل » . (٩) فى م : « وكذا » .

(١٠) فى ع : « مثله » .

(١١) « البيت » سقطت من ن .

(١٢) فى ع : « نجوا » .

(١٣) « هذا » سقطت من ت .

عَذَابا ، ومَسَخَهُمُ اللهُ بذبابِه ذُبَابَا ، حتَّى لقد كانُوا [١] يَعُدُّونَ نِقْمَةَ الحِجارةِ نُعْمَى ، ويَرَوْنَ أنَّها هي الصُّغْرَى بالنسبةِ إلى تلكَ العُظْمَى ؛ فإنَّ في الشرِّ خِيَارا ، والمُسْتَأْصَلُ بالسَّيفِ يَوَدُّ لو ألقتِ السماءُ عليْه أحْجَارًا [٢] .

في هذا الفصلِ ما هو مأخوذٌ من سورةِ الفِيلِ [٣] ، وهو [٤] قولُه تعالَى : ﴿ وَأَرْسَلَ [٥] عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [٦] . وفيهِ ما هو مأخوذٌ من الأخبارِ النبويَّةِ ، وإنْ لم يَكُنْ هذا من بابِه ، وإنَّما [٧] جاءَ ضِمْنًا وتَبَعًا . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَوَّلُ بَيْتٍ وَضِعَ للنَّاسِ المَسْجِدُ [٨] الحَرَامُ » . فَقِيلَ يا رَسُولَ اللهِ ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : « البَيْتُ [٩] المُقَدَّسُ » . قِيلَ : كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ : « أَرْبَعُونَ سَنَةً » [١٠] .

« ومن هذا النوعِ ما ذكرتُه في وصفِ معركةِ حربٍ [١١] ، وهو : فأرسلْنا [١٢] عليْهِم غمامةَ خيلٍ ، رعدُها [١٣] ركضُ [١٤] العِتَاقِ [*] ، وبرقُها لمعُ البيضِ

---

(١) في ت : « حتى كانوا » .

(٢) في م : « حجارا » .

(٣) في ط : « القيل » تصحيفا .

(٤) في ط : « في قوله » .

(٥) في ط : « فأرسل » ؛ وفي م : « وأرسلنا » .

(٦) الفيل /٣ و ٤ .

(٧) في م : « وإن » .

(٨) في ط : « البيت » .

(٩) في م : « المسجد » .

(١٠) صحيح البخاري ٣ / ١٢٣١ / رقم ٣١٨٦ ، وروايته : ... المسجد الأقصى ... .

(١١) في م : « الحرب » .

(١٢) في ع : « فأسلنا » تحريفا .

(١٣) في ع : « وعدها » تحريفا .

(١٤) في ط : « وكض » تحريفا .

* وفرس عَتيقٌ : رائع كريم ، والاسم العِتْقُ ، والجمع العِتاقُ . اللسان في (ع ت ق) .

الرِّقَاق . فجاءَهم طوفانٌ لم تُغْنِ فيهِ [١] حِيلةٌ ولا حَوْل [٢] . « ولا أَنْجَتْهُم منه سفينةٌ » [٣] . كيفَ ، وكلُّهم سَبَقَ عليْه القَوْل ؛ فأغْرَقَهُم [٤] بحرٌ من الدِّمَاءِ ، لم يَنْضُبْ [٥] بابتلاعِ [٦] الأرضِ ولا إقلاعِ السَّمَاءِ .

وهذا المعنَى مأخوذٌ من سورةِ هُود عليْه السَّلامُ ، وهو قولُهُ تعالَى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ [٧] المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [٨] .

ومن هذا النوعِ [٩] ما ذكرتُه فى فصلٍ من كتابٍ إلى بعضِ الفُضلاءِ أَصِفُ [١٠] فيهِ فصاحتَه وبلاغتَه ، وهو : قد سُخِّرتْ لَهُ حِكَمُ البَيَانِ يأتِي بأعاجيبِهَا ، وإذا [١١] لم يَظْفَرْ غيرُه إلاَّ [١٢] بوحشيِّهَا ظَفِرَ هو بربيبِهَا [١٣] . فهو يَسْحَرُ [١٤] بألفاظِه ، ولا لفظَ إلاَّ لمَن سَحَر ، ويصوِّرُ أرواحَ المَعانِي والمَعانِى [١٥] غيرُ الصُّوَر ، فما أبرزَ منْها معنًى [١٦] إلاَّ قيلَ : مَا هَذَا بَشَراً [١٧] إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ ، ولا جَلا [١٨] مَحاسنَه على بِنْتِ فكرٍ من الأفكارِ [١٩] إلاَّ قالتْ : هيتَ لك .

---

(١) فى م : « لم يغن فيهم » .
(٢) فى م : « حيلة حول » تحريفا .
(٣) ما بين علامتى التنصيص سقط من م .
(٤) فى ع : « فأعرفهم » تصحيفا .
(٥) فى ط : « لم يتصف » .
(٦) فى م : « بإبلاع » تحريفا .
(٧) فى م : « وغيظ » .
(٨) هود / ٤٤ .
(٩) فى الأصل : « الفصل » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، وع .
(١٠) فى م : « وأصف » .
(١١) فى م : « فإذا » .
(١٢) « إلا » سقطت من ع .
(١٣) فى ط : « برينها » ؛ وفى م : « بريتها » ؛ وفى ع : « بريبها » .
(١٤) فى ع : « وهو يسخر » تصحيفا .
(١٥) « والمعانى » غير موجودة فى ط .
(١٦) « معنى » سقطت من م .
(١٧) يوسف / ٣١ ؛ وفى الأصل ، وت ، وم : « بشر » ؛ وما أثبته من ط ، وع .
(١٨) فى ت : « خلا » تصحيفا .
(١٩) فى م : « والأفكار » .

فى هذا الكلامِ معنًى مأخوذٌ من سورةِ يُوسُف علَيْه السَّلامُ فى قصَّتِهِ مع المرأةِ التى راودَتْهُ عن [نفسِه] (١) ، ﴿ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ (٢)

ومن هذا النوعِ ما ذكرتُه فى وصفِ حصارٍ ، ونصبِ (٣) المنجنيقِ ، فقلتُ : ونُصِبَتِ المجانيقُ (٤) ؛ فألقتْ (٥) عِصِيَّهَا وحِبَالَها ، وصَبَّتْ على أقطارِ البلدِ نَكَالَها ، فسجدتْ لها الأسوارُ سجودَ السَّحَرَةِ لِفِعْلِ العَصَا ، وبادرتْ بالإيمانِ لهَا (٦) مُبادرةَ مَن أطاعَ وما عَصَى ؛ إلاَّ أنَّه لم يكنْ إيمانُها إلاَّ بعدَ إذْنِ الأحجارِ ، التى ما أَذِنَتْ لمُشَيِّدٍ إلاَّ أَخَذَ فى البَوَار ، وخَرَّ من الأقْطَار ، وأصبحَ كشجرةٍ اجْتُثَّتْ من فوقِ الأرضِ ما لهَا من قَرَار .

فى هذا الفصلِ ما هو مأخوذٌ من قصَّةِ « مُوسى عليْه السَّلامُ مع السَّحَرَةِ ، وقد وَرَدَ ذلكَ فى القرآنِ فى عِدَّةِ سُوَرٍ . وفيهِ (٧) ما هو مأخوذٌ من سورةِ » (٨) إِبْرَاهِيم عليْه السَّلامُ ، وهو قولُه تعالَى : ﴿ وَمَثَلُ (٩) كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ (١٠) .

وقد ذكرْتُ وصفَ المنجنيقِ (١١) فى معنًى غيرِ هذا (١٢) ، فقلتُ : ونُصِبَتِ

---

(١) فى الجميع : « عن نفسها » ؛ وما أثبته من القرآن الكريم ؛ حتى يستقيم السياق .
(٢) يوسف / ٢٣ . وينتهى هنا خرم وقع فى ن بدأ من ص ٣٥٧ .
(٣) فى ع : « ونصبت » .
(٤) فى ت ، وم ، ون ، وع : « المناجيق » .
(٥) فى ن : « وألقت » .
(٦) فى م : « لها بالإيمان لها » .
(٧) فى الأصل ، وت ، وع : « وفيها » ؛ وما أثبته من ط ، ون .
(٨) ما بين علامتى التنصيص سقط من م .
(٩) « ومثل » سقطت من م .   (١٠) إبراهيم / ٢٦ .
(١١) فى الأصل : « وقد ذكرت وصفت معنى المنجنيق » ؛ وما أثبته من ت ، ون ، وع ؛ وفى ط : « وقد ذكرت فى وصف المنجنيق معنى غير هذا » .
(١٢) فى م : « فى معنى هذا » .

المجانيقُ (١) فأنشأتْ سُحُبًا (٢) يُخْشَى مَخْلُهَا (٣)، ولا يُرْجَى وَبْلُهَا ، فما سيقتْ إلى بَلَدٍ حَيٍّ إلاَّ أماتته ، ولم تأتِهِ ، إلاَّ أتاهُ (٤) أمرُ اللهِ ، إذ أتته ، فهى تنبتُ لأهلِه كُلَّ أمرٍ مَرِيج ، لا كُلَّ (٥) زوجٍ بَهِيج . فلم تزلْ تَقْذِفُ السورَ بِصَوْبِهَا المِدْرَار ، وتُنْزِلُ عليْه جِبَالاً من بَرَدٍ غيرَ أنَّها مِن أحْجَار .

فى هذا الكلامِ أربعةُ معانٍ من القرآنِ الكريم : الأوَّل من سورةِ فَاطِر فى قولِه تعالَى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ (٦) الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴾ (٧) . والثَّانِى (٨) أوَّلُ سورةِ النَّحْلِ فى قولِه تعالَى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ (٩) . ومن سورةِ يُونُس (١٠) فى قولِه تعالَى : ﴿ أَتَاهَا (١١) أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ﴾ (١٢) . وأَخْذُ هذا المعنَى من سورةِ يُونُس (١٣) فى هذا المَوْضِعِ أوْلَى من أَخْذِهِ من سورةِ النَّحْلِ (١٤) لمكانِ قولِهِ تعالَى :

---

(١) فى ت ، وم ، ون ، وع : « المناجيق » .

(٢) فى ط : « سحنا » تصحيفا .

(٣) فى ن : « طلها » .

(٤) فى ط : « إياه » تحريفا .

(٥) فى م ، ون : « وكل » خطأ .

(٦) فى الأصل ، وط ، ون : « وهو الذى يرسل الرياح » ؛ ولعله من سهو الناسخ ؛ حيث تداخلت آية سورة الروم مع آية سورة فاطر ؛ وما أثبته من ت ؛ وفى م ، وع : « وهو الذى » .

(٧) فاطر / ٩ .

(٨) فى ط : « الثانى » ؛ وفى م : « والثانى من أول » .

(٩) النحل / ١ .

(١٠) فى الأصل ، وط ، وم ، ون ، وع : « سورة هود » ؛ وما أثبته من ت .

(١١) فى الأصل ، وط ، ون ، وع : « فلما أتاها » ولعله من سهو الناسخ حيث تداخلت هذه الآية مع قوله تعالى فى سورة هود : فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها » ؛ وما أثبته من ت ؛ وفى م : « فلما أتاها أمرها جعلنا عاليها سافلها » .

(١٢) يونس / ٢٤ .

(١٣) فى الأصل ، وط ، وم ، ون ، وع : « سورة هود » ؛ وما أثبته من ت .

(١٤) فى م : « يونس » .

﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً ، وكذلكَ فِعْلُ المنجنيقِ فى الأسوارِ ﴾ (١) . والثَّالِثُ من سورةِ « ق » فى قولِه تعالَى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ (٢) و[فى] (٣) قولِه تعالَى : ﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (٤) . والرَّابعُ من سورةِ النُّورِ فى قولِه تعالَى : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ﴾ (٥) .

ومن هذا القسمِ ما ذكرتُه فى فصلٍ من فصولِ الكلامِ فى معنَى التَوَكُّلِ ، وهو : ووَثِقتُ بألطافِ اللهِ التى (٦) جعلتِ النارَ بَرْدًا وسَلاما ، « وبطنَ الحوتِ » (٧) مُسْتَقَرًّا ومُقَاما . ولم أَكُنْ ممَّن كَفَرَ بياسِه ، وضَلَّ (٨) بإبْلاسِه . فألطافُ اللهِ لا يعرفُها إلاَّ مَن عَرَفَهُ فَوَفَّاهُ (٩) حَقَّه ، ولم يكنْ ممَّن (١٠) ضَرَبَ لَهُ مثلاً ونَسِىَ خَلْقَه .

فى هذا الفصلِ أربعةُ معانٍ من القرآنِ كالفصلِ الذى قَبْلَهُ : الأوَّل فى قصَّةِ إبراهيم عليْه السَّلامُ ، وقد تكرَّرَ ذكرُها فى عِدَّةٍ من السورِ ، والمعنَى الثَّانِى فى سورةِ الصَّافَّاتِ (١١) فى قصَّةِ يُونُس عليْه السَّلامُ فى قولِه تعالَى : ﴿فَالْتَقَمَهُ الحُوت وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٢) . والمعنَى

---

(١) فى م : « بالأسوار » .
(٢) ق / ٥ .
(٣) الزيادة من م .
(٤) ق / ٧ .
(٥) النور / ٤٣ .
(٦) فى ط : « الذى » خطأ .
(٧) ما بين علامتى التنصيص سقط من ن .
(٨) فى م : « فطل » تحريفا .
(٩) فى م : « ووفاه » .
(١٠) فى م : « ولم يكن له ممن » .
(١١) فى م : « سورة والصافات » .
(١٢) الصافات / ١٤٢ , ١٤٣ ، ١٤٤ .

الثَّالِثُ من[١] سورةِ يُوسُف عليْه السَّلامُ في قولِه تعالَى : ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا[٢] مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ القَوْمُ الكَافِرُونَ﴾ [٣] . والمعنَى الرَّابعُ من سورةِ يس في قولِه تعالَى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [٤] .

وهذا الفصلُ يكفيكَ أيُّها المُتَرَشِّحُ لتَعَلُّم هذه الصناعةِ . ألا تَرَى إلى قِصَرِ مَتْنِهِ ، وتقارُبِ طرفَيْهِ ، واختصارِ ألفاظِه ، وهو[٥] مع ذلكَ مُنْتَظِمٌ من[٦] أربعةِ معانٍ من القرآنِ [العظيم] [٧] حتَّى كأنَّه لا يَزِيدُ عليْهَا ، ولا ينقصُ عنْها ، وهذا إنَّما يستطيعُه من آتاهُ اللهُ قُدْرَةً على التَصَرُّفِ في تناولِ المعانِي من مظانِّهَا ، واقتطاعِهَا من معادِنِهَا[٨] .

ومن هذا القسمِ ما ذكرتُه في وصفِ كتابٍ [٩] وَرَدَ عن [١٠] بعضِ الإخوانِ ، وهو : وَرَدَ كتابُه ، فطلعَ طلوعَ الصباحِ السافِرِ ، على المُدْلِجِ الحَائِرِ ؛ لا بل[١١] قَدِمَ قُدُومَ البُرْءِ [١٢] على السَّقَم ، والثَّرْوَةِ على العَدَم ؛ لا بل أضاءَ إضاءةَ النارِ للكَلِيم ، وَوَرَدَ ورودَ القميصِ [١٣] على وَجْهِ الكَظِيم [١٤] ؛ لا بل أَقْبَلَ إقبالَ الحياةِ على

(١) في ت ، وط ، وع : « في سورة » .
(٢) في ع : « فتجسسوا » تصحيفا .
(٣) يوسف / ٨٧ .
(٤) يس / ٧٨ .
(٥) « وهو » سقطت من م .
(٦) في ط : « في » .
(٧) الزيادة من م .
(٨) في م : « واقتطاعها معانيها » تحريفا .
(٩) في ت : « وصف من كتاب » .
(١٠) في ط : « من » ؛ وفي ن : « كتاب عن » بسقوط : « ورد » .
(١١) « بل » سقطت من ط .
(١٢) في ع : « البر » تحريفا .
(١٣) في ن : « ورود الغيظ » خطأ .
(١٤) يعقوب عليه السلام .

الأجْسَاد ، والحَيَا [١] على أَلْسِنَةِ الجَمَاد ، فَعَظُمَ موقعُه أنْ السِّلْكِيْذَالَ [٢] باليدِ ، أو يُنَالَ [٣] بالنَّظَر ، أو يُعَدَّ في الآياتِ ولا [٤] في السُّوَر ، أو يُقَالَ إنَّه جاءَ في حُسْنِهِ وإحسانِهِ على قَدَر ، أو يُوصَفَ بأنَّه ثاني المَطَر ، أو ثالثُ [٥] الشمسِ والقَمَر [٦]

« ومن هذا القسمِ ما يأتي ذكرُه [٧] في ذَمِّ رجلٍ [من جملةِ] [٨] كتابٍ كتبْتُه إليْه ، فقلتُ : [إذا كَتِبَتْ] [٩] مثالبُه (*) في كتابٍ اجتمعَ عليْه بناتُ وَرْدَان (*) ، وحُرِّمَ عليَّ أنْ [أَبْدَأَ] [١٠] فيهِ ببسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ لأنَّها من القُرْآن .

وهذا معنًى [١١] غريبٌ لم أُسْبَقْ إليْه ، ولا جاءَ به أحدٌ غيرِى » [١٢]

ومما ينخرطُ في هذا السِّلْكِ ما أوردتُه في صُدورِ الكُتُبِ من الأدعيةِ ، وقد عرَّفْتُكَ فيما تقدَّمَ من هذا الكتابِ أنِّي أنشأتُ مائةَ دعاءٍ ، وأودعتُ كلاً منْها معْنَى [١٣] آيةٍ من القرآنِ ، أو خَبَرٍ [١٤] من الأخبارِ النبويَّةِ ، أو معنَى بيتٍ سائرٍ .

---

(١) فى ن : « الحياء » خطأ .

(٢) فى ن : « ينال » تحريفا . والإذالَةُ : الإهانة . اللسان فى (ذ ى ل) .

(٣) فى ن : « يطال » تحريفا . (٤) فى ن : « لا » .

(٥) فى الأصل بخط مختلف : « وثالث » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٦) يقابل هذه الفقرة فى ت ص ١٦٥ تعليق نصه : قد هفا هنا هفوة عظيمة لم يلق لها باله ؛ مع أنه من المتمسكين بآداب الشرع الشريف . . . محرره طاهر .

(٧) فى ت ، وط ، وع : « ما ذكرته » .

(٨) فى الأصل بخط مختلف : « وهو كتاب » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وع .

(٩) ممحوة فى الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وع .

(*) المَثَالِبُ : العُيُوبُ . فى (ث ل ب)

(*) وبناتُ وَرْدانَ : دَوابُّ معروفة. فى (و ر د) .

(١٠) ممحوة فى الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وع .

(١١) فى ط ، وع : « وهذا المعنى » .

(١٢) ما بين علامتى التنصيص سقط من م ، ون .

(١٣) « معنى » سقطت من ط .

(١٤) فى الأصل ، وع : « وخبر » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون .

وأَفْرَدْتُ لتلكَ الأدعيةِ كتابًا يخصُّهَا . وممَّا ذكرْتُه (١) هَهُنا دعاءٌ (٢) فى صدرِ كتابٍ يتضمَّنَ الهناءَ بِعَوْدِ أَمْرٍ بعدَ ذِهَابِهِ ، وهو : رَدَّ اللهُ حقوقَه إلى نِصابِها ، وخصَّه من أحرارِ المَعالى (٣) بِمَلْكِ رِقَابِهَا ، وزانَ مناقبَه بكثرةِ ضرائبِهَا وعَدَمِ أَضْرابِهَا ، وجعلَه من الأُسرةِ (٤) التى تَفْخَرُ بطريفِ (٥) مَساعِيها لا بتليدِ أحسابِهَا . وحَفِظَ سماءَ مجدِه من شياطينِ (٦) الأعداءِ ، فلا يَخْتَطِفُ (٧) منها خاطفٌ إلاَّ تَبِعَهُ ثاقبُ (٨) شِهابِهَا ، وجَمَعَ الناسَ على وُدِّهِ حتَّى يَحْظَى من نخائلِ (٩) القلوبِ بلُبَابِهَا (١٠) ، ومن خَيْرَةِ (١١) العُقولِ بتعجُّبِ ألبابِهَا .

فى هذا الدعاءِ (١٢) معنًى واحدٌ من القرآنِ فى سورةِ الصَّافَّاتِ (١٣) ، وهو قولُه تعالَى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ لاَ يَسَّمَّعُونَ إِلَى المَلأِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ (١٤)

---

(١) فى ط : « دغاء » تصحيفا .

(٢) فى ت : « أحراز » تصحيفا ؛ وفى م : « أحراز المعانى » تصحيفا وتحريفا .

(٣) فى ن : « السراة » خطأ .

(٤) فى ع : « بطريق » تصحيفا .

(٥) فى ط : « مجده بشياطين » بسقوط « من » .

(٦) فى ط : « فلا يخطف » .

(٧) فى ط يشير سهم إلى وجود كلمة فى الهامش ؛ لعلها « ثاقب » ، ولكنها غير موجودة .

(٨) فى الأصل ، وط ، وم : « وحده » ؛ وما أثبته من ت ، ون ، وع .

(٩) فى ن : « مخايل » خطأ . ونخائلَ القلوب : النِّيّات الخالصة . اللسان فى (ن خ ل) .

(١٠) فيت : « بلبانها » تصحيفا .

(١١) فى ن : « ومن خير » خطأ .

(١٢) « الدعاء » سقطت من م .

(١٣) فى م : « والصافات فى قوله » .

(١٤) الصافات / ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

وهَهُنا دعاءٌ آخَرُ من هذا الأسلوبِ ، وهو : جعلَه اللهُ في اقتناءِ المَعالي من المُكَثرين ، وخَلَّدَ ذكرَه تخليدَ المُنظَرين ، وأحْضرَه السعادةَ ولا جعلَه في الآخِرةِ من المُحْضَرِين ، ورَفَعَ مكانَه فوقَ الناسِ حتَّى لا يكونَ فيه أحدٌ [١] من المُمْتَرِين ، وقَرَنَ النصرَ بمَساعِيه فإذَا نَزَلَ بساحةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ [٢] .

هذا الدعاءُ من غرائبِ الأدعيةِ ، ولا يكادُ [٣] يقعُ مثلُه ؛ لأنَّ معانِي [٤] الآياتِ قد جاءتْ في أواخِرِ الفِقَرِ كلِّها على نَهْجٍ وَاحِدٍ .

أمَّا [٥] الفقرةُ الأولَى : ففي قولِه تعالَى في سورةِ « ص » : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ [٦] مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ [٧] .

وأما الفقرةُ الثانيةُ : ففي قولِه تعالَى في سورةِ الصَّافَّاتِ [٨] في مواضعَ منها في قَصَصِ الأنبياءِ عليهِمُ السَّلامُ ، وأمَّا الفقرةُ [٩] الثالثةُ : ففي قولِه تعالَى في سورةِ يُونُس [١٠] : ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْئَلِ [١١] الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ [١٢] لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ [١٣] مِنَ

---

(١) في ط ، وم ، ون ، وع : « أحد فيه » .

(٢) في ع : « المنذين » تحريفا .

(٣) في ع : « لا يكاد » .

(٤) فيع : « معانٍ » خطأ .

(٥) « أما » سقطت من م .

(٦) في ط ، وم : « إنك » خطأ .

(٧) ص / ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ .

(٨) في م : « والصافات » ؛ والآيات هي : ٥٧ ، ٧٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٥٨ .

(٩) « الفقرة » سقطت من ع .

(١٠) في ن : « يسن » خطأ .

(١١) في م : « فاسأل » .

(١٢) « من قبلك » سقطت من ن .

(١٣) في ن : « فلا تكن » .

المُمْتَرِينَ﴾ (١) ، وأمَّا الفقرةُ الرابعةُ ففى قولِه تعالَى فى سورةِ الصَّافَّاتِ (٢) : ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ (٣) فَسَاءَ صَبَاحُ المُنذَرِينَ ﴾ (٤) .

وهَهُنا (٥) دعاءٌ آخَرُ من هذا الضربِ ، وهو : أدامَ اللهُ سلطانَ الديوانِ العزيزِ النبويِّ ، وأَعْلَى لَه أَمْرَا ، ورَفَعَ (٦) له ذِكْرَا ، وأرسلَ رُسَلَ جُدودِه تَتْرَى ، وخَلَقَ لَه من المَعالى نَسَبًا وصِهْرَا ، ودَوَّنَ مدائحَ أحسابِهِ قُرْآنَا ؛ إذا دُوِّنَتِ الأحسابُ شِعْرَا . وأَخْدَمَهُ من مَطايا الدَّهْرِ بيضًا وسودًا ومن مقاليدِ النصرِ بيضًا وسُمْرَا (٧) ، وأَرَاهُ فى أعداءِ دولتِه ما يُقال معَه إذا هَلَكَ قَيْصَرُ فلا قَيْصَرَ ، وإذا (٨) هَلَكَ كِسْرَى فلا كِسْرَى (٩) .

فى هذا الدعاءِ من معانِى القرآنِ معنيانِ : [أحدُهما فى سورةِ المُؤْمِنِينَ ، والثَّانِى فى سورةِ الفُرْقَانِ] (١٠) . الأوَّلُ (١١) فى قولِه تعالَى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ (١٢) . والثَّانِى فى قولِه تعالَى : ﴿ وَهُوَ (١٣) الَّذِى خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ

---

(١) يونس / ٩٤ .

(٢) فى م : « والصافات » ؛ وفى ن : « فى سورة ص أيضا » خطأ .

(٣) فى الأصل بخط مختلف : « جا صباحهم » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٤) الصافات / ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٥) فى م : « وهذا » .

(٦) فى ع : « ودفع » تحريفا .

(٧) فى م : « وحمرا » .

(٨) فى ع : « فإذا » خطأ .

(٩) « فلا كسرى » سقطت من م .

(١٠) فى الأصل ، وط ، وم ، ون ، وع : « كلاهما فى سورة الفرقان » خطأ ؛ وما أثبته بين المعقوفين من ت .

(١١) فى ت : « فالأول » .

(١٢) المؤمنون / ٤٤ .

(١٣) فى م : « هو » ؛ وفى ن : « فى قوله وهو » .

نَسَباً وَصِهراً ﴾ (١) . « وفيه حديثٌ من الأحاديثِ النبويّةِ ، وهو قولُه ﷺ : إذا هَلَكَ قَيْصَرُ فلا قَيْصَرَ بَعْدَه (٢) ، وإذا هَلَكَ كِسْرَى فلا كِسْرَى بَعْدَه » (٣) .

وينتظمُ بهذا الدعاءِ دعاءٌ آخَرُ ، وهو : أَوْحَدَ (٤) اللهُ مَساعِيَ المجلسِ السّامِي وشَرَعَ له منها شِرْعَةً ومِنهاجا ، وخَلَقَ مَحامِدَ أفعالِه أزْوَاجا وصَوَّرَ مجدَه في سماءِ المَعالِي سِرَاجا ، وناجَاه من طُورِ السعادةِ حتَّى يظلَّ منها مُنَاجَى . ولا أَغْلَقَ دونَه من المطالِبِ رِتَاجا وأَعْذَبَ عيشةَ حياتِه ؛ إذا كانَ العيشُ مِلْحًا أُجَاجا .

في هذا الدعاءِ مَعانِي أربعِ آياتٍ من القرآنِ . أحدُهَا في (٥) سورةِ المَائِدَةِ (٦) في قولِه تعالَى : ﴿ لِكُلٍّ (٧) جَعَلْنَا مِنكُمْ (٨) شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ (٩) ، والآخَرُ (١٠) في سورةِ النَّبَإِ (١١) في قولِه تعالَى : ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً ﴾ ، والثَّالثُ (١٢) في هذه السورةِ أيضًا ، والرَّابعُ في عِدَّةِ سورٍ من القرآنِ [العزيزِ] (١٣) .

---

(١) الفرقان / ٥٤ . (٢) في ع : « من بعده » .

(٣) ما بين علامتي التنصيص سقط من ط ، وم ، ون . والحديث في البخاري ٦/ ٢٤٤٥ / رقم ٦٢٥٤ ، وفي سنن الترمذي ٤/ ٤٩٧ / رقم ٢٢١٦ ، وفي مسند أحمد ٥/٩٩ / رقم ٢٠٩٧٧ ، وفي المعجم الكبير للطبراني ٢/ ٢١٣ / رقم ١٨٧١ .

(٤) في ن ، وع : « أوجد » . (٥) في ط : « من » .

(٦) في الأصل ، ون ، وع : « الأنعام » خطأ ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم .

(٧) في م ، وع : « ولكل » خطأ .

(٨) « منكم » سقطت من ط .

(٩) المائدة / ٤٨ . (١٠) في ط : « والأخرى » .

(١١) في الأصل ، وط ، وع : « النازعات » ؛ وفي ن : « سورة عم » خطأ ؛ وما أثبته من ت ، وم .

(١٢) النبأ / ٨ ، والمعنى الثالث في الآية ١٣ في قوله تعالى : وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً .

(١٣) الزيادة من ط ؛ والآيات المشار إليها في قوله تعالى : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِياً ﴾ [مريم / ٥٢] ، ﴿و يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ وَالسَّلْوَى ﴾ [طه / ٨٠] ، و﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص/ ٤٦] .

الفصل الثالث

فِى حَلِّ الأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ

الفَصْلُ الثَّالِثُ (١)

فِى حَلِّ الأَخْبَارِ النَّبوِيَّةِ

والخَطْبُ فى حفظِ الأخبارِ غيرُ الخَطْبِ فى حفظِ القرآنِ ، وذاكَ (٢) أنَّ الأخبارَ لا حاصرَ لها ، ولا ضابطَ . ولا ينبغِى (٣) لصاحِبِ هذه الصناعةِ أنْ (٤) يقتصرَ على حفظِ الصحيحِ منها الذى ثَبَتَتْ (٥) صحَّتُه ؛ بل يحفظُ (٦) الصحيحَ ، وغيرَ الصحيحِ (٧) طلبًا للاستكثارِ من المعانِى التى تَقْتَضِيهَا (٨) الحوادثُ الطارئةُ ، والوقائعُ المتجدِّدةُ . وقد أكثرْتُ الوَصِيَّةَ فى هذا (٩) فيمَا تقدَّمَ . ومَنْ لم تنبِّهْهُ نَحِيزَةُ طبعِه ؛ لم تنبِّهْهُ (١٠) قَوَارِعُ سمعِه :

وَالسَّيفُ مَا لَمْ يُلْفَ فِيهِ صَيقَلٌ
مِنْ سِنْخِهِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِصِقَالِ (١١)

---

(١) « الفصل الثالث » سقطت من ط .

(٢) في ت : « وذلك » .

(٣) فى ن : « وينبغى » .

(٤) فى ن : « ألا » .

(٥) فى م : « تثبت » ؛ وفى ن : « ثبت » .

(٦) فى م : « لحفظ » تحريفا .

(٧) « وغير الصحيح » سقطت من ت .

(٨) فى م : « يقتضيها » .

(٩) فى ط : « بهذا » .

(١٠) فى م : « ينبهه » ؛ وفى ن : « ومن لم ينبه بخيرة طبعه لم تنبه » وهى عبارة أصابها التصحيف والتحريف .

(١١) البيت من الكامل فى ديوان أبى تمام ٣/١٤٥/ ق ١٣٠ ؛ وروايته :

.... مـن طـبـعـه ....

وفى صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ١/ ٢٢٠ . السنخ : الأَصل من كل شيء

وإذا أحوجَك الفرسُ إلى تحريكِ (١) سوطِه وعنانِه ؛ فإنّه لا يبلغُ الغايةَ من (٢) ميدانِه.

واعلمْ أنَّ حلَّ الأخبارِ النبويَّةِ كحَلِّ آياتِ القُرآنِ فى انقسامِها إلى قِسْمَيْنِ أحدُهُما أنْ يُؤْخَذَ بعضُ اللفظِ ، فيُجْعَلَ أوّلاً لكلام (٣) أو آخِرًا ، والآخَرُ أنْ يُؤْخَذَ المعنَى وحدَه ، ويُتَصَرَّفُ فيهِ بوجوهِ التصرُّفَاتِ . وقد أوردتُ لكَ هَهُنا ما تجعلُه (٤) لوِرْدِكَ مَسَاغا ، ولزَادِكَ (٥) بَلاَغا .

« فمن ذلكَ ما ذكرتُه فى ذَمِّ الشَّيْبِ ، وهو : المَشيبُ إعدامٌ لا يَسَار ، وظلامٌ لا أنْوَار (٦) ، وهو الموتُ الأوَّلُ الذى (٧) يُصْلِى نارًا من الهمِّ أشدَّ وقودًا من النَّار . ولئنْ قالَ قومٌ : إنّه جَلالةٌ ؛ فإنَّهم دَقُّوا بِه وما جَلُّوا ، وأفتوا فى وصفِه بغيرِ علم فضلُّوا وأضلُّوا (٨) . وما أراهُ إلاّ محراثًا للعُمر ، ولم تدخلْ آلةُ الحرثِ دارَ قوم إلاّ ذَلُّوا . ومن عجيبِ شأنِه أنّه المَمْلوكُ الذى يُشْفَقُ مِن بُعْدِه ، والخَلَقُ الذى يُكْرَهُ نَزْعُ (٩) بُرْدِه ، ولمّا (١٠) فُقِدَ الشبابُ ، كانَ عنه عِوَضًا ؛ ولا عِوَضَ عنه فى فَقْدِه .

فى هذا الكلام معنيانِ من الأخبارِ النبويَّةِ : أحدُهما قولُه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ : إنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ ،

---

(١) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « إلى حركة » .

(٢) فى ط : « الغرض من » ؛ وفى ن : « الغاية فى » .

(٣) فى ط : « للكلام » .

(٤) فى ع : « ما يجعله » خطأ .

(٥) فى ن : « ولذكرك » .

(٦) فى ط : « وظلام لأنوار » تحريفا .

(٧) « الذى » سقطت من ط .

(٨) « وأضلوا » غير موجودة فى ط ؛ وتوجد إشارة نحو الهامش لعلها تشير إليها .

(٩) فى ط : « من نزع » .

(١٠) فى ط : « لما » .

حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا ، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً ؛ فَسُئِلُوا ؛ فَأَفْتَوا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا ، وَأَضَلُّوا (١) . [و] (٢) الآخَرُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رأى آلةَ حرثٍ ؛ فقالَ : مَا دَخَلَتْ هَذِهِ دَارَ قَوْمٍ إِلاَّ ذَلُّوا » (٣)

ومن (٤) ذلكَ ما ذكرتُه في فصلٍ من فصولِ الكلامْ ، يتضمَّنُ الحثَّ على الصدقةِ ، وهو : ليستِ الصدقةُ لمَن مَرَدَتْ على المسألةِ نفسُه ، حتَّى صارَ فيهَا لَحُوحَا ، [وكَلَمَتِ] (٥) المَطالبُ وجهَهُ ؛ حتَّى أصبحتْ فيهِ كُدُوحَا (*) . إنَّما الصدقةُ لمَن قَمَّصَهُ (٦) الفقرُ لباسًا [فسترَه] (٧) ذلكَ اللِّبَاس ، وكانَ لا يُفطَنُ بِهِ ؛ فيُتَصَدَّقُ عليْه ، ولا يقومُ [فيسألُ] (٨) النَّاس .

وهذا مأخوذٌ من موضعينِ من الأخبارِ النبويَّةِ : الأوَّلُ قولُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : المَسَائِلُ كُدُوحٌ يَكْدَحُ بِهَا المَرْءُ وَجْهَهُ ؛ إِلاَّ أَنْ يَسْأَلَ ذَا سُلْطَانٍ (٩) ، أَوْ فِي

---

(١) سنن الترمذي ٥ / ٣١ / رقم ٢٦٥٢ ، و صحيح مسلم ٢٠٥٨/٤ / رقم ٢٦٧٣ ، والبخاري ١/ ٥٠ / رقم ١٠٠ ، وسنن ابن ماجه ١/ ٢٠ / رقم ٥٢ ، ومسند أحمد ٢ / ١٩٠ / رقم ٦٧٨٧ .

(٢) الزيادة من ط .

(٣) نهاية خرم وقع في م ، ون من قوله في الصفحة السابقة : « فمن ذلك . . . ؛ والحديث في البخاري ٢/ ٨١٧ / رقم ٢١٩٦ وروايته : لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل . والمعجم الأوسط ٣٧٦/٨ / رقم ٨٩٢١ .

(٤) في ن : « فمن » .

(٥) غير مقروءة في الأصل ؛ وفي ط : « وكَلَّمَتْ » خطأ ؛ وما أثبته من ت ، وم ، ون ، وع .

(*) الكُدُوحُ : الخُدُوشُ . وكلُّ أَثَرٍ من خَدْشٍ أو عَضٍّ فهو كَدْح . اللسان في (خ د ش) .

(٦) في ن : « قمعه » تحريفا .

(٧) في الأصل ، وت ، وم ، ون ، وع : « فستر » ؛ وما بين المعقوفين من ط .

(٨) ممحوة في الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٩) في ت : « يسأل السلطان » .

أمر لا يَجدُ مِنْهُ بُدًّا [١] . « والثَّانِي قولُه [٢] ﷺ » [٣] : لَيْسَ المِسْكِينُ مَنْ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ واللُّقْمَتَانِ ، والتَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ ؛ إِنَّمَا [٤] المِسْكِينُ مَنْ لا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ [٥] ، ولا يُفْطَنُ بِهِ ؛ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ ، ولا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ [٦] .

فانظرْ كيفَ تَسَوَّرْتُ على [٧] هذينِ الخبرينِ [٨] ، وأخذتُ المعنَى منهما ، ثمَّ إنِّي صنعْتُه [٩] فى هذه الأسجاعِ التى تُشْرِقُ فى جوانبِ الأسماعِ . وأودعْتُه هذه الفِقَرَ [١٠] التى الأذهانُ إليْها فَقِيرةٌ ، وللبصائرِ [١١] منْها بَصِيرة .

ومن هذا البابِ ما ذكرتُه فى صدرِ كتابٍ إلى الديوانِ العزيزِ النبوىِّ ببغدادَ [١٢] ، وهو : الخادمُ يبدأُ كتابَهُ بتمجيدِ [١٣] المواقفِ المقدَّسَةِ التى لهَا مِن أوَّلِ [١٤] كلِّ كتابٍ مكانُ البسملَة ، ومِن آخِرِهِ مكانُ الحمدلَة . ولولا ذلكَ لكانَ كاليدِ الجذماءِ ،

---

(١) سنن أبى داود ٢/ ١١٩ / رقم ١٦٣٩ ، وسنن النسائى ٥/١٠٠ / رقم ٢٥٩٩ ، وصحيح ابن حبان ٨/ ١٩٠/ رقم ٣٣٩٧ ، ومسند أحمد ٥/ ٢٢ / رقم ٢٠٢٧٨ باختلاف فى الرواية .

(٢) فى ت : « قول النبى » .

(٣) ما بين علامتى التنصيص سقط من م .

(٤) فى ط : « وإنما » .

(٥) فى ن : « غنى نفسه » ؛ وفى ع : « غنى بعينه » تحريفا .

(٦) صحيح البخارى ٢/ ٥٣٨ / رقم ١٤٠٩ ، وصحيح مسلم ٢/ ٧١٩ / رقم ١٠٣٩ ، وصحيح ابن حبان ٨/١٣٩ / رقم ٣٣٥٢ باختلاف فى الرواية .

(٧) « على » سقطت من م .

(٨) فى م : « الجريين » تحريفا .

(٩) فى ت ، وط ، وع : « صغته » .

(١٠) فى م : « الفقرة » .

(١١) فى ن : « البصائر » .

(١٢) « ببغداد » سقطت من ط .

(١٣) فى ط ، وم : « بتحميد » .

(١٤) « أول » سقطت من ع .

أو كالكلمةِ (١) العجماءِ ، ولا تُقبلُ صلاةٌ بغيرِ تَطْهِير . ولا يتمُّ افتتاحُها بغيرِ تكْبِير .

وقد تفاءلَ الخادمُ بِنُجْحِ طِلابِه ؛ إذ تيمَّنَ بذلكَ فى صدرِ [كتابِه] (٢) ؛ فإنَّ تقديمَ الوسيلةِ قبلَ الاقتراحِ مِن أوكدِ الأسبابِ [فى] (٣) تسهيلِ النَّجَاح (٤)

فى هذا الكلام معنَى خبرينِ من الأخبارِ [النبويَّةِ] (٥) : الأوَّلُ قولُ النَّبِىِّ ﷺ : كُلُّ كَلامٍ (٦) لا يُبْدَأُ فِيهِ بِالحَمْدِ للهِ (٧) فَهُوَ كَاليَدِ الجَذْمَاءِ (٨) ، والثَّانِى (٩) قولُ النَّبِىِّ ﷺ : إِنَّ اللهَ لا يَقْبَلُ صَلاةً (١٠) بِغَيْرِ طَهُورٍ (١١)

ومن هذا النوعِ ما ذكرتُه فى فصلٍ من كتابٍ ، وهو (١٢) : لو كنتُ جارًا لمولانا لمَا أقدمَتْ عَلَيَّ صُروفُ الأيامِ . ولا نظرتْ إِلَيَّ إلاَّ بعينِ الإجلالِ والإعظامِ ، ولكنِّى بَعُدْتُ عن دارِه ؛ فأخذتْ منِّى بالنَّاصِيَة ، وفَرَسَتْنِى (١٣) ؛ وللذئبِ (١٤) من الغنمِ القَاصِيَة .

---

(١) فى ت : « وكالكلمة » .

(٢) فى الأصل بخط مختلف : « كتاب له » ؛ وفى ن : « لذلك فى صدر كتابه » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، وع .

(٣) ممحوة فى الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٤) فى ن : « الطلاب » .

(٥) الزيادة من ت ، وط ، وع .

(٦) فى ط : « كل كلام ذى شأن » .

(٧) فى م : « لا يبدأ فيه بحمد الله » ؛ وفى ع : « بالحمدلة » .

(٨) سنن أبى داود ٤/ ٢٦١ / رقم ٤٨٤٠ و ٤٨٤١ وروايته : كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم » ، وسنن الترمذى ٣/ ٤١٤ / رقم ١١٠٦ ، وصحيح ابن حبان ٧/ ٣٦/ رقم ٢٧٩٧ باختلاف فى الرواية .

(٩) فى ط : « الثانى » .

(١٠) فى ن : « لا يقبل الله صلاة » .

(١١) صحيح مسلم ١/ ٢٠٤ / رقم ٢٢٤ ، وابن حبان ٤/ ٦٠٤/ رقم ١٧٠٥ ، وصحيح ابن خزيمة ١/ ٨/ رقم ٨ .

(١٢) « وهو » سقطت من ع .

(١٣) فى ع : « ففرستنى » .

(١٤) فى ط : « والذئب » تحريفًا .

فى هذا الفصلِ معنًى من الأخبارِ النبويَّةِ وهو قولُ النَّبِىِّ ﷺ : يَدُ اللهِ عَلَى الجَمَاعَةِ ، ومَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ ، وإِنَّمَا للذِّئْبِ (١) مِنَ الغَنَمِ القَاصِيَة (٢) .

« ومن هذا الضربِ ما ذكرتُه فى صدرِ كتابٍ ، وهو : الخادمُ يفتتحُ كتابَه بالدعاءِ الصالحِ الذى لا يزالُ لقلبِه (٣) زَمِيلا ، وللسانِهِ رَسِيلا ، وإِذَا رُفِعَ أدنتْهُ الملائكةُ قُرْبًا ؛ إذا تباعدتْ عَنْ غيرِه مِيلا . ولا اعتدادَ بالدعاءِ إلاَّ إذا صدرَ عن أكرمِ مَصْدَرٍ ، ووجدَ (٤) لَه فوقَ السماءِ مَظْهَرًا ، وإن لم يكنْ هناكَ مِن (٥) مَظْهَر ، ووَصِفَ باطنُهُ بأنَّه الأبيضُ الناصعُ الذى هو خيرٌ ممَّن (٦) ظاهرُه أشعثُ أَغْبَر . ولا يُعَامِلُ الخادمُ أهلَ وُدِّهِ [إلاَّ] (٧) بمثلِ هذه المعاملَة . ومِن خُلُقِهِ المُجازفةُ فى (٨) بذلِ المودَّةِ ، [إذا أَخَذَ] (٩) الناسُ بسُنَّةِ المُكَايَلَة .

فى هذا ما هو مأخوذٌ من الخبرِ النبوىِّ وذا [ك أنَّه] (١٠) قالَ ﷺ : إِذَا كَذَبَ ابْنُ آدَمَ تَبَاعَدَ عَنْهُ المَلَكُ مِيلاً مِنْ نَتَنِ [رِيحِهِ] » (١١) .

ومن هذا الضربِ ما ذكرتُه فى فصلٍ من كتابٍ يتضمَّنُ عنايةً ببعضٍ (١٢)

---

(١) فى م : « الذئب » تحريفا .

(٢) سنن الترمذى ٤/٤٦٦/ ٢١٦٧ ، والمستدرك على الصحيحين ١/١٩٩/ رقم ٣٩١ ، و ١/٣٣٠/ رقم ٧٦٥ ، والمعجم الكبير ١/١٨٦/ رقم ٤٨٩ باختلاف فى الرواية .

(٣) فى ط : « لقبلته » . (٤) فى ط : « وجد » .

(٥) « من » سقطت من ع . (٦) فى ت : « من » .

(٧) الزيادة من ت ، وط ، وع . (٨) فى ط : « على » .

(٩) ما بين المعقوفين ممحو من الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وع .

(١٠) ما بين المعقوفين ممحو من الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وع .

(١١) مابين علامتى التنصيص سقط من م ، ون ؛ وما بين المعقوفين ممحو من الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وع . والحديث فى سنن الترمذى ٤/٣٤٨/ رقم ١٩٧٢ وروايته : إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلا من نتن ما جاء به ، وفى الترغيب والترهيب ٣/٣٦٩/ رقم ٤٤٦٣ .

(١٢) فى م ، ون : « بشخص من الفقراء » .

الفقراءِ ، وهو : وقد [١] جعلَ اللهُ النصرَ والرزقَ منوطَينِ بالإحسانِ إلى [الفقيرِ] [٢] الضَّعِيف ، فمن شاءَ [أنْ] [٣] يَحْظَى بهذينِ الأمرينِ [٤] فَلْيَرْضَخْ ولو بالقدرِ الطَّفِيف ؛ وقد عُلِمَ أنَّ النَّارَ تُتَّقى بِشِقِّ تَمْرَة ، وما سَدَّ رَمَقًا فلا يُطْلَقُ عليه اسمُ قِلَّةٍ وإنْ لم يكُنْ موصوفًا بِكَثْرَة .

فى هذا الكلامِ معنيانِ من معانِى الأخبارِ [النبويّةِ] [٥] أحدُهما : قولُ النَّبِىِّ ﷺ : ابْغُونِى ضُعَفَاءَكُمْ ؛ فَإِنَّمَا تُنْصَرُونَ ، وَتُرْزَقُونَ [٦] بِضُعَفَائِكُمْ [٧] . والآخَرُ قولُه ﷺ : مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ كِفَاحًا ، ليسَ بينَه وبينَه تُرجُمَان ، فينظرُ أيمنَ منه فلا يَرَى إلاَّ مَا قدَّمَ ، وينظرُ أشأمَ منه فلا يَرَى إلاَّ ما قدَّمَ ، وينظرُ تِلْقَاءَ وجهِهِ فلا يَرَى إلاَّ النَّارَ . فاتَّقُوا النَّارَ ولو بِشِقِّ تَمْرَةٍ [٨] .

ومن هذا البابِ ما ذكرتُه فى وصفِ كلامٍ فى [٩] جملةِ كتابٍ كتبتُه إلى بعضِ الإخوانِ من أهلِ الفضلِ ، وهو : وما استَارَ [١٠] مِن مَعْدِنِ فصاحتِه لفظًا إلاَّ أتَى به

---

(١) فى ت ، وم ، ون : « قد » .

(٢) الزيادة انفردت بها م .

(٣) ما بين المعقوفين ممحو من الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٤) فى ط : « الأ. . . » وباقى الكلمة ممحو .

(٥) الزيادة من ط ، وم

(٦) فى ن : « ترزقون وتنصرون » .

(٧) سنن الترمذى ٤/٢٠٦/ رقم ١٧٠٢ ، والبخارى ٣/ ١٠٦١/ رقم ٢٧٣٩ ، وابن حبان ١١/ ٨٥/ رقم ٤٧٦٧ ، ومسند أحمد ٥/١٩٨/رقم ٢١٧٧٩ باختلاف فى الرواية .

(٨) البخارى ٦/ ٢٧٢٩/رقم ٧٠٧٤ ، ومسلم ٢/ ٧٠٣/رقم ١٠١٦ ، وسنن الترمذى ٤/ ٦١١/ رقم ٢٤١٥ ، باختلاف فى الرواية وجميعها لم ترد فيها كلمة « كفاحا » . وكفاحا : مواجهة .

(٩) فى ط : « فى » ، وكتب الناسخ فوقها « من » ولم يضرب على إحداهما ؛ وفى م ، ون : « من » .

(١٠) فى الأصل : « استنار » ؛ وفى ع : « اشتار » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون .

زوجًا ولم يأتِ بِهِ فَرْدا   ولا استولدَ بنتَ فكرِه معنًى إلاَّ [١] جاءتْ بِهِ أُصَيْهِبَ أُثَيْبِجَ [٢] ، ولم تأتِ به أَوْرَقَ جَعْدا ، فألفاظُه ذواتُ إخاءٍ في استخراجِهَا ، ومعانِيه بناتُ رِشْدَةٍ في استنتاجِها ، فلهذه صحةُ [٣] النسبِ في اعتزائِهَا . ولتلكِ زِنَةُ [٤] الأسجاعِ في اعتدالِ أجزائِهَا

وهذا الفصلُ من أغربِ ما يأتِي في هذا البابِ . وفيه معنًى واحدٌ من الأخبارِ النبويّةِ [٥] وهو ما وَرَدَ في قصّةِ هِلال بْنِ أُمَيّة حِينَ رَمَى زَوْجَتَهُ بِالزِّنَا وهو خبرٌ مطوّلٌ لا حاجةَ إلى استقصاءِ ذكرِه بجملتِهِ . بل نذكرُ [٦] الغرضَ منه وهو : أنّه لمّا لاعَنَ رسولُ اللهِ ﷺ بينَه وبينَ زوجتِه ، وفرّقَ بينَهما قالَ : إنْ جاءَت به أُثَيْبِجَ أُصَيْهِبَ [٧] أُرَيْصِحَ حَمِشَ [٨] السّاقيْن ، نَاتِئَ [٩] الإليتيْن ؛ فهو لهلالِ بْنِ أُمَيّة ، وإنْ جاءَت به أَوْرَقَ [١٠] جَعْدًا جُمَالِيًّا خَدَلَّجَ [١١] الساقيْن ، سابغَ الإليتيْن ؛ « فهو للذى رُمِيَتْ

---

(١) « إلا » غير موجودة فى ت .

(٢) الأثبج : العريض الصدر ، اللسان (ث ب ج) .

(٣) فى م : « صحت » خطأ .

(٤) فى م : « رنة » تصحيفا . وبنات رشدة : قوم من العرب يسمّوْن بنى زِنْية فسماهم النبى ، بينى رِشْدة . اللسان فى (ر ش د) .

(٥) « النبوية » سقطت من ت ، وط ، وم ، ون ، وع . (١٠) فى م : « يذكر » .

(٦) فى ع : « أصهيبا » تحريفا . و الأُصَيْهِب : الذى فى شعر رأسِهِ حُمْرَةَ . الفائق ٢ / ٣٢٢ .

(٧) فى ت ، وط ، وم ، وع : « أريضح » تصحيفا والأريصح : قريب ما بين الإليتين ، اللسان (ر ص ح) ؛ وفى ن : « خمش » تصحيفا . وحمش الساقين : دقيقهما ، اللسان (ح م ش) .

(٨) فى م : « يأتى » تحريفا .

(٩) فى م : « أزرق » تحريفا ؛ والأورق : الأسمر ، النهاية فى غريب الحديث (و ر ق) . والجعد : المجتمع الشديد ، اللسان (ج ع د) ، والجمالئ الضخم الأعضاء ، التام الأوصال ، النهاية فى غريب الحديث (ج م ل) .

(١٠) فى م : « حدلح » تصحيفا . والخدلَّج : عظيم الساقين ، النهاية فى غريب الحديث (خ د ل ج) .

بِه . فجاءَت بِه أَوْرَقَ جَعْدًا جُمَالِيًّا ، خَدَلَّجَ الساقَين ، سابِغَ الإليتَيْن » [١] فقالَ [٢] رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لولا الأيمانُ لكانَ لِى ولهَا شَأْن [٣] .

ومن هذا الأسلوبِ ما ذكرْتُه فى وصفِ القلمِ ، وهو : قلمُه هو القلمُ [٤] الصَّنَاعُ فى صناعَتِه ، الذى إذا كَسَدَتْ [٥] بَضائعُ الأقلامِ نَفَقَتْ سوقُ بِضاعتِه . ومن خصائصِه أنْ تُهْزَمَ الجُيوشُ [٦] ببأسِ شجاعتِه [٧] ، وتُسْتَفْتَحَ الحصونُ بحكم براعتِه [٨] ؛ ولمَّا جُدِعَ [٩] أنفُه وتَقَمَّصَ لباسَ السوادِ قيلَ : هذا هو الحبشىُّ [١٠] الأجدعُ الذى أُمِرَ بطاعتِه .

وهذا معنًى غريبٌ لم أُسْبَقْ إليْه . ولا اخترعَه أحدٌ قبْلى . وهو مُسْتَنْبَطٌ من قولِ النَّبىِّ ﷺ فى الحثِّ على الطاعةِ ، وملازَمَةِ الجماعَةِ ؛ فقالَ : أَطِعْ وَلَو عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا ، مَا أَقَامَ عَلَيْكَ كِتَابَ اللهِ [١١] ؛ ولمَّا كانَ القلمُ مجدوعًا لابسًا لباسَ السوادِ

---

(١) من قوله : « فهو للذى رميت . فى نهاية الصفحة السابقة حتى هنا سقط من م ؛ وسابغ الإليتين : عظيمهما ، النهاية فى غريب الحديث (س ب غ) .

(٢) فى م : « قال » .

(٣) سنن الترمذى ٥/ ٣٣١/ رقم ٣١٧٩ ، وسنن أبى داود ٢/ ٢٧٧/رقم ٢٢٥٦ ، ومسند أحمد ١/ ٢٣٨/ رقم ٢١٣١ باختلاف فى الرواية .

(٤) فى م : « قلمه والقلم » .

(٥) فى م : « كسرت » تحريفا . والصَّناع: الحاذق بالعمل . اللسان فى (ص ن ع) .

(٦) فى ط : « يهزم الجنود » .

(٧) فى ن : « الجيوش بشجاعته » .

(٨) فى ت ، وط ، وع : « يراعته » .

(٩) فى ط : « خدع » تصحيفا .

(١٠) فى ت ، وط ، وم ، ون : « هذا الحبشى » .

(١١) فى ت : « عليك الله » ؛ مسلم ٣/ ١٤٦٨/ رقم ١٨٣٧ و١٨٣٨ ، وصحيح ابن حبان ٧/ ٤٦٦/ رقم ٣١٩٣ ، وسنن الترمذى ٤/ ٢٠٩/ رقم ١٧٠٦ ، ومسند أحمد ٤/ ٤٠/رقم ١٦٧٠٠ و ٦/ ٤٠٢/ رقم ٢٧٣٠١ باختلاف فى الرواية .

من المِدَادِ ؛ استنبطتُ له (١) هذا المعنَى الشريفِ اللطيفِ . فالحظْه أيُّها المتأمِّلُ ، وأنصِفْ من نفسِك حتَّى تَعْلَمَ مِقدارَ ما أَتَيْتُ به في هذا الموضعِ .

« ومن هذا الأسلوبِ أيضًا ماذكرتُه في وصفِ كلامٍ لبعضِ البُلغاءِ ؛ فقُلت : أفكارُ الخواطرِ لا تَسْتَوْلِدُ المعانِي على انفرادِها ، وغايَتُها أنْ تَتَنَاكَحَ في استنتاجِ أولادِها . وهو يُنْكِحُ فكرَه لفكرِه نِكَاحَ الأنسابِ للأنسابِ ، ولا يخافُ أن يَضْوِيَ ؛ فيميلُ إلى الاغترابِ .

في هذا الفصلِ معنًى من الأخبارِ النبويَّةِ (٢) وهو قولُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اغْتَرِبُوا لا تَضْوُوا (٣) . يريدُ بذلك أن يَنْكِحَ الرجلُ غيرَ القرابةِ [القريبةِ] (٤) كي لا (٥) يجيءَ الولدُ ضاوِيًا . والمعنَى الذي قصدْتُه أنا هَهُنا غريبٌ لم أُسْبَقْ إليْه ، وإنْ كانَ أَصلُه من الخَبَرِ (٦) النَّبَوِيِّ .

ومن ذلك ما ذكرْتُه في عيادةِ مريضٍ ، وهو فصلٌ من جُملة كِتابٍ : ولمَّا بَلَغ الخادمَ خبرُ شَكَاتِه ، هِيضَ منه ما ليسَ بمَهِيض ، وأصبحَ – وهو الصحيحُ – أشدَّ شكْوى منه ، وهو المَرِيض . وقد وَدَّ لو وَقَّاه وتلكَ أقصَى درجاتِ الوِدَاد ، ولم يَقِ نَفْسَه إلاَّ بنفْسِهِ (٧) وقد [تجْتِمَعُ] (٨) النَّفسانِ في جَسَدٍ من الأجْسَاد . ولولا أنَّه يُؤَمِّلُ العافيةَ (٩) لم يَكُنْ لقوادحِ (١٠) الَهمِّ بمُطِيق ، ولا مِن غَمَرَاتِه بمُفِيق ، ولكانَ

---

(١) « له » سقطت من ط . (٢) « النبوية » سقطت من ط ، وع .

(٣) الحديث في الفائق ٢/ ٣٥٠/ رقم ٤٧٦ ، واللسان في (غ ر ب) ، والنهاية في غريب الحديث ٣/٣٤٨ .

(٤) الزيادة من ت ، وط ، وع .

(٥) في الأصل : « فيجئ » ؛ وفي ع : « لئلا » ؛ وما أثبته من ت ، وط .

(٦) في ع : « الخبرى » خطأ . (٧) في ت : « ولم يق إلا نفسه بنفسه » .

(٨) في الأصل : « تجتمعان النفسان » خطأ ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وع .

(٩) في ط : « العاقبة » تصحيفا .

(١٠) في ت ، وط ، وع : « لفوادح » تصحيفا . والقادحُ : الصَّدْعُ في العُود ، والسَّوادُ الذي يظهر في الأسنان . اللسان في (ق د ح) .

كالذِى خَرَّ مِن السماءِ تتخطَّفُه (١) الطيرُ أو تهوِى بِه الريحُ فى مكانٍ (٢) سَحِيق . وقد ناجَاه أملُه أنِ هذه الشَّكَاةَ لا تلْبثُ إلاَّ لَبْثَ الزَّائرِ عندَ المَزُور ، وأنَّها لم تأتِ (٣) إلاَّ لتُظْهِرَ ما عندَ الناسِ من مَوَدَّاتِ الصُّدُور . فكَمْ مِن أيْدٍ بالدعاءِ مَمْدُودَة ، ونذورٍ عندَ اللهِ مُعَدَّةٌ (٤) ، وليستْ بمَعْدُودَة (٥) . وكمْ من آخذٍ بالخَبَرِ النَّبوىِّ فى جَعْلِ الصدقةِ طَبِيبًا ، ومِنْ [مُتفائِلٍ] (٦) بأحاديثِ مَنامِهِ ثمّ لا يُحَدِّثُ بِها إلاَّ لبيبًا أو حبيبًا . وللخادمِ مِن ذلك مَزِيَّةٌ يَشْهَدُ بِها لسانُ الضميرِ الذى هو أصدقُ لِسَان . وهى خُزَيْمِيَّةُ النَّسَبِ لاتحتاجُ (٧) معَها إلى شاهِدٍ ثَان .

فى هذا الكلام ثلاثةُ أخبارٍ الأوَّلُ قولُ النبى ﷺ **داوُوا مَرْضَاكُم بالصَّدَقَةِ** (٨) . الثّانى (٩) قولُه ﷺ : **رُؤيا المؤمنِ جُزْءٌ مِن أربعينَ جُزءًا مِن النُّبوَّةِ ، وهى على رِجْلِ طائرٍ ؛ ما لم يُحَدِّثْ بِهَا ؛ فإذا حَدَّثَ بِها سَقَطَتْ ، ولا يُحَدِّثْ بِها إلاَّ لبيبًا أو حبيبًا** (١٠) . الثَّالِثُ (١١) : **أنَّ النَّبِيَّ ﷺ ابْتَاعَ مِن أعْرابِىٍّ فَرَسًا ، واسْتَتْبَعَهُ**

---

(١) فى ت ، وط : « فتخطفه » .

(٢) فى ت : « من مكان » والآية فى سورة الحج / ٣١ .

(٣) فى ع : « يأت » خطأ .

(٤) فى الأصل : « معدودة » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وع .

(٥) فى ت : « معدودة » .

(٦) فى الأصل ، وت : « متفأل » خطأ ، وما أثبته من ط .

(٧) فى ع : « لا يحتاج » خطأ .

(٨) سنن البيهقى الكبرى ٣/ ٣٨٢/رقم ٦٣٨٥ ، وكشف الخفا ١/ ٤٣٣/ رقم ١١٤٨ . . . فى سنده فضالة بن جبير صاحب مناكير ، ورواه الطبرانى . . . وفى سنده غياث مجهول . . . قال البيهقى إنه منكر بهذا الإسناد .

(٩) فى ع : « والثانى » .

(١٠) سنن الترمذى ٤/ ٥٣٦/ رقم ٢٢٧٨ ، والمستدرك على الصحيحين ٤/ ٤٣٢/رقم ٨١٧٥ ، مسند أحمد ٤/ ١٠/رقم ١٦٢٢٨ باختلاف فى الرواية .

(١١) فى ع : « والثالث » .

إلى مَنزلِه ليَقْبِضَهُ الثَّمَنَ ، وأسرعَ النَّبِيُّ ﷺ ، وأَبْطأَ الأَعْرابِيُّ ، فَطَفِقَ ناسٌ (١) يُساوِمُونَهُ الفَرَسَ ، ولا يشعرونَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ (٢) ابْتَاعَهُ منه ، فنادَى الأَعْرابِيُّ ، وقالَ (٣) : إنْ كُنْتَ مُبتاعًا هذا الفَرَسَ ؛ وإلاَّ بِعْتُهُ . فخرجَ إليه رسولُ الله ﷺ (٤) ، وقالَ : أَلَمْ تَبِعْنِيهِ ؟ . فقالَ الأعرابِيُّ : لا . فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : بَلَى (٥) . قد ابْتَعْتُهُ منك . فقالَ : هَلُمَّ شاهدًا . فاجتازَ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ (٦) فقالَ : أنَا أَشْهَدُ . فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ (٧) : بِمَ (٨) تَشْهَدُ يا خُزَيْمَةُ ؟. فقالَ : بتصديقِكَ يا رسولَ اللهِ . فجَعَلَ شِهَادَتَهُ بِشِهَادَتَيْنِ .

وفى هذا الكلامِ أيضًا (٩) آيةٌ مِن القُرْآنِ (*) مُضافةٌ إلى الأخبارِ النبويَّةِ (١٠) .

ومن هذا القسمِ ما ذكرتُه فى فصلٍ من كتابٍ يتضمَّنُ وصفَ الحزمِ ، فقلتُ : الحَزْمُ عُرْوَةٌ بِها يُسْتَمْسَكُ ، وهو كالفُرصةِ التى إن ضُيِّعَتْ فلا تُسْتَدْرَكُ . وقد قامتِ

---

(١) فى ط : « أناس » .

(٢) فى ت : « صلى الله عليه » .

(٣) « وقال » سقطت من ت ، وط .

(٤) فى ت : « صلى الله عليه » .

(٥) « بلى » سقطت من ط ، وع .

(٦) أبو عمارة خزيمة بن ثابت الأنصارى الخطمى ؛ ذو الشهادتين ، قاتل فى صفوف الإمام على كرم الله وجهه ، وقتل يوم صفين . البداية والنهاية ٧/ ٣١١ ، والإصابة ٢/ ٢٧٨ ، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٤٨٥ وما بعدها .

(٧) « ﷺ » سقطت من ت .

(٨) « بم » سقطت من ط .

(٩) « أيضا » سقطت من ط .

(*) الآية المشار إليها « وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ الرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ » الحج / ٣١ .

(١٠) « النبوية » سقطت من ت ، وط ، وع ؛ والحديث فى المستدرك على الصحيحين ٢/ ٢١/ رقم ٢١٨٧ ، وسنن أبى داود ٣/ ٣٠٨/ رقم ٣٦٠٧ ، وسنن النسائى المجتبى ٧/ ٣٠١/ رقم ٤٦٤٧ باختلاف فى الرواية .

التجاربُ فيهِ بالإنْذَار ، وعُرِفَتْ مواقعُ الحِذَار فإنْ شِئْتَ أنْ تُدْعَى حازِمًا ؛ فلا تأخذْ بالعزائمِ الضَّعِيفَة ، ولا تُهْمِلْ الأمورَ فى أوَّلِهَا حتَّى تأتىَ وهى رَدِيفَة .

واعْلَمْ أنَّ الحُسَيْنَ لم يُقْتَلْ فى يومِ (١) كَرْبلاءَ وإنَّمَا قُتِلَ فى يَوْمِ السَّقِيفَة (٢) .

[فى هذا الكلامِ] (٣) مَعْنَى الأَثَرِ المَنْقُولِ فى [قصةِ] (٤) يومِ السقيفةِ » (٥) .

ومن هذا النوعِ (٦) ما ذكرتُه فى فصلٍ من كتابٍ يتضمَّنُ ذِكْرَ قتالِ الكفارِ ، ووصفْتُ فيه المسلمينَ ؛ فقلتُ : وما منهم إلاَّ مَن مَشَى إلى [الحِمَامِ] (٧) مَشْىَ عُمَيْرِ بْنِ الحِمَامِ (٨) ، ورأَى حياةَ يومِه طويلةً ، فقَصَّرها بمبادرَةِ [الإقْدَام] (٩) ، ولا يغلُو ذلك لِمَن وَجَدَ سلعةَ اللهِ سُوقا (١٠) ، وأحبَّ أنْ يكونَ بعْد موتِه حيًّا مَرْزُوقا . وهؤلاءِ هُمْ سيوفُ اللهِ التى إذا جُرِّدَتْ زالتِ الهامُ عن مناكِبِهَا ، واستوَى فى القتلِ نَفْسُ (١١) مضروبِهَا وضارِبِهَا . فلا عليْها إذا جاهدتْ (١٢) صابرةً ، مُحتسبةً ما كانَ مِن مَوَارِدِ هُلْكِهَا ، ولا أَلَمَ عندَها للكُلُومِ إذا جاءتْ يومَ القيامَةِ ، ولونُهَا لَوْنُ دَمِهَا ، وريحُها رِيحُ مِسْكِهَا .

---

(١) فى ت ، وع : « لم يقتل يوم كربلاء » ؛ وفى ط : « لم يقتل كربلاء » .
(٢) فى ت ، وع : « قتل يوم السقيفة » .
(٣) فى الأصل : « ومن هذا النوع معنى الأثر المنقول » حيث انتقلت عين الناسخ إلى السطر التالى ؛ وبه لا يستقيم المعنى ؛ وما أثبته بين المعقوفين من ت ، وط ، وع .
(٤) الزيادة من ت ، وط ، وع .
(٥) نهاية خرم وقع في م ، ون يبدأ من أول السطر الثالث فى ص ٣٨٠ .
(٦) فى م ، ون : « القسم » .
(٧) غير مقروءة فى الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٨) عمير بن الحمام من بنى سلمة ثم من بنى حرام بن كعب بن غنم بن سلمة ممن شهد بدرا مع رسول الله ﷺ ، المستدرك على الصحيحين ٣/٤٨١ / رقم ٥٧٩٧ .
(٩) فى الأصل بخط مختلف : « التقديم » ؛ وبها لا يستقيم السجع ولا المعنى ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، وع ؛ وفى ن : « تقصر بمبادرة الإقدام » .
(١٠) فى م : « وجد الله سلعة الله عالية ، فجعل لسلعة الله سوقا » وهى عبارة مضطربة .
(١١) « نفس » سقطت من ع . (١٢) فى ع : « جاهرت » تحريفا .

وهذا الفصلُ غريبٌ عجيبٌ ، وقد اغْتُرِفَ (١) من بحرٍ لا من قَلِيبٍ . وفيه ما هو مأخوذٌ من الأخبارِ النبويَّةِ ، وما هو مأخوذٌ من القُرآنِ ، وإنَّما نذْكُر (٢) ههُنا الأخبارَ دونَ القُرآنِ لأنَّه من مُهِمِّ هذا المَوْضِعِ دونَ غيرِه (٣)

وههُنا معنَى ثلاثةِ أخبارٍ : الأوَّلُ ما وَرَدَ فى حديثِ غزوةِ بَدْرٍ ، وهو أنَّه قالَ النَّبىُّ ﷺ : قُومُوا إلى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتِ والأرضُ . فقالَ عُمَيْرُ بْنُ الحمَامِ : بَخٍ بَخٍ يا رسولَ اللهِ . فقالَ له (٤) : ما حَمَلَكَ على قولِكَ : بَخٍ بَخٍ ؟ . قالَ : رجاءَ أنْ أكونَ مِن أهلِهَا . فقالَ : أنتَ مِن أهلِهَا (٥) ، فأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِن قَرَنِهِ (٦) ، وجعلَ يأكلُ ؛ ثمَّ ألقاهَا مِن يَدِهِ (٧) ؛ وقالَ : إنْ حَيِيتُ حتَّى آكُلَ تَمْرَاتِى هذِهِ إنَّها لحياةٌ طويلةٌ (٨) . ثمَّ مَشَى إلى العَدُوِّ ، وقاتَلَ (٩) حتَّى قُتِلَ (١٠)

والثَّانى : قولُه ﷺ : أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ . أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجَنَّةُ (١١)

---

(١) فى م : « اعترف » تصحيفا ؛ وفى ت : « اغْتَرَفَ » .

(٢) فى ن : « يذكر » .

(٣) هذه العبارة غير مستقيمة المعنى لأن الضمير فيها يعود على القرآن وحتى يعود على الأخبار تكون : « وإنما نذكر ههنا الأخبار دون القرآن ، لأنها من مهم هذا الموضع دون غيرها » .

(٤) فى الأصل : « قال » ؛ وفى ت : « فقال » ؛ وما أثبته من ط ، وم ، ون ، وع .

(٥) فى ن : « أنت منهم » .

(٦) فى ط : « قربه » ؛ والقَرَن : الجُعبة ، النهاية فى غريب الحديث ٤/ ٥٥ ، واللسان مادة (ق ر ن) .

(٧) فى م : « يديه » .

(٨) فى م : « فالحياة طويلة » .

(٩) فى ت : « فقاتل » .

(١٠) صحيح مسلم ٣/ ١٥١٠/ رقم ١٩٠١ ، والمستدرك على الصحيحين ٣/ ٤٨١/ رقم ٥٧٩٨ ، ومسند أحمد ٣/ ١٣٦/ رقم ١٢٤٢١ .

(١١) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٣٤٣/ رقم ٧٨٥١ و ٧٨٥٢ ، وسنن الترمذى ٤ / ٦٣٣ / رقم ٢٤٥٠ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٧٩ .

والثَّالِثُ ما وَرَدَ عن النَّبِيِّ ﷺ فى فضْلِ [١] الجهادِ ، وهو قولُه : والذِى نَفْسُ محمَّدٍ بيدِهِ ما مِن كَلْمٍ يُكْلَمُ فى سبيلِ اللهِ إلاَّ جاءَ يومَ القيامةِ لَوْنُهُ [٢] لَوْنُ دَمٍ ، وريحُه رِيحُ مِسْكٍ [٣] . « وفيه أيضًا معنَى آيةٍ مِن القرآنِ ، وهى قولُه تعالَى : وَلاَ تَحْسَبَنَّ [٤] الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ [٥] . إلاَّ أنَّ هذا المَوْضِعَ مُخْتَصٌّ بالأخبارِ دونَ الآياتِ . فإذا وَرَدَ فيه معنَى آيةٍ ؛ فإنَّما يأتِى ضِمْنًا وتَبَعًا » [٦]

ومن هذا الأسلوبِ ما ذكرتُه فى تهذيبِ النَّفْسِ ، وهو [٧] : القلوبُ مُتجاذِبةٌ بينَ لَمَّةِ [*] مَلَكٍ ، ولَمَّةِ شَيْطَان ، وهُما فى هدايتِهَا ، وإغوائِهَا [٨] ؛ كفَرَسَىْ رِهَان ؛ ولهذا تردَّدتْ [٩] أعمالُها فى الخيرِ مرةً وفى الشرِّ أخْرَى ، وقالَ اللهُ في مِثلها [١٠] : فذكِّرْ إنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى [١١] . وعلى كلِّ حالٍ فلا يصفُو [١٢] مَن كانَ من الحَمَأ صورةُ خَلْقِه . وكم [١٣] يبلغُ فى النزاهةِ مِن الأدناسِ مَن شاركتْه [١٤] البَهيمةُ فى

---

(١) فى م : « فصل » تصحيفا .

(٢) فى ت ، وم ، ون ، وع : « ولونه » .

(٣) البخارى ٣/ ١٠٣٢/رقم ٢٦٤٩ ، ومسلم ٣/ ١٤٩٥/ رقم ١٨٧٦ ، والترمذى ٤/ ١٨٤/ رقم ١٦٥٦ وروايته : ".. كهيئته يوم كلم "... .

(٤) فى ع : « فلا تحسبن » خطأ .

(٥) آل عمران / ١٦٩

(٦) ما بين علامتى التنصيص سقط من م ، ون .

(٧) « وهو » سقطت من ن .

(*) اللَّمَّةُ : الهِمَّة والخَطْرَة تقع فى القلب أراد إلْمام الملَك أو الشيطان به والقُرب منه . النهاية فى غريب الحديث ٤ / ٢٧٣ فى (ل م م) .

(٨) فى ن : « وغوايتها » .

(٩) فى ن : « تردد » . (١٠) فى ن : « فى كتابه » .

(١١) سورة الأعلى / ٩ ؛ وفى ت ، وم ، وع : « وذكر إن نفعت الذكرى » .

(١٢) فى ن : « فلا يستقر » .

(١٣) فى ن ، وع : « ولم » تحريفا . الحَمْأَةُ والحَمَأُ : الطين الأسود المُنتن . اللسان (ح م أ) .

(١٤) فى ن : « شاكلته » .

مَعنى خَلْقِه . والسلامةُ مخصوصةٌ بمَن أعانَه اللهُ على قرينِهِ [١] ؛ فأسلم ، وجعلَ عِلْمَهُ مِن لَدُنْهُ [٢] ، فلم يفتقرْ إلى التعليمِ فيمَا يَعْلَم .

فى هذا الكلامِ معانٍ من القرآنِ ، وليس هذا من [٣] بابِه ، وإنَّما جاءَ فى هذا الفصلِ ضمنًا وتَبَعًا . وقد تضمَّنَ معنيينِ من الأخبارِ النبويَّةِ : أحدُهما قولُ النَّبيِّ ﷺ : ما منكم مِن أَحَدٍ إلاَّ وقد وُكِّلَ [٤] به قرينُه مِن الملائكةِ ، وقرينُه مِن الشَّياطِينِ [٥] . فقالُوا : وأنتَ يارسولَ اللهِ ؟. قالَ : وأنا ؛ إلاَّ أنَّ اللهَ أعَانَنى عليْه فأسلمَ [٦] . والآخرُ [٧] قولُه ﷺ : قَلْبُ المُؤمنِ بينَ لَمَّةِ مَلَكٍ ، ولَمَّةِ شَيْطَانٍ [٨]

« ومن هذا البابِ ما ذكرتُه فى فصلٍ من كتابٍ إلى بعضِ العُصاةِ [وكانَ قد] [٩] أذْعَنَ بعْد عِصيانِهِ ، وهو [١٠] : لقد حذَّرْناك عُقْبَى الشِّقَاقِ فلم يَكُنْ لك إلى ذلك القولِ إصْغَاء ، وأتَيْتَ الآنَ [١١] كالذى يأتِى يومَ القِيَامَةِ ، وعلى رقبتِه جَمَلٌ له رُغَاء ، أو شاةٌ لها ثُغَاء ؛ وكما لم يُغْنِ رسولُ اللهِ شيئًا عنْ [١٢] صاحبِ الشاةِ

(١) فى ع : « قرينة » تصحيفا .
(٢) فى م : « من لديه » تصحيفا .
(٣) « من » سقطت من ت .
(٤) فى ن : « إلا وكل » .
(٥) فى م : « الشيطان » .
(٦) صحيح مسلم ٤/٢١٦٨/ رقم ٢٨١٤ و ٢٨١٥ ، ومسند أحمد ١/٣٩٧/ رقم ٣٧٧٩ باختلاف فى الرواية .
(٧) فى ط : « الآخر » .
(٨) الترمذى ٥/ ٢٩١/ رقم ٢٩٨٨ ، وابن حبان ٣/ ٢٧٨/ رقم ٩٩٧ ، والسنن الكبرى ٦/ ٣٠٥/ رقم ١١٠٥١ باختلاف فى الرواية .
(٩) ما بين المعقوفين زيادة من ت .
(١٠) فى ت : « ولقد » ؛ وفى ط : « وهو : ولقد » .
(١١) فى ت : « اليوم » ؛ وفى ط : « وأتيت كالذى » .
(١٢) فى ط : « على » . الرُّغاءُ : صَوتُ ذواتِ الخُفِّ . اللسان فى (ر غ و) . والثُّغاءُ : صوتُ الشاء والمَعَز وما شاكلها . اللسان فى (ث غ و) .

والجَمَل . فكذلكَ [١] لا يُغْنى الشُّفعاء عنْك شيئًا فيما قدَّمْته مِن الخَطَلِ [٢] والزَلَل . والتوبة وإن [٣] جَبَّتْ ما قبْلها فإنَّها مُعتبرةٌ فيمَن نَدِمَ على ما فَات ، وأَخْلَصَ فيمَا هو آت ، وأمَّا مَن يُظْهِرُ أمرًا ، ويُبْطِنُ خِلافَه فإنَّه لا يَلِجُ بَابَها ، ولا يرجُو ثوابَها .

فى هذا الفصلِ معنَى خَبَرٍ نَبوِىٍّ ، وهو أنَّ النَّبِىَّ ﷺ ، قامَ ذاتَ يومٍ فَخَطَبَ ، وذَكَرَ الغُلُولَ ؛ فعظَّم مِن أمرِه . ثمَّ قالَ : لا أُلْفِيَنَّ أحدًا منْكم [٤] يجىءُ يومَ القيامةِ ، وعلى رقبتِه جَمَلٌ لَه رُغَاءٌ . فيقولُ : يا رسولَ اللهِ أغثْنى ! ؛ فأقولُ : لا أمْلِك لكَ شيئًا ؛ قد بَلَّغْتُكَ . لا أُلْفِيَنَّ أحدًا منكم يجىءُ يومَ القيامةِ ، وعلى رقبتِه شاةٌ لهَا ثُغَاءٌ . فيقولُ : يا رسولَ اللهِ أغثْنى ؛ فأقولُ : لا أمْلِكُ لكَ شيئًا ؛ قد بَلَّغْتُكَ [٥] .

فانظرْ إلى هذا الخبرِ ، وإلى ما صنعْته [٦] أنا فى المعْنى الذى قصدْتُه . حتَّى تدْرِى كيفَ تُقْصَدُ المَعانى [٧] المأخوذةُ مِن الأخبارِ النبويَّةِ » [٨]

ومن هذا البابِ ما ذكرتُه فى ذَمِّ الزمانِ ، وهو : وهذا [٩] زَمَنُ الفَتْرَةِ الذى [١٠]

---

(١) فى ع : « وكذلك » .

(٢) فى ت : « الحظل » تصحيفا . والخاطل : الأحمق العَجِل . اللسان فى (خ ط ل) .

(٣) فى ع : « إن » . الزَّلَل : الخطأ والذنب . اللسان فى (ز ل ل) .

(٤) فى ت : « أحدكم » . الغُلُول : الخيانة فى المغْنَم والسَّرِقَة من الغَنِيمة قبل القِسْمة . اللسان فى (غ ل ل) . والنهاية فى غريب الحديث ٣ / ٣٨٠ .

(٥) البخارى ٣/١١١٨/ رقم ٢٩٠٨ ، و مسلم ٣/ ١٤٦١/ رقم ١٨٣١ ، ومسند أحمد ٢/ ٤٢٦/ رقم ٩٤٩٩ .

(٦) فى ت ، وع : « صغته » .

(٧) فى ت ، وط : « تقصد إلى المعانى » .

(٨) نهاية خرم وقع فى م ، ون ؛ بدأ من الصفحة السابقة .

(٩) فى ن : « هذا » .

(١٠) فى م : « هذا ومن الفترة الذى » وهى عبارة مضطربة . الفَتْرَةُ : الزمان الذى انقطعت فيه الرسالة . اللسان فى (ف ت ر) .

فى مِثله تَدُولُ الدُّوَل ، وتُنْسَخُ المِلَل (١) ؛ فالناسُ فيه (٢) يَتَهَارَجُونَ تَهَارُجَ الحُمُر ، ويَتَهَارَشُونَ تَهَارُش ذواتِ النَّابِ والظُّفُر . فهُم [فَوْضَى] (٣) لا تذُودُهم (٤) سَرَاتُهم ، ولا تَسُودُهم (٥) إلاَّ شُرَاتُهم .

فى هذا الكلامِ معنًى من (٦) الأخبارِ النبويّةِ ، وهو قَوْلُ النَّبِىّ ﷺ فى حديثِ الدجَّالِ ، وعِيسَى بْنِ مَرْيَم عليْه السَّلامُ ، وهو حديثٌ مطوَّلٌ ، لاحاجةَ إلى ذكْرِه بجُملتِه ، بل نذكرُ (٧) الغرضَ المقصودَ منْه ، وهو قولُه ﷺ : **ثمَّ يَبْعَثُ اللهُ ريحًا طَيِّبَةً ؛ فتأخذُ (٨) الناسَ مِن تَحتِ إبَاطِهِم ؛ فَتَقْبِضُ (٩) روحَ كلِّ مؤمنٍ ومسلمٍ ، ويبقَى (١٠) شِرَارُ الناسِ يَتَهَارَجُونَ تَهَارُجَ الحُمُرِ ، فعليهم تقومُ الساعةُ (١١)**

ومن هذا البابِ ما ذكرتُه فى المَوَدَّاتِ ، وهو : لولا تَنَقُّلُ القلوبِ مِن شأنٍ إلى شأنٍ لمَا قيلَ : إنَّها بينَ إصبعَين مِن أصابعِ الرَّحْمَنِ ؛ فهى تَنْأَى ، وتَقْرُب .

---

(١) فى ع : « الملك » تحريفا .

(٢) فى ت : « فيها » خطأ ؛ وفى ن : « به » .

(٣) ممحوة فى الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع . التهارش : التقاتل .

(٤) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « لا يذودهم » .

(٥) فى ط ، وم ، ون : « ولا يسودهم » ، **وهذا المعنى مأخوذ من قول الأفوه الأودى** ، وهو من البسيط :

لا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لا سَرَاةَ لهُم
ولا سَرَاةَ إذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا

راجع المزهر فى علوم اللغة ١ / ١٢٩ ، وروضة العقلاء / ٢٧٠ . الشراة : الخوارج .

(٦) فى ع : « أمر » تحريفا .   (٧) فى م ، ون : « يذكر » .

(٨) فى م : « فيأخذ » خطأ .

(٩) فى م : « فيقبض » خطأ ؛ وفى ن : « فتفيظ » .

(١٠) فى ع : « وتبقى » .

(١١) مسلم ٤/٢٢٥٤/ رقم ٢٩٣٧ ، والترمذى ٤/٥١٠/ رقم ٢٢٤٠ ، وابن ماجه ٢/ ١٣٥٨/ رقم ٤٠٧٥ . والتَّهارُج : التناكح . اللسان فى (هـ ر ج) .

وتأبَى [(١)] وتَصْحَب . ومن رَامَ بَقَاءَهَا على حالةٍ واحدةٍ [(٢)] ؛ فقد كَلَّفَهَا غيرَ خُلُقِهَا ، وسَلَكَ بِها فى غَيْرِ طُرُقِهَا ، وفى هذا أدبٌ لِمَن آخَى صَدِيقا ، أو صَاحَبَ [(٣)] رَفِيقا ؛ ليكونَ لَه عَاذِرا [(٤)] ، وعلى ما يرِيدُه [(٥)] منه صَابِرا

فى هذا الكلامِ [(٦)] معنًى [(٧)] خَبَرٍ مِن الأخبارِ [النبويَّةِ] [(٨)] ، وهو قولُ النَّبِيِّ ﷺ : قُلوبُ بَنِى آدمَ بينَ إصبعَين من أصابعِ الرَّحْمَنِ ، يُصَرِّفُهَا حيثُ يشاءُ ؛ كقلْب رَجُلٍ وَاحِدٍ [(٩)]

« وكذلك قلتُ فى فصلٍ آخرَ من جُملةِ كتابٍ ، وهو : كنتُ عندَه بالمَنْزِلَةِ التى آمَنُ بِها ما أجْنيه [(١٠)] فصِرْتُ الآنَ أخافُ ما لم أجْنِهِ [(١١)] ، وكانَ لا يقبلُ عَلَىَّ شِهادَةَ عَيْنِهِ فأصبحَ الآنَ وهو يَقْبَلُ شِهادةَ أُذْنِهِ . لكنْ لم يجعلِ اللهُ القلوبَ بينَ إصبعَين مِن أصابِعِهِ إلاَّ ليذْهبَ بِها فى كلِّ وَاد ، ومِن ههُنا كانتْ تَنْتَقِلُ مِن وِدَادٍ إِلَى قِلَى ، ومن قِلًى إلى وِدَاد ؛ ولا شكَّ أنَّ لَها بينَ الخُلَّتَيْنِ [(١٢)] عُمْرًا تنتهِى إليْه كَمَا تنتهِى أعمارُ [(١٣)] الأجْسَاد . والصبرُ خيرُ مَا اسْتُعْمِلَ فى جفاءِ الإخْوَان . والماءُ إذَا جَرَى فى مكانٍ ثمَّ انْحَرَفَ عنه فلا بُدَّ وأنْ [(١٤)] يعودَ إلى ذلكَ المَكَان » [(١٥)]

---

(١) فى م : « تنأى » تحريفا . (٢) « واحدة » سقطت من م .

(٣) فى م : « وصاحب » . (٤) فى ع : « غادرا » تصحيفا .

(٥) فى ت ، وط ، ون : « ما يريبه » ؛ و غير مقروءة فى م .

(٦) فى ت : « الفصل » . (٧) « معنى » سقطت من م .

(٨) الزيادة من ت .

(٩) مسلم ٤/ ٢٠٤٥/ رقم ٢٦٥٤ ، ومسند أحمد ٢/ ١٦٨/ رقم ٦٥٦٩ ، والسنن الكبرى ٤/ ٤١٤/ رقم ٧٧٣٩ .

(١٠) فى ع : « ما أخبيه » تصحيفا . (١١) فى ع : « أخبه » تصحيفا .

(١٢) فى الأصل : « لهاتين الخلتين » ؛ وفى ت : « لها بين الحالتين » ؛ وما أثبته من ع .

(١٣) فى ت : « كما تنتهى إليه أعمار الأجساد » .

(١٤) فى ط : « فلابد أن » .

(١٥) مابين علامتى التنصيص سقط من م ، و ن .

ومن [١] هذا البابِ ما ذكرتُه فى فصلٍ من كتابٍ يتضمَّنُ فَتحًا مِن فُتوح الكفَّارِ ، فذكرْتُ فيهِ المُسلمين ، وحراستَهم [٢] العَدُوَّ ، وهو : فباتُوا يحرُسون العدوَّ بإحدى العينيْن اللَّتَينِ [٣] لا تمسُّهما النارُ ، وفازُوا بأجرِ القَائِمِ الصَّائِمِ [٤] ، ولا الأقدامُ منتصبةٌ ، ولا الأكبادُ حِرَار [٥]

فى هذه الكلماتِ اليسيرةِ معنَى خَبَرَيْنِ من الأخبارِ النبويَّةِ : أحدُهما قولُه ﷺ : عينانِ لا تَمَسُّهما [٦] النارُ : عينٌ بَكَتْ مِن خَشْيَةِ اللهِ ، وعينٌ بَاتَتْ تحرُس فى سبيلِ اللهِ [٧] . والآخرُ قولُه ﷺ : للمجاهدِ أجرُ الصَّائِمِ القَائِم [٨]

وممَّا يجرِى على هذا النهجِ ما ذكرتُه [٩] فى صدرِ تقليدٍ بولايةٍ ، وهوِ : الفراسة تُغربُ عيونُها ، وتَصْدُقُ ظُنُونُهَا . والإنسانُ سِرٌّ مَكْنُونٌ ؛ يُظْهِرُهُ الاختبارُ ، ويُخْفِيه الاخْتِيَارُ . وقد عوَّلْنَا فى وِلايةِ فُلانةِ على فُلانٍ ، وما أَهَّلْنَاهُ لهَا حتى توسَّمْنَا منه ما يُتوسَّمُ مِن الصَّالِحِين ، وعَضَدْنَا رأيَنا فيهِ برَأْيِ مَن عندنا مِن النَّاصِحِين ، ونحنُ نسألُ اللهَ أنْ نكونَ [١٠] ممَّن حَظِيَ بالأجرَيْنِ فى اجتهادِهِ ، وارتادَ للرعيَّةِ [١١] ما رَاقَبَ جانبَ التَّقْوَى فى ارْتِيَادِه [١٢]

---

(١) فى الأصل : « وفى » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٢) فى ع : « ومراسلتهم » تحريفا .
(٣) فى الأصل : « التى » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(٤) فى ت ، ون : « الصائم القائم » .
(٥) فى م : « جرار » تصحيفا .
(٦) فى م : « لا يمسهما » .
(٧) الترمذى ٤/ ١٧٥/ رقم ١٦٣٩ ، ومسند الشهاب ١/ ٢١١ و ٢١٢ / رقم ٣١٩ و ٣٢٠ .
(٨) البخارى ٣/ ١٠٢٧/ رقم ٢٦٣٥ ، ومسلم ٣/ ١٤٩٨/ رقم ١٨٧٨ ، وموطأ مالك ٢/ ٤٤٣/ رقم ٩٥٦ ؛ وروايته : مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم . . . .
(٩) فى الاصل : « ومما يجرى على هذا النهج وهو ما ذكرته فى صدر تقليد بولاية وهو » وهى عبارة مضطربة ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، وع ؛ و « ما ذكرته » سقطت من ن .
(١٠) فى ع : « تكون » تصحيفا .
(١١) فى ت ، وم ، ون ، وع : « للرعايا » .
(١٢) فى ع : « لارتياده » .

قد [١] أودعتُ هذا الكلامَ معنَى خبريْنِ من الأخبارِ النبويَّةِ : أحدُهما قولُ النَّبِيِّ ﷺ : ابْنُ آدَمَ سِرٌّ [٢] مَكْنُونٌ ، تُظْهِرُهُ القُدْرَةُ ، ويُخْفِيه العَجْزُ [٣] .

وهذا موضعٌ أَخَذْتُ فيهِ بعضَ اللفظِ ، وتَصَرَّفْتُ فيِه في [٤] الباقِي على حسبِ ما اقْتَضَاهُ موضعُه .

والخبرُ الآخَرُ [٥] قولُه ﷺ : مَنْ اجْتَهَدَ فأصَابَ ؛ فلَه أجرانِ ، ومَنْ [٦] اجْتَهَدَ فأخْطَأَ ؛ فلَه أَجْرٌ [٧]

ومما ينتظِمُ بهذا السِّلْكِ ما ذكرتُه في وَصْفِ الحِلْمِ ، وهو : تركتُه حتَّى سَلَكَ ما سَلَكَ ، وقالَ فمَا تَرَك ، ولم أنْتصرْ خوفًا من قُعودِ الشَّيطانِ ، وقِيامِ المَلَك [٨]

وهذا المعنَى قد ذكرتُه بلفظٍ آخَرَ ، وأوردتُه في كتابِ المَثَلِ السَّائِرِ فِي أَدَبِ الكَاتِبِ والشَّاعِرِ ، وهو مأخوذٌ مِن الأخبارِ النبويَّةِ ، وهو : أنَّه وَقَعَ رَجُلٌ بأبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ [٩] رَضِيَ اللهُ عنه ، فنالَ منه ؛ فسَكَتَ ، ثمَّ نالَ منه ؛ فسَكَتَ ، ثمَّ نالَ منه ؛ فانتصرَ في المرَّةِ الثَّالِثَةِ ، فقامَ رسولُ اللهِ ﷺ . فقالَ لَه أبو بكرٍ [رَضِيَ اللهُ عنه] [١٠] : أَوَجِدْتَ [١١] عليَّ [يا رسولَ اللهِ] [١٢] حيثُ انتصرْت ؟. فقالَ لَه

---

(١) في م ، وع : « وقد » . (٢) في ع : « شر » تصحيفا .

(٣) لم أجد له أصلا في ما تحت يدي من مصادر .

(٤) في ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « وتصرفت في الباقي » .

(٥) في ط : « والخبر الآخر » . (٦) في ط « ولمن » خطأ .

(٧) في م : « فله أجر واحد » . والحديث في البخاري ٦/ ٢٦٧٦/ رقم ٦٩١٩ ، ومسلم ٣/ ١٣٤٢/ رقم ١٧١٦ ، والترمذي ٣/ ٦١٥/ رقم ١٣٢٦ ، وابن ماجه ٢/ ٧٧٦/ رقم ٢٣١٤ ، وسنن أبي داود ٣/ ٢٩٩/ رقم ٣٥٧٤ . مع اختلاف في الرواية .

(٨) في ط : « المَلِك » خطأ .

(٩) « الصديق » غير موجودة في ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(١٠) الزيادة من م .

(١١) في م : « وجدت » خطأ . أوجدت : أغضبت .

(١٢) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون .

كانَ [١] كُلَّمَا قالَ لكَ شيئًا كذَّبه المَلَكُ بِما يقولُ . فلمَّا انتصرْتَ قامَ المَلَكُ ، وقَعَدَ الشَّيْطَانُ، وما كنتُ [٢] لأَقْعُدَ حيثُ قَعَدَ الشَّيْطَانُ [٣] .

وهذا مِن أغربِ ما يجيءُ فى حلِّ الأخبارِ النبويَّةِ .

« ومن هذا القسمِ ما ذكرتُه في وصفِ كريمٍ ، فقلْت : بيوتُ أموالِه لا تُحْرَسُ بحارِس ، وعَذَارَى إعطائِهِ [٤] كالبَغَايا لا تَرُدُّ يَدَ لامِس . فهو الغَيورُ [٥] إلاَّ على كرائمِ أموالِه ، وحَرَمُهُ هو المَصُونُ إلاَّ عَنْ سُؤَّالِه .

فى هذا شىءٌ مِن مَعانى [٦] الأخبارِ النبويَّةِ ، وهو : أنَّه جاءَ رَجلٌ [٧] إلى رسولِ اللهِ [٨] ﷺ فقالَ : يا رسولَ اللهِ إنَّ امْرَأَتِى لا تَرُدُّ يَدَ لامِسٍ ، فقالَ : طَلِّقْهَا . فقالَ : إنِّى أُحِبُّهَا . فقالَ : أَمْسِكْهَا » [٩]

ومن هذا القسمِ أيضًا ما ذكرتُه فى وصفِ الأخوَّةِ والصَّداقةِ ، وهو : يومُه فى الصُّحبةِ [١٠] كَغَدِه ، ولسانُه فى الطَّهارةِ كَيَدِه . لا يَخفُرُ [١١] لأخيهِ قَلِيبا ،

---

(١) فى ت : « فقال كان » ؛ وفى م : « فقال له كلما » .

(٢) فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « ولم أكن » .

(٣) سنن أبى داود ٤/ ٢٧٤/ رقم ٤٨٩٦ ، ومسند أحمد ٢/ ٤٣٦/ رقم ٩٦٢٢ ، والمعجم الأوسط ٧/ ١٨٩/ رقم ٧٢٣٩ ، وشعب الإيمان ٥/ ٢٨٤/ رقم ٦٦٦٩ مع اختلاف فى الرواية . وفى المثل السائر ١ / ١٤٠ .

(٤) فى ت ، وط ، وع : « عطائه » .

(٥) فى ت : « الكريم » .

(٦) « معانى » سقطت من ط .

(٧) « رجل » سقطت من ع .

(٨) فى ت ، وط ، وع : « النبى » .

(٩) نهاية خرم وقع فى م ، ون بدأ فى الصفحة السابقة ، والحديث فى سنن البيهقى الكبرى ٧/ ١٥٤/ رقم ١٣٦٤٩ ، وسنن أبى داود ٢/ ٢٢٠/ رقم ٢٠٤٩ ، والنسائى ٦/ ١٦٩/ رقم ٣٤٦٤ مع اختلاف فى الرواية .

(١٠) فى م : « الصحة » تحريفا .

(١١) فى ط : « لا تحفر » ؛ وفى م : « ولا يحفر » .

ولا يكونُ (١) على عَوْرَاتِهِ رَقِيبا . وهو (٢) مأخوذٌ من قولِ النَّبِيِّ ﷺ : مَنْ حَفَرَ لأخِيهِ المُؤْمِنِ قَلِيبًا ؛ أَلْقَاهُ اللهُ فِيهِ قَرِيبًا (٣)

ومن هذا القسمِ ما ذكرتُه فى فصلٍ من كتابٍ إلى بعضِ المُلوكِ ، وهو : إذا دَعَا النَّاسُ لمُلوكِهِم باعتلاءِ الشَّان ، ونَفَاذِ السُّلْطَان ؛ فإنَّ الخادِمَ يدعُو للناسِ ببقاءِ (٤) مولانا الذى بَسَطَ لَهُم قَلْبًا (٥) ويَدًا ، وبوَّأَهُم مِن إحْسانِه حيثُ شَاءُوا رَغَدًا ، وكانَ لكهلِهِم أخًا ولناشئِهِم والدًا ولكبيرِهِم وَلَدًا . فهُم مِن دولتِه فيمَا تشْتَهِى الأنْفُسُ ، وتلذُّ (٦) الأبْصَار ؛ قد جَمَعَ لهُم بينَ المَحْبُوبَاتِ الثَّلاثِ مِن الخَفْضِ ، والأَمْنِ ، والإكْثَار :

فَالَّذِى تُنْبِتُ (٧) البِلادُ سُرُورٌ (٨) وَالَّذِى تُمْطِرُ (٩) السَّمَاءُ مُدَامُ (١٠)

والأيامُ قد هَذَّبَتْهَا لَهُم أخلاقُه الكريمةُ ، فهى (١١) فى معامَلَتِهِم (١٢) أيامُ صَوْمٍ

(١) فى ط : « ولا تكون » .

(٢) فى ت ، وط ، وم ، وع : « وهذا » ؛ وفى ن : « هذا » .

(٣) المصنوع فى معرفة الموضوع ١٨٢/ رقم ٣٣١ ، و كشف الخفا ٢/٣٢١/ رقم ٢٤٦٤، قال الحافظ بن حجر : لم أجد له أصلا ، وإنما ذكره صاحب الأمثال بلفظ : من حفر لأخيه جبا ؛ أوقعه الله فيه منكبا ؛ وراجع تفسير القرطبى ١٤ / ٣٥٩ .

(٤) فى ن : « ببقاء الناس ببقاء » وهى عبارة مضطربة .

(٥) فى م : « له يدا » خطأ وسقوط كلمة » قلبا » .

(٦) فى م : « ويلذ » .

(٧) فى م ، ون : « ينبت » .

(٨) فى ع : « سرورا » خطأ .

(٩) فى م : « يمطر » .

(١٠) البيت من الخفيف فى ديوان المتنبى / ٢٥٠ وروايته :

والــذى ... والذى يمطر السحاب مدام

(١١) فى م : « فهو » .

(١٢) فى ن : « معاملاتهم » .

وصَلاة ، وفى صحبَتِهم كالبَلَدِ الحَرَام الذى لا يُنفذَرُ صَيْدُهُ ولا يُخْتَلَى خَلاه . ولا يُسْتَثْنَى منهم إلاَّ الخادِم ؛ فإنَّها ظَلَمَتْه ، ومَا يقولُ [١] إلاَّ أنَّها كَلَمَتْهُ ، وهو يُحَاكِمُهَا إلى عَدْلِهِ الذى يأخذُ على يَدِ كُلِّ [٢] مَنْ ظَلَم ، وقد أعزَّ اللهُ كَلِمَتَهُ ، ومَن عَزَّ حَكَم . وفحْوى شِكَايَتِهِ منها أنَّها أقْعَدَتْهُ عَن الخِدْمَةِ بمَرَضِه ، وسَدَّدَتْ [٣] إليْه سَهْمًا فكانتِ العافيةُ مِن غَرَضِه .

فى هذا الكلامِ معانٍ شريفةٌ ، وألفاظٌ لطيفةٌ ، وهو [٤] حَسَنٌ فى فَنِّه ، بديعٌ فى حُسْنِه ، وفيه مواضعُ [٥] من القرآنِ الكريمِ ، ويَشْتَمِلُ على معنًى واحدٍ مِن الأخبارِ النبويَّةِ ، وهو قولُ النَّبِيِّ ﷺ فى فَضْلِ مَكَّةَ ؛ فقالَ : إنَّ هذا البَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ يومَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأرْضَ ؛ فهو حرامٌ بحُرْمَةِ اللهِ إلى يوم القيامَةِ ، لا يُعْضَدُ شَوْكُه ، ولا يُنَفَّرُ صَيْدُه ، ولا تُلْتَقَطُ [٦] لُقَطَتُه إلاَّ مَنْ عَرَفَهَا ، ولا يُخْتَلَى خَلاهُ [٧]

ومن هذا الأسلوبِ ما ذكرتُه فى صدرِ [٨] كِتابٍ ، وهو :

يَا مَنْ إذَا قُلْتُ يَا مَنْ لا شَبِيهَ لَهُ
فِي جُودِهِ ؛ قِيلَ لِي : يَا أَصْدَقَ البَشَرِ [٩]

---

(١) فى م : « وما نقول » .

(٢) « كل » غير موجودة فى ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٣) فى ع : « وشددت » تصحيفا .

(٤) فى ع : « وقد » خطأ .

(٥) « مواضع » سقطت من م .

(٦) فى ط ، وم ون : « ولا يلتقط » .

(٧) فى ن : « خلاؤه » ؛ والحديث فى البخارى ٢/ ٦٥١/ رقم ١٧٣٧ ، ومسلم ٢/ ٩٨٦/ رقم ١٣٥٣ ، وابن حبان ٩/ ٣٦/ رقم ٣٧٢٠ ، والسنن الكبرى للنسائى ٢/ ٣٨٤/ رقم ٣٨٥٧ ، وتفسير القرطبى ٢/ ١١٨ .

(٨) « صدر » سقطت من م .

(٩) البيت من البسيط فى ديوان أبى تمام ٤/ ١٩٩ / ق ٢٥٣ ، وروايته :

لا نظير له فى حسنه

هذا نداءٌ يَعْذُبُ النطقُ به على الأفْوَاه ، وتَمْتَحُ (١) بِهِ قُلُبَ السَّمَاحِ لا قُلُبَ الأمْوَاه ؛ ولا يختصُّ بصدقِهِ إلاّ مَن كانَ نَدَاهُ عُمُوما ، وقامَتْ مَوَاهِبُهُ فى وجوهِ الحوادثِ خُصُوما . فذلكَ (٢) الذى إذا نُودِى جُودُهُ [بنفْيِ] (٣) التَّشْبِيهِ لَبَّتِ العلياءُ (٤) مَنْ نَادَاه ، وقالتْ : أنا وَلِيُّ مَن وَالاه ، وعَدُوٌّ مَنْ عَادَاه .

هذا من مطالعِ الكُتُبِ الغريبةِ [فيما قُصِدَ له من المعنَى] (٥) ، وهو يشهدُ لنفسِهِ ، وفيه معنَى [خَبَرٍ] (٦) واحدٍ (٧) من الأخبارِ النبويَّةِ ، وهو قولُ النَّبِيِّ ﷺ فى وصفِ عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ عليْه [أفضلُ] (٨) السَّلامِ ، وهو حديثٌ مطوَّلٌ لا حاجةَ إلى استقصاءِ ذِكْرِهِ (٩) . بل يُشَارُ إلى ذِكْرِ المعنَى المأخوذِ منه ، وهو قولُه (١٠) ﷺ : **اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَه ، وعَادِ مَنْ عَادَاه** (١١)

---

(١) فى م : « ويمتح » .

(٢) فى م : « فلذلك » خطأ .

(٣) فى الأصل بخط مختلف : « فى » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع ؛ وفى م : « ببقى » تصحيفا .

(٤) فى ن : « لعلياء » خطأ .

(٥) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٦) الزيادةمن ط .

(٧) « واحد » سقطت من م .

(٨) الزيادة من ط ؛ وفى ن : « رضى الله عنه » ؛ وفى ع : « على بن أبى طالب وهو » .

(٩) فى ع : « إلى استقصائه » بسقوط : « ذكره » .

(١٠) فى ط : « قول النبى » ؛ وفى ن : « وهو قول ﷺ » ؛ وفى ع : « وهو قول النبى عليه السلام » .

(١١) المستدرك على الصحيحين ٣/ ١١٨/ رقم ٤٥٧٦ ، و السنن الكبرى للنسائى ٥/ ٤٥/ رقم ٨١٤٨ ، ومسند أحمد ١/ ١١٨/ رقم ٩٥٠ ، والمعجم الأوسط ٢/ ٢٤/ رقم ١١١١ ؛ وفى ط مكتوب بهامش هذه الصفحة : « فيه حديث وال من والاه » بخط مختلف ؛ وفى م ، ون : « أنا ولى من والاه ، وعدو من عاداه » .

ومن هذا النوعِ ما ذكرتُه فى الأدعيةِ الموضوعةِ فى صُدورِ الكُتُبِ مِن [(١)] السُّلطانياتِ والإخْوَانيَّاتِ ، وقد تقدَّمَ مِثلةُ فيمَا أخذتُه مِن مَعانِى « القُرآنِ ، ومَعانِى الأشعارِ ، وههُنا أذكرُ ما أخذتُه مِن مَعانى » [(٢)] الأخبارِ النبويَّةِ ، فمنه ما أوردتُه فى صدرِ كتابٍ ، وهو : جَبَلَ [(٣)] اللهُ القلوبَ على وُدِّ الحَضْرَةِ السَّامِيَةِ الفُلانيَّةِ [(٤)] ، وشَفَى عَلِيلَ [(٥)] الصُّدورِ بِرُوَائِهَا ، وغَلِيلَ [(٦)] الآمَالِ بِإِرْوَائِهَا ، وجَعَلَ مَكارِمَهَا مَصُوغَةً [(٧)] مِنَ النفوسِ وأهْوَائِهَا ، ومَثَّلَهَا أُمًّا لكلِّ عَافٍ [(٨)] حتَّى تَجْمَعَ لَه بينَ وِعَائِهَا [(٩)] وسِقَائِها وحِوَائها .

هذا الدعاءُ مِن مَحاسِنِ الأدعيةِ التى تأتِى فى هذا البابِ ، ويَعِزُّ أن يُؤْتَى [(١٠)] بمثلِهِ ، وفيهِ مَعنيانِ من الأخبارِ النبويَّةِ : أحدُهما قولُ النَّبِىِّ [(١١)] ﷺ [(١٢)] : جُبِلَتْ القُلوبُ على حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إليْها [(١٣)] والآخَرُ : أنَّه جاءَتْ امرأةٌ إلى النَّبِىِّ ﷺ [(١٤)] ؛ فقالتْ : يا رسولَ اللهِ إنَّ هذا ابنِى كانَ ثَدْيِى لَه سِقَاءً ، وبَطْنِى لَه وِعَاءً ،

---

(١) « من » سقطت من م ؛ وفى ن : « فى صدر الكتب من » .
(٢) فى م : « وههنا ما أخذته من الأخبار » ؛ وما بين علامتى التنصيص سقط من ن .
(٣) فى ن : « جعل » تحريفا . (٤) فى ت : « الحضرة الفلانية » .
(٥) فى ت ، وط ، وم ، ون : « غليل » .
(٦) فى ط : « وعليل » .
(٧) فى جميع النسخ : « مصوغة » ، ولعلها : « مصونة » مصداقا لقوله تعالى : إن النفس لأمارة بالسوء .
(٨) فى ن : « عارف » . (٩) فى ع : « وغائها » تصحيفا .
(١٠) فى الأصل : « يأتى » خطأ ، والتصويب من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .
(١١) فى ن : « قوله » .
(١٢) فى ع : « عليه السلام » .
(١٣) مسند الشهاب ١/ ٣٥٠/ رقم ٥٩٩ ، وشعب الإيمان ١/ ٣٨١/ رقم ٤٦٦ ، والفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ١١١/ رقم ٢٥٨٨ .
(١٤) فى ع : « عليه السلام » .

وحِجْرِى لَه حِوَاءً ، وإنَّ أباهُ طَلَّقَنِى ، ويُرِيدُ أنْ يَنْتَزِعَهُ [(١)] منِّى . فقالَ لَها النَّبِيّ ﷺ: أنْتِ أَحَقُّ بِه [منه] [(٢)] ما لم تُنكِحِى [(٣)]

وههُنا دعاءٌ آخرُ مِن هذا الضَّربِ ، وهو : حَبَاه اللهُ بالعِيشةِ النَّاضِرَة ، وآمَنَه مِن الكَرَّة الخَاسِرَة [(٤)] ، وجَمَعَ لَه بينَ حياةِ عُمْرِهِ وذِكْرِهِ حتَّى لا تزالَ الدُّنيَا بِه عَامِرَة . وسَيَّرَ أَقَاصِى [(٥)] المَطالِبِ إلى بابِهِ ، إذا [(٦)] كانتِ الهِمَمُ إليْها سَائِرَة ، وجَعَلَ حُسْنَ [(٧)] مَجْدِهِ خَلْقًا [(٨)] مَخْلُوقًا إذا احْتَاجَ الحُسْنُ إلى الواشِمَةِ والوَاشِرَة .

فى هذا الدعاءِ ما هو مأخوذٌ مِن الأخبارِ النبويَّةِ [(٩)] ، وهو : أنَّ النَّبِيَّ ﷺ جاءتْ إليْه امْرَأَةٌ فقالتْ [لَه] [(١٠)] : إنَّ ابْنَتِى امَّزَقَ [(١١)] شَعْرُهَا ؛ أَفَأَصِلُهُ ؟. فقالَ : لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ والمُسْتَوْصِلَةَ ، والوَاشِمَةَ والمُسْتَوْشِمَةَ ، والوَاشِرَةَ والمُسْتَوْشِرَةَ [(١٢)] .

وههُنا دعاءٌ [(١٣)] آخرُ من هذا الضربِ ، وهو ممَّا [(١٤)] يختصُّ بقاضٍ : أَنْفَذَ اللهُ

---

(١) فى ن : « ينزعه » . (٢) الزيادة من ط .

(٣) سنن أبى داود ٢/ ٢٨٣/ رقم ٢٢٧٦ ، والمستدرك على الصحيحين ٢/ ٢٢٥/ رقم ٢٨٣٠ ، وسنن الدارقطنى ٣/ ٣٠٤/ رقم ٢١٨ ، وفتح البارى ١٠/ ٤٠٢/ رقم ٥٦٢٦ ، وتفسير القرطبى ٣/ ١٦٤ .

(٤) فى ت : « الخاشرة » ؛ وفى ع : « الحاسرة » تصحيفا .

(٥) فى م ، ون : « قاصى » . (٦) فى م : « وإذا » خطأ .

(٧) فى م : « حسنى » . (٨) فى ط : « خلفا » تصحيفا .

(٩) « النبوية » سقطت من ت ، ون .

(١٠) الزيادة من م ، ون ، وع .

(١١) فى ط : « انمزق » ؛ وفى ن : « أمرق » تصحيفا .

(١٢) البخارى ٥/ ٢٢١٦/ رقم ٥٥٨٩ ، ومسلم ٣/ ١٦٧٧/ رقم ٢١٢٤ ، والترمذى ٤/ ٢٣٦/ رقم ١٧٥٩ ، ومسند الربيع ١/ ٣٧١/ رقم ٩٧٥ . والواشرة: المرأة التى تحدِّد أسنانها وترقِّق أطرافها ، تفعله المرأة الكبيرة تتشبَّه بالشواب. اللسان فى (و ش ر) .

(١٣) فى ط : « دغاء » تصحيفا .

(١٤) فى م : « ما » .

حُكْمَهُ وأمْضَاه ، وجَعَلَه الواحدَ مِن القُضَاة ، وبَلَغَ بِه مِن الدُّنيا والآخِرةِ مَدَى رِضَاه ، ولا خَطَرَ له خاطرُ أَمَلٍ إلاَّ جاءتِ الأقدارُ (١) بمُقْتَضَاه ، وقَسَمَ الزمانَ بينَه وبينَ أعدائِه حتَّى يكونَ (٢) لَهم أَسْوَدَاهُ ، ولَه (٣) أَبْيَضَاه .

وفى هذا الدعاءِ معنًى مِن الأخبارِ النبويَّةِ ، وهو قولُ النَّبِىِّ ﷺ : القُضَاةُ ثلاثةٌ (٤) : قَاض فِى الجَنَّةِ ، وقَاضِيَانِ فِى النَّارِ (٥) .

وههُنا دعاءٌ آخرُ ممَّا يجرِى هذا المجرَى ، وهو ممَّا يختصُّ (٦) بمَن اسمُه علىٌّ : [أَوْزَعَهُ] (٧) اللهُ شُكْرَ ما أَوْلاه . وأَسْعَدَ آخرَتَه ، كما أسْعَدَ أُولاه . وأنالَه فَضْلَ سَمِيِّهِ (٨) الذى قيلَ فِيه : مَنْ كُنْتُ مَوْلاه ؛ فعلىٌّ مَوْلاه .

فى هذا الدعاءِ معنًى مِن (٩) الأخبارِ النبويَّةِ (١٠) ، وهو قولُ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى وصْفِ عَلِىٍّ عليْه (١١) السَّلامُ : مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ ؛ فَعَلِىٌّ مَوْلاه (١٢) .

---

(١) فى ط : « قدار » تحريفا .

(٢) فى ع : « تكون » .

(٣) فى ع : « ولى » تحريفا .

(٤) فى م : « ثلاث » خطأ .

(٥) المستدرك على الصحيحين ٤/ ١٠١/رقم ٧٠١٢ ، والترمذى ٣/ ٦١٣/ رقم ١٣٢٢ ، وأبى داود ٣/ ٢٩٩/ رقم٣٥٧٣ ، وابن ماجه ٢/ ٧٧٦/ رقم ٢٣١٥ .

– وفى ت تدخل الناسخ بإثبات رأيه فى قوله : « وفى الفقرتين الأخريين معني يسأل عنه » ؛ حيث أدخله فى متن المصنف . ولم يشر إلى ذلك د. جميل سعيد فى نشرته .

(٦) فى ت ، ون : « وهو يختص » .

(٧) فى الأصل بخط مختلف : « أولاه » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٨) فى م : « اسمه » .

(٩) فى ع : « أمر » تحريفا .

(١٠) « النبوية » سقطت من ت ، وم .

(١١) فى ط : « أفضل » ؛ وهى نسخة طهران ، وفى ع : « وصف على : من كنت مولاه » .

(١٢) الترمذى ٥/ ٦٣٣/ رقم ٣٧١٣ ، والسنن الكبرى للنسائى ٥/ ١٣٢/ رقم٨٤٧٣ ، والمعجم الأوسط ٢/ ٢٤/ رقم ١١١١ .

وممَّا يُسْلَكُ بِه هذا المَسْلَكَ (١) دعاءٌ مِن الأدعيةِ التى تُوضَعُ فى كُتُبِ الديوانِ العزيزِ النبوىِّ ببغدادَ ، وهو : أدامَ اللهُ سُلطانَ الديوانِ العزيزِ النبوىِّ ، وجَعَلَ أمدادَ البقاءِ لدولتِه مُؤْطِنَة (*) ، ومقاليدَ الأيامِ بإعلاءِ كَلِمَتِهِ مُؤْذِنَة ، وبَسَطَ يدَه فى الأعداءِ مَكِينَةً ، وأسْبَغَها على الأولياءِ مُمْكِنَة ، وأَخْدَمَ الجُدودَ عَبيدَهُ حتَّى لا يُذْعِنَ بطاعتِه لسانٌ (٢) إلاَّ كانتْ لَه مُذْعِنَة ، ولا تُقَرُّ (٣) بعبوديتِهِ رقبةٌ (٤) إلاَّ قالتْ للدهرِ : أَعْتِقْهَا فإنَّها مُؤْمِنَة .

هذا الدعاءُ مِن الأدعيةِ المُستغربةِ المُستحسنةِ ، وفيه معنًى مأخوذٌ مِن الأخبارِ النبويَّةِ ، وذاكَ أنَّ جارِيةً لبعضِ الصَّحابةِ حَضَرَتْ بينَ يديْه ﷺ ؛ فقالَ لَها : أينَ اللهُ ؟. فقالتْ : فى السَّماءِ . فقالَ لسيِّدِهَا : أَعْتِقْهَا ؛ فإنها مُؤْمِنَةٌ (٥)

ومما ينتظمُ بهذا السِّلْكِ دعاءٌ (٦) آخرُ : خَلَّدَ اللهُ سُلطانَ الديوانِ العزيزِ النبوىِّ وجدَّدَ ليالِى دولتِه وأيامِهَا ، وأَجَفَّ القَلَمَ بأنْ تُجْرَى (٧) فى الأرضِ أقلامُها ، ونَظَمَ لَها عُقودَ سَعادةٍ لا تبلُغُ (٨) عقودَ الحسناءِ نِظَامَهَا ، ونَصَبَ حَرَمَهَا مَثَابةً للآمالِ وجَعَلَ إليْه (٩) تَلْبِيَتَهَا وإحْرَامَهَا ، وأَنْشَرَ بفضلِها أمواتَ المَكارِمِ التى ليسَ لغيرِه أنْ

(١) فى ت ، وط ، وم ، وع : « الطريق » ؛ وفى ن : « هذه الطريق » .
(*) مؤطنة بوزن مؤمنة من الفعل أوطن بمعنى : أقام .
(٢) فى م : « بطلقة لسانه » تحريفا .
(٣) فى ط ، وم : « ولا يقرُّ » ؛ وفى ع : « ولا نقر » تصحيفا .
(٤) « رقبة » سقطت من ت .
(٥) مسلم ١/ ٣٨١/ رقم ٥٣٧ ، وصحيح ابن حبان ١/ ٣٨٣/ رقم ١٦٥ ، وسنن أبى داود ١/ ٢٤٤/ رقم ٩٣٠ .
(٦) « دعاء » ممحوة فى ط .
(٧) فى ط ، وم ، ون ، وع : « يُجرى » .
(٨) فى م : « لا يبلغ » .
(٩) فى م : « إليها » خطأ .

يَنْشُرَ أرواحَهَا وأجسامَهَا . ومَاثَلَ بينَ أسماءِ عزائمِهَا ومُسَمَّيَاتِهَا حتَّى يَلْقَى (١) الأعداءَ حَرْبُهَا ومُرَّتُهَا ، والمَساعِي (٢) حارثُها وهمَّامُها .

هٰذا الدعاءُ فيه معنًى مِن الأخبارِ النبويَّةِ ، وهو قولُ النَّبِيِّ ﷺ : أَحَبُّ الأسماءِ إلى اللهِ : عَبْدُ اللهِ وعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وأَصْدَقُهَا عِنْدَهُ الحارِثُ وهَمَّامٌ ، وأَبْغَضُهَا إلَيْهِ حَرْبٌ ومُرَّةُ (٣)

وقد أوردْتُ هذا المعنَى في دعاءٍ آخرَ بغيرِ هذا اللفظِ ، وذكرتُه فى كِتَابِ الأدعيَةِ التى (٤) أنشأتُها ، وقد تقدَّمَ ذكرُه فى هذا (٥) الكِتابِ ، ونبَّهْتُ عليْه ، ولم أذكرْ ههُنا من تلكَ الأدعيةِ شيئًا .

وممَّا ينسحِبُ (٦) على هذا الذيلِ دعاءٌ آخرُ ، وهو : أدامَ اللهُ سُلطانَ الديوانِ العزيزِ (٧) النبوىِّ ، وأخْدَمَهُ رِقابَ الأيامِ واللَّيَالْ ، ونَصَبَ [أبوابَه] (٨) قِبْلَةً لسُجودِ الإعظامِ والإجْلال ، وجَعَلَ التَّقْوَى وطاعتَه مِن الأسماءِ المُتَرَادِفَةِ التى تختلفُ فى التسمِيَةِ ، وتَتَّفِقُ (٩) فى الأفْعَال . ونَاسَبَ فى الاشتهارِ بينَ راياتِ عساكِرِهِ ، وراياتِ مَآثِرِهِ حتَّى يُقَالَ : أهذهِ عَوَالٍ أم مَعَالٍ (١٠) ؟ . ولا زالتْ عَطاياهُ مُتَّصِفَةً بوصفيْن :

---

(١) فى ع : « تلقى » .

(٢) فى م : « والساعى » ؛ وفى ن : « والموالى » ؛ وفى ع : « المساعى » .

(٣) سنن أبى داود ٤/٢٨٧/ رقم ٤٩٥٠ ، ومسند أحمد ٤/٢٣٥/ رقم ١٩٠٥٤ ، والمعجم الكبير للطبرانى ٢٢ /٣٨٠/ رقم ٩٤٩ ، والأدب المفرد ٢٨٤/ رقم ٨١٤ ، وفتح البارى ١٠/٥٧٨/ رقم ٥٨٤٠ مع اختلاف فى الرواية .

(٤) فى الأصل : « الذى أنشأتها » خطأ ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٥) « هذا » سقطت من ت .

(٦) فى م : « يستحب » تحريفا .

(٧) « العزيز » سقطت من م .

(٨) فى الأصل : « بابه » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٩) فى م : « ويتفق » خطأ .

(١٠) فى م : « فعال » تحريفا .

مِن نقْلِ الأيدِى الخِفَاف [١] ، والأيادِى الثِّقَال ، ولا زالَ [٢] جُودُها مُؤْذِنًا [٣] فى النَّاسِ ، فلا يَعْرِضُ لَه سَائِلٌ [٤] إلاَّ قالَ : أَرِحْنَا بِهَا يا بِلال .

فى هذا الدعاءِ معنًى مِن [٥] الأخبارِ النبويَّةِ ، وهو أَنَّهُ كانَ إذا حَضَرَتِ الصَّلاةُ ؛ قالَ النَّبِىُّ ﷺ لبِلالٍ رَضِىَ اللهُ عنه : أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلالُ [٦] . أىْ عَجِّلْ بِهَا .

* * *

(١) فى م : « والأيدى » ؛ و : « الخفاف » سقطت من ن .

(٢) فى ت : « وجعل جودها » .

(٣) فى ع : « مؤذيا » تصحيفا .

(٤) فى ن : « فلا يعرض لسائل » خطأ .

(٥) فى ع : « أمر » تحريفا .

(٦) سنن أبى داود ٤/٢٩٦/ رقم ٢٩٨٥ و ٢٩٨٦ ، ومسند أحمد ٥/ ٣٦٤/ رقم ٢٣١٣٧ ، والمعجم الكبير ٦/ ٢٧٧/ رقم ٦٢١٥ مع اختلاف فى الرواية .

تَمَّ الكتابُ المُباركُ بحمْدِ اللهِ تعالَى ومِنَّتِهِ ، وخَفِيِّ لُطْفِهِ ، وحُسْنِ توفيقِه فى العَشْرِ الأُخَرِ مِن شَهْرِ رَبيعِ الآخِرِ مِن سنةِ أَرْبَعٍ وثلاثينَ وسِتْمَائةٍ .

والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، وصلَّى اللهُ على سيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ، وعلى آلِهِ الطَّاهِرِينَ .

وهُو حَسْبِى ، ونِعْمَ الوَكِيلُ (١)

---

(١) فى هامش الأصل : بلغ ابن الدحميسى بقراءته عرضا بالأصل المقروء على المصنف أيده الله بالموصل الموصولة ، منه هذه النسخة حسب الإجتهاد (كلمتان غير مقروءتين) ، وصحت المعارضة بدمشق المحروسة . (كلام مقطوع من التصوير) .

(*) فى منتصف صفحة الأصل : نقل هذا الكتاب لأحمد بن أبى الفضائل بن أبى المجد بن أبى المعالى بن الدحميسى عفا الله عنه بدمشق المحروسة فى شهر ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وستمائة ؛ وهذا خطه . وأقول : إننى عارضته مع من وثقت به فى الله إلى النسخة المنقول منها ؛ وكانت بخط محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبى شاكر الحنفى الإربلى ، وذكر أنه كان نقلها بالموصل من نسخة المصنف بعد أن قرأ الأصل عليه . وشاهدت آخرها بخط المصنف ما صورته فى أعلى هذا الكتاب من أوله إلى آخره ، الولد الأعز الأجل العالم شرف الدين عبد الصمد بن محمد بن المجلى النصيبى أبقاه الله . واستشرح منه ما يحتاج إلى شرح ؛ وذلك بمدينة الموصل فى عدة مجالس ؛ آخرها يوم الإثنين ثامن جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، وهو التاسع والعشرون من كانون الثانى ، وأجزت له أن يرويه عنى على شروط الرواية المعتبرة ، وكتب مصنف الكتاب بيده حامدا الله ، ومصليا على رسوله محمد وآله ومسلما .

(١) فى ت : نجز كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم ، ووافق فراغه بكرة السبت ثالث ذى الحجة من سنة إحدى وخمسين وستمائة هجرية ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه ، وآله الطاهرين ، وسلم كثيرا ، وحسبنا الله ، ونعم الوكيل .

* وبخط مختلف عن خط النسخة كُتبَ : بلغ مقابلته بنسخة عليها خط المصنف رحمه الله ؛ وصحح بقدر الإمكان فى أوائل ربيع الأول سنة تسع وخمسين وستمائة ، والحمد لله ، وصلواته على محمد وآله الطاهرين .

- وفى ط : تم الكتاب بحمد الله ومنه ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد نبيه ، وآله وأصحابه وعترته الطاهرين وسلم تسليما كثيرا .

- وفى م : تم الكتاب ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه =

= وسلامه ، بلغ مقابلة حسب الطاقة فى خامس عشر محرم الحرام سنة ست وألف ، أحسن الله عاقبتها بخير آمين آمين آمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .آمين .

- وفى ن : تم الكتاب بحمد الله الوهاب .

- وفى ع يبدو أن الناسخ قد سها عن كتابة رقم بين » ثلاث ستمائة » ؛ فكتب : تم الكتاب بعون الله تعالى ، وحسن توفيقه فى الخميس غرة شهر ذى الحجة سنة ثلاث ستمائة ، والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله .

* فى أسفل صفحة الأصل الأخيرة كَتِبَ : نقل هذا الكتاب لأحمد بن أبى الفضائل بن أبى المجد بن أبى المعالى بن الدحميسى عفا الله عنه بدمشق المحروسة ، فى شهر ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وهذا خطه ، وأقول : إننى عارضته مع من وثقت به فى الله إلى النسخة المنقول منها ، وكانت بخط محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبى شاكر الحنفى الإربلى ، وذكر أنه كان نقلها بالموصل من نسخة المصنف بعد أن قرأ الأصل عليه . وشاهدت آخرها بخط المصنف ما صورته فى أعلى هذا الكتاب من أوله إلى آخره ، الولد الأعز الأجل العالم شرف الدين عبد الصمد بن محمد بن المجلى النصيبى أبقاه الله ، واستشرح منه ما يحتاج إلى شرح ، وذلك بمدينة الموصل فى عدة مجالس ، آخرها يوم الإثنين ثامن جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، وهو التاسع والعشرون من كانون الثانى ، وأجزت له أن يرويه عنى على شروط الرواية المعتبرة ، وكتب مصنف الكتاب بيده ، حامدا الله ، ومصليا على رسوله محمد وآله ومسلما .

خاتمة

أدب الكاتب من الأمور التى شغلت كثيرين من كتابنا العظام قديما وحديثا ، ولم تكن هذه المسألة ناتجة عن فراغ ؛ وإنما كانت ناشئة عن الأهمية والمكانة التى ارتقى إليها الكتاب من خلال قربهم الشديد من ولاة الأمور .

لقد تسنم ذروة الكتابة كاتبون ذوو شأن فى تاريخ الأدب العربى ، وقد أخذ بعضهم على عاتقه مهمة تعليم مَن بعدهم - ممن « حصلت لهم الموهبة » على حد تعبير ابن الأثير - صناعة الكتابة ، أو توضيح طرائقها التى ينبغى على ممتهنيها أن يسلكوها ، يأتى فى مقدمة هؤلاء أديب العربية الأكبر عمرو بن بحر الجاحظ (- ٢٥٥ هـ) فى كتابيه « البيان والتبيين » و « الحيوان » ، وابن قتيبة الدِّيْنَوَرِى (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) الذى يمثل الحلقة الأولى فى تأليف الكتب المتخصصة فى هذا الشأن ، بكتابه « أدب الكاتب » ، وإن كان ابن أبى طاهر طَيفور (٢٠٤- ٢٨٠ هـ) يعتبر أول من أرسى مبدأ الاختيارات النثرية جنبا إلى جنب بجوار الشعر فى كتابه « المنظوم والمنثور » .

وقد كان ابن طباطبا العلوى (- ٣٢٢ هـ) أول من أكد أن « الشعر رسائل معقودة ، والرسائل شعر محلول » ، وهو بهذا قرب المسافة بين الشعر والنثر إلى حد لم تكن قد وصلت إليه من قبل ، كذلك يعتبر كتاب « الصناعتين » لأبى هلال العسكرى (- ٣٩٥ هـ) أول كتاب تعليمى يأخذ على عاتقه الإكثار من الأمثلة التى تسهل على الدارسين ارتياد صناعة الكتابة .

ومن بين الذين خصصوا أحد مؤلفاتهم لهذا الموضوع أبو منصور الثعالبى (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ) فى كتابه « نثر النظم وحل العقد » .

ومن هنا لم يكن ضياء الدين بن الأثير بدعا عن أولئك الذين سبقوه فى تمهيد الطريق لمن يأتى بعده ، فألف كتابه « الوشى المرقوم فى حل المنظوم » ؛ ليبين الطريقة المثلى التى يجب أن يكون عليها من يتخذ الكتابة صناعة وحرفة يتعيش

منها ، وقد اختار لذلك النماذج التى تمثل - يمكن القول - ذروة الإبداع فى رسائله السلطانية أو الإخوانية ، أو غير ذلك من أنواع الكتابة .

يعتبر هذا الكتاب إحدى الحلقات الجوهرية فى تاريخ الأدب العربى لتعلم الكتابة ، وهو « على وجازته عظيم الإفادة » على حد قول ابن خلكان فى وفياته ، كما أنه يعتبر صورة حية ، تتجسد من خلاله شخصية ابن الأثير التى يعتد فيها بذاته إلى درجة جعلت واصفيه يتهمونه بالغرور ، عكس ما نجد فى رسائله التى تبين أنه شخص محب للآخرين ، متواضع فى موضع التواضع ، متعال فى الموضع الذى يستدعى ذلك .

الأهم من ذلك أنه يرصد ثقافة عصر ؛ اتسم بالموسوعية ، فهو يحفظ القرآن الكريم ، والأخبار النبوية - لأنه ينظر إلى هذا المصطلح على أنه بلغة المناطقة يستغرق الأحاديث النبوية ، فهو أعم منها - الصحيح منها وغير الصحيح استكثارا من المعانى ، كما لايقتصر حفظه على دواوين فحول الشعراء فقط ، بل - ومن خلال الكتاب أيضا - يحفظ أشعارا كثيرة ، خاصة الأبيات المشهورة ، والأمثال السائرة ، وتواريخ الأمم السابقة ، والاطلاع على دياناتها ، إلى غير ذلك مما يؤكد هو على من يريدون اتخاذ الكتابة مهنة أن يحفظوه .

كذلك يرصد الكتاب إلى أى مدى تصل ثقافة ابن الأثير به إلى أن يصدر أحكاما وآراء نقدية تستحق الرصد ، منها : تقييمه لكل من أبى تمام والبحترى والمتنبى فى عبارة موجزة وهى أنه « لم يشتمل شعر أحد من الشعراء المفلقين : قديما ، وحديثا على المعانى التى اشتمل عليها شعر أبى تمام ، وأبى الطيب المتنبى ؛ فإنهما غواصا المعانى . وأما الألفاظ فى سبكها وديباجتها فلم أجد أحدا يسامى أباعبادة البحترى فيها » . ويؤكد أن استخدام السجع لابد أن يرتبط بالطبع ، أى « أن يكون اللفظ فيه تابعا للمعنى لا أن يكون المعنى فيه تابعا للفظ فإنه يجيء عند ذلك كظاهر مموه على باطن مشوه » .

ويذهب ابن الأثير إلى أنه لا فضل للأول على الآخر ، إذا كان هذا التفضيل

مبنيا على السبق الزمنى فقط ، وذلك لأن « المعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى والبدوى والقروى والمدنى ؛ وإنما الشأن فى إقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفى صحة الطبع ، وجودة السبك » – حسب تعبير الجاحظ – وهو بهذا ينتصر للفظ على المعنى مؤكدا أن « الفضيلة إنما تقع فى سبك الألفاظ ، وإبرازها فى حلية رائقة » .

ومن موقعه وزيرا للإنشاء لدى الأفضل نور الدين على بن صلاح الدين الأيوبى ؛ فيما يختص بقضية الترجمة يرى أن « نقل الكلام من لغة إلى لغة يسهل بسبب أن ألفاظ هذه غير ألفاظ هذه » ، وإن كنت أعتقد أن هذا القول يعنى به المراسلات بين الدول .

وإذا كان كتاب « الوشى المرقوم » يدور موضوعه كله – تقريبا – حول مصطلح التضمين ؛ يستوى فى ذلك التضمين اللفظى ، أو تضمين المعنى ، فإن ابن الأثير يسبق عصره فى التنبؤ بما سيدور عليه مصطلح « التناص » اليوم ، فكأنه كان يحدس به حينما قال : « فلما أردت أن آخذ هذا المعنى وَرَّيت فى أخذه عن الطريق المعهودة ؛ فمثلته بمثال ملائم وهو مقابلة المرآة للصورة . . . ثم أتبعت ذلك بما ينسحب على أثره من معان أخر . وخرجت فيها إلى معرض العتاب آخرًا . وهكذا ينبغى أن تؤخذ المعانى على حكم الاختلاس ، لا على حكم الافتراس . وعلى سبيل المساترة ، لا على سبيل المجاهرة » .

ويثير ابن الأثير قضية ؛ سبق أن أثارها غيره من الكتاب الذين ينتصرون للنثر على النظم ممثلا فى الشعر ، وهو يسير فى هذه المسألة على نهج رصفائه السابقين ، ذاهبا إلى أن تقدم النثر والناثرين – وإن كنا نختلف معه فى هذا الأمر – ينبع من صعوبة النثر الذى نزل عليه القرآن الكريم ، وسهولة النظم ، حتى إنك « إذا عددت منهم مائة شاعر لا يمكنك أن تعد خطيبا واحدا » .

ويخلص البحث إلى أن ابن الأثير – الذى يؤكد فى أكثر من موضع من كتابه أنه لم يحفظ الكتابات النثرية لسابقيه حتى لا يعلق بخاطره شىء منها ، ولأن الأخذ من

الشعر أخفى وأستر - قد تأثر بالناثرين السابقين ، يتضح ذلك من خلال تأثره بما كتبه ابن زيدون (٣٩٤ - ٤٦٣ هـ) فى رسالته الجِّدية ، كما أنه تأثر بما كتبه الشاعر أحمد بن برد الأصغر (- ٤٤٥ هـ) فى رسالته التى أنشأها مفاخرة بين السيف والقلم .

إن كتاب « الوشى المرقوم فى حل المنظوم » ، وبعد الخلوص إلى هذه النتائج ، لجدير بأن يقرأ ، وباستيعاب شديد ، نظرا لأنه نتاج دربة وخبرة وزير كانت مهنته وصناعته الأولى والأخيرة الكتابة طوال ما يقرب من ثمانين عاما هى عمر ابن الأثير (٥٥٨ - ٦٣٧ هـ) ، وهو وسواه من كتبه علامات فى تاريخ الأدب العربى ، تستحق أن يبذل فيها الكثير من الجهد حتى تخرج إلى الناس كما أراد لها صاحبها الذى يعتد بذاته كثيرا .

وقد بذلت فى تحقيق هذا الكتاب ما وسعنى الجهد والطاقة ، ولم أدخر وسعا فى سبيل الوصول إلى المعلومة الصحيحة أيا كان مكانها بعيدا أو قريبا ، ومهما كلفنى الوصول إليها من جهد أو وقت أو مال ، خاصة تلك التى تعيد كثيرا من الأمور إلى نصابها .

وقد عمدت إلى إنصاف ضياء الدين بن الأثير ؛ سواء فى ترجمته التى أصابها على أيدى كثيرين الخلط والخلل ، أو فى تحقيق كتابه بعد وقوع النشرتين السابقتين : نشرة ثمرات الفنون ١٨٨١ م ، ونشرة د. جميل سعيد التى قام على طبعها المجمع العلمى العراقى ١٩٨٩ م ؛ فى كثير من الأخطاء تصحيفا وتحريفا .

وإنى إذ أشكر أستاذى الأعز الشاعر الدكتور « أبا همام » على حسن توجيهه لى ؛ وثقته بى ، أرجو أن أكون قد وفقت ، فإن كان ذلك فبفضل من الله ومنِّه ، وإن كان غير ذلك فمن نفسى .

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف / ٧٦] صدق الله العظيم

ثبت المصادر والمراجع

* أولاً : القرآن الكريم .

* ثانيًا : كتب التفاسير والقراءات :

- المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لأبى الفتح عثمان ابن جنى ، الجزءان الأول والثانى ، مصر - وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٩٩٤ م ، تحقيق : على النجدى ناصف و د. عبد الحليم النجار و د. عبد الفتاح إسماعيل الشيخ .

- تفسير ابن كثير ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى أبو الفداء . (ت : ٧٧٤ هـ) دار الفكر - بيروت ١٤٠١ هـ .

- تفسير الجلالين ، دار الحديث - القاهرة ، ط ١

- تفسير الطبرى ، محمد بن جرير الطبرى أبو جعفر ، (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) دار الفكر - بيروت ١٤٠٥ هـ .

- تفسير القرطبى ، محمد بن أحمد بن أبى بكر القرطبى أبو عبد الله (ت : ٦٧١ هـ) ، دار الشعب - القاهرة ١٣٧٢ هـ ، ط ٢ ، تحقيق : أحمد عبد العليم البردونى .

- حجة القراءات للإمام الجليل أبى زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة رحمه الله تعالى ، ليبيا - منشورات جامعة بنغازى ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م ، ط١ ، تحقيق : سعيد الأفغانى .

- كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ، دار المعارف - القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٨ م ، تحقيق : د. شوقى ضيف .

- قراءة عبد الله بن مسعود (مكانتها ، مصادرها ، إحصاؤها) ، د. محمد أحمد خاطر ، دار الاعتصام - القاهرة ١٩٩٠ م .

*** ثالثًا : مراجع الحديث :**

- الأحاديث القدسية لأبى عبد الرحمن عصام الدين الصبابطى ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ٧ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

- الأحاديث القدسية ، مكتبة إحياء الكتب الإسلامية - بيروت .

- صحيح البخارى ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى (١٩٤ - ٢٥٦هـ) ، دار ابن كثير . اليمامة - بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، ط٣ ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا .

- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيرى النيسابورى (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) ، دار إحياء التراث العربى - بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى .

- صحيح ابن خزيمة ، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمى النيسابورى (٢٢٣ - ٣١١) ، المكتب الإسلامى - بيروت ١٣٧٠ هـ - ١٩٧٠ ، تحقيق : د. محمد مصطفى الأعظمى .

- صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمى البستى (ت : ٣٥٤ هـ) مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ ، ط٢ ، تحقيق شعيب الأرناؤوط .

- المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابورى (٣٢١ - ٤٠٥ هـ) دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م ، ط١ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .

- الأحاديث المختارة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلى المقدسى (٥٦٧ - ٦٤٣ هـ) مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة ١٤١٠ هـ ، ط ١ ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش .

- موارد الظمآن ، على بن أبى بكر الهيثمى أبو الحسن (٧٣٥ - ٨٠٧ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة .

- سنن أبى داود ، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستانى الأزدى (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ) ، دار الفكر ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد .

- سنن الترمذى ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذى السلمى (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ) ، دار إحياء التراث العربى - بيروت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون .

- سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزوينى (٢٠٧ - ٢٧٥ هـ) ، دار الفكر - بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى .

- سنن الدارقطنى ، على بن عمر أبو الحسن الدارقطنى البغدادى (٣٠٦ - ٣٨٥ هـ) ، دار المعرفة - بيروت ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يمانى المدنى .

- سنن البيهقى الكبرى ، أحمد بن الحسين بن على بن موسى أبو بكر البيهقى (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) ، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ١٤١٤ - ١٩٩٤ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .

- السنن الصغرى ، أحمد بن الحسين بن على بن موسى أبو بكر البيهقى (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) ، مكتبة الدار - المدينة المنورة ١٤١٠ - ١٩٨٩ ، ط١ ، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمى .

- السنن الكبرى ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائى (٢١٥ - ٣٠٣ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م ، ط١ ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البندارى و سيد كسروى حسن .

- سنن النسائى « المجتبى » ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائى (٢١٥ - ٣٠٣ هـ) ، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ١٤٠٦ - ١٩٨٦ ، ط٢ ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة .

- شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين بن على بن موسى أبو بكر البيهقى (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٠ هـ ، ط١ ، تحقيق : محمد السعيد بسيونى زغلول .

- فتح البارى ، أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلانى الشافعى (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) ، دار المعرفة - بيروت ١٣٩٧ هـ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب .

- مسند الربيع ، الربيع بن حبيب بن عمر الأزدى البصرى ، دار الحكمة ومكتبة الاستقامة ، بيروت و سلطنة عمان ١٤١٥ هـ ، ط١٠، تحقيق : محمد إدريس وعاشور بن يوسف .

- مسند أحمد ، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيبانى (١٦٤ - ٢٤١ هـ) ، مؤسسة قرطبة - مصر .

- موطأ مالك ، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحى (٩٣ - ١٧٩ هـ) ، دار إحياء التراث العربى - مصر ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى .

- مسند الشهاب ، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعى (ت : ٤٥٤ هـ) ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٧ - ١٩٨٦ ، ط٢ ، تحقيق : حمدى ابن عبد المجيد السلفى .

- المعجم الأوسط للطبرانى ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى (٢٦٠ - ٣٦٠ هـ) ، دار الحرمين - القاهرة ١٤١٥ هـ ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد و عبد المحسن بن إبراهيم الحسينى .

- المعجم الكبير للطبرانى ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى (٢٦٠ - ٣٦٠ هـ) ، مكتبة العلوم والحكم - الموصل ١٤٠٤ - ١٩٨٣ ، ط٢ ، تحقيق : حمدى بن عبد المجيد السلفى .

- الأدب المفرد ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) ، دار البشائر الإسلامية - بيروت ١٤٠٩ - ١٩٨٩ ، ط٣ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى .

- الترغيب والترهيب ، عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى أبو محمد (٥٨١ - ٦٥٦ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٧ هـ ، ط١ ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين .

- الفردوس بمأثور الخطاب ، لأبى شجاع شيرويه بن شهر دار بن شيرويه الديلمى الهمذانى (٤٤٥ - ٥٠٩ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٦ ، ط ١ ، تحقيق : السعيد بن بسيونى زغلول .

- المصنوع فى معرفة الموضوع ، على بن سلطان محمد الهروى القارى (ت : ١٠١٤ هـ) ، مكتبة الرشيد - الرياض ١٤٠٤ هـ ، ط٤ ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة .

- علل الدارقطنى ، على بن عمر أبو الحسن الدارقطنى البغدادى (٣٠٦ - ٣٨٥ هـ) ، دار طيبة - الرياض ١٤٠٥ - ١٩٨٥ ، ط١ ، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله السلفى .

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى (ت : ١١٦٢ هـ) ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٥ هـ ، ط٤ ، تحقيق : أحمد القلاش .

*** رابعًا : المراجع العامة :**

- أبجد العلوم ، صديق بن حسن القنوجى (١٢٤٨ - ١٣٠٧ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٨ م ، تحقيق : عبد الجبار زكار .

- أبو نواس الحسن بن هانئ ، عباس محمود العقاد ، دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٨٠ م .

- أدب الكاتب ، أبو محمد عبدالله ابن مسلم ابن قتيبة الدينورى (٢١٣ - ٢٧٦هـ) ، المكتبة التجارية - مصر ١٩٦٣ ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد .

- أدب ونقد ، للدكتور عبد اللطيف عبد الحليم ، ط ٢ ، توزيع النهضة المصرية - القاهرة سنة ١٩٩٤ .

- الأدب فى العصر الأيوبى ، د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف ١٩٨٣ .

- الأدب وفنونه ، د. محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة - القاهرة ، إيداع ١٩٨٠ م .

- أسس النقد الأدبى عند العرب ، د. أحمد أحمد بدوى ، ط ١ ، سنة ١٩٥٨، مكتبة نهضة مصر بالفجالة .

- الأعلام للزركلى ، ط ١٢ - ١٩٩٧ م .

- الإبهام فى شعر الحداثة العوامل والمظاهر وآليات التأويل ، د. عبد الرحمن محمد القعود ، سلسلة عالم المعرفة - الكويت - مارس ٢٠٠٢

- الإصابة ، أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلانى الشافعى (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) ، دار الجيل - بيروت ١٤١٢ - ١٩٩٢ ، ط١ - تحقيق : على محمد البجاوى .

- الإكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف فى الأسماء والكنى والأنساب ، الأمير الحافظ على بن هبة الله أبى نصر بن ماكولا (٤٢٢ - ٤٧٥ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١ هـ ، ط١

- الإمتاع والمؤانسة لإبى حيان التوحيدى . صححه وضبطه وحققه وشرح

غريبه ورتب فهارسه أحمد أمين وأحمد الزين ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، سنة الإيداع ٢٠٠٢ .

- الإيضاح فى علوم البلاغة ، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزوينى ، دار إحياء العلوم - بيروت ١٩٩٨ م ، ط ٤ .

- الاتجاهات الدينية فى أدب طه حسين : دراسة تاريخية تحليلية ، مخطوط رسالة ماجستير بكلية دار العلوم لجمال أحمد عبد الحليم العسكرى ، إشراف د . محمد أبو الأنوار ٢٠٠٢

- البحث الأدبى ، ط ٧ ، د. شوقى ضيف ، دار المعارف ١٩٩٢ م .

- البداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى أبو الفداء . (ت : ٧٧٤ هـ) ، مكتبة المعارف - بيروت .

- البيان فى روائع القرآن ، الجزء الأول ، د. تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٢

- البيان والتبيين ، تأليف أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، تقديم د. عبد الحكيم راضى ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، سنة الإيداع ٢٠٠٣

- التاريخ المنصورى ، تاريخ الكشف والبيان فى حوادث الزمان ، أبو الفضائل محمد بن على بن نظيف الحموى ، مطبعة الحجاز - دمشق ١٩٨١ م ، تحقيق د. أبو العيد دودو .

- التدوين فى أخبار قزوين ، عبد الكريم بن محمد الرافعى القزوينى ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧ م ، تحقيق : عزيز الله العطاردى .

- التعريف بالقرآن والحديث ، للدكتور محمد الزفزاف ، ط١ ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م ، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة .

- التفضيل الجمالى : دراسة فى سيكولو جية التذوق الفنى ، د. شاكر عبد الحميد ، عالم المعرفة - الكويت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

– الجامع الكبير فى صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، ضياء الدين بن الأثير ، مطبعة المجمع العلمى العراقى ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٦ م ، قام بتحقيقه والتعليق عليه د . مصطفى جواد ود . جميل سعيد .

– الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ، عبد القادر بن أبى الوفاء محمد بن أبى الوفاء القرشى (٦٩٦ – ٧٧٥ هـ) ، مير محمد كتب خانة – كراتشى .

– الحرب الصليبية الثالثة ، ترجمة وتعليق د . حسن حبشى ، الهيئة العامة للكتاب سنة ٢٠٠٠ .

– الحركة الصليبية ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ط ٦ ، مكتبة الأنجلو المصرية .

– الحضارة ، ط ٢ ، د . حسين مؤنس ، عالم المعرفة – الكويت ١٤١٩هـ – ١٩٩٨ م .

– الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، د. أحمد أحمد بدوى ، ط– ٢ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة ١٩٧٩

– الحيوان ، عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، سنة الإيداع ٢٠٠٢ .

– الدارس فى تاريخ المدارس ، عبد القادر بن محمد النعيمى الدمشقى (ت : ٩٧٨ هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٠ هـ ، ط ١ ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين .

– الذخائر ، مجلة فصلية محكمة تعنى بالآثار والتراث والمخطوطات والوثائق ، العدد الثالث – السنة الأولى صيف ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

– الذخائر ، مجلة فصلية محكمة تعنى بالآثار والتراث والمخطوطات والوثائق ، العدد الرابع – خريف ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

– الشعر والشعراء ، أبو محمد عبدالله ابن مسلم ابن قتيبة الدينورى (٢١٣ – ٢٧٦ هـ) ، القاهرة ، تحقيق : أحمد محمد شاكر .

- الشفاهية والكتابية ، تأليف : والتر ج . أونج ، ترجمة : د. حسن البنا عز الدين ، مراجعة : د. محمد عصفور . عالم المعرفة - الكويت / العدد ١٨٢ - فبراير ١٩٩٤ م .

- الصناعتين ، لأبى هلال العسكرى ، علق عليه وفسَّر غريب ألفاظه محمد أمين الخانجى ، ط ٢ ، مطبوعات محمد على صبيح بالأزهر الشريف . بدون تاريخ طبع .

- العبر فى خبر من غبر ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى أبو عبد الله (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) ، مطبعة حكومة الكويت - الكويت ١٩٤٨ م ، ط ٢ ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد .

- العبقرية : تاريخ الفكرة ، تحرير : بنيلوبى مرًى ، ترجمة : محمد عبد الواحد محمد ، مراجعة : د . عبد الغفار مكاوى . سلسلة عالم المعرفة الكويت العدد ٢٠٨ ذو القعدة ١٤١٦ هـ - أبريل / نيسان ١٩٩٦

- العمدة لابن رشيق ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط ٥ / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، دار الجيل بيروت - لبنان .

- الفائق فى غريب الحديث ، محمود بن عمر الزمخشرى (٤٦٧ - ٥٣٨هـ) ، دار المعرفة - لبنان ، ط ٢ ، تحقيق : على محمد البجاوى و محمد أبو الفضل إبراهيم .

- الفهرست ، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم (ت : ٣٨٥ هـ) ، دار المعرفة - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

- القاموس الإسلامى ، وضع أحمد عطية الله .

- الكامل فى التاريخ ، عز الدين على بن محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيبانى بن الأثير (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، ط ٢ ، تحقيق : أبو الفداء عبد الله القاضى .

– المازنى شاعرا ، للدكتور عبد اللطيف عبد الحليم ، ط٣ ، ١٩٩٤ ، مكتبة النهضة المصرية .

– المتنبى و رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا ، للشيخ محمود محمد شاكر ، الناشر مطبعة المدنى بالقاهرة ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

– المثل السائر ، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير (٥٥٨ – ٦٣٧ هـ) ، المكتبة العصرية – بيروت ١٩٩٥ م ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد .

– المدهش لأبى الفرج جمال الدين بن على بن محمد بن جعفر الجوزى (٥٠٨ – ٥٩٧ هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٥ ، ط ٢ ، تحقيق : د. مروان قبانى .

– المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ، د. عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة – الكويت ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م .

– المرايا المقعرة : نحو نظرية نقدية عربية ، د. عبد العزيز حمودة ، سلسلة عالم المعرفة – الكويت – أغسطس ٢٠٠١ .

– المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطى (– ٩١١ هـ) دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٩٩٨ م – ط ١ ، تحقيق فؤاد على منصور .

– المستطرف فى كل فن مستظرف ، شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح الأبشيهى (٧٩٠ – ٨٥٠ هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٦ م ، ط٢ ، تحقيق : د. مفيد محمد قميحة .

– المستقصى فى أمثال العرب ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (٤٦٧ – ٥٣٨ هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٧٨ م ، ط ٢ .

– المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى ابو الفرج (ت : ٥٩٧ هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م ، ط١ ، تحقيق : محمد ومصطفى عبد القادر عطا .

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغرى بردى الأتابكى (٨١٣ - ٨٧٤ هـ) ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - مصر .

- النظرية النقدية عند العرب ، د. هند حسين طه ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية ١٩٨١ م . دار الرشيد للنشر ، سلسلة دراسات (٢٨٣) .

- النقد المنهجى عند العرب ، د. محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة - القاهرة .

- النهاية فى غريب الحديث ، أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزرى (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) ، المكتبة العلمية - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

- الوافى بالوفيات للصفدى ، دار صادر - بيروت ١٩٦٩ ، باعتناء إحسان عباس .

- الوحوش لأبى سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى ، النادى الأدبى الثقافى بجدة ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م ، تحقيق : د. أيمن محمد على ميدان .

- الوفيات للقسنطى ، أبو العباس أحمد بن حسن بن على بن الخطيب (٧٤٠ - ٨٠٩ هـ) ، دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٩٧٨ م ، ط ٢ ، تحقيق : عادل نويهض .

- بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، لابن إياس الحنفى . ج ١ - القسم ١ ، حققها وكتب لها المقدمة والفهارس : محمد مصطفى . الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة .

- بغية الطلب فى تاريخ حلب ، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبى جرادة ، دار الفكر - بيروت ١٩٨٨ ، تحقيق : د . سهيل زكار .

- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، (٨٤٩ - ٩١١ هـ) ، المكتبة العصرية - بيروت - لبنان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

- بلاغة الخطاب وعلم النص ، صلاح فضل ،عالم المعرفة - الكويت ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م .

- بيت المقدس فى أدب الحروب الصليبية (٤٩٢ - ٦٤٨ هـ) ، د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ، كلية الآداب - الجامعة الأردنية ، دارالبشير للنشروالتوزيع ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

- بيت المقدس فى شعر الحروب الصليبية ٤٩٢- ٦٤٨ هـ ، جمعه وحققه وقدم له : د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ، كلية الآداب - الجامعة الأردنية ، دارالبشير للنشروالتوزيع ١٩٨٨ .

- تاريخ الأدب العربى ، كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية د. رمضان عبد التواب وراجع الترجمة د. السيد يعقوب بكر ، ط- ٣ ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٣

- تاريخ الأدب العربى من مطلع القرن الخامس الهجرى إلى الفتح العثمانى ، د. عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، ط- ٥ ، - أكتوبر ١٩٨٩

- تاريخ الخلفاء ، عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، (٨٤٩ - ٩١١ هـ) ، مطبعة السعادة - مصر (١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م) ، ط ١ ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد .

- تاريخ الطبرى ، محمد بن جرير الطبرى أبو جعفر (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧ هـ ، ط ١

- تاريخ العالم الإسلامى ، د. إبراهيم أحمد العدوى ، الأنجلو المصرية ١٩٨٦ م .

- تاريخ النقد الأدبى عند العرب : نقد الشعر من القرن الثانى حتى القرن الثامن الهجرى ، د. إحسان عباس ، ط ٢ ، عمان - دار الشروق / ١٩٩٣ م .

- تاريخ بغداد ، أحمد بن على ابو بكر الخطيب البغدادى (٣٩٣ - ٤٦٣ هـ) ، مكتبة الخانجى - القاهرة .

- تاريخ دمشق الكبير وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل ، لابن عساكر ، دار الفكر - سوريا ، لبنان ١٩٩٧ ، تحقيق : محب الدين أبو سعيد عمر ابن غرامة العمروى .

- تجريد الأغانى تأليف ابن واصل الحموى ، تحقيق : د . طه حسين و إبراهيم الإبيارى الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، سنة الإيداع ١٩٩٧ .

- تحقيق التراث العربى منهجه وتطوره ، د . عبد المجيد دياب ، المركز العربى للصحافة - أهلا ١٩٨٣ م .

- تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل ، د. عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

- تراجم إسلامية ، محمد عبد الله عنان ، القراءة للجميع ...٢ م .

- تكملة إكمال الإكمال ، لابن الصابونى ، بغداد ١٩٥٧ م ، تحقيق : د . مصطفى جواد .

- ثقافتنا فى مواجهة العصر ، د . زكى نجيب محمود ، القراءة للجميع ١٩٩٧ م .

- ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابورى (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ) ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٥م ، ط ١ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

- جولة مع ضياء الدين بن الأثير فى كتابه المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، أحمد محمد عنبر ، مطابع دار الكاتب العربى بمصر ، أغسطس ١٩٥٤م .

- حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، شهاب الدين محمود الحلبى ، ط هندية - مصر ١٢١٥ هـ .

- حضارة الإسلام ، جوستاف إ . فون جرو نيباوم ، ترجمة : عبد العزيز توفيق ، القراءة للجميع ١٩٩٧ م .

- حلبة الكُميت فى الأدب والنوادر والفكاهات المتعلقة بالخمريات ، لشمس الدين محمد بن الحسن النواجى . الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٨ م .

- حوليات كلية الآداب / ١٠ / الرسالة ٥٩/ الجاحظ والنقد الأدبى ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .

- خزانة الأدب وغاية الأرب ، تقى الدين أبو بكر على بن عبد الله الحموى الأزرارى (٧٦٨ - ٨٣٧ هـ) ، دار ومكتبة الهلال - بيروت ١٩٧٨ م ، ط ١ ، تحقيق : عصام شعيتو .

- دراسة فى مصادر الأدب ، للدكتور الطاهر أحمد مكى ، ط ٧ ، دار المعارف - القاهرة ١٩٩٣

- دراسات فى الأدب والفن ، حنا نمر ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجانى ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجى - ١٩٨٨ القاهرة .

- ديوان أبى الطيِّبِ المتنبِّى ، تحقيق وتعليق : د. عبد الوهاب عزام ، سلسلة الذخائر ، طبع الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سنة الإيداع ١٩٩٥

- ديوان أبى العتاهية ، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

- ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى ، تحقيق : محمد عبده عزام ، ط ، دار المعارف ١٩٨٧

- ديوان أبى نواس ، دار صادر - بيروت .

- ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح : د. محمد يوسف نجم ، ط ٢ ، دار صادر - بيروت ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

- ديوان ابن الخياط الدمشقى ، حققه : خليل مردم بك ، المطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م ، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق .

- ديوان ابن الرومى ، تحقيق : د. حسين نصار . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

- ديوان ابن الرومى ، تحقيق : عبد الأمير على مهنا ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٤١١هـ - ١٩٩١ م .

– ديوان ابن زيدون لأبى الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون (٣٩٤ – ٤٦٣هـ) ، معه رسائله وأخباره ، ط ٣ ، ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م ، شرح وتحقيق محمد سيد كيلانى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر .

– ديوان الأرجانى ، تقديم قدرى مايو ، ، ط ١ ، دار الجيل – بيروت ، ١٩٩٨م .

– ديوان الأرجانى ، بيروت سنة ١٣٠٧ هـ بتصحيح أحمد عباس الأزهرى .

– ديوان الأرجانى ، تحقيق ودراسة : محمد مصطفى قاسم ؛ رسالة دكتوراة بالمكتبة المركزية لجامعة القاهرة تحت رقم ٢٢٨٥ – ١٩٧٧ م إ . د . حسين نصار .

– ديوان الإمام الشافعى ، جمعه وحققه وعلق عليه : زهدى يكن ، دار الثقافة – بيروت .

– ديوان البحترى ، تحقيق : حسن كامل الصيرفى ، دار المعارف ١٩٧٧

– ديوان التهامى ، شرح وتحقيق د. على نجيب عطوى ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت – لبنان ١٩٨٦ م .

– ديوان الحماسة لأبى تمام برواية أبى منصور الجواليقى ، تحقيق : د . عبد المنعم أحمد صالح ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، سنة الإيداع ١٩٩٦

– ديوان الشريف الرضى ، دار صادر – بيروت ١٩٩٤

– ديوان الشماخ بن ضرار الذبيانى ، حققه وشرحه : د. صلاح الدين الهادى ، دار المعارف ، سنة الإيداع ١٩٧٧ م ،

– ديوان الفرزدق ، نشرة الصاوى ، مصر .

– ديوان امرئ القيس ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٤ ، دار المعارف ١٩٨٤ .

– ديوان بشار بن برد ، اعتنى بجمعه السيد محمد بدر الدين العلوى أستاذ اللغة العربية سابقا فى الجامعة الإسلامية بعليكرة – الهند نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت – لبنان .

- ديوان تاج الملوك الأيوبى ، ط ١ ، هجر للطباعة والنشر ، تحقيق : د. محمد عبد الحميد سالم ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

- ديوان ديك الجن الحمصي جمعه وشرحه : عبد المعين الملوحي ومحيي الدين الدرويش مطابع الفجر الحديثة - حمص ١٠ /١٢/ ١٩٦٠.

- ديوان رسائل ضياء ابن الأثير ، ج- ٢ ، منشورات جامعة الموصل - كلية الآداب ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، حرره وحققه وقدم له : هلال ناجي .

- ديوان كشاجم ، دراسة وشرح وتحقيق : د . النبوى عبد الواحد شعلان ، ط ١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

- ديوان مجنون ليلى ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، مكتبة مصر سعيد جودة السحار ، دار مصر للطباعة ١٩٧٩ .

- ذيل الروضتين فى أخبار الدولتين ، أبو شامة المقدسى ، القاهرة ، تحقيق : عزة العطار .

- ذيل تاريخ مولد العلماء ، عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكتانى أبو محمد (٣٨٩ - ٤٦٦ هـ) ، دار العاصمة - الرياض ١٤٠٩ هـ ، ط ١ ، تحقيق د. عبد الله أحمد سليمان الحمد .

- ذيل ذيل تاريخ مولد العلماء ، هبة الله بن أحمد بن محمد بن هبة الله الأكفانى (٤٤٤ - ٥٢٤ هـ) ، دار العاصمة - الرياض ١٤٠٩ هـ ، ط ١ ، تحقيق د. عبد الله أحمد سليمان الحمد .

- ذيل مرآة الزمان من وقائع سنة ٦٥٤ - ٦٦٢ هـ ، الشيخ قطب الدين موسى ابن محمد اليونينى (٧٢٦ هـ - ١٣٢٦ م) ، ط ٢ ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - القاهرة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

- رحلة ابن بطوطة ، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتى أبو عبد الله (ولد ٧٠٣ هـ) ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٥ هـ ، ط ٤ ، تحقيق : د. على المنتصر الكتانى .

- رحلة ابن جبير ، محمد بن أحمد بن جبير الأندلسى أبو الحسين (٥٤٠ - ٦١٤ هـ) ، دار الكتاب اللبنانى - دار الكتاب المصرى ، بيروت - مصر .

- رسائل ابن الأثير ، دراسة ، منشورات جامعة الموصل ، تحقيق : نورى القيسى وهلال ناجى .

- رسائل ابن الأثير حررها وحققها أنيس المقدسى - بيروت ١٩٥٩ م .

- رسالة الأزهار ، ضياء ابن الأثير ، منشورات جامعة الموصل - كلية الآداب ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، تحقيق : هلال ناجى .

- روضة العقلاء ، محمد بن حبان البستى أبو حاتم (ت ٣٥٤ هـ) دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد .

- سلسلة رسالة الطالب ، العدد الأول ، جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، شذرات من علوم السنة [١] للدكتور محمد الأحمدى أبو النور .

- سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى أبو عبد الله (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٣ هـ ، ط٩ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط و محمد نعيم العرقسوسى .

- سيرة صلاح الدين ، أو النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لبهاء الدين بن شداد ، تحقيق د. جمال الدين الشيال . الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ٢٠٠٢ م .

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحى بن أحمد العكرى الدمشقى (١٠٣٢ - ١٠٨٩ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت .

- شرح ديوان صريع الغوانى مسلم بن الوليد الأنصارى ، عنى بتحقيقه والتعليق عليه : د. سامى الدهان عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ؛ دار المعارف بمصر .

- شعر المتنبى قراءة أخرى ، د. محمد فتوح أحمد ، دار المعارف ١٩٨٣ م .

- شعر دعبل بن على الخزاعى ، صنعة د. عبد الكريم الأشتر ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، دمشق ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، أحمد بن على القلقشندى (ت : ٨٢١ هـ) ، دار الفكر - دمشق ١٩٨٧ ، ط ١ ، تحقيق : د. يوسف على طويل .

- صراع فى الشرق ، د. على حبيبة ، مكتبة الشباب ١٩٩٤ م .

- ضياء الدين بن الأثير : دراسة فى تراثه النثرى . د. عرفة حلمى عباس ص-١٣ ، رسالة دكتوراة مخطوطة ، المكتبة المركزية تحت رقم ٧٤٥٤ .

- طبقات الحفاظ ، عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، (٨٤٩ - ٩١١ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ ، ط ١

- طبقات الشافعية ، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضى شهبة (٧٧٩ - ٨٥١ هـ) ، عالم الكتب - بيروت ١٤٠٧ هـ ، ط ١ ، تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان .

- طبقات الشافعية الكبرى ، أبو نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى السبكى (٧٢٧ - ٧٧١ هـ) ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - الجيزة ١٩٩٢ م ، ط ٢ ، تحقيق : د. عبد الفتاح محمد الحلو و د. محمود محمد الطناحى .

- طبقات المحدثين ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى أبو عبد الله (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) ، دار الفرقان ، عمّان - الأردن ١٤٠٤ هـ ، ط ١ ، تحقيق : د. همام عبد الرحمن سعيد .

- طبقات المفسرين ، عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، (٨٤٩ - ٩١١ هـ) ، مكتبة وهبة - القاهرة ١٣٩٦ هـ ، ط ١ ، تحقيق : على محمد عمر .

- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحى (١٣٩ - ٢٣١ هـ) ، دار المدنى - جدة ، تحقيق : محمود محمد شاكر .

- عالم الفكر ، المجلد ١٥ / العدد الرابع ، يناير - فبراير - مارس ١٩٨٥ / بحث ديناميات العبقرية للدكتور محمد أحمد سلامة .

- عالم الفكر / المجلد ٣٠ / العدد ١ / يوليو - سبتمبر ٢٠٠١ م . البلاغة ومقولة الجنس الأدبى ، بحث للدكتور محمد مشبال .

- عالم الفكر ، المجلد ١٦ / العدد ٤ ، ١٩٨٦ ، تطور الفكر الترجمي لفوزى عطية .

- عالم الفكر ، المجلد ١٩ / العدد ٤ ، ١٩٨٩ « ترجمة النص الأدبى ، د . سامية أسعد

- عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران) د. شوقى ضيف ، ط٣ ، دار المعارف - القاهرة ١٩٩٠ .

- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس ، دار مكتبة الحياة - بيروت ، تحقيق : د. نزار رضا

- فتوح البلدان ، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى (ت : ٢٧٩ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ ، تحقيق رضوان محمد رضوان .

- فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال ، أبو عبيد البكرى ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٩٨٣ م - ط ٣ ، تحقيق د. إحسان عباس و د. عبد المجيد عابدين .

- فهرس المخطوطات المصورة بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية .

- فى نظرية الأدب ، تيرى إيجلتون - ترجمة : أحمد حسان ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩١ م .

- فى الأدب الأندلسى ، د. جودت الركابى ، مكتبة الدراسات الأدبية (٢٢) ، دار المعارف ، ١٩٨٠ م.

- فى نظرية الأدب عند العرب ، د . حمادى صمود ، ط ١ ، النادى الأدبى الثقافى بجدة ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .

- قرى الضيف ، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس (٢٠٨ - ٢٨١هـ) ، أضواء السلف - الرياض ١٩٩٧ م ، ط ١ ، تحقيق : عبد الله بن حمد المنصور .

- قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية ، ترجمها وقدم لها أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٩٧ م .

- كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين ، للخالديين أبى بكر محمد المتوفى ٣٨٠ هـ وأبى عثمان سعيد المتوفى ٣٩٠ - ٣٩١هـ ابنى هاشم ، حققه وعلق عليه : د . السيد محمد يوسف ، تقديم د. سيد حنفى حسنين ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، سنة الإيداع ٢٠٠٢ .

- كتاب الأغانى / أبو الفرج الأصفهانى ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مكتبة الأسرة ٢٠٠١ م .

- كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى (٥٩٩ - ٦٦٥ هـ) ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٧ ، ط ١ ، تحقيق : إبراهيم الزيبق .

- كتاب العصا ، أسامة بن منقذ (٤٨٨ - ٥٨٤ هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - فرع الإسكندرية ١٩٨١ م ، تحقيق : حسن عباس .

- كتاب القول فى البغال ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البابى الحلبى - مصر ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م ، ط ١ ، حقق الكتاب وعلق عليه ووضع الفهارس : شارل بلا .

- كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، تقى الدين أبو العباس أحمد بن على المقريزى (ت : ٨٤٥ هـ) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٩ م .

- كتاب الوزراء والكتاب ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى ، ط ٢ ، البابى الحلبى - مصر ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م ، حققه ووضع فهارسه : مصطفى السقا و إبراهيم الإبيارى و عبد الحفيظ شلبى .

- كتاب جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكرى ، دار الفكر ١٩٨٨ م ، ط ٢ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش .

- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله القسطنطينى الرومى الحنفى (١٠١٧ - ١٠٦٧ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

- كفاية الطالب فى نقد كلام الشاعر والكاتب ، ضياء الدين بن الأثير ، منشورات جامعة الموصل ، تحقيق : نورى حمودى القيسى و حاتم صالح الضامن و هلال ناجى .

- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقى المصرى (٦٣٠ - ٧١١هـ) ، دار صادر - بيروت ، ط ١ .

- مآثر الإنافة فى معالم الخلافة ، أحمد بن عبد الله القلقشندى (ت : ٨٢١ هـ) ، مطبعة حكومة الكويت - الكويت ١٩٨٥ م ، ط ٢ ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج .

- مؤسسة يمانى الثقافية الخيرية - جائزة الشاعر محمد حسن فقى - الدورة الرابعة - ندوة الشعر العربى المعاصر والجمهور ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

- مجلة فصول / م ١٤ / العدد ٣ / خريف ١٩٩٥ م ، بحث الكلام على الكلام : قراءة فى فكر أبى حيان الأدبى للدكتور عصام بهى .

- مجلة فصول / م ٨ / العدد ١ و ٢ / مايو ١٩٨٩ م ، دراسات فى النقد التطبيقى « طراز التوشيح بين الانحراف والتناص » بحث للدكتور صلاح فضل .

- مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد الميدانى النيسابورى (ت : ٥١٨ هـ) ، دار المعرفة - بيروت ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد .

- مدارج السالكين ، محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى أبو عبد الله ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١) ، دار الكتاب العربى - بيروت ، ١٣٩٣ - ١٩٧٣ ، ط ٢ ، تحقيق محمد حامد فقى .

- مداخل الشعر (باختين - لوتمان - كوندراتوف) ، ترجمة : أمينة رشيد و سيد البحراوى ، الهيئة العامة لقصور الثقافة - سلسلة آفاق الترجمة ، مايو ١٩٩٦ م .

- مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربى مع محاضرة عن التصحيف والتحريف ، د محمود محمد الطناحى ، ط ١ ، مكتبة الخانجي - القاهرة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .

- مدخل إلى تحقيق النص الشعرى ، د. عبد الرحمن محمد الوصيفى ، مطبوعات نادى المدينة المنورة الأدبى ١٤١٧ هـ .

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تأليف الإمام أبو أحمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعى اليمنى المكى المتوفى سنة ٧٦٨ هـ ، فى وفيات سنة ٦٣٧ هـ ، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

- مصادر الدراسة الأدبية وفقا لمناهج التعليم الرسمية من العصر الجاهلى إلى عصر النهضة ليوسف أسعد داغر .

- مصر والشام والصليبيون ، د . محمد حلمى محمد أحمد ، ط٢ ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٨٢ م .

- معتصر المختصر ، يوسف بن موسى الحنفى أبو المحاسن ، عالم الكتب / مكتبة المتنبى - بيروت - القاهرة .

- معجم البلدان ، ياقوت بن عبد الله الحموى أبو عبد الله (ت : ٦٢٦ هـ) ، دار الفكر - بيروت .

- معجم ما استعجم ، عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى أبو عبيد (ت : ٤٨٧ هـ) ، عالم الكتب - بيروت ، ط ٣ ، تحقيق : مصطفى السقا .

- مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم ، تأليف أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة - دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

- مقامات ورسائل أندلسية ، لفرناندو دى لاجرانخا ، ترجمة د. عبد اللطيف عبد الحليم ، دار الثقافة العربية . سنة الإيداع ١٩٨٥

- مقدمة ابن خلدون ، ط ٥ ، دار القلم - بيروت ، ١٩٨٤ م .

- مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ، د . رمضان عبد التواب ، ط ١ ، مكتبة الخانجى - القاهرة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

- موسوعة الحضارة الإسلامية ، المناهج الإسلامية ، د . أحمد شلبى ، ط ٨ ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٩٢ م .

- نثر النظم وحل العقد ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابورى (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ) ، دار الكتب والوثائق القومية تحت رقم ١٥٨٠ طبع حجر .

- نزهة الألباب فى الألقاب ، أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلانى الشافعى (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) ، مكتبة الرشيد - الرياض ١٩٨٩ م ، ط ١ ، تحقيق : عبد العزيز بن محمد بن صالح السديدى .

- نظرية الثقافة ، مجموعة من الكتاب ، ترجمة : د. على السيد الصاوى ، عالم المعرفة - الكويت ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

- نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ، دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٣٣ .

- نوابغ الفكر العربى ٣٦ - ضياء الدين بن الأثير ، د . محمد زغلول سلام ، ط ٢ ، دار المعارف ١٩٨١ م .

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبى بكر بن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١ هـ) ، دار الثقافة - بيروت ١٩٦٨ م ، تحقيق د. إحسان عباس .

الفهارس العامة

أولا : - فهرس آيات القرآن الكريم

- وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِى مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . هود / ٤٤ ، ص ٣٥٨ .

- إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ . هود / ١١٤ ، ص ٢٩٤

- وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ . يوسف / ٢٣ ، ص ٣٥٩ .

- مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ . يوسف / ٣١ ، ص ١٩٢ و ٣٥٨ .

- يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ القَوْمُ الكَافِرُونَ . يوسف / ٨٧ ، ٣٦٢ .

- أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ . الرعد/١٧ ، ص١٩٠ و١٩٥ .

- وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ .
إبراهيم / ٢٦ ، ص ٣٥٩ .

- أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ . النحل / ١ ، ص ٣٦٠ .

- أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً . الكهف / ٩ ، ص ٣٥٠ .

- وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ . الكهف / ٤٥ ، ص ١٩٠ ، ١٩٥

- لَوْ شِئتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً . الكهف / ٧٧ ، ص ١٩٢

- وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِياً . مريم / ١٩٠ ، ص ٣٦٧ .

- يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ وَالسَّلْوَى . طه / ٨٠ ، ص ٣٦٧ .

- وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ الرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ . الحج / ٣١ . ص ٣٨٢ .

- ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ . المؤمنون / ٤٤ ، ص ٣٦٦ .

- مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ . النور/ ٣٥ ، ص ٣٤٩ .

- وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ . النور / ٤٣ ، ص ٣٦١ .

- وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً . الفرقان / ٥٤ ، ص ٣٦٦ و ٣٦٧ .

- وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ . النمل / ١٠ ، ص ٣٤٨ .

- وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ . النمل / ٨٨ ، ص ٣٥٢ .

- وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ . القصص / ٢٣ و ٢٤ ، ص ٣٤٤ .

- فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ القَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ قَالَ إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِى ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ . القصص / ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ ، ص ٣٤٤ و٣٤٥ .

- وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . القصص / ٤٦ ، ص ٣٦٩ .

- وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ . العنكبوت / ٦٠ ، ص ٣٤٣ .

- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً .

الأحزاب / ٤٥ و ٤٦ ، ص ٣٤٩ .

- وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ . فاطر / ٩ ، ص ٣٦٠ .

- وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِى العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . يس / ٧٨ ، ص ٣٦٢ .

- إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ لاَ يَسَّمَّعُونَ إِلَى المَلأِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ .

الصافات / ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ ، ص ٣٦٤ .

- وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ المُحْضَرِينَ . الصافات / ٥٧ ، ص ٣٦٥ .

- فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُنذَرِينَ . الصافات / ٧٣ ، ص ٣٦٥ .

- فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ المُخْلَصِينَ . الصافات / ١٢٧ و ١٢٨ ، ص ٣٦٥ .

- فَالْتَقَمَهُ الحُوت وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ . الصافات / ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ ، ص ٣٦١ .

- وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ .

الصافات / ١٥٨ ، ص ٣٦٥ .

- أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ المُنذَرِينَ .

الصافات/ ١٧٦ و ١٧٧ ، ص ٣٦٦ .

- إِنَّ هَذَا أَخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ .

سورة ص / ٢٣ ، ص ٣٥٣ و ٣٥٤ .

- قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِى إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ .

سورة ص / ٧٩ و ٨٠ و ٨١ ، ص ٣٦٥ .

- وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ . الشورى / ٣٧ ، ص ٣٢١ .

- وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً .
الزخرف / ٣٢ ، ص ٢٧٧ .
- وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا . الزخرف / ٤٨ ، ص ٣٤٦ .
- أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ . الجاثية / ٢٣ ، ص ٣٥٥ .
- يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ . الحجرات / ١٧ ، ص ٣٤٦ .
- بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ . ق / ٥ ، ص ٣٦١ .
- وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ .
ق / ٧ ، ص ٣٦١ .
- إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ .
النجم / ٢٣ ، ص ٣٤١ .
- وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً . الجن / ١٩ ، ص ٣٥٢ .
- حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً .
الجن / ٢٤ ، ص ٣٥٢ .
- وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً . النبأ / ٨ ، ص ٣٦٧ .
- وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً . النبأ / ١٣ ، ص ٣٦٧ .
- وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ . الفيل ٣ و ٤ ، ص ٣٥٧ .

ثانيا : - فهرس الحديث

١ - الحديث القدسى :

- وجبت محبتى للمتحابِّين فىَّ ، والمتجالسين فىَّ، والمتزاورين فىَّ ، والمتباذلين فىَّ .

ص ١٩٤ .

٢ - الحديث النبوى الشريف :

- أحب الأسماء إلى الله : عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها عنده الحارث وهمام ، وأبغضها إليه حرب ومرة . ص ٤٠٠ .

- أرحنا بها يا بلال . أى عجل بها . ص ٤٠١ .

- أطع ولو عبدا حبشيا مجدعا ، ما أقام عليك كتاب الله . ص ٣٧٩ .

- ألا إن سلعة الله غالية . ألا إن سلعة الله الجنة . ص ٣٨٤ .

- أن النبى ﷺ جاءت إليه امرأة فقالت له : إن ابنتى امَّزق شعرها ؛ أفأصله ؟. فقال لعن الله الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة ، والواشرة والمستوشرة . ص ٣٩٧ .

- أن النبى ﷺ : ابتاع من أعرابى فرسا ، واستتبعه إلى منزله ليقبضه الثمن ، وأسرع النبى ﷺ ، وأبطأ الأعرابى ، فطفق ناس يساومونه الفرس ، ولا يشعرون أن رسول الله ﷺ ابتاعه منه ، فنادى ، الأعرابى ، وقال : إن كنت مبتاعا هذا الفرس ؛ وإلا بعته . فخرج إليه رسول الله ﷺ ، وقال : ألم تبعنيه ؟ . فقال الأعرابى : لا . فقال رسول الله ﷺ : بلى . قد ابتعته منك . فقال : هلمَّ شاهدا . فاجتاز خزيمة بن ثابت فقال : أنا أشهد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بمَ تشهد ياخزيمة ؟. فقال : بتصديقك يارسول الله . فجعل شهادته بشهادتين .

ص ٣٨١ و ٣٨٢ .

- أن النبى ﷺ رأى آلة حرث ؛ فقال : ما دخلت هذه دار قوم إلا ذلوا . ص ٣٧٣ .

- أنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله إن امرأتى لا تردُّ يدَ لامس ، فقال : طلقها . فقال : إنى أحبها . فقال : أمسكها . ص ٣٩٢ .

- أنه جاءت امرأة إلى النبى ﷺ ؛ فقالت : يا رسول الله إن هذا ابنى كان ثديى له سقاء ، وبطنى له وعاء ، وحجرى له حواء ، وإن أباه طلقنى ، ويريد أن ينتزعه منى . فقال لها النبى ﷺ : أنت أحق به منه ما لم تنكحى . ص ٣٩٦ و ٣٩٧ .

- أنه وقع رجل بأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فنال منه ؛ فسكت ، ثم نال منه ؛ فسكت ، ثم نال منه ؛ فانتصر فى المرة الثالثة ، فقام رسول الله ﷺ . فقال له أبو بكر رضى الله عنه : أوجدت علىَّ يا رسول الله حيث انتصرت ؟. فقال له كان كلما قال لك شيئا كذبه الملك بما يقول . فلما انتصرت قام الملك ، وقعد الشيطان ، وما كنت لأقعد حيث قعد الشيطان . ص ٣٩١ و٣٩٢ .

- أول بيت وضع للناس المسجد الحرام . فقيل يارسول الله ثم أى ؟ قال : البيت المقدس . قيل : كم كان بينهما ؟ قال : أربعون سنة . ص ٣٥٧ .

- إذا كذب ابن آدم تباعد عنه الملك ميلا من نتن ريحه . ص ٣٧٦ .

- إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده . ص ٣٦٧ .

- إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالما ، اتخذ الناس رؤوسا جهالا ؛ فسئلوا ؛ فأفتوا بغير علم ، فضلوا ، وأضلوا .

ص ٣٧٢ و٣٧٣ .

- إن الله لايقبل صلاة بغير طهور . ص ٣٧٥ .

- إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض ؛ فهو حرام بحرمة الله

إلى يوم القيامة ، لايعضد شوكه ، ولاينفر صيده ، ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها ، ولا يختلى خلاه .

ص ٣٩٤ .

– إنه لما لاعن رسول الله ﷺ بينه وبين زوجته ، وفرق بينهما قال : إن جاءت به أثيبج أصيهب أريصح حمش الساقين ، ناتئ الإليتين ؛ فهو لهلال بن أمية ، وإن جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين ، سابغ الإليتين ؛ " فهو للذى رميت به . فجاءت به أورق جعدا جماليا ، خدلج الساقين ، سابغ الإليتين فقال رسول الله ﷺ : لولا الأيمان لكان لى ولها شأن . ص ٣٧٨ و٣٧٩ .

– ابغونى ضعفاءكم ؛ فإنما تنصرون ، وترزقون بضعفائكم . ص ٣٧٧ .

– اغتربوا لا تضووا . ص ٣٨٠ .

– الأيم أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن فى نفسها ، وإذنها صماتها . ص ٣٤٦ .

– القضاة ثلاثة : قاض فى الجنة ، وقاضيان فى النار . ص ٣٩٨ .

– اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه . ص ٣٩٥ .

– المسائل كدوح يكدح بها المرء وجهه ؛ إلا أن يسأل ذا سلطان أو فى أمر لا يجد منه بدا .

ص ٣٧٣ و ٣٧٤ .

– ثم يبعث الله ريحا طيبة ؛ فتأخذ الناس من تحت إباطهم ؛ فتقبض روح كل مؤمن ومسلم ، ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة . ص ٣٨٨ .

– جبلت القلوب على حب من أحسن إليها . ص ٣٩٦ .

– داووا مرضاكم بالصدقة . ص ٣٨١ .

– رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءا من النبوة ، وهى على رجل طائر ؛ ما لم

يحدث بها ؛ فإذا حدث بها سقطت ، ولا يحدث بها إلا لبيبا أو حبيبا . ص ٣٨١ .

- عينان لاتمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله .

ص ٣٩٠ .

- فإنَّه جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ : إنَّ أخى اسْتُطْلِقَ بطنُه . فقالَ رسولُ اللهُ ﷺ : اسْقِهِ عسلاً ، فسقاه ثم جاءَه ؛ فقال إنِّى سقيتُه عسلاً فلمْ يزدْه إلا استطلاقًا . فقالَ لهُ ثلاثَ مراتٍ . ثمَّ جاءَ الرابعةَ فقالَ اسقهِ عسلاً فقالَ لقدْ سقيتُه . فلمْ يزدْه إلا استطلاقًا . فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ صدقَ الَّلهُ وكذبتْ بطنُ أخيكَ ؛ فسقاهُ فبرِئ . ص ٢٠٧ و٢٠٨

- قلب المؤمن بين لمة ملك ، ولمة شيطان . ص ٣٨٦ .

- قلوب بنى آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن ، يصرِّفها حيث يشاء ؛ كقلب رجل واحد .

ص ٣٨٩ .

- قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض . فقال عمير بن الحمام : بخٍ بخٍ يارسول الله . فقال له : ما حملك على قولك : بخٍ بخٍ ؟. قال : رجاء أن أكون من أهلها . فقال : أنت من أهلها ، فأخرج تمرات من قرنه ، وجعل يأكل ؛ ثم ألقاها من يده ؛ وقال : إن حييت حتى آكل تمراتى هذه . إنها لحياة طويلة . ثم مشى إلى العدوّ ، وقاتل حتى قُتل . ص ٣٨٤ .

- كل كلام لا يُبدأُ فيه بالحمد لله فهو كاليد الجذماء . ص ٣٧٥ .

- لا ألفين أحداً منكم يجئ يوم القيامة ، وعلى رقبته جمل له رغاء . فيقول : يا رسول الله أغثنى ! ؛ فأقول : لا أملك لك شيئا ؛ قد بلغتك . لا ألفين أحداً منكم يجئ يوم القيامة ، وعلى رقبته شاة لها ثغاء . فيقول : يا رسول الله أغثنى ؛ فأقول : لا أملك لكَ شيئًا ؛ قد بلغتك .

ص ٣٨٧ .

– لايحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماءه زرع غيره . ص ١٨٩ و١٩٠ .

– للمجاهد أجر الصائم القائم . ص ٣٩٠ .

– ليس المسكين من ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ؛ إنما المسكين من لا يجد غنى يغنيه ، ولا يفطن به ؛ فيتصدق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس . ص ٣٧٤ .

– ما أنتم إلا كالرقمة فى ذراع الدابة ، أو كالشامة فى جنب البعير . ص ١٧٠ .

– ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه كفاحا ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر تلقاء وجهه فلا يرى إلا النار . فاتقوا النار ولو بشق تمرة . ص ٣٧٧ .

– ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الملائكة ، وقرينه من الشياطين . فقالوا : وأنت يارسول الله ؟. قال : وأنا ؛ إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم . ص ٣٨٦ .

– ماخلقَ اللهُ داءً إلا وخلقَ له دواءً إلا السامَ والهرمَ . ص ٢٠٧

– من اجتهد فأصاب ؛ فله أجران ، ومن اجتهد فأخطأ ؛ فله أجر . ص ٣٩١ .

– من كنت مولاه ؛ فعلى مولاه . ص ٣٩٨ .

– والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة لونه لون دمٍ ، وريحه ريح مسكٍ . ص ٣٨٥ .

– وذاك أن جارية لبعض الصحابة حضرت بين يديه ﷺ ؛ فقال لها : أين الله ؟. فقالت : فى السماء . فقال لسيدها : اعتقها ؛ فإنها مؤمنة . ص ٣٩٩ .

– وعليكم بسير الليل فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار . ص ٢٧٩ .

– يد الله على الجماعة ، ومن شذ شذ إلى النار ، وإنما للذئب من الغنم القاصية . ص ٣٧٥ .

٣ - الحديث الموضوع :

- من حفر لأخيه المؤمن قليبا ؛ ألقاه الله فيه قريبا . ص ٣٩٣ .

٤ - ما ليس له أصل :

- ابن آدمٍ سر مكنون ، تظهره القدرة ، ويخفيه العجز . ص ٣٩١ .

ثالثا : - فهرس أبيات الشعر :

ا - الأبيات الكاملة :

٢ - أنصاف الأبيات :

* * *

رابعًا - فهرس الأمثال

المثل	الصفحة
- إن ترد الماء بماء أكيس	ص ١٩١ و ١٩٦ .
- إن تسلم الجلة فالنيب هدر	ص ١٩١ و ١٩٦
- إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا	ص ١٩١ و ١٩٧ .
- بيض قطاة يحضنه أجدل	ص ١٩١ وص ١٩٨ .
- ربَّ واثق خجل	ص ١٩٤ .
- كل الصيد فى جوف الفرا	ص ١٩١و١٩٨
- وذو النقص فى الدنيا بذى الفضل مولع	ص ٢٠٠ .
- وربما صحت الأجساد بالعلل	ص ٢٠٠ .
- اليوم خمر ، وغدا أمر	ص ١٩١ و ١٩٨ .

***

خامسا : فهرس القبائل

***

سادسًا - فهرس الشعراء

***

سابعًا : فهرس البلدان والأماكن

***

ثامنًا - فهرس الأعلام

محتوى الكتاب

أولا : الدراسة

ثانيا : نصّ الكتاب

صدر من هذه السلسلة

١ - ديوان أبى الطيب المتنبى تحقيق د. عبد الوهاب عزام
٢ - الإشارات الإلهية لأبى حيان التوحيدى تحقيق د. عبد الرحمن بدوى
٣ - قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد تحقيق : سعيد عبد الفتاح
٥،٤ - ديوان الحماسة لأبى تمام تحقيق : د. عبد المنعم أحمد فرج
٦ - رسائل إخوان الصفا (المجلد الأول)
٧ - رسائل إخوان الصفا (المجلد الثانى)
٨ - رسائل إخوان الصفا (المجلد الثالث)
٩ - رسائل إخوان الصفا (المجلد الرابع)
١٠ - كتاب التيجان فى ملوك حِميَر
١١ - ألف ليلة وليلة (المجلد الأول)
١٢ - ألف ليلة وليلة (المجلد الثانى)
١٣ - ألف ليلة وليلة (المجلد الثالث)
١٤ - ألف ليلة وليلة (المجلد الرابع)
١٥ - ألف ليلة وليلة (المجلد الخامس)
١٦ - ألف ليلة وليلة (المجلد السادس)
١٧ - ألف ليلة وليلة (المجلد السابع)
١٨ - ألف ليلة وليلة (المجلد الثامن)
١٩ - تجريد الأغانى (المجلد الأول)
٢٠ - تجريد الأغانى (المجلد الثانى)
٢١ - تجريد الأغانى (المجلد الثالث)
٢٢ - تجريد الأغانى (المجلد الرابع)
٢٣ - تجريد الأغانى (المجلد الخامس)
٢٤ - تجريد الأغانى (المجلد السادس)
٢٥ - الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة مج ١ تحقيق : هنس وير

٢٦ - الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة مج ٢ تحقيق : هنس وير
٢٧ - حلبة الكميت للنواجى
٢٨ - البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ (المجلد الأول)
٢٩ - البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ (المجلد الثانى)
٣٠ - رسائل ابن عربى (المجلد الأول)
٣١ - رسائل ابن عربى (المجلد الثانى)
٣٢ - منامات الوهرانى . مراجعة د. عبد العزيز الأهوانى
٣٣ - الكشكول (المجلد الأول)
٣٤ - الكشكول (المجلد الثانى)
٣٥ - أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول
٣٦-٤٨ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن إياس (فى ثلاثة عشر مجلدًا)
٤٩ - فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (المجلد الأول)
٥٠ - فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (المجلد الثانى)
٥١-٥٤ - المواعظ والاعتبار (فى أربعة مجلدات)
٥٥ - سيرة أحمد بن طولون ، تحقيق : محمد كرد على
٥٦ - مجموعة مصنفات شيخ إشراق للسهروردى (المجلد الأول)
٥٧ - مجموعة مصنفات شيخ إشراق للسهروردى (المجلد الثانى)
٥٨ - اتعاظ الحنفا للمقريزى (المجلد الأول)
٥٩ - اتعاظ الحنفا للمقريزى (المجلد الثانى)
٦٠ - اتعاظ الحنفا للمقريزى (المجلد الثالث)
٦١ - مقالات الإسلاميين للأشعرى ، صحّحه هِلموت ريتّر
٦٢-٦٥ - ديوان أبى نواس (٤ مج) تحقيق : إيفالد ڤاغنر وغريغور شولر
٦٦ - ولاة مصر تأليف محمد بن يوسف الكندى ، تحقيق د. حسين نصّار
٦٧ - المنتخب من أدب العرب (الجزء الأول)
٦٨ - الهوامل والشوامل لأبى حيان التوحيدى ، ومسكويه ،
تحقيق : أحمد أمين والسيد أحمد صقر

٦٩ - المنتخب من أدب العرب (الجزء الثانى) جمعه طه حسين وآخرون
٧٠ - نوادر المخطوطات تحقيق عبد السلام هارون (المجلد الأول)
٧١ - نوادر المخطوطات تحقيق عبد السلام هارون (المجلد الثانى)
٧٢ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام (مج ١) تحقيق : محمود محمد شاكر
٧٣ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام (مج ٢) تحقيق : محمود محمد شاكر
٧٤-٨٠ - الحيوان (فى سبعة مجلدات) تحقيق : عبد السلام هارون
٨١ - الأشباه والنظائر للخالديين (جزآن فى مجلد واحد)
تحقيق د. السيد محمد يوسف
٨٢ - سيرة صلاح الدين لابن شداد تحقيق د. جمال الدين الشيّال
٨٣ - الإمتاع والمؤانسة (ثلاثة أجزاء فى مجلد واحد) تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين
٨٤ - ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمى تحقيق محمد حسن الأعظمى وآخرين
٨٥-٨٨ - البيان والتبيين (فى أربعة مجلدات) تحقيق عبد السلام هارون
٨٩ - المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد الأندلسى (القسم الخاص بالفسطاط).
تحقيق د. شوقى ضيف وزميليه
٩٠ - الفتح القسى فى الفتح القدسى للعماد الأصفهانى تحقيق محمد محمود صبح
٩١ - ديوان ابن سناء الملك تحقيق د. محمد إبراهيم نصر
٩٢ - السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد تحقيق : فهيم محمد شلتوت
٩٣ - معجم الشعراء للمرزبانى تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج
٩٤ - فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء تحقيق د. محمد رجب النجار
٩٥ - أساس البلاغة للزمخشرى ج ١ عن طبعة مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية
٩٦ - أساس البلاغة للزمخشرى ج ٢ عن طبعة مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية
٩٧ - مقاتل الطالبيين لأبى الفرج الأصفهانى ج ١ تحقيق السيد أحمد صقر
٩٨ - مقاتل الطالبيين لأبى الفرج الأصفهانى ج ٢ تحقيق السيد أحمد صقر
٩٩ - الصاحبى لابن فارس تحقيق السيد أحمد صقر
١٠٠ - التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا تحقيق : محمد بن تاويت الطنجى
١٠١ - عيون الأخبار لابن قتيبة . المجلد الأول ، عن طبعة دار الكتب المصرية

١٠٢ - عيون الأخبار لابن قتيبة . المجلد الثانى ، عن طبعة دار الكتب المصرية
١٠٣ - عيون الأخبار لابن قتيبة . المجلد الثالث ، عن طبعة دار الكتب المصرية
١٠٤ - عيون الأخبار لابن قتيبة . المجلد الرابع ، عن طبعة دار الكتب المصرية
١٠٥ - الفلاكة والمفلوكون . تأليف : أحمد بن على الدلجى
١٠٦ - التحدث بنعمة الله . لجلال الدين السيوطى
١٠٧ - الاقتباس من القرآن الكريم ج ١
١٠٨ - الاقتباس من القرآن الكريم ج ٢
١٠٩ - تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة
١١٠ - جواهر الألفاظ محمذ محى الدين عبد الحميد
١١١ - العقد الفريد تأليف أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى - الجزء الأول
١١٢ - العقد الفريد تأليف أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى - الجزء الثانى
١١٣ - العقد الفريد تأليف أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى - الجزء الثالث
١١٤ - العقد الفريد تأليف أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى - الجزء الرابع
١١٥ - العقد الفريد تأليف أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى - الجزء الخامس
١١٦ - العقد الفريد تأليف أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى - الجزء السادس
١١٧ - العقد الفريد تأليف أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى - الجزء السابع
١١٨ - مفاتيح العلوم للخوارزمى تحقيق د. ڤان ڤلوتن
١١٩ - المسالك والممالك للإصطخرى تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحينى
١٢٠ - دار الطراز لابن سناء الملك تحقيق د. جودت الركابى

شركة الأمل للطباعة والنشر
(موراڤيتلى سابقاً)

الذخائر

سلسلة نصف شهرية

هذا الكتاب

لأول مرة فى مصر ينشر كتاب (الوَشْى المرْقوم فى حلّ المنظوم)، كاملا ومحققا تحقيقا علميا، من خلال سلسلة (الذخائر). الدافع إلى تقديم الكتاب أهميته الكبيرة فى مجال النقد والدراسة الأدبية، يتصدّى الكتاب لطبيعة العلاقة الحتمية بين أجيال الأدباء، ويقوم – مع بقية المؤلفات القريبة من الموضوع – على ضبط حركة اللاحق فى تعامله مع التراث السابق وإفادته منه. لكنه حدّد مجال بحثه فى الإفادة من القرآن الكريم والحديث النبوى ونصوص الشعر. وبذلك يخالف تلك الكتبَ التى اقتصرت على معالجة الإفادة من التراث الشعرىّ وحده، وكذلك تلك التى عالجت كيفيّة الإفادة من التراث الأدبى بصفة عامة

الثمن: سبعة جنيهات

شركة الأمل للطباعة والنشر